



كتاب في النفس

تأليف
الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي
المترجمة سنة ٥٩٧ هـ

المجلد التاسع
الكهف - مريم - طه
الأنبياء - الحج

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف
دولة قطر

يوزع مجاناً
ولا يجوز بيعه

زَادَ الْمُسَيِّرَ

فِي عِلْمِ النَّفْسِ

الطبعة الأولى

١٤٤٣ هـ - ٢٠٢١ م

حقوق الطبع محفوظة

هذا الكتاب وقف لله تعالى، طبع على نفقة
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
وهو يوزع مجاناً ولا يجوز بيعه.



الدار الشامية - اسطنبول - تركيا

شارع فوزي باشا - جادة أكدينيز - مقابل جامع بالي باشا
بناء رقم - 26 مكتب رقم A26

تلفاكس: 00902125349298 - جوال: 00905347350856

الايمل: alshamiya.tr@gmail.com

زَادَ الْمَسِيرَ

فِي عِلْمِ النَّفْسِ

تَأَلَّفَ

الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

المتوفى سنة ٥٩٧ هـ

المجلد التاسع

الكهف - الحج

تحقيق وتعليق

بمجموعة باحثين

المكتب العلمي للدراسات

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر



سورة الكهف

فصل في نزولها

روى أبو صالح عن ابن عباسٍ أنَّ سورةَ الكهفِ مَكِّيَّةٌ، وكذلك قال الحسنُ، ومجاهدٌ، وقتادةٌ،^(١) وهذا إجماعُ المفسرين من غير خلافٍ نعلمه، إلاَّ أنَّه قد روي عن ابنِ عباسٍ، وقتادةٍ أنَّ فيها آيةً مدنيَّةً، وهي قوله: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال مقاتلٌ: من أولها إلى قوله تعالى: ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨] مدنيٌّ، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [الكهف: ١٠٨، ١٠٧] الآيتان مدنية، وباقيها مكِّي^(٢).

[٤٩١/ب]

وروى أبو الدرداء عن رسولِ الله ﷺ أنَّه قال: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، ثُمَّ أَذْرَكَ الدَّجَالَ؛ لَمْ يَضُرَّهُ، وَمَنْ حَفِظَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْكَهْفِ؛ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٥٧١/٢)، وابن جرير الطبري (١٤٠/١٥)، والوسيط (١٣٥/٣)، والمحزر الوجيز (٤٩٤/٣)، والبحر المحيط (١٣٤/٧)، وقال ابن عطية: هذه السورة مكية في قول جميع المفسرين، وروي عن فرقة أن أول السور نزل بالمدينة إلى قوله: ﴿جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨]، والأول أصح.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٥٧١/٢).

(٣) رواه أبو عبيد في فضائل القرآن (٢٤٥/١)، وأحمد (٤٣/٣٦)، ومسلم (٨٠٩)، وأبو داود (٤٣٢٣)، وابن الضريس في فضائل القرآن (٢١٠)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٩٥١)، والحاكم في المستدرک (٣٩٩/٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٢١٩) بلفظ: «مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، ثُمَّ أَذْرَكَ الدَّجَالَ لَمْ يَضُرَّهُ»، وزاد أبو=

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۝ (١) قِيمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝ (٢) مَتَكِينٍ فِيهِ أَبَدًا ۝ (٣) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝ (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝ (٥) فَلَعَلَّكَ بِنَجْعِ نَفْسِكَ عَلَى ثَمَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۝ (٦)﴾ [الكهف: ١-٦].

قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قد شرحناه في أول الفاتحة^(١)، والمرادُ بعبدِهِ هاهنا: مُحَمَّدٌ ﷺ، وبالكتاب: القرآن، تمَدَّحُ بإنزالِهِ، لأنَّه إِنْعَامٌ عَلَى الرَّسُولِ خَاصَّةً، وَعَلَى النَّاسِ عَامَّةً.

قال العلماءُ بِاللُّغَةِ وَالتَّفْسِيرِ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، تَقْدِيرُهَا: أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ.

﴿قِيمًا﴾ أي: مستقيمًا عدلًا.

وَقَرَأَ أَبُو رَجَاءٍ، وَأَبُو الْمُتَوَكِّلُ، وَأَبُو الْجَوَازِ، وَابْنُ يَعْمَرَ، وَالنَّخَعِيُّ، وَالْأَعْمَشُ: «قِيمًا» بِكَسْرِ الْقَافِ، وَفَتْحِ الْيَاءِ^(٢)، وَقَدْ فَسَّرْنَاهَا فِي الْأَنْعَامِ^(٣).

= عبيد: «وَمَنْ حَفِظَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْكَهْفِ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

(١) انظر: تفسير سورة الفاتحة الآية رقم (١).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٢٤٧)، والحجة (٣/ ٤٣٩)، والتيسير (ص: ١٠٨)، والمبسوط (٢٠٥/١)، والكامل في القراءات (١/ ٥٨٩).

(٣) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم: (١٦١).

قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ أي: لم يجعل فيه اختلافاً، وقد سبق بيان العوج في آل عمران^(١).

قوله: ﴿يُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ أي: عذاباً شديداً، ﴿مَنْ لَدُنْهُ﴾ أي: من عنده، ومن قبله، والمعنى: لينذر الكافرين ﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بأن لهم ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾ وهو الجنة.

﴿مُكِيثِينَ﴾ أي: مقيمين، وهو منصوب على الحال.

﴿وَيُنذِرَ﴾ بعذاب الله ﴿الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ وهم اليهود حين قالوا: عزيز ابن الله، والنصارى حين قالوا: المسيح ابن الله، والمشركون حين قالوا: الملائكة بنات الله.

﴿مَا لَهُمْ بِهِ﴾ أي: بذلك القول ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾؛ لأنهم قالوا: أفترى على الله، ﴿وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ الذين قالوا ذلك، ﴿كَبُرَتْ﴾ أي: عظمت ﴿كَلِمَةً﴾ الجمهور على النصب.

وقرأ ابن مسعود، والحسن، ومجاهد، وأبو رزين، وأبو رجاء، ويحيى بن يعمر، وابن محيصن، وابن أبي عبيدة: «كَلِمَةً» بالرفع^(٢).

قال الفراء: من نصب أضمر: كبرت تلك الكلمة كلمة، ومن رفع م يضم شيئاً، كما تقول: عَظُمَ قولك^(٣).

(١) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم: (٩٩).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨١) قراءة الحسن، وعيسى، وفي التحصيل (٤ / ١٧٢) قراءة ابن محيصن، والحسن، وانظر: الكامل في القراءات العشر (١ / ٥٩٠).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢ / ١٣٤).

وقال الزَّجَّاجُ: مَنْ نَصَبَ، فالمعنى: كبرت مقاتلتهم: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا كلمة، فكَلِمَةً منصوبٌ على التَّمْيِيزِ، وَمَنْ رَفَعَ، فالمعنى: عَظُمَتِ كَلِمَةٌ هي قولهم: ﴿اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾^(١).

قوله: ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي: إِنِّهَا قَوْلٌ بِالْفَمِ لَا صَحَّةَ لَهَا، وَلَا دَلِيلَ عَلَيْهَا، ﴿إِنْ يَقُولُونَ﴾ أي: مَا يَقُولُونَ ﴿إِلَّا كَذِبًا﴾.

ثم عاتبه على حزنه لفوت ما كان يرجو من إسلامهم، فقال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ﴾.

وقرأ سعيد بن جبير، وأبو الجوزاء، وقتادة: «بَاخِعُ نَفْسِكَ» بكسر السَّينِ، على الإضافة^(٢).

قال المفسرون واللُّغَوِيُّونَ: فَلَعَلَّكَ مَهْلَكُ نَفْسِكَ، وَقَاتِلْ نَفْسَكَ، وأنشد أبو عُبَيْدَةَ لِذِي الرُّمَّةِ^(٣) [من الطويل]:

أَلَا أَيُّهَذَا الْبَاخِعُ الْوَجْدُ نَفْسَهُ لِسَيِّئِ نَحْتِهِ عَنِ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ
أي: نحته.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٦٨/٣).

(٢) انظر: البحر المحيط (١٣٩/٧).

(٣) البيت في ديوانه (ص: ١٠٣٧)، ومجاز القرآن (١/٣٩٣)، وشرح المفصل (٧/٢)، ولسان العرب (٥/٨)، والمقاصد النحوية (٤/٢١٧)، وبلا نسبة في أمالي ابن الحاجب (١/٤٧٤)، وشرح الأشموني (٢/٤٥٣)، ولسان العرب (١٥/٣١٢) (نحا)، والمقتضب (٤/٢٥٩).

فإن قيل: كيف قال: ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ والغالبُ عليها الشك، والله عالمٌ بالأشياء قبل كونها؟

فالجواب: أنها ليست بشك، إنما هي مقدرةٌ تقدير الاستفهام الذي يعني به التقرير، فالمعنى: هل أنت قاتلٌ نفسك؟ لا ينبغي أن يطول أساك على إعراضهم، فإن من حكمنّا عليه بالشقوة لا تُجدي عليه الحسرة، [٤٩٢/أ] ذكره ابن الأثيري.

قوله: ﴿عَلَىٰ أَثَرِهِمْ﴾ أي: من بعد توليهم عنك ﴿إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن.

﴿أَسَفًا﴾ وفيه أربعة أقوال:

أحدها: حزنًا، قاله ابن عباس، وابن قتيبة^(١).

والثاني: جزعًا، قاله مجاهد.

والثالث: غضبًا، قاله قتادة.

والرابع: ندماً، قاله السدي.

وقال أبو عبيدة: ندماً وتلهفًا وأسى^(٢).

قال الزجاج: الأسف: المبالغة في الحزن، أو الغضب، يقال: أسفَ الرَّجُلُ فهو أسيفٌ، قال الشاعر^(٣) [من الطويل]:

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٢).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٣٩٣).

(٣) البيت للأعشي في ديوانه (ص: ١٦٥)، وجمهرة اللغة (ص: ٢٩١)، وشرح شواهد =

أَرَى رَجُلًا مِنْهُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا يَضُمُّ إِلَى كَشْحِهِ كَفًّا مُحْضَبًا
وهذه الآية تشير إلى نهي رسول الله ﷺ عن كثرة الحرص على إيمان
قومه لئلا يؤدي ذلك إلى هلاك نفسه بالأسف.

قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّمَنَّا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ
وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٧-٨].

قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّمَنَّا﴾ فيه أربعة أقوال:
أحدها: أنهم الرجال، رواه سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

والثاني: العلماء، رواه مجاهد، عن ابن عباس؛ فعلى هذين القولين
تكون «ما» في موضع «مَنْ»؛ لأنها في موضع إبهام، قاله ابن الأثيري.
والثالث: أنه ما عليها من شيء، قاله مجاهد.

والرابع: النبات والشجر، قاله مقاتل^(١).

وقول مجاهد أعم، يدخل فيه النبات، والماء، والمعادن، وغير ذلك.

فإن قيل: قد نرى بعض ما على الأرض سمجًا وليس بزينة.

فالجواب: أننا إن قلنا: إن المراد به شيء مخصوص، فالمعنى: إننا جعلنا

= الإيضاح (ص ٤٥٨)، ولسان العرب (١/ ٣٥٧) (خضب)، (٩/ ٥) (أسف)، (٩/ ٣٠٢)

(كف)، وبلا نسبة في الأشباه والنظائر (٥/ ٢٣٥)، والإنصاف (ص: ٧٧٦)، وخزانة

الأدب (٥/ ٧)، ومجالس ثعلب (ص: ٤٧).

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٧٣).

بعض ما على الأرض زينة لها، فخرج مخرج العموم، ومعناه الخصوص.

وإن قلنا: هم الرّجال أو العلماء، فلعبادتهم، أو لدلائلهم على خالقهم.

وإن قلنا: النّبات والشجر، فلائّه زينة لها تجري مجرى الكسوة والحلية.

وإن قلنا: إنّه عامّ في كلّ ما عليها، فلكونه دالاً على خالقه، فكأنّه زينة الأرض من هذه الجهة.

قوله تعالى: ﴿لِنَبْلُوهُمْ﴾ أي: لنختبر الخلق، والمعنى: لنعاملهم معاملة المبتلى.

قال ابن الأنباريّ: من قال: إنّ ما على الأرض يعني به النّبات، قال: الهاء والميم ترجع إلى سكّان الأرض المشاهدين للزّينة، ومن قال: ما على الأرض الرّجال، ردّ الهاء والميم على ما؛ لأنّها بتأويل الجميع، ومعنى الآية: لنبلوهم فنرى أيّهم أحسنّ عملاً، هذا أم هذا؟ قال الحسن: أيّهم أزهد في الدّنيا^(١).

وقد ذكرنا في هذه الآية أربعة أقوالٍ في سورة هود^(٢).

ثمّ أعلم الخلق أنّه يفني جميع ذلك، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾.

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٧٠٦) عن الحسن بلفظ: «أشدهم للدنيا تركاً»، ورواه أيضاً عن سفيان بلفظ: «أزهدهم في الدّنيا»، وانظر: الدر المنثور؛ للسيوطي (٣٦١/٥)، وأورده الواحدي في الوسيط (١٣٦/٣) قال الحسن: «أيّهم أزهد في الدنيا، وأترك لها».

(٢) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٧).

قال الرَّجَّاجُ: الصَّعِيدُ: الطَّرِيقُ الذي لا نبات فيه^(١).

وقال ابنُ الأَثَرِيِّ: قال اللُّغَوِيُّونَ: الصَّعِيدُ: التُّرابُ، ووجه الأرض^(٢).

فأما «الجُرْزُ» فقال الفَرَّاءُ: أهلُ الحجاز يقولون: أرضُ جُرْزٍ، وأسد تقول: جَرَزٌ، وجُرْزٌ، وتميم تقول: أرضُ جُرْزٍ، وجَرَزٌ، وبالتَّخفيف^(٣).

وقال أبو عُبَيْدَةَ^(٤): الصَّعِيدُ الجَرَزُ: الغليظُ الذي لا ينبت شيئاً، [٤٩٢/ب] ويقال للسَّيَةِ المجدبة: جُرْزٌ، وسنون أجراز، لجدوبتها، وقلَّة مطرها، وأنشد^(٥) [من الرَّجَز]:

قَدْ جَرَفَتْهُنَّ السَّنُونُ الْأَجْرَازُ

وقال الرَّجَّاجُ: الجُرْزُ: الأرضُ التي لا ينبتُ فيها شيءٌ، كأنَّها تأكلُ النَّبْتَ أَكْلاً^(٦).

وقال ابنُ الأَثَرِيِّ: قال اللُّغَوِيُّونَ: الجَرَزُ: الأرضُ التي لا يبقى بها نباتٌ، تحرق كل نباتٍ يكون بها.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٦٩/٣).

(٢) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس (٧٧/٢).

(٣) انظر: لغات القرآن (ص: ٨٥).

(٤) انظر: مجاز القرآن (٣٩٣/١).

(٥) بلا نسبة في تفسير ابن جرير الطبري (١٥٤/١٥)، ولسان العرب (٣١٧/٥) (جرز)،

وتاج العروس (٥٣/١٥) (جرز).

(٦) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٦٩/٣).

وقال المفسرون: وهذا يكون يوم القيامة، يجعل الله الأرض مستوية لا نبات فيها ولا ماء.

قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ١٠ فَضَرْبَنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ١١ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ١٢﴾ [الكهف: ٩-١٢].

قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ نزلت على سبب قد ذكرناه عند قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥] (١).

وقال ابن قتيبة: ومعنى أم حسبت: أحسبت (٢).

فَأَمَّا ﴿الْكَهْفِ﴾، فقال المفسرون: هو المغارة في الجبل، إلا أنه واسع، فإذا صغر، فهو غار.

قال ابن الأنباري: قال اللغويون: الكهف بمنزلة الغار في الجبل.

فَأَمَّا الرَّقِيم، ففيه ستة أقوال:

أحدها: أنه لوح من رصاص كانت فيه أسماء الفتية مكتوبة ليعلم من أطلع عليهم يومًا من الدهر ما قصتهم، قاله أبو صالح، عن ابن عباس، وبه قال وهب بن منبه، وسعيد بن جبير في رواية، ومجاهد في رواية.

(١) انظر: سورة الإسراء الآية رقم: (٨٥).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٣).

وقال السُّدِّيُّ: الرِّقِيمُ: صخرةٌ كتب فيها أسماءُ الفتيّةِ، وجعلت في سور المدينة^(١).

وقال مُقاتِلٌ: الرِّقِيمُ: كتابٌ كتبه رجلان صالحان، وكانا يكتمان إيمانهما من الملك الذي فرَّ منه الفتيّةُ، كتبا أمر الفتيّة في لوح من رصاص، ثم جعلاه في تابوتٍ من نحاسٍ، ثمَّ جعلاه في البناء الذي سدّوا به باب الكهف، فقالا: لعلَّ الله أن يطلع على هؤلاء الفتيّة أحدًا، فيعلمون أمرهم إذا قرؤوا الكتاب^(٢).

وقال الفَرَّاءُ: كتب في اللُّوح أسماءُهم: وأنسابهم، ودينهم، ومن كانوا^(٣). قال أبو عُبَيْدَةَ، وابنُ قُتَيْبَةَ: الرِّقِيمُ: الكتاب، وهو فَعِيلٌ بمعنى مَفْعُول، ومنه: كتابٌ مرقومٌ، أي: مكتوبٌ^(٤).

والثاني: أنّه اسمُ القرية التي خرجوا منها، قاله كعبٌ.

والثالث: اسمُ الجبل، قاله الحسنُ، وعطيةٌ.

والرابع: أنّ الرِّقِيمَ: الدّواة بلسانِ الرُّوم، قاله عكرمةٌ ومجاهدٌ في رواية.

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٧١٤) عن السُّدِّيِّ بلفظ: «الرِّقِيمُ حين رقت أسماءُهم في الصخرة، كتب الملكُ فيها أسماءَهم، وكتب أنهم هلكوا في زمان كذا وكذا في ملك ريبوس، ثمَّ ضربها في سور المدينة على الباب، فكان من دَخَلَ أو خرج قرأها». وانظر: الدر المنثور (٣٦٢ / ٥).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٥٧٤ / ٢).

(٣) انظر: معاني القرآن (١٣٤ / ٢).

(٤) انظر: مجاز القرآن (٣٩٤ / ١) وفيه الرِّقِيمُ: الوادي الذي فيه الكهف، وغريب القرآن (ص: ٢٦٣). د.

والخامس: اسمُ الكلب، قاله سعيدُ بنُ جبير.

والسادس: اسمُ الوادي الذي فيه الكهفُ، قاله قتادة، والضَّحَاكُ.

قوله تعالى: ﴿كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا﴾.

قال المفسِّرون: معنى الكلام: أحسبت أنَّهم كانوا أعجب آياتنا؟ قد كان في آياتنا ما هو أعجبُ منهم، فإنَّ خلق السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وما بينهما أعجبُ من قصَّتْهم.

وقال ابنُ عبَّاسٍ: الذي آتيتك من الكتابِ والسُّنَّةِ والعلمِ، أفضل من شأنهم^(١).

قوله: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: معنى: أَوُوا إليه صاروا إليه، وجعلوه مأواهم، والفتيةُ: جمع فتى، مثل غُلامٍ وغُلَمَةٍ، وَصَبِيٍّ وَصَبِيَّةٍ، وَفَعَلَةٌ من أسماء الجمع، وليس ببناءٍ يُقاس عليه، لا يجوز غُرَابٌ وَغُرْبَةٌ، ولا غَنِيٌّ وَغِنِيَّةٌ^(٢).

وقال بعضُ المفسِّرين: الفتيةُ: بمعنى الشَّباب، وقد ذكرنا عن [٤٩٣/أ]

الفتيبيُّ أنَّ الفتى: بمعنى الكامل من الرِّجال، وبيناه في قوله تعالى: ﴿مَنْ فَتَيْتَكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: ٢٥]^(٣).

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٥٦/١٥)، وابن أبي حاتم (١٢٧١٦) في تفسيرهما من طريق العوفي، به، بنحوه.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعراجه (٢٧٠/٣).

(٣) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم: (٢٥).

قوله: ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ﴾ أي: من عندك ﴿رَحْمَةً﴾ أي: رزقاً ﴿وَهَيَّئْ لَنَا﴾ أي: أصْلِحْ لنا ﴿مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ أي: أرشدنا إلى ما يُقَرِّبُنَا منك.

والمعنى: هبىء لنا من أمرنا ما نصيب به الرشد.

والرُّشد والرَّشد والرَّشاد: نقيض الضَّلالِ.

تلخيص قصّة أصحاب الكهف

اختلف العلماء في بُدُو أمرهم، وسبب مصيرهم إلى الكهف، على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّهم هربوا ليلاً من ملكهم حين دعاهم إلى عبادة الأصنام، فمروا براعٍ له كلب، فتبعهم على دينهم، فأووا إلى الكهف يتعبّدون، ورجل منهم يتتبع لهم أرزاقهم من المدينة، إلى أن جاءهم يوماً فأخبرهم أنَّهم قد ذكروا، فبكوا وتعوّذوا بالله من الفتنة، ف ضرب الله تعالى على آذانهم، وأمر الملك فسدَّ عليهم الكهف، وهو يظنُّهم أيقاظاً، وقد توفّى الله أرواحهم وفاة النّوم، وكلبهم قد غشيه ما غشيهم، ثمَّ إنَّ رجلين مؤمنين يكتمان إيمانهما كتباً أسماءهم وأنسابهم وخبرهم في لوحٍ من رصاص، وجعلاه في تابوتٍ من نحاسٍ في البنيان، وقالوا: لعلَّ الله يطلع عليهم قوماً مؤمنين، فيعلمون خبرهم، هذا قولُ ابنِ عبّاسٍ^(١).

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٧٢٠) بنحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٦٦/٥) لابن أبي شيبة، وابن المنذر.

وقال عبيدُ بنُ عميرٍ: فقدهم قومهم فطلبوهم، فعَمَّى الله عليهم أمرهم، فكتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوحٍ: فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم في شهرٍ كذا، في سنة كذا، في مملكة فلان، ووضعوا اللوح في خزانة الملك، وقالوا: ليكونن لهذا شأنٌ^(١).

والثاني: أنَّ أحدَ الحواريين جاء إلى مدينة أصحابِ الكهف، فأراد أن يدخلها، ف قيل له: إن على بابها صَنَمًا لا يدخلها أحدٌ إلا سجدَ له، فكره أن يدخلها، فأتى حَمَامًا قريبًا من المدينة، فكان يعمل فيه بالأجر، وعَلِقَهُ فتية من أهلِ المدينة، فجعل يخبرهم عن خيرِ السَّماء والأرض، وخبر الآخرة، فأمنوا به وصدَّقوه، حتَّى جاء ابنُ الملكِ يومًا بامرأة، فدخل معها الحَمَام، فأنكر عليه الحواري ذلك، فسبَّه فدخل، فمات وماتت المرأة في الحَمَام، فأتى الملك، ف قيل له: إنَّ صاحبَ الحمام قتل ابنك، فالتُمِسَ فهرب، فقال: مَنْ كان يصحُّبه؟ فسَمِّي له الفتية، فالتمسوا فخرجوا من المدينة، فمروا على صاحبٍ لهم في زرع، وهو على مثل أمرهم، فانطلق معهم ومعه كلبٌ حتَّى آواهم الليل إلى الكهف، فدخلوه فقالوا: نبيت هاهنا، ثم نصبح إن شاء الله فترون رأيكم، فضرب الله على آذانهم فناموا؛ وخرج الملك، وأصحابه يتبعونهم، فوجدوهم قد دخلوا الكهف، فكلَّما أراد رجل أن يدخل الكهف أُرعب، فقال قائلٌ للملك: أليس قلت: إن [٤٩٣/ب] قدرت عليهم قتلتهم؟ قال: بلى، قال: فابن عليهم باب الكهف حتَّى

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٥/١٧٣) من طريق عبد العزيز بن أبي رواد، عن عبد الله بن عبيد بن عمير.

يموتوا جوعاً وعطشاً، ففعل، هذا قول وهب بن منبه^(١).

والثالث: أنهم كانوا أبناء عظماء المدينة وأشرافهم، خرجوا فاجتمعوا وراء المدينة على غير ميعاد، فقال رجل منهم هو أسنهم: إني لأجد في نفسي شيئاً ما أظن أحداً يحذه، فقالوا: ما تجد؟ قال: أجد في نفسي أن ربي رب السموات والأرض، فقاموا جميعاً فقالوا: ربنا رب السموات والأرض، فأجمعوا أن يدخلوا الكهف، فدخلوا، فلبثوا ما شاء الله، هذا قول مجاهد^(٢).

وقال قتادة: كانوا أبناء ملوك الروم، فتفرّدوا بدينهم في الكهف، فضرب الله على آذانهم^(٣).

فصل

فأما سبب بعث أصحاب الكهف من نومهم، فقال عكرمة: جاءت أمة مسلمة، وكان ملكهم مسلماً، فاختلفوا في الروح والجسد، فقال قائل: يبعث الروح والجسد، وقال قائل: يبعث الروح وحده، والجسد تأكله الأرض فلا يكون شيئاً، فشقّ اختلافهم على الملك، فانطلق فلبس

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧٤ / ١٥) من طريق معمر، عن إسماعيل بن شروس، عن وهب، بنحوه، وإسماعيل بن شروس الصنعاني أبو المقدام، قال البخاري: قال معمر: كان يضع الحديث. انظر: الميزان (١ / ٢٣٤).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٧٢ / ١٥) من طريق عبد الله بن كثير الداري المكي، به، بنحوه.

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٢٣ / ٢)، عن معمر، ومن طريقه ابن جرير الطبري (١٩٨ / ١٥) بلفظ مطوّل.

المسوح، وقعد على الرَّمَادِ، ودعا الله أن يبعث لهم آية تبين لهم، فبعث الله أصحاب الكهف^(١).

وقال وهبُ بنُ منبّه: جاء راعٍ قد أدركه المطرُ إلى الكهفِ، فقال: لو فتحت هذا الكهف، وأدخلته غنمي من المطرِ، فلم يزل يعالجه حتّى فتحه، وردَّ الله إليهم أرواحهم حين أصبحوا من الغد^(٢).

وقال ابنُ السَّائب: احتاج صاحبُ الأرضِ التي فيها الكهف أن يني حظيرة لغنمِه، فهدم ذلك السدَّ، فبنى به، فانفتح بابُ الكهفِ.

وقال ابنُ إسحاق: ألقى الله في نفس رجلٍ من أهل البلد أن يهدم ذلك البنيان فيني به حظيرة لغنمِه، فاستأجر عاملين ينزعان تلك الحجارة، فتزعاها، وفتحوا باب الكهفِ، فجلسوا فرحين، فسلمَّ بعضهم على بعضٍ لا يرون في وجوههم ولا أجسادهم شيئاً يكرهونه، إنّما هم كهيتهم حين رقدوا وهم يرون أنّ ملكهم في طلبهم، فصلُّوا وقالوا لنمليخا صاحب نفقتهم: انطلق فاستمع ما نذكر به، وابتغ لنا طعاماً، فوضع ثيابه، وأخذ الثياب التي كان يتنكّر فيها، وخرج فرأى الحجارة فد نزعَت عن بابِ الكهفِ، فعجب، ثم مرَّ مستخفياً متخوفاً أن يراه

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٢٣)، ومن طريقه ابن جرير الطبري (١٥/ ١٩٨)، وابن أبي حاتم (١٢٧٢١) في تفسيرهما.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٢٥)، ومن طريقه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ١٩٦) من طريق معمر، عن إسماعيل بن شُرُوسَ، عن وهب، بنحوه، وإسماعيل بن شُرُوسَ، يضع الحديث.

أحد فيذهب به إلى الملك، فلما رأى باب المدينة رأى عليه علامة تكون لأهل الإيمان، فعجب وخيّل إليه أنها ليست بالمدينة التي يعرف، ورأى ناساً لا يعرفهم، فجعل يتعجّب ويقول: لعلّي نائم؛ فلما دخلها رأى قوماً يحلفون باسم عيسى، فقام مسنداً ظهره إلى جدار، وقال في نفسه: والله ما أدري ما هذا، عشية أمس لم يكن على وجه الأرض من يذكر عيسى إلا قتل، واليوم أسمعهم يذكرونه، لعلّ هذه ليست المدينة التي أعرف، [٤٩٤/أ] والله ما أعرف مدينة قرب مدينتنا، فقام كالخيران، وأخرج ورقاً فأعطاه رجلاً وقال: بعني طعاماً، فنظر الرجل إلى نقشه فعجب، ثم ألقاه إلى آخر، فجعلوا يتطارحونه بينهم، ويتعجبون، ويتشاورون، وقالوا: إن هذا قد أصاب كنزاً، ففرّق منهم، وظنّهم قد عرفوه، فقال: أمسكوا طعامكم فلا حاجة بي إليه، فقالوا له: من أنت يا فتى؟ والله لقد وجدت كنزاً وأنت تريد أن تخفيه، شاركنا فيه وإلا أتيناك إلى السلطان فيقتلك، فلم يدر ما يقول، فطرحوا كساءه في عنقه وهو يبكي ويقول: فرّق بيني وبين إخوتي، يا ليتهم يعلمون ما لقيت، فأتوا به إلى رجلين كانا يدبران أمر المدينة، فقالا: أين الكنز الذي وجدت؟ قال: ما وجدت كنزاً، ولكن هذه ورق آبائي، ونقش هذه المدينة وضربها، ولكنّ والله ما أدري ما شأني، ولا ما أقول لكم.

قال مجاهد: وكان ورق أصحاب الكهف مثل أخفاف الإبل، فقالوا: من أنت، وما اسم أبيك؟ فأخبرهم، فلم يجدوا من يعرفه، فقال له أحدهما: أتظنّ أنّك تسخر منا وخزائن هذه البلدة بأيدينا، وليس عندنا من هذا

الضَّرب درهم ولا دينار؟ إني سَأمر بك فتعذَّب عذابًا شديدًا ثم أوثقك حتَّى تعترف بهذا الكنز، فقال يملِخا: أنبؤني عن شيء أسألكم عنه، فإن فعلتم صدَّقكم، قالوا: سل، قال: ما فعل الملك دقيانوس؟ قالوا: لا نعرف اليوم على وجه الأرض ملكًا يسمَّى دقيانوس، وإنَّما هذا ملكٌ كان منذ زمانٍ طويلٍ، وهلك بعدة قرونٍ كثيرة، فقال: والله ما يصدِّقني أحدٌ بما أقوله، لقد كنَّا فتيَّة، وأكرهنا الملك على عبادةِ الأوثان والذَّبْح للطَّواغيتِ، فهربنا منه عشية أمس فنمنا، فلمَّا انتبهنا خرجتُ أشترى لأصحابي طعامًا، فإذا أنا كما ترون، فانطلقوا معي إلى الكهفِ أريكم أصحابي، فانطلقوا معه وسائر أهل المدينة، وكان أصحابه قد ظنُّوا لإبطائه عليهم أنَّه قد أخذ، فبينما هم يتخوَّفون ذلك، إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل، فظنُّوا أنَّهم رسل دقيانوس، فقاموا إلى الصَّلَاة، وسلَّم بعضهم على بعضٍ، فسبق يملِخا إليهم وهو يبكي، فبكوا معه، وسألوه عن شأنه، فأخبرهم خبره، وقصَّ عليهم النَّبأ كُلَّه، فعرفوا أنَّهم كانوا نيامًا بأمر الله تعالى، وإنَّما أوقفوا ليكونوا آية للنَّاس، وتصديقًا للبعث؛ ونظر النَّاس في المسطور الذي فيه أسماءُهم وقصَّتْهم، فعجبوا، وأرسلوا إلى ملكهم فجاء واعتنق القوم، وبكى، فقالوا له: نستودعك الله ونقرأ عليك السَّلام، حفظك الله، وحفظ ملكك، فبينما الملك قائمٌ، رجعوا إلى مضاجعهم، ونوَّى الله ﷻ أنفسهم، فأمر الملك أن يجعل لكلِّ واحدٍ منهم تابوتًا من ذهبٍ، فلما أمسوا رآهم في المنام، فقالوا: إنَّا لم نخلق من ذهبٍ وفضةٍ، ولكن خلقنا [٤٩٤/ب] من ترابٍ، فاتركنا كما كنَّا في الكهفِ على التُّراب حتَّى يبعثنا الله ﷻ منه، وحجبهم الله ﷻ حين خرجوا من عندهم بالرُّعب، فلم يقدر أحدٌ أن يدخلَ

عليهم، وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجداً يصلى فيه، وجعل لهم عيداً عظيماً يؤتى كل سنة.

وقيل: إنه لما جاء يملئها ومعه الناس، قال: دعوني أدخل إلى أصحابي فأبشّرهم، فإني إن رأوكم معي أربتموهم، فدخل فبشّرهم، وقبض الله روحه وأرواحهم، فدخل الناس، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئاً، غير أنها لا أرواح فيها، فقال الملك: هذه آية بعثها الله لكم^(١).

قوله: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ﴾

قال الزّجاج: المعنى: أنماهم ومنعناهم السّمع، لأنّ النائم إذا سمع انتبه.

و﴿عَدَدًا﴾ منصوبٌ على ضربين:

أحدهما: على المصدر، المعنى نُعِدُّ عَدَدًا.

والثاني: أن يكون نعتاً للسّنين، المعنى: سنين ذات عددٍ، والفائدة في ذكر العدد في الشّيء المعدود، توكيد كثرة الشّيء، لأنّه إذا قلّ فهم مقداره، وإذا كثر احتيج إلى أن يعد العدد الكثير^(٢).

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ من نومهم، يقال لكلّ من خرج من الموت إلى

الحياة، أو من النّوم إلى الانتباه: مبعوث، لأنّه قد زال عنه ما كان يحبسّه عن التصرف والإنبعاث.

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/١٩٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/٢٧١).

وقيل: معنى ﴿سِنِينَ عَدَدًا﴾: أنه لم يكن فيها شهرٌ ولا أيام، إنما هي كاملة، ذكره الماوردي^(١).

قوله تعالى: ﴿لَتَعْلَمَنَّ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ قال المفسرون: أي: لنرى، وقال بعضهم: المعنى: لتعلموا أنتم.

وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران، والنخعي: «لَيُعْلَمَنَّ بضم الياء، على ما لم يسم فاعله»^(٢).

﴿أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ ويعني بالحزبين: المؤمنين والكافرين من قوم أصحاب الكهف. ﴿أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ أي: لنعلم أهؤلاء أحصى للأمد أو هؤلاء، فكانه وقع بينهم تنازع في مدة لبثهم في الكهف بعد خروجهم من بينهم، فبعثهم الله ليبين ذلك ويظهر.

قال قتادة: لم يكن للفريقين علم بلبثهم، لا للمؤمنين، ولا لكافرين^(٣).

قال مقاتل: لما بعثوا زال الشك وعرفت حقيقة اللبث^(٤).

وقال القاضي أبو يعلى: معنى الكلام: بعثناهم ليظهر المعلوم في اختلاف الحزبين في مدة لبثهم، لما في ذلك من العبرة.

(١) انظر: تفسير الماوردي (٣/٢٨٨).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٢) «لَيُعْلَمَنَّ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ» حكاه الأخفش، وانظر: البحر المحيط (٧/١٤٥).

(٣) رواه ابن جرير الطبري (١٥/١٧٧)، وابن أبي حاتم (١٢٧٢٣) في تفسيرهما، من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٥٧٦).

قوله تعالى: ﴿ تَحْنُ نَفْسُ عَلَيْنِكَ نَبَاهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى ۝١٣ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةٌ لَّهُمَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ۝١٤ هَتُولَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝١٥﴾ [الكهف: ١٣-١٥].

قوله تعالى: ﴿ تَحْنُ نَفْسُ عَلَيْنِكَ نَبَاهُمْ ﴾ أي: خبر الفتية ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ أي: بالصدق. قوله تعالى: ﴿ وَزِدْنَهُمْ هُدًى ﴾ أي: ثبتناهم على الإيمان، ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ أي: ألهمناها الصبر ﴿ إِذْ قَامُوا ﴾ بين يدي ملكهم دقيانوس. ﴿ فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ وذلك أنه كان يدعو الناس إلى عبادة الأصنام، فعصم الله هؤلاء حتى عصوا ملكهم.

وقال الحسن: قاموا في قومهم فدعوهم إلى التوحيد، وقيل: هذا قولهم بينهم لما اجتمعوا خارج المدينة على ما ذكرنا في أول القصة. فاما «الشطط» فهو الجور. [٤٩٥/أ]

قال الزجاج: يقال: شَطَّ الرَّجُلُ، وَأَشْطَطَ: إِذَا جَارَ^(١).

ثم قال الفتية: ﴿ هَتُولَاءِ قَوْمُنَا ﴾ يعنون الذين كانوا في زمن دقيانوس ﴿ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً ﴾ أي: عبدوا الأصنام ﴿ لَّوْلَا ﴾ أي: هَلَّا ﴿ يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: على عبادة الأصنام ﴿ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ﴾ أي: بحجة.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٢).

وإنما قال: عليهم، والأصنام مؤنثة، لأن الكفار نحلوها العقل والتمييز، فجرت مجرى المذكرين من الناس.

قوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ ﴿١٦﴾ فزعم أن له شريكاً.

قوله: ﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْرَأَ إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّجْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ ﴿١٧﴾ ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّصُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجْدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْسِدًا﴾ ﴿١٨﴾ [الكهف: ١٦-١٧].

قوله: ﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ﴾ ﴿١٦﴾

قال ابن عباس: هذا قول يملخوا، وهو رئيس أصحاب الكهف، قال لهم: ﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ﴾ ﴿١٦﴾ أي: فارقتموهم، يريد: عبدة الأصنام^(١).

﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ ﴿١٧﴾ فيه قولان:

أحدهما: واعتزلتم ما يعبدون، إلا الله، فإن القوم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه آلهة، فاعتزل الفتيّة عبادة الآلهة، ولم يعتزلوا عبادة الله، هذا قول عطاء الخراساني، والفرّاء^(٢).

والثاني: وما يعبدون غير الله.

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٣٨).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٦).

قال قتادة: هي في مصحف عبد الله: «وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ»، وهذا تفسيرها^(١).

قوله: ﴿فَأَوَّا إِلَى الْكَهْفِ﴾ أي: اجعلوه مأواكم، ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبِّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ أي: يسطّ عليكم من رزقه، ﴿وَيُهَيِّجْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾. قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿مَرْفَقًا﴾ بكسر الميم، وفتح الفاء.

وقرأ نافع، وابن عامر: «مَرْفَقًا» بفتح الميم، وكسر الفاء^(٢).

قال الفراء: أهل الحجاز يقولون: «مَرْفَقًا» بفتح الميم وكسر الفاء، في كل مرفق ارتفعت به، ويكسرون مرفق الإنسان، والعرب قد يكسرون الميم منهما جميعاً^(٣).

قال ابن الأنباري: معنى الآية: ويهيء لكم بدلاً من أمركم الصَّعْبِ مَرْفَقًا، قال الشاعر^(٤) [من الطَّوِيل]:

فَلَيْتَ لَنَا مِنْ مَاءٍ زَمْزَمَ شَرْبَةً مُبَرَّدَةً بَاتَتْ عَلَى طَهْيَانِ

(١) هي قراءة عبد الله بن مسعود كما في معاني القرآن؛ للنحاس (٤/ ٢٢٣).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٨٨)، والحجة (٥/ ١٣٠)، والتيسير (ص: ١٤٢)، والمبسوط (١/ ٢٧٦).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٦).

(٤) البيت؛ للأحول الأزلي، أو الكندي يعلى بن مسلم بن قيس في لسان العرب (١٣/ ١٢٨)، وتهذيب اللغة (٦/ ٣٧٧)، وخزانة الأدب (٥/ ٢٦٧).

معناه: فليت لنا بدلاً من ماء زمزم.

قال ابن عباس: ﴿وَيُهَيِّئْ لَكَ﴾ يسهل عليكم ما تخافون من الملك وظلمه، ويأتكم باليسر والرفق واللطف^(١).

قوله تعالى: ﴿وَرَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ﴾ المعنى: لو رأيتهما لرأيت ما وصفنا.

﴿تَزَوَّرُ﴾ قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «تَزَاوَرُ» بتشديد الزاي.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿تَزَوَّرُ﴾ خفيفة.

وقرأ ابن عامر: «تَزَوَّرُ» مثل: «تَحْمَرُ»^(٢).

وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجلز، وأبو رجاء، والجحدري: «تَزَوَّارُ» بإسكان الزاي، وبالف ممدودة بعد الواو من غير همزة، مشددة الراء^(٣).

وقرأ ابن مسعود، وأبو المتوكل، وابن السميع: «تَزَوَّرُ» بهمزة قبل الراء، مثل: «تَزَوَّعِرُ»^(٤).

وقرأ أبو الجوزاء، وأبو السماك: «تَزَوَّرُ» بفتح التاء والزاي وتشديد الواو المفتوحة خفيفة الراء، مثل: «تَكْوَرُ»، أي: تميل وتعدل.

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٣٨).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٨٨)، والحجة (٥/ ١٣١)، والميسوط (١/ ٢٧٦).

(٣) انظر: المحتسب (٢/ ٢٥)، وفي مختصر ابن خالويه (ص: ٨٢) عن الجحدري، وأيوب السخيتاني، وفي المحرر الوجيز (٣/ ٥٠٢) عن الجحدري، وأبي رجاء، وزاد في البحر المحيط (٧/ ١٥١) ابن أبي عبله، وجابر، وورد عن أيوب «تَزَوَّارُ» عَلَى وَزْنِ «تَحْمَارُ».

(٤) انظر: البحر المحيط (٧/ ١٥١).

قال الزَّجَّاجُ: أصل ﴿تَزَوَّرُ﴾ تتزاور، فأدغمت التَّاءُ في الزَّاي، [٤٩٥/ب] و﴿تَقْرِضُهُمْ﴾ أي: تعدل عنهم وتركهم، وقال: ذُو الرُّمَّةِ^(١) [من الطويل]:

إِلَى ظُعْنٍ يَقْرِضُنَ أَقْوَارَ مُشْرِفٍ شِمَالاً وَعَنْ أَيْمَانِنَ الْقَوَارِسُ
يقرضن: يتركن.

وأصل القرض: القطع والفرقة بين الأشياء، ومنه قولك: أَقْرِضْنِي
دِرْهَمًا، أي: اقطع لي من مالكِ درهمًا^(٢).

قال المفسرون: كان كهفهم بإزاء بنات نعش في أرضِ الرُّومِ، فكانت الشمس
تميلُ عنهم طالعة وغاربة لا تدخل عليهم فتؤذيهم بحرّها وتغيّر ألوانهم.

ثم أخبر أنّهم كانوا في مَتَّسَعٍ من الكهف ينالهم فيه بردُ الرِّيحِ،
ونسيم الهواء، فقال: ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾.

قال أبو عُبَيْدَةَ: أي: في مَتَّسَعٍ، والجميع: فجوات، وفجاء بكسر الفاء^(٣).

وقال الزَّجَّاجُ: إنّما صرف الشمس عنهم آية من الآيات، ولم يرض
قول مَنْ قال: كان كهفهم بإزاء بنات نعش^(٤).

(١) البيت في ديوانه (ص: ١١٢٠)، والعين (٥٠ / ٥)، وتهذيب اللغة (٣٤٢ / ٨)، ولسان
العرب (٣٩٩ / ٥).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٧٣ / ٣).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٣٩٦ / ١).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٧٣ / ٣).

قوله: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ يشير إلى ما صنعه بهم من اللطف في هدايتهم، وصرف أذى الشمس عنهم، والرعب الذي ألقى عليهم حتى لم يقدر الملك الظالم ولا غيره على أذاهم.

﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: من دلائله على قدرته ولطفه.

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ هذا بيان أنه هو الذي تولى هداية القوم، ولولا ذلك لم يهتدوا.

قوله: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَنَسَاطَ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا﴾ [الكهف: ١٨].

قوله: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا﴾ أي: لو رأيتهم لحسبتهم أيقاظًا.

قال الزجاج: الأيقاظ: المتبهون، واحدهم: يقظ، ويقظان، والجميع: أيقاظ؛ والرُقود: النيام^(١).

قال الفراء: واحد الأيقاظ: يَقِظْ، وَيَقْظُ^(٢).

قال ابن السائب: وإنما يحسبون أيقاظًا، لأن أعينهم مفتحة وهم نيام.

وقيل: لتقلبهم يمينًا وشمالًا.

وذكر بعض أهل العلم: أن وجه الحكمة في فتح أعينهم، أنه لو دام طبعها لذابت.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٤).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٧).

قوله: ﴿وَنَقْلِبُهُمْ﴾.

وقرأ الحسن، وأبو رجاء: «وَنَقْلِبُهُمْ» بقاء مفتوحة، وسكون القاف، وتخفيف اللام المكسورة.

وقرأ أبو الجوزاء، وعكرمة: «وَنَقْلِبُهُمْ» مثلها، إلا أنه بالنون^(١).

﴿ذَاتِ الْيَمِينِ﴾ أي: على أيانهم وعلى شمائلهم.

قال ابن عباس: كانوا يقلبون في كل عام مرتين، ستة أشهر على هذا الجنب، وستة أشهر على هذا الجنب، لئلا تأكل الأرض لحومهم^(٢).

وقال مجاهد: كانوا ثلاث مائة عام على شق واحد، ثم قلبوا تسع سنين^(٣).

قوله: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَنِيَّ ذُرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾ أخبر أن الكلب كان على مثل حالهم في النوم، وهو في رأي العين متبته.

وفي الوصيد أربعة أقوال:

أحدها: أنه الفناء فناء الكهف، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس،

(١) قال ابن عطية: وقرأ الجمهور «وَنَقْلِبُهُمْ» بنون العظمة، وقرأ الحسن «وَنَقْلِبُهُمْ» بالياء المفتوحة وضم اللام والباء، وهو مصدر مرتفع بالابتداء، قاله أبو حاتم، وحكى ابن جني القراءة عن الحسن بفتح التاء وضم اللام وفتح الباء، وقال هذا نصب بفعل مقدر كأنه قال وترى أو تشاهد تقلبهم، وأبو حاتم أثبت. أه انظر: التحصيل (١٧٣/٤)، والمحرو الوجيز (٥٠٣/٣)، والبحر المحيط (١٥٣/٧)، والكامل في القراءات (٥٩٠/١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم (١٢٧٣٦)، وابن مردويه في تفسيرهما كما في الدر المنثور (٣٧٣/٥).

(٣) رواه ابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٣٧٣/٥) بلفظ: «وَنَقْلِبُهُمْ» قَالَ: فِي التَّسْعِ سِنِينَ لَيْسَ فِيهَا سِوَاهُ.

وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والفرّاء^(١).

قال الفرّاء: يقال: «الْوَصِيدُ» و«الْأَصِيدُ» لغتان، مثل الإكفاف والوكاف، وأزخت الكتاب وورّخت، ووكدت الأمر وأكدت؛ وأهل الحجاز يقولون: الْوَصِيدُ، وأهل نجد يقولون: الْأَصِيدُ، وهو: الحظيرة والفناء^(٢).

والثاني: أنّه الباب، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال السّدي.

وقال ابن قتيبة: فيكون المعنى: وكلّهم باسط ذارعيه بالباب، قال

الشاعر^(٣) [من الطويل]:

بأرضٍ فضاءٍ لا يُسَدَّ وَصِيدُهَا عَلِيٌّ ومَعْرُوفِي بها غير مُنْكَرٍ

والثالث: أنّه الصّعيد، وهو الثّراب، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، ومجاهد في روايةٍ عنهما.

والرابع: أنّه عتبة الباب، قاله عطاء.

قال ابن قتيبة: وهذا أعجب إليّ، لأنّهم يقولون: أوصد بابك، أي: أغلقه، ومنه قوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]، أي: مطبقة مغلقة، وأصله أن تلتصق الباب بالعتبة إذا أغلقته، ومّا يوضح هذا أنّك إذا جعلت الكلب بالفناء، كان خارجاً من الكهف، وإن جعلته بعتبة الباب، أمكن أن يكون داخل الكهف، والكهف وإن لم يكن له بابٌ وعتبةٌ، فإنّها

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٧).

(٢) انظر: كتاب فيه لغات القرآن (ص: ٨٦).

(٣) بلا نسبه في غريب القرآن (ص: ٢٦٥)، والزاهر (١/ ١٧٧)، وتاج العروس (فضل).

أراد أن الكلب موضع العتبة من البيت، فاستعير^(١).

قوله: ﴿لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

وقرأ الأعمش، وأبو حصين: «لَوْ أَطْلَعْتَ» بضم الواو^(٢).

و﴿أَطْلَعْتَ﴾ أي: لو أشرفت عليهم ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ رهبة لهم،
﴿وَلَمَلَّيْتَ﴾.

قرأ عاصم، وابنُ عامر، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «وَلَمَلَّيْتَ»
خفيفة مهموزة.

وقرأ ابنُ كثير، ونافع: «وَلَمَلَّيْتَ» مشددة مهموزة^(٣).

﴿رُغَبًا﴾ أي: فرعاً وخوفاً، وذلك أن الله تعالى منعهم بالرُّعب لئلاَّ
يدخل إليهم أحدٌ.

وقيل: إنَّهم طالت شعورهم وأظفارهم جداً، فلذلك كان الرائي
لهم لو رآهم هرب مرعوباً، حكاة الزَّجَّاج^(٤).

(١) انظر: معاني القرآن (ص: ٢٦٤).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٢) عن يحيى، والأعمش، وزاد ابن عطية في المحرر
الوجيز (٣/ ٥٠٤) ابنًا وائب، وانظر: الكامل (١/ ٥٦٢).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٣٨٩)، والحجة (٥/ ١٣٤)، والتيسير (ص: ١٤٣)، والمبسوط (١/ ٢٧٦).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٥).

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الكهف: ١٩-٢٠].

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أي: وكما فعلنا بهم ما ذكرنا، بعثناهم من تلك النومة ﴿لِيَتَسَاءَلُوا﴾ أي: ليكون بينهم تساؤل وتنازع واختلاف في مدة لبثهم، فيفيد تساؤلهم اعتبار الاعتبارين بحالهم.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ﴾ أي: كم مرر علينا منذ دخلنا هذا الكهف؟ ﴿قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ وذلك أنهم دخلوا غدوة، وبعثهم الله في آخر النهار، فلذلك قالوا: ﴿يَوْمًا﴾ فلما رأوا الشمس قالوا: أو بعض يوم ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِئْتُمْ﴾.

قال ابن عباس: القائل لهذا يملئها رئيسهم، رد علم ذلك إلى الله تعالى (١).

وقال في رواية أخرى: إنما قاله مكسلينا، وهو أكبرهم (٢).

قال أبو سليمان: وهذا يوجب أن تكون نفوسهم قد حدثتهم أنهم قد لبثوا أكثر مما ذكروا.

وقيل: إنما قالوا ذلك؛ لأنهم رأوا أظفارهم وأشعارهم قد طالت جدًا.

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/١٦٥).

(٢) انظر: المصدر السابق.

قوله: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ﴾.

قال ابنُ الأَثَرِيِّ: إِنَّمَا قَالَ: أَحَدَكُمْ، وَلَمْ يَقُلْ: وَاحِدَكُمْ لِثَلَا يَلْتَبَسُ الْبَعْضُ بِالْمَدْحِ الْمَعْظَمِ، فَإِنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: رَأَيْتُ أَحَدَ الْقَوْمِ، وَلَا يَقُولُونَ: رَأَيْتُ وَاحِدَ الْقَوْمِ، إِلَّا إِذَا أَرَادُوا الْمَعْظَمَ، فَأَرَادَ بِأَحَدِهِمْ: بَعْضَهُمْ، وَلَمْ يَرُدَّ شَرِيفُهُمْ.

قوله تعالى: ﴿بُورِقِكُمْ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ، والكسائيُّ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿بُورِقِكُمْ﴾ الرَّاءُ مكسورة خفيفة.

وقرأ أبو عمرو، وحمزةٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: ساكنة الرَّاء، وعن أبي عمرو «بورقكم» مدغمة يشمها شيئاً من التثقيب^(١).

قال الزَّجَّاجُ: تصير كافاً خالصة^(٢).

قال الفَرَّاءُ: «الْوَرِق» لغة أهل الحجاز، وتميم يقولون: «الْوَرُق»، [٤٩٦/ب] وبعضُ العربِ يكسرون الواو، فيقولون: «الْوَرُق»^(٣).

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٨٩)، والحجة (١/ ٢٢٢-٢٢٣)، والتيسير (ص: ١٤٣)، والمبسوط (٢٧٦/١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٥).

(٣) انظر: لغات القرآن (ص: ٨٦).

قال ابنُ قُتَيْبَةَ: «الْوَرِقُ» الفضة، دراهم كانت أو غير دراهم^(١)، يدلُّك على ذلك حديث عرفة أنَّه اتَّخَذَ أَنْفًا مِنْ وَرِقٍ^(٢).

قوله: ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ يعنون التي خرجوا منها، واسمها دقسوس، ويقال: هي اليوم طرسوس.

قوله: ﴿فَلْيَنْظُرْ آيَاتَهَا﴾

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أي أهلها ﴿أَزْكَى طَعَامًا﴾^(٣).

وللمفسِّرين في معناه ستة أقوال:

أحدها: أحل ذبيحة؛ قاله ابنُ عَبَّاسٍ، وعطاءٌ، وذلك أنَّ عامةَ أهل بلدهم كانوا كفَّارًا، فكانوا يذبحون للطواغيت، وكان فيهم قومٌ يخفون إيمانهم.

والثاني: أحلَّ طعامًا، قاله سعيدُ بنُ جبيرة.

قال الضَّحَّاكُ: وكانت أكثر أموالهم غصوبًا^(٤).

وقال مجاهدٌ: قالوا للصاحبهم لا تتبع طعاماً فيه ظلم ولا غصب^(٥).

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٥).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢٣/٥)، وأبو داود (٤٢٣٣)، والترمذي (١٧٧٠)، والنسائي في الكبرى (٩٤٠٠) من طريق عبد الرحمن بن طرفة بن عرفة بن عرفة بن أسعد، عن أبيه، عن جدِّه، قال: «أَصِيبَ أَنْفِي يَوْمَ الْكَلَابِ، فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَتَّخَذْتُ أَنْفًا مِنْ وَرِقٍ، فَأَتَّخَذْتُ عَلَيَّ، فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَتَّخِذَ أَنْفًا مِنْ ذَهَبٍ».

(٣) انظر: معاني القرآن وإعراجه (٢٧٥/٣).

(٤) أورده أبو حيان في البحر المحيط (١٥٧/٧).

(٥) أورده الواحدي في الوسيط (١٤١/٣).

والثالث: أكثر، قاله عكرمة.

والرابع: خير، أي: أجود، قاله قتادة.

والخامس: أطيب، قاله ابن السائب، ومقاتل^(١).

والسادس: أرخص، قاله يمان بن رباب.

قال ابن قتيبة: وأصل الرِّكَاء: النِّمَاء والزَّيَادَةُ^(٢).

قوله: ﴿فَلْيَأْتِكُمْ رِزْقٌ مِنْهُ﴾ أي: بما تأكلونه.

﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ أي: ليدقق النظر فيه، وليحتل لئلا يطلع عليه.

﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ﴾ أي: ولا يخبرن أحداً بمكانكم.

﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أي: يطلعوا ويشرفوا عليكم.

﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: يقتلوكم، قاله ابن عباس.

وقال الزجاج: يقتلوكم بالرَّجْمِ^(٣).

والثاني: يرهوكم بأيديهم، استنكاراً لكم، قاله الحسن.

والثالث: بالسَّتْهُمْ شَتْمًا لكم؛ قاله مجاهد، وابن جريج.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٥٧٩/٢).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٧٦/٣).

قوله تعالى: ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ أي: يردُّوكم في دينهم، ﴿وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ أي: إن رجعتم في دينهم، لم تسعدوا في الدنيا ولا في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنِّي وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ (الكهف: ٢١).

قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: وكما أنماهم وبعثناهم، أطلعنا وأظهرنا عليهم.

قال ابن قُتيبة: وأصل هذا أن من عثر بشيء وهو غافل، نظر إليه حتَّى يعرفه، فاستعير العثار مكان التبين والظهور، ومنه قول الناس: ما عثرت على فلان بسوء قط، أي: ما ظهرت على ذلك منه^(١).

قوله: ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ في المشار إليهم بهذا العلم قولان:

أحدهما: أنهم أهل بلدهم حين اختصموا في البعث، فبعث الله أهل الكهف ليعلموا ﴿أَنِّي وَعَدَ اللَّهُ﴾ بالبعث والجزاء ﴿حَقًّا﴾ وأن القيامة لا شك فيها، هذا قول الأكثرين.

والثاني: أنهم أهل الكهف بعثناهم ليروا بعد علمهم أن وعد الله حق، ذكره الماوردي^(٢).

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن (ص: ٩١).

(٢) انظر: النكت والعيون (٣/ ٢٩٣).

قوله: ﴿إِذْ يَنْتَازِعُونَ﴾ يعني: أهل ذلك الزمان.

قال ابن الأثيري: المعنى: إذ كانوا يتنازعون، ويجوز أن يكون المعنى: إذ تنازعوا.

وفي ما تنازعوا فيه خمسة أقوال:

أحدها: أنهم تنازعوا في البنيان، والمسجد. فقال المسلمون: نبني عليهم مسجداً، لأنهم على ديننا، وقال المشركون: نبني عليهم بنياناً، لأنهم من أهل ستتنا، قاله ابن عباس.

والثاني: أنهم تنازعوا في البعث، فقال المسلمون: تبعث الأجساد [٤٩٧/أ] والأرواح، وقال بعضهم: تبعث الأرواح دون الأجساد، فأراهم الله تعالى بعث الأرواح والأجساد ببعثه أهل الكهف، قاله عكرمة.

والثالث: أنهم تنازعوا ما يصنعون بالفتية، قاله مقاتل^(١).

والرابع: أنهم تنازعوا في قدر مكثهم.

والخامس: تنازعوا في عددهم، ذكرهما الثعلبي^(٢).

قوله: ﴿أَبْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا﴾ أي: استروهم من الناس بأن تجعلوهم وراء ذلك البنيان.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٨٠).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٦/ ١٦٢).

وفي القائلين لهذا قولان:

أحدهما: أنهم مشركو ذلك الزمان، وقد ذكرناه عن ابن عباس.

والثاني: أنهم الذين أسلموا حين رأوا أهل الكهف، قاله ابن السائب.

قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ﴾.

قال ابن قتيبة: يعني المطاعين والرؤساء^(١).

قال المفسرون: وهم الملك وأصحابه المؤمنون اتخذوا عليهم مسجداً.

قال سعيد بن جبير: بنى عليهم الملك بيعة^(٢).

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۚ﴾ (٢٢) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۚ ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَّبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشْدًا ۚ﴾ (الكهف: ٢٢-٢٤).

قوله: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ﴾.

قال الزجاج: ثلاثة مرفوعٌ بخبر الابتداء، المعنى: سيقول الذين

تنازعوا في أمرهم هم ثلاثة^(٣).

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٦).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، كما في الدر المنثور (٥/ ٣٧٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٧).

وفي هؤلاء القائلين قولان:

أحدهما: أنهم نصارى نجران، ناظروا رسول الله ﷺ في عِدَّة أهل الكهف، فقالت الملكية: هم ثلاثة رابعهم كلبهم، وقالت اليعقوبية: هم خمسة سادسهم كلبهم، وقالت النسطورية: هم سبعة وثمانهم كلبهم، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس^(١).

والثاني: أنهم أهل مدينتهم قبل ظهورهم عليهم، ذكره الماوردي^(٢).

قوله: ﴿رَجَمًا بِالْغَيْبِ﴾ أي: ظناً غير يقين، قال زهير^(٣) [من الطويل]:

وَمَا الْحَرْبُ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ وَذُقْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالْحَدِيثِ الْمَرْجَمِ
فَأَمَّا دُخُولُ الْوَاوِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَنَامْنَهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ولم تدخل فيما قبل هذا، ففيه أربعة أقوال:

أحدها: أن دخولها وخروجها واحد، قاله الزجاج^(٤).

والثاني: أن ظهور الواو في الجملة الثامنة دلالة على أنها مرادة في الجملتين المتقدمتين، فأعلم بذكرها هاهنا أنها مرادة فيما قبل، وإنما حذفت تخفيفاً، ذكره أبو نصر المناشر في شرح اللمع.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٨٠)، والوسيط (٣/ ١٤٢)، والكشف والبيان (٦/ ١٦٢).

(٢) انظر: النكت والعيون (٣/ ٢٩٦).

(٣) البيت في ديوانه (ص: ١٨)، ولسان العرب (١٢/ ٢٢٨)، وخزانة الأدب (٣/ ٨ - ١٠)، وشرح شواهد المغني (١/ ٣٨٤).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٧).

والثالث: أنَّ دخولها يدلُّ على انقطاع القصَّة، وأنَّ الكلام قد تمَّ، ذكره الرَّجَّاجُ أيضاً، وهو قولُ مُقاتِل بن سُلَيْمَانَ^(١)، فإنَّ الواو تدلُّ على تمام الكلام قبلها، واستئناف ما بعدها.

قال الثَّعلبيُّ: فهذه واو الحكم والتَّحقيق، كأنَّ الله تعالى حكى اختلافهم، فتمَّ الكلام عند قوله: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ﴾، ثمَّ حكم أنَّ ثامنهم كلِّبهم^(٢).

وجاء في بعض التفسير أنَّ المسلمين قالوا عند اختلاف النَّصارى: هم سبعة، فحقَّق الله قول المسلمين.

والرَّابع: أنَّ العرب تعطف بالواو على السَّبعة، فيقولون: ستَّة، سبعة، وثمانية، لأنَّ العقد عندهم سبعة، كقوله: ﴿التَّيْبُوتُ الْعَيْدُوتُ﴾ إلى أن قال في الصِّفَةِ الثَّامنة: ﴿وَالنَّاهُوتُ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢]، وقوله في صِفَةِ الجَنَّةِ: ﴿وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ وفي صِفَةِ النَّارِ: ﴿فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧١-٧٣]، لأنَّ أبواب النَّارِ سبعة، وأبوابُ الجَنَّةِ ثمانية، ذكر هذا [٤٩٧/ب] المعنى أبو اسحاق الثَّعلبيُّ^(٣).

وقد اختلف العلماء في عددهم على قولين:

أحدهما: أنَّهم كانوا سبعة، قاله ابنُ عَبَّاسٍ.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٨٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٧).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٦/ ١٦٢).

(٣) انظر: المصدر السابق.

والثاني: ثمانية، قاله ابن جريج، وابن إسحاق.

وقال ابن الأنباري: وقيل: معنى قوله: ﴿وَأَمِنْهُمْ كَلْبُهُمْ﴾: صاحب كلبهم، كما يقال: السَّخَاءُ حاتم، والشَّعْرُ زهير، أي: السَّخَاءُ سخاء حاتم، والشَّعْرُ شعر زهير.

وأما أسماءهم، فقال هشيم: مَكْسِلَمِينَا، وَيَمْلِيخَا، وطرينوس، وسدينوس، وسرينوس، ونواسس، ويرانوس، وفي التفسير خلاف في أسمائهم فلم أطل به.

واختلفوا في كلبهم لمن كان على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كان لراعٍ مرؤا به فتبعهم الراعي والكلب، قاله ابن عباس.

والثاني: أنه كان لهم يتصيدون عليه، قاله عبيد بن عمير.

والثالث: أنهم مرؤا بكلبٍ فتبعهم، فطردوه، فعاد، ففعلوا ذلك به مراراً، فقال لهم الكلب: ما تريدون مني؟ لا تخشوا جانبي أنا أحب أحباء الله، فناموا حتى أحرسكم، قاله كعب الأحمار.

وفي اسم كلبهم أربعة أقوال:

أحدها: قطمير، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: اسمه الرقيم، وقد ذكرناه عن سعيد بن جبيرة.

والثالث: قطمور، قاله عبد الله بن كثير.

والرابع: حمران، قاله شعيب الجبائي.

وفي صفته ثلاثة أقوال:

أحدها: أحمر، حكاه الثوري.

والثاني: أصفر، حكاه ابن إسحاق.

والثالث: أحمر الرأس، أسود الظهر، أبيض البطن، أبلق الذنب، ذكره ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ﴾.

حرّك الياء ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وأسكنها الباقون^(١).

قوله: ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي: ما يعلم عددهم إلا قليل من الناس.

قال عطاء: يعني بالقليل: أهل الكتاب^(٢).

قال ابن عباس: أنا من ذلك القليل، هم سبعة، إن الله عدّهم حتى انتهى إلى السبعة^(٣).

(١) انظر: السبعة (ص: ٤٩٦)، والمبسوط (١/ ٣٤٢).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢١٩/ ١٥) من طريق ابن جريج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الكهف: ٢٢] قال: يعني أهل الكتاب.

(٣) رواه أحمد في فضائل الصحابة (١٥٥٧)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢١٩/ ١٥) من طريق إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، به، بنحوه.

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١٦٦٥)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢٠/ ١٥) من طريق قتادة، قال: قال: كان ابن عباس يقول: «أَنَا مِنَ الْقَلِيلِ هُمْ سَبْعَةٌ وَثَمَانُهُمْ كَلْبُهُمْ».

قوله: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾.

قال ابن عباس^(١)، وقتادة^(٢): لا تمار أحدا، حسبك ما قصصت عليك من أمرهم.

وقال ابن زيد: لا تمار في عدتهم إلا مرآة ظاهرا أن تقول لهم: ليس كما تقولون، ليس كما تعلمون^(٣).

وقيل: إلا مرآة ظاهرا بحجة واضحة، حكاه الماوردي^(٤).

والمراء في اللغة: الجدل؛ يقال: ماري يماري ممرارة ومراء، أي: جادل.

قال ابن الأثيري: معنى الآية: لا تجادل إلا جدال متيقن عالم بحقيقة الخبر، إذ الله تعالى ألقى إليك ما لا يشوبه باطل.

وتفسير المراء في اللغة: استخراج غضب المجادل، من قولهم: مريت الشاة: إذا استخرجت لبنها^(٥).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ﴾ أي: في أصحاب الكهف، ﴿مِنْهُمْ﴾.

قال ابن عباس: يعني: من أهل الكتاب^(٦).

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢١/١٥) من طريق عطية العوفي، به، بنحوه.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٦٦٦)، ومن طريقه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢١/١٥) من طريق معمر بن راشد، به، بنحوه.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢٠/١٥) من طريق ابن وهب، به، بنحوه.

(٤) انظر: النكت والعيون (٢٩٨/٣).

(٥) انظر: تهذيب اللغة (٢٠٤/١٥).

(٦) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٢٢/١٥) من طريق قابوس، عن أبيه، به.



قال الفَرَّاءُ: أتاه فريقان من النَّصارى، نسطوري، ويعقوبي، فسألهم النبي ﷺ عن عددهم، فنهي عن ذلك^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي ربي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشْدًا ﴿٢٤﴾ [الكهف: ٢٣-٢٤].

سبب نزولها: أن قريشاً سألوا النبي ﷺ عن ذي القرنين، وعن [٤٩٨/أ] الروح، وعن أصحاب الكهف، فقال: غداً أخبركم بذلك، ولم يقل: إن شاء الله، فأبطأ عليه جبريل خمسة عشر يوماً لتركه الاستثناء، فشق ذلك عليه، ثم نزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباس^(٢).
ومعنى الكلام: ولا تقولنَّ لشيءٍ: إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا، إِلَّا أَنْ تقول: إن شاء الله، فحذف القول.

قوله: ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾.

قال ابنُ الأَثيري: معناه: وادكر ربك بعد تقضي النسيان، كما تقول: اذكر لعبد الله - إذا صلى - حاجتك، أي: بعد انقضاء الصلاة.

(١) انظر: معاني القرآن (٢/١٣٨).

(٢) رواه أبو نعيم في دلائل النبوة كما في الدر المنثور (٥/٣٥٨) من طريق الكلبي، عن أبي صالح، به، فذكره، ومحمد بن السائب الكلبي متروك.

وللمفسرين في معنى الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ المعنى: إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت، فقل: إن شاء الله، ولو كان بعد يوم أو شهر أو سنة، قاله سعيد بن جبير، والجمهور.

والثاني: أنَّ معنى إذا نسيت: إذا غضبت، قاله عكرمة.

قال ابن الأثيري: وليس ببعيد، لأنَّ الغضبَ يتج النسيان.

والثالث: إذا نسيت الشيء فاذكر الله ليذكرك إياه، حكاه الماوردي^(١).

فصل

وفائدة الاستثناء أن يخرج الخالف من الكذب إذا لم يفعل ما حلف عليه، كقوله في قصة موسى: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: ٧٠]، ولم يصبر، فسلم من الكذب لوجود الاستثناء في حقه.

ولا تختلف الرواية عن أحمد أنَّه لا يصح الاستثناء في الطلاق والعتاق، وأنَّه إذا قال: أنت طالق إن شاء الله، وأنت حرٌّ إن شاء الله، أن ذلك يقع، وهو قول مالك.

وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يقع شيء من ذلك.

وأما اليمين بالله تعالى؛ فإنَّ الاستثناء فيها يصح، بخلاف الطلاق، وكذلك الاستثناء في كل ما يكفر، كالظهار، والنذر، لأنَّ الطلاق والعتاق لفظه لفظ إيقاع، وإذا علق به المشيئة، علمنا وجودها، لوجود لفظ الإيقاع

(١) انظر: النكت والعيون (٣/ ٢٩٩).

من جهته، بخلاف سائر الأيمان، لأنها ليست بموجبات للحكم، وإنما تتعلّق بأفعال مستقبلية.

وقد اختلف في الوقت الذي يصح فيه الاستثناء على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّه لا يصح الاستثناء إلّا موصولاً بالكلام، وقد روي عن أحمد رضي الله عنه نحو هذا، وبه قال أكثر الفقهاء.

والثاني: أنّه يصح ما دام في المجلس، قاله الحسن وطاووس، وعن أحمد نحوه.

والثالث: أنّه لو استثنى بعد سنة، جاز، قاله ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وأبو العالية.

وقال ابن جرير الطبري: الصواب للإنسان أن يستثنى ولو بعد حثه في يمينه، فيقول: إن شاء الله، ليخرج بذلك مما ألزمه الله في هذه الآية، فيسقط عنه الحرج، فأما الكفارة فلا تسقط عنه بحال، إلّا أن يكون الاستثناء موصولاً بيمينه، ومن قال: له ثياه ولو بعد سنة، أراد سقوط الحرج الذي يلزمه بترك الاستثناء دون الكفارة^(١).

[٤٩٨/ب]

قوله: ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي﴾

قرأ نافع، وأبو عمرو: «يهديني ربي» بياء في الوصل دون الوقف، وقرأ ابن كثير بياء في الحالين.

(١) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٥/٢٧٢).

وقرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ، وحمزةٌ، والكسائيُّ بغير ياءٍ في الحاليين^(١).

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: عسى أن يعطيني ربِّي من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرُّشد وأدل من قصّة أصحابِ الكهفِ، ففعل الله له ذلك، وآتاه من علم غيوب المرسلين ما هو أوضح في الحجّة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحابِ الكهفِ، هذا قول الزّجاج^(٢).

والثاني: أن قریشاً لما سألت رسول الله ﷺ أن يخبرهم خبر أصحابِ الكهفِ، قال: غداً أخبركم كما شرحنا في سببِ نزولِ الآية، فقال الله تعالى له: ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي﴾ أي: عسى أن يعرفني جوابَ مسائلكم قبل الوقت الذي حدّدته لكم، ويعجّل لي من جهته الرّشاد، هذا قول ابنِ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَلْيَتُوبَا فِي كَهْفِهِمَا ثَلَاثَ مِائَةِ سِنِينَ﴾ وَأَزْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْتُوا لَهُمْ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ [الكهف: ٢٥-٢٦].

قوله: ﴿وَلْيَتُوبَا فِي كَهْفِهِمَا ثَلَاثَ مِائَةِ سِنِينَ﴾

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرو، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ: ﴿ثَلَاثَ مِائَةِ سِنِينَ﴾ منوناً.

(١) انظر: الحجة (٥/ ١٤١)، و المبسوط (١/ ٣٤٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٨).

وقرأ حمزة، والكسائي: «ثلاث مائة سنين» مضافاً غير منون^(١).

قال أبو علي: العدد المضاف إلى الأحاد قد جاء مضافاً إلى الجميع، قال الشاعر^(٢):

وَمَا زَوَّدُونِي غَيْرَ سَحْقِ عِمَامَةٍ وَخَمْسِ مِئَةٍ مِنْهَا قِسِيَّ وَزَائِفُ
وفي هذا الكلام قولان:

أحدهما: أنه حكاية عما قال الناس في حقهم، وليس بمقدار لبثهم، قاله ابن عباس، واستدل عليه فقال: لو كانوا لبثوا ذلك، لما قال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾، وكذلك قال قتادة^(٣)، وهذا قول أهل الكتاب.

والثاني: أنه مقدار ما لبثوا، قاله عبيد بن عمير، ومجاهد، والضحاك، وابن زيد؛ والمعنى: لبثوا هذا القدر من يوم دخلوه إلى أن بعثهم الله وأطلع الخلق عليهم.

قوله: ﴿سِنِينَ﴾.

قال الفراء، وأبو عبيدة، والكسائي، والزجاج: سنين ثلاث مائة^(٤).

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٨٩)، والحجة (٥/ ١٣٦)، والتيسير (ص: ١٤٣)، والمبسوط (١/ ٢٧٦).

(٢) البيت لمزرد بن ضرار في المحكم والمحيط (٢/ ٥٦٠)، والألفاظ (١/ ٣٥٨)، وتهذيب اللغة (١٥/ ٤٤٣)، ولسان العرب (٩/ ١٤٣)، وانظر: الحجة لأبي علي الفارسي (٥/ ١٣٧).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٢٩) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة قوله: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥] هذا قول أهل الكتاب، فردّه الله عليهم فقال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾.

(٤) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٨)، ومجاز القرآن (١/ ٣٩٨)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٧٨).

وقال ابنُ قُتَيْبَةَ: المعنى: أنَّها لم تكن شهوْرًا ولا أَيَّامًا، وإنَّها كانت سنين^(١).

وقال أبو عليِّ الفارسيُّ: سنين بدل من قوله: ثلاث مائة^(٢).

قال الضَّحَّاكُ: نزلت: ﴿وَلَيْتُوا فِي كَهْفِهِمْ﴾ فقالوا: أَيَّامًا، أو شهوْرًا،

أو سنين؟ فنزلت: سنين، فلذلك قال: سنين، ولم يقل: سنة^(٣).

قوله: ﴿سِنِينَ وَأَزْدَادُوا تِسْعًا﴾ يعني: تسع سنين، فاستغنى عن

ذكرِ السنين بما تقدَّم من ذكرها.

ثم أعلم أنَّه أعلم بقدر مدَّة لبثهم من أهل الكتابِ المختلفين

فيها، فقال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾.

قال ابنُ السائبِ: قالت نصارى نجران: أمَّا الثلاث مائة، فقد عرفناها،

وأمَّا التَّسْع، فلا علم لنا بها، فنزل قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ وقيل:

إنَّ أهل الكتاب قالوا: إنَّ للفتية منذ دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلاث مائة

وتسع سنين، فردَّ الله تعالى عليهم ذلك، وقال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾ بعد

أن قبض أرواحهم إلى يومكم هذا، لا يعلم ذلك غير الله.

[٤٩٩/أ] وقيل: إنَّما زاد التَّسْع، لأنَّه تفاوت ما بين السَّنين السَّمْسِيَّة والسَّنين

القمرية، حكاه الماورديُّ^(٤).

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٦).

(٢) انظر: الحجة (١٣٨/٥).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٣٠/١٥) من طريق أبي أسامة، عن الأجلح، به، بنحوه.

(٤) انظر: النكت والعيون (٣٠٠/٣).

قوله: ﴿أَبْصِرْ بِهِ، وَاسْمِعْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه على مذهب التعجب، فالمعنى: ما أسمع الله به وأبصر، أي: هو عالمٌ بقصّة أصحاب الكهف وغيرهم، هذا قولُ الرَّجَّاجِ، وذكر أنه إجماع العلماء^(١).

والثاني: أنه في معنى الأمر، فالمعنى: أبصر بدين الله وأسمع، أي: بصر بهدى الله وأسمع، فترجع الهاء إمّا على الهدى، وإمّا على الله ﷻ، ذكره ابنُ الأَثَرِيِّ.

قوله تعالى: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ أي: ليس لأهل السموات والأرض من دون الله من ناصر، ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ ولا يجوز أن يحكم حاكمٌ بغير ما حكم به، وليس لأحد أن يحكم من ذات نفسه فيكون شريكاً لله ﷻ في حكمه.

وقرأ ابنُ عامرٍ: «وَلَا تُشْرِكْ» جزماً بالتاء^(٢)، والمعنى: لا تشرك أيها الإنسان.

قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (٢٧) وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَتَبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) ﴿الكهف: ٢٧-٢٨﴾.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٠).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٩٠)، والحجة (٥/ ١٤١)، والتيسير (ص: ١٤٣).

قوله: ﴿وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ﴾ في هذه التلاوة قولان:

أحدهما: أنها بمعنى القراءة.

والثاني: بمعنى الاتباع.

فيكون المعنى على الأول: اقرأ القرآن، وعلى الثاني: اتبعه واعمل به.

وقد شرحنا في سورة الأنعام معنى ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾^(١).

قوله: ﴿وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾

قال مجاهد^(٢)، والفرّاء^(٣): ملجأ.

وقال الزّجاج: معدلاً عن أمره ونهيه^(٤).

وقال غيرهم: موضعاً تميل إليه في الالتجاء.

قوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾

سبب نزولها: أن المؤلفة قلوبهم جاؤوا إلى رسول الله ﷺ: عيينة بن حصن، والأقرع بن حابس، وذووهم، فقالوا: يا رسول الله: لو أنك جلست في صدر المجلس، ونحيت هؤلاء عنا - يعنون سلمان وأبا ذرٍّ وفقراء المسلمين - وكانت عليهم جباب الصوف - جلسنا إليك، وأخذنا

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم: (١١٥).

(٢) هو في تفسير مجاهد (ص: ٤٤٦)، ورواه الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٣٥) من طريق سفيان، عن منصور، به.

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٣٩).

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٠).

عنك، فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا﴾، فقام رسول الله ﷺ يلتمسهم، حتّى إذا أصابهم في مؤخر المسجد يذكرون الله، قال: الحمد لله الذي لم يمتني حتّى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات، هذا قول سلمان الفارسي^(١).

ومعنى قوله: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ أي: احبسها معهم على أداء الصلوات ﴿بِالْقُدُوةِ وَالْعَشَى﴾.

وقد فسرنا هذه الآية في الأنعام^(٢) إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ أي: لا تصرف بصرك إلى غيرهم من ذوي الغنى والشرف؛ وكان عليه السلام حريصاً على إيمان الرؤساء ليؤمن أتباعهم، ولم يكن مريداً لزينة الدنيا قط، فأمر أن يجعل إقباله على فقراء المؤمنين.

قوله: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾.

سبب نزولها: أن أُمّية بن خلف الجُمحيّ، دعا رسول الله ﷺ إلى طرد الفقراء عنه، وتقريب صناديد أهل مكّة، فنزلت هذه الآية، رواه الضحاك عن ابن عباس^(٣).

[٤٩٩/ب]

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤٠/١٥)، والواحيدي في أسباب النزول (١٤٥/٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٠٠١٢).

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٥٢).

(٣) رواه الواحيدي في أسباب النزول (٢٩٨/١) من طريق جوير، عن الضحاك، به، بنحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٨٢/٥) لابن مردويه.

وفي رواية أخرى عنه أنه قال: هو عينة وأشباهه^(١).

ومعنى أغفلنا قلبه: جعلناه غافلاً.

وقرأ أبو مجلز: «من أغفلنا» بفتح اللام، ورفع باء القلب^(٢).

﴿عَنْ ذِكْرِنَا﴾: عن التوحيد والقرآن والإسلام، ﴿وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ﴾ في الشرك. ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه أفرط في قوله، لأنه قال: إنا رؤوس مضر، وإن نسلم يسلم الناس بعدنا، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: ضياعاً، قاله مجاهد.

وقال أبو عبيدة: سرفاً وتضييعاً^(٣).

والثالث: ندماً، حكاه ابن قتيبة عن أبي عبيدة^(٤).

والرابع: كان أمره التفريط، والتفريط: تقديم العجز، قاله الزجاج^(٥).

(١) انظر: الوسيط للواحدي (٣/ ١٤٥).

(٢) على معنى أهمل ذكرنا وتركه، في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٣)، والمحتسب (٢/ ٢٨) قراءة عمرو بن فائد، وزاد المهدوي في التحصيل (٤/ ١٧٤)، وابن عطية في المحرر الوجيز (٣/ ٥١٣) موسى الأسوري، وفي البحر المحيط (٧/ ١٦٨) عمرو بن عبيد.

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ٣٩٨).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٦).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨١).

قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (الكهف: ٢٩).

قوله: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: وقل الذي أتيتكم به الحق من ربكم^(١).

قوله تعالى: ﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: فمن شاء الله فليؤمن، روي عن ابن عباس.

والثاني: أنه وعيد وإنذار، وليس بأمر، قاله الزَّجَّاجُ^(٢).

والثالث: أن معناه لا تنفعون الله بإيمانكم، ولا تضرُّونه بكفركم، قاله الماوردي^(٣).

وقال بعضهم: هذا إظهارٌ للغنى، لا إطلاق في الكفر.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ أي: هيأنا وأعدنا، وقد شرحناه في قوله: ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ﴾ [يوسف ٣١].

فأما الظالمون، فقال المفسرون: هم الكافرون.

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) انظر: النكت والعيون (٣/ ٣٠٣).

وَأَمَّا السَّرَادِقُ، فَقَالَ الرَّجَّاجُ: السَّرَادِقُ: كُلُّ مَا أَحَاطَ بِشَيْءٍ، نَحْوُ الشُّقَّةِ فِي الْمَضْرَبِ، أَوْ الْحَائِطِ الْمَشْتَمِلِ عَلَى الشَّيْءِ^(١).

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: السَّرَادِقُ: الْحَجَرَةُ الَّتِي تَكُونُ حَوْلَ الْفُسْطَاطِ^(٢).

وَقَرَأْتُ عَلَى شَيْخِنَا أَبِي مَنْصُورٍ اللُّغَوِيِّ، قَالَ: السَّرَادِقُ فَارْسِيٌّ مَعْرَبٌ، وَأَصْلُهُ بِالْفَارْسِيَّةِ سَرَادَارُ، وَهُوَ الدَّهْلِيْزُ^(٣)، قَالَ الْفَرَزْدَقُ^(٤):

تَمَنَّتُهُمْ حَتَّى إِذَا مَا لَقِيَتْهُمْ تَرَكْتُ لَهُمْ قَبْلَ الضَّرَابِ السَّرَادِقَا

وَفِي الْمَرَادِ بِهِذَا السَّرَادِقُ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ سَرَادِقٌ مِنْ نَارٍ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِيُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ لِسَرَادِقِ النَّارِ أَرْبَعَةَ جُذُرٍ، كَثْفُ^(٥) كُلِّ وَاحِدَةٍ مِثْلَ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً»^(٦).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٢).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٧).

(٣) انظر: المعرب (ص: ٣٩٨).

(٤) البيت في ديوانه (٢/ ٥٨٦)، والمعرب (ص: ٣٩٨).

(٥) قوله: «كَثْفُ كُلِّ وَاحِدَةٍ»: يَغْنِي غَلْظَهُ.

(٦) رواه ابن المبارك في الزهد كما في زيادات المروزي (٢/ ٩٠)، وأحمد في مسنده (٩/ ٢٣)، والترمذي (٢٥٨٤)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٤٧)، والحاكم في المستدرک (٤/ ٦٤٣) وصححه، من طريق دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، به، بنحوه. وهذا إسناد ضعيف، لضعف دراج - وهو ابن سمعان أبو السمح - في روايته عن أبي الهيثم - وهو سليمان بن عمرو العتواري.

وفي رواية أبي صالح عن ابن عباس، قال: السَّرادق: لسان من النار، يخرج من النار فيحيط بهم حتى يفرغ من حسابهم^(١).

والثاني: أنه دخانٌ يحيط بالكفار يوم القيامة، وهو الظُّلُّ ذو ثلاث شعب الذي ذكره الله تعالى في المرسلات^(٢) قاله ابن قُتيبة^(٣).

قوله: ﴿سَرَادِقُهُا﴾ أي: مما هم فيه من العذابِ وشدة العطشِ.

﴿يُعَاثُّونَا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ وفيه سبعة أقوال:

أحدها: أنه ماءٌ غليظٌ كدردي الزَّيت، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثاني: أنه كل شيء أذيب حتى انماح، قاله ابن مسعود.

وقال أبو عبيدة، والزَّجاج: كل شيء أذبتَه من نحاسٍ أو رصاص أو نحو ذلك، فهو مهل^(٤).

والثالث: قيحٌ ودمٌ أسود كعكر الزَّيت، قاله مجاهد.

والرابع: أنه الفضة والرَّصاص يذابان، روي عن مجاهد أيضاً.

والخامس: أنه الذي انتهى حرُّه، قاله سعيد بن جبير.

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤٦/١٥) من طريق ابن جريج، عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩] قال: «هِيَ حَائِطٌ مِنْ نَارٍ».

(٢) انظر: تفسير سورة المرسلات الآية رقم (٣٠).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٧).

(٤) انظر: مجاز القرآن (ص: ٤٠٠)، ومعاني القرآن وعرابه (٣/ ٢٨٢).

[٥٠٠/أ] والسادس: أَنَّهُ الصَّدِيدُ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَثْبَارِيِّ.

قال مغيثُ بنُ سمي: هذا الماء هو ما يسيل من عرق أهل الموقف في الآخرة وبكائهم، وما يجري منهم من دمٍ وقيحٍ، يسيل ذلك إلى وادٍ في جهنم، فتطبخه جهنم، فيكون أول ما يغاث به أهل النار.

والسابع: أَنَّهُ الرَّمَادُ الذي ينفض عن الخبزة إذا خرجت من التَّنُورِ، حكاه ابنُ الأَثْبَارِيِّ.

قوله: ﴿يَشْوَى الْوُجُوهَ﴾ قال المفسرون: إذا قَرَّبَهُ إِلَيْهِ سَقَطَتْ فِرْوَةٌ وجهه فيه.

ثم ذمّه، فقال: ﴿يَشْرَبُ الشَّرَابَ وَسَاءَتْ النَّارُ مُرْتَفَقًا﴾ وفيه خمسة أقوال:

أحدها: منزلاً، قاله ابنُ عَبَّاسٍ.

والثاني: مجتمعاً، قاله مجاهد.

والثالث: مُتَّكأً، قاله أبو عُبَيْدَةَ^(١)، وأنشد لأبي ذؤيب^(٢) [من البسيط]:

إِنِّي أَرَقْتُ فَبِتُّ اللَّيْلَ مُرْتَفَقًا كَأَنَّ عَيْنِي فِيهَا الصَّابُ مَذْبُوحٌ

(١) انظر: مجاز القرآن (ص: ٤٠٠).

(٢) البيت في الكامل (٤/٥٧)، وشرح شعر الهذلي (ص: ١٢٠)، والتنبيه والإيضاح (١/١٠٦)، وأساس البلاغة (ذبح)، ولسان العرب (١/٥٣٧)، وتاج العروس (١٢/١٤٢)، وخزانة الأدب (٥/١٣٧) وفي كثير من المصادر يروى: إِنِّي أَرَقْتُ فَبِتُّ اللَّيْلَ مُسْتَجِرًا.

وذبحه: انفجاره.

قال الزَّجَّاجُ: مرتفعاً منصوبٌ على التَّمييز؛ ومعنى مرتفعاً: متكئاً على المرفق^(١).

والرابع: ساءت مجلساً؛ قاله ابنُ قُتَيْبَةَ^(٢).

والخامس: ساءت مطلباً للرَّفَق، لأنَّ مَنْ طلبَ رفقا من جهتها، عدمه، ذكره ابنُ الأَثَرِيِّ.

ومعاني هذه الأقوال تتقارب.

وأصلُ المرفق في اللُّغة: ما يرتفق به.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۖ ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۖ ﴿٣١﴾﴾ [الكهف: ٣٠-٣١].

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: خبر «إِنَّ» هاهنا على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون على إضمار: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ منهم، ولم يحتج إلى ذكر «منهم»؛ لأنَّ الله تعالى قد أعلمنا أنَّه محبُّ عمل غير المؤمنين.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٨٢/٣).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٧).

والثاني: أن يكون خبر «إِنَّ»: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّتٌ عَذْبٌ﴾، فيكون قوله: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ﴾ قد فصل به بين الاسم وخبره، لأنه يحتوي على معنى الكلام الأول، لأن من أحسن عملاً بمنزلة الذين آمنوا.

والثالث: أن يكون الخبر: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾؛ بمعنى: أَنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَهُمْ^(١).

قال المفسرون: ومعنى ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ أي: لا نترك أعماله تذهب ضياعاً، بل نجازيه عليها بالثواب.

فأما الأساور، فقال الفراء: في الواحد منها ثلاث لغات: إِسْوَارٌ وَسُوَارٌ؛ فمن قال: إِسْوَارٌ، جمعه أَسَاوِرٌ، ومن قال: سُوَارٌ أو سُوَارٌ، جمعه أَسْوَرَةٌ، وقد يجوز أن يكون واحد أساورة وأساور: سوار^(٢). وقال الزجاج: الْأَسَاوِرُ جمع أسورة، وإسورة، يقال هُوَ سُوَارٌ في اليد، بالكسر، وقد حكى: سوار^(٣).

قال المفسرون: لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور في اليد، والتيجان على الرؤوس، جعل الله ذلك لأهل الجنة.

قال سعيد بن جبير: يحلى كل واحد منهم بثلاثة من الأساور، واحد من الذهب وواحد من لؤلؤ وياقوت^(٤).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٨٣/٣).

(٢) انظر: لغات القرآن (ص: ١٠٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٨٣/٣).

(٤) انظر: الوسيط (١٤٧/٣)، والكشف والبيان (١٦٩/٦).

فَأَمَّا السُّنْدُسُ وَالْإِسْتَبْرَقُ، فقال ابنُ قُتَيْبَةَ: السُّنْدُسُ: رقيق الدِّبَاجِ،
والإِسْتَبْرَقُ ثخينه^(١).

وقرأتُ على شيخنا أبي منصور اللُّغَوِي، قال: السُّنْدُسُ رقيق
الدِّبَاجِ، لم يختلف أهل اللغة في أنه معرَّبٌ^(٢)، قال الرَّاجِزُ^(٣) [من الرجز]:

وَلَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي حِنْدِسٍ لَوْ نَحَوَّشِيهَا كَلَوْنِ السُّنْدُسِ

والإِسْتَبْرَقُ: غليظُ الدِّبَاجِ، فارسيٌّ معرَّبٌ، وأصله استفره، وقال [٥٠٠/ب]
ابنُ دُرَيْدٍ: استروه، ونقل من العجمية إلى العربية، فلو حُقِّرَ استبرق، أو
كسر، لكان في التحقير أبق، وفي التكسير أبارق بحذفِ السِّينِ، والتَّاءِ
جميعاً.

قوله تعالى: ﴿مُتَكِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ الاتِّكَاءُ: التحامُلُ على الشيء.

قال أبو عبيدة: والأرائكُ: الفرش في الحجال، ولا تكون الأريكة إلا
بحجلةٍ وسرير^(٤).

وقال ابنُ قُتَيْبَةَ: الأرائكُ: السُّرُرُ في الحجال، واحدها: أريكة^(٥).

وقال ثعلبٌ: لا تكون الأريكة إلا سريرًا في قبةٍ عليه شواره ومتاعه.

(١). انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٧).

(٢). انظر: المعرب (ص: ٣٦١).

(٣). البيت بلا نسبة في المخصص (٢/ ٣٨٥)، والألفاظ (١/ ٣٠٤)، والمعرب (ص: ٣٦١).

(٤). انظر: مجاز القرآن (ص: ٤٠١).

(٥). انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٧).

قال ابن قُتَيْبَةَ: الشَّوَارِ، مفتوحُ الشَّينِ، وهو متاع البيت^(١).

وقال الزَّجَّاجُ: الأرائكُ: الفرش في الحجال. قال: وقيل: إنها الفرش، وقيل: الأسرة، وهي على الحقيقة: الفرش كانت في حجالهم^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلًا مِّنْ رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ (٣٢) ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا﴾ (٣٣) ﴿وَكَانَ لَهُ شَرَفٌ قَالِ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (٣٤) ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (٣٥) ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ (٣٦) ﴿[الكهف: ٣٢-٣٦].

قوله: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مِّثْلًا مِّنْ رَّجُلَيْنِ﴾.

روى عطاء، عن ابن عباس، قال: هما ابنا ملك كان في بني إسرائيل توفي وتركهما، فاتخذ أحدهما الجنان والقصور، وكان الآخر زاهدًا في الدنيا، فكان إذا عمل أخوه شيئًا من زينة الدنيا، أخذ مثل ذلك فقدمه لآخرته، حتى نفد ماله، فضر بهما الله ﷻ مثلًا للمؤمن والكافر الذي أبطرته النعمة^(٣).

وروى أبو صالح، عن ابن عباس: أن المسلم لما احتاج، تعرض لأخيه الكافر، فقال الكافر: أين ما ورثت عن أبيك؟ فقال: أنفقت في سبيل الله، فقال الكافر: لكنني ابتعت به جنانًا، وغنمًا، وبقرًا، والله لا أعطيتك شيئًا أبدًا حتى تتبع ديني، ثم أخذ بيد المسلم فأدخله جنانه يطوف به فيها، ويرغبه في دينه.

(١) انظر: أدب الكاتب (ص: ٦٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٤).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٤٨).

وقال مُقَاتِلٌ: اسمُ المؤمن يملِخا، واسمُ الكافر قرطس، وقيل: قرطس، وقيل: هذا المثل ضرب لعينة بن حصن وأصحابه، ولسلمان وأصحابه^(١).

قوله تعالى: ﴿وَحَفَقْنَهُمَا بِنَخْلٍ﴾ «الْحَفُّ»: الإحاطةُ بالشَّيء، ومنه قوله: ﴿حَافِيَتٍ مِّنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ [الزمر: ٧٥]، والمعنى: جعلنا النَّخْلَ مطيِّفاً بها.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ إعلام أنَّ عمارتهما كاملة.

قوله: ﴿كَلَّا الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ أَكْلُهُمَا﴾.

قال الفَرَّاءُ: لم يقل: آتتا، لأنَّ كَلَّتَا ثنتان لا تفرد واحدهما، وأصله: كل، كما تقول للثلاثة: كل، فكان القضاء أن يكون للثنتين ما كان للجمع، وجاز توحيدُه على مذهب كل، وتأنَّيْته جائزٌ للتأنيث الذي ظهر في كلتا، وكذلك فافعل بكلا وكلتا وكل، إذا أضفتهم إلى معرفة وجاء الفعل بعدهنَّ، فوحده واجمع، فمن التَّوْحِيدِ قوله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم: ٩٦]، ومن الجمع: ﴿وَكُلُّ أُنثَىٰ ذَخِيرَةٍ﴾ [النمل: ٨٧]، والعرب قد تفعل ذلك أيضاً في أي، فيؤنَّثون ويذكرون، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤] ويجوز في الكلامِ بآيتِ أرضٍ، وكذلك ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨]، ويجوزُ في الكلامِ في آيت^(٢)، قال الشاعر^(٣) [من الطويل]:

(١) انظر: مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٨٤).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٤٢).

(٣) البيت نسبة الجاحظ في الحيوان (ص: ٨٩) إلى عبد الله بن الحارث، وكتب بها إلى عبد الملك بن مروان حين فارق مصعباً، وهو في معاني القرآن (٢/ ١٤٣)، والمذكر والمؤنث (٢/ ٢٦٨) بلا نسبة.

[٥٠١/أ] بأي بلاء أم بآية نعمة تقدم قبلي مسلم والمهلب

قال ابن الأثيري: كلتا وإن كان واقعاً في المعنى على اثنتين، فإن لفظه لفظ واحدة مؤنثة، فغلب اللفظ، ولم يستعمل المعنى ثقة بمعرفة المخاطب به؛ ومن العرب من يؤثر المعنى على اللفظ، فيقول: كلتا الجنتين آتا أكلها، ويقول آخرون: كلتا الجنتين آتى أكله، لأن كلتا تفيد معنى كل، قال الشاعر^(١) [من الطويل]:

وَكِلْتَاهُمَا قَدْ خُطَّيَ فِي صَحِيفَتِي فَلَا الْمَوْتُ أَهْوَاهُ وَلَا الْعَيْشُ أَرْوَحُ

يعني: وكلهما قد خطَّ لي، وقد قالت العرب: كلُّكم ذاهبٌ، وكلُّكم ذاهبون. فوحدوا للفظ «كل»، وجمعوا التأويلها^(٢).

وقال الزَّجَّاجُ: لم يقل آتا، لأن لفظ كلتا لفظ واحدة، والمعنى: كل واحدة منهما آتت أكلها ﴿وَلَمْ تَظْلِمِ﴾ أي: لم تنقص ﴿مِنْهُ شَيْئاً وَفَجَّرْنَا خِلَافَهُمَا نَهْرًا﴾ فأعلمنا أن شربهما كان من ماء نهر، وهو من أغزر الشُّرب^(٣).

وقال الفراء: إنما قال: فجَّرنا بالتَّشديد، وهو نهرٌ واحدٌ، لأنَّ النَّهرَ يمتد، فكان التفجير فيه كله^(٤).

(١) البيت لابن مقبل كما في الحيوان (٢١/٣)، وحماسة البحرى (ص: ٢٥٨)، وبلا نسبة في المذكر والمؤنث (٢٧٢/٢)، وخزانة الأداب (٥٨/٥).

(٢) انظر: المذكر والمؤنث (٢٧٢/٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٨٥/٣).

(٤) انظر: معاني القرآن (١٤٤/٢).



قرأ أبو رزين، وأبو مجلز، وأبو العالية، وابنُ يعمر، وابنُ أبي عبلّة:
«وَفَجَّرْنَا» بالتخفيف^(١).

وقرأ أبو مجلز، وأبو المتوكل: «خِلَلَهُمَا»^(٢).

وقرأ أبو العالية، وأبو عمران: «نَهْرًا» بسكونِ الهاءِ^(٣).

قوله: ﴿وَكَانَ لَهُ﴾ يعني للأخ الكافر ﴿ثَمَرٌ﴾.

قرأ ابنُ كثير، ونافع، وابنُ عامر، وحمزة، والكسائي: «وكان له ثَمَرٌ»، «وأحيط بثَمَره» بضمّتين.

وقرأ عاصم: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾، ﴿وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ بفتحِ الثاءِ والميمِ فيهما^(٤).

وقرأ أبو عمرو: «ثَمَرٌ» و«بَثْمَرِهِ» بضمّةٍ واحدةٍ وسكونِ الميمِ^(٥).

قال القراء: «الثَمَر»، بفتحِ الثاءِ والميمِ: المأكول، وبضمّها: المال^(٦).

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٣) عن سلام، ويعقوب، وفي التحصيل للمهدوي (١٩١/٤) عن عيسى بن عمر الثقفي، وانظر: المحرر (٥١٦/٣)، والبحر المحيط (١٧٤/٧) وزاد الأعمش.

(٢) لم نقف عليها.

(٣) وهي قراءة أبي السّمال، والفياض بن غزوان، وطلحة بن سليمان، وانظر: المحرر (٥١٦/٣)، والبحر المحيط (١٧٥/٧).

(٤) انظر: السبعة (ص: ٢٦٤)، والحجة (١٤٢/٥)، واليسير (ص: ١٤٣)، والمبسوط (٢٧٧/١)، وانظر: التحصيل (١٩١/٤)، والمحرر (٥١٦/٣)، والبحر المحيط (١٧٥/٧).

(٥) انظر: التحصيل (١٩١/٤).

(٦) انظر: معاني القرآن (١٤٤/٢).

وقال ابنُ الأَثيري: الثَّمَرُ، بالفتح: الجمعُ الأوَّلُ، والثَّمَرُ، بالضمِّ جمع الثمر، يقال: ثمر، وثمر، كما يقال: أسد، وأسد ويصلح أن يكون الثمر جمع الثمار، كما يقال: حمار ومُحمر، وكتاب وكتب؛ فمن ضمَّ قال: الثمر أعم، لأنَّها تحتلُّ الثمار المأكولة، والأموال المجموعة.

قال أبو عليِّ الفارسيّ: وقراءةُ أبي عمرو: «ثَمَرٌ» يجوز أن تكون جمع ثمار، ككتاب، وكتب، فتخفّف، فيقال: كتب، ويجوز أن يكون ثمر جمع ثمرة، كبذرة وبدن، وخشبة، وخشب، ويجوز أن يكون ﴿ثَمَرٌ﴾ واحداً، كعنق، وطنب^(١).

وقد ذكر المفسِّرون في قراءةٍ من ضمَّ ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه المَالُ الكثير من صنوف الأموال، قاله ابنُ عَبَّاسٍ.

والثاني: أنَّه الذَّهَبُ والفضَّةُ، قاله مجاهدٌ.

والثالث: أنَّه جمع ثَمَرَةٍ.

قال الزَّجَّاجُ: يقال: ثَمَرٌ، وثمارٌ وثمرٌ^(٢).

فإن قيل: ما الفائدةُ في ذكر الثمر بعد ذكر الجنتين، وقد علم أنَّ صاحب الجنة لا يخلو من ثمرٍ؟ فعنه ثلاثةُ أجوبةٍ:

أحدها: أنَّه لم يكن أصلُ الأرض ملكاً له، وإنَّما كانت له الثمار، قاله ابنُ عَبَّاسٍ.

(١) انظر: الحجة (٥/١٤٣).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/٢٨٥).

والثاني: أَنَّ ذَكَرَ الثَّمَر دَلِيلٌ عَلَى كَثْرَةِ مَا يَمْلِكُ مِنَ الثَّمَارِ فِي الْجَنَّتَيْنِ

وغيرهما، ذكرهما ابنُ الأنباريِّ.

[٥٠١/ب]

والثالث: أَنَا قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْمُرَادَ بِالثَّمَرِ الْأَمْوَالُ مِنَ الْأَنْوَاعِ، وَذَكَرْنَا

أَنَّهَا الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، وَذَلِكَ يَخَالِفُ الثَّمَرَ الْمَأْكُولَ.

قال أبو عليِّ الفارسيُّ: مَنْ قَالَ: هُوَ الذَّهَبُ، وَالْوَرَقُ، فَإِنَّمَا قِيلَ

لِذَلِكَ: ثَمَرٌ عَلَى التَّفَاوُلِ، لِأَنَّ الثَّمَرَ نَمَاءً فِي ذِي الثَّمَرِ، وَكَوْنَهُ هَاهُنَا بِالْجَنِيِّ

أَشْبَهَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ^(١).

ويقوي ذلك: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾،

وَالْإِنْفَاقُ مِنَ الْوَرَقِ، لَا مِنَ الشَّجَرِ.

قوله: ﴿فَقَالَ﴾ يعني الكافر ﴿لِصَاحِبِهِ﴾ المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ أي:

يراجعه الكلام ويجاوبه.

وفيما تحاورا فيه قولان:

أحدهما: أَنَّهُ الْإِيمَانُ وَالْكَفَرُ.

والثاني: طَلَبُ الدُّنْيَا، وَطَلَبُ الْآخِرَةِ.

فَأَمَّا النَّفَرُ فَهُمُ الْجَمَاعَةُ، وَمِثْلُهُمُ: الْقَوْمُ وَالرَّهْطُ، وَلَا وَاحِدَ لَهُذِهِ

الْأَلْفَاظُ مِنْ لَفْظِهَا.

وقال ابنُ فارسٍ اللُّغَوِي: «النَّفَر»: عِدَّةٌ رِجَالٍ مِنْ ثَلَاثَةِ إِلَى عَشْرَةِ^(٢).

(١) انظر: الحجة (٣/ ٣٧٠).

(٢) انظر: مجمل اللغة (١/ ٨٧٨).

وفيمن أراد بنفـره ثلاثة أقوال:

أحدها: عبـيده، قاله ابنُ عبَّاسٍ.

والثاني: ولده، قاله مقاتل^(١).

والثالث: عشيرته ورهطه، قاله أبو سليمان.

قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ يعني: الكافر ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ بالكفر، وكان قد أخذ بيد أخيه فأدخله معه، ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ أنكر فناء الدُّنيا، وفناء جنته، وأنكر البعثَ والجزاء بقوله: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ وهذا شكُّ منه في البعثِ، ثم قال: ﴿وَلَيْنَ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي﴾ أي: كما تزعم أنت.

قال ابنُ عبَّاسٍ: يقول: إن كان البعثُ حقًّا ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا﴾^(٢).

قرأ أبو عمرو، وعاصمٌ، وحمزة، والكسائي: ﴿خَيْرًا مِنْهَا﴾، وكذلك هي في مصاحف أهل البصرة والكوفة.

وقرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وابنُ عامرٍ: «خيراً منهما» بزيادة ميمٍ على التثنية، وكذلك هي في مصاحف أهل مكَّةَ والمدينة والشَّام^(٣).

قال أبو علي: الإفرادُ أولى، لأنَّه أقربُ إلى الجنةِ المفردة في قوله:

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٨٥).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٤٩).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٣٩٠)، والحجة (٥/ ١٤٤)، والتيسير (ص: ١٤٨)، والمبسوط (١/ ٢٧٧).

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾، والتَّشْبِيه لا تمتنع، لتقدم ذكر الجنتين^(١).

قوله تعالى: ﴿مُنْقَلَبًا﴾ أي: كما أعطاني هذا في الدنيا، سيعطيني في الآخرة أفضل منه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ، صَاحِبُهُ، وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَهَا غُورًا فَلَنْ نَسْتَطِيعَ لَهُ، طَلَبًا ﴿٤١﴾ [الكهف: ٣٧ - ٤١].

قوله: ﴿قَالَ لَهُ، صَاحِبُهُ﴾ يعني: المؤمن ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ يعني: خلق أباك آدم ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ يعني: ما أنشئ هو منه، فلمَّا شكَّ في البعث كان كافرًا.

قوله: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾.

قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمره، والكسائي، وقالون عن نافع: «لكنَّ هو الله ربي»، بإسقاط الألفِ في الوصل، وإثباتها في الوقف. وقرأ نافع في رواية المسيبي بإثبات الألفِ وصلًا ووقفًا، وأثبت الألف ابنُ عامرٍ في الحاليين^(٢).

(١) انظر: الحجة (٥/ ١٤٤).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٩١)، والحجة (٥/ ١٤٤)، والتيسير (ص: ١٤٣)، والمبسوط (١/ ٢٧٧).

وقرأ أبو رجاء: «لكن» بإسكانِ النُّونِ خفيفة من غير ألفٍ في الحالين^(١).

وقرأ ابنُ يعمر: «لكنَّ» بتشديدِ النُّونِ من غير ألفٍ في الحالين.

وقرأ الحسن: «لكن أنا هو الله ربي» بإسكانِ نون «لكن» وإثبات «أنا»^(٢).

قال الفراء: فيها ثلاث لغات: لَكِنَّا، وَلَكِنَّ، وَلَكِنَّهُ، بالهاء^(٣)،
أنشدني أبو ثروان^(٤) [من الطويل]:

وَتَرْمِيَنِي بِالطَّرْفِ أَيْ أَنْتَ مُذْنِبٌ وَتَقْلِيَنِي لَكِنَّ إِيَّاكَ لَا أَقْبَلِي

وقال أبو عبيدة: مجازُهُ: «لكن أنا هو الله ربي»، ثم حذفت الألف
[i/٥٠٢] الأولى، وأدغمت إحدى النونين في الأخرى فشددت^(٥).

قال الزَّجَّاجُ: وهذه الألف تحذف في الوصل، وتثبت في الوقف، فأما
من أثبتها في الوصل كما ثبت في الوقف، فهو على لغة مَنْ يقول: أنا
قمت، فأثبت الألف، قال الشاعر^(٦) [من الوافر]:

أَنَا سَيْفُ الْعَشِيرَةِ فَأَعْرِفُونِي

(١) انظر: التحصيل (٤/ ١٩٢)، والمحزر (٣/ ٥١٧).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٣)، والتحصيل (٤/ ١٩٢) عن أبي بن كعب، والحسن.

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٤٤).

(٤) البيت بلا نسبة في تذكرة النحاة (ص: ٢٣)، والجنى الداني (ص: ٢٣٣)، وخزانة الأدب (١١/ ٢٥٥)، وشرح المفصل (٨/ ١٤١)، ومغني اللبيب (١/ ٧٦).

(٥) انظر: مجاز القرآن (١/ ٤٠٣).

(٦) البيت لحمد بن بحدل، أو حميد بن حريث بن بحدل في ديوان (ص: ١٣٣)، وأساس البلاغة (ص: ١٤٣)، ولسان العرب (١٣/ ٣٧)، وشرح المفصل (٣/ ٩٣)، وخزانة الأدب (٥/ ٢٤٢).

وهذه القراءة جيّدة، لأنّ الهمزة قد حذفت من أنا، فصار إثبات الألف عوضاً من الهمزة^(١).

قوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾ أي: وهلاً؛ ومعنى الكلام التوبيخ.

قال الفراء: ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ في موضع رفع، إن شئت رفعته بإضمار هو، يريد هو ما شاء الله؛ وإن شئت أضمرت فيه: ما شاء الله كان؛ وجاز طرح جواب الجزاء، كما جاز في قوله: ﴿فَإِنْ أَسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْنِيَ نَقًّا فِي الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣٥]، ليس له جواب، لأنّه معروف^(٢).

قال الزجاج: وقوله: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ الاختيارُ النَّصب بغير تنوين على النفي، كقوله: ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٢١]، ويجوز: لا قُوَّةَ إِلَّا بالله على الرفع بالابتداء، والخبرُ بالله، المعنى: لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده إلا بالله تعالى، ولا يكون له إلا ما شاء الله^(٣).

قوله: ﴿إِنْ تَرَنِ﴾

قرأ ابن كثير: «إن ترني أنا» و«يؤتيني خيراً» بياء في الوصل والوقف. وقرأ نافع، وأبو عمرو بياء في الوصل، وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، بحذف الياء فيهما وصلًا ووقفًا^(٤).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٨٧/٣).

(٢) انظر: معاني القرآن (١٤٥/٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٨٨/٣).

(٤) انظر: التيسير (ص: ١٤٧)، والمبسوط (٢٨٦/١)، والمحزر (٥١٨/٣).

﴿أَنَا أَقْلُ﴾، وقرأ ابنُ أبي عبلة: «أنا أَقْلُ» برفع اللّام^(١).
قال الفراء: ﴿أَنَا﴾ هاهنا عِمَادٌ إِنْ نَصَبْتَ ﴿أَقْلُ﴾، واسمٌ إِذَا رَفَعْتَ
(أَقْلُ)، والقراءةُ بهما جائزٌ^(٢).

قوله: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ أي: في الآخرة، ﴿وَيُرْسِلَ
عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾ وفيه أربعة أقوال:

أحدها: أَنَّهُ الْعَذَابُ، رواه العوفيُّ عن ابنِ عَبَّاسٍ، وبه قال قتادة، والضّحاکُ.
وقال أبو صالح عن ابنِ عَبَّاسٍ: ناراً من السّماء^(٣).
والثاني: قضاء من الله يقضيه، قاله ابنُ زيد.

والثالث: مَرَامِي مِنَ السّماءِ، واحدها: حُسْبَانَةٌ، قاله أبو عُبَيْدَةَ،
وابنُ قُتَيْبَةَ.

قال النَّضْرُ بْنُ شَمِيلٍ: الحُسبان: سهامٌ يرمي بها الرَّجُلُ في جوفِ
قصبَةٍ تنزع في القوس، ثم يرمي بعشرين منها دفعة^(٤).

فعلى هذا القول يكون المعنى: ويرسل عليها مرامي من عذابه، إمّا
حجارة أو برداً أو غيرهما ممّا يشاء من أنواع العذاب.

والرابع: أَنَّ الحُسبانَ: الحساب، كقوله: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسبانٍ﴾
[الرحمن: ٥] أي: بحساب، فيكون المعنى: ويرسلُ عليها عذاب حسابٍ ما

(١) وهي قراءة عيسى بن عمر: «أَقْلُ» بالرفع، على أن يكون أَنَا مبتدأ و «أَقْلُ» خبره،
والجملة في موضع المفعول الثاني. أمّ المحرر (٣/ ٥١٨)، وانظر: البحر المحيط (٧/ ١٨٠).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٤٥).

(٣) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٦/ ١٧١).

(٤) انظر: مجاز القرآن (١/ ٤٠٣)، وغريب القرآن (ص: ٢٦٧).

كسبت يده، هذا قول الزجاج^(١).

قوله: ﴿فَنُصِصَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾^(١) أَوْ يُصِصَ مَأْوَاهَا غَوْرًا ﴿

قال ابن قتيبة: الصعيد: الأملس المستوي، والزلق: الذي تزل عنه الأقدام، والغور: الغائر، فجعل المصدر صفة، يقال: ماء غور، ومياه غور، ولا يثنى، ولا يجمع، ولا يؤنث، كما يقال: رجل نَوْمٌ^(٢)، ورجل صَوْم، ورجل فطر، ورجال نوم، ونساء صوم، ويقال: للنساء إذا نُحِنَ: نُوح، والمعنى: يذهب مأوها غائراً في الأرض، أي: ذاهباً فيها^(٣).
﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ فلا يبقى له أثر تطلبه به، ولا تناله الأيدي ولا الأرضية^(٤).

وقال ابن الأنباري: غوراً أي: ذا غور، فسقط المضاف، وخلفه [٥٠٢/ب] المضاف إليه، والمراد بالطلب هاهنا: الوصول، فقام الطلب مقامه لأنه سببه.

وقرأ أبو الجوزاء، وأبو المتوكل: «غُورًا» برفع الغين والواو الأولى^(٥) جميعاً، [وواو بعدها ساكنة]^(٦) [٧].

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٨٩).

(٢) في الأصل: (يوم)، والمثبت من (س)، و(م).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٧).

(٤) في الأصل: (الأغشية)، والمثبت من (س)، و(م).

(٥) ليست في (م).

(٦) ما بين المعكوفين زيادة من (س).

(٧) قرأ الجمهور «غُورًا» بفتح الغين، وقرأ البرجمي: «غُورًا» بضم الغين، وقرأت فرقة =

قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ﴾ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَتَقَفَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلَيْنِنِي لَئِمَّ أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿١٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴿١٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿١٤﴾ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَتْرَكْتَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا ﴿١٥﴾ [الكهف: ٤٢-٤٥].

قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِشَرِّهِ﴾ أي: أحاط الله العذاب بشمره، وقد سبق معنى الثمر.

﴿فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ أي: يضربُ بيدٍ على يدٍ، وهذا فعلُ النَّادم، ﴿عَلَى مَا أَتَقَفَ فِيهَا﴾ أي: في جنته، وفي هاهنا بمعنى على. ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾ أي: خاليةٌ ساقطةٌ ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ والعروش: السقوف، والمعنى: أن حيطانها قائمة والسقوف قد تهدمت فصارت في قرارها، فصارت الحيطان كأنها على السقوف، ﴿وَيَقُولُ بَلَيْنِنِي لَئِمَّ أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ فأخبر الله تعالى أنه لما سلبه ما أنعم به عليه، وحقَّق ما أنذره به أخوه في الدنيا، ندم على شركه حين لا تنفعه الندامة.

وقيل: إنها يقول هذا في القيامة.

﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم: ﴿وَلَمْ تَكُنْ﴾ بالتاء.

= بضم الغين وهمز الواو يعنون وبواو بعد الهمزة فيكون «غُورًا» كما جاء في مصدر غارت عينه غُورًا، والضمير في له عائد على الماء أي لن يقدر على طلبه لكون ليس مقدورًا. انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٥١٨)، والبحر المحيط (٧/ ١٨٠).

وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «ولم يكن» بالياء^(١).
والفئة: الجماعة ﴿يَنْصُرُونَهُ﴾ أي: يمنعون من عذاب الله.
قوله: ﴿هَذَاكَ الْوَلِيَّةُ﴾.
قرأ ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وعاصم: ﴿الْوَلِيَّةُ﴾ بفتح الواو،
و﴿لِلَّهِ الْحَقُّ﴾ خفضاً.
وقرأ حمزة: «الولاية» بكسر الواو، ﴿لِلَّهِ الْحَقُّ﴾ بكسر القاف أيضاً.
وقرأ أبو عمرو بفتح الواو، ورفع الحق، ووافقه الكسائي في رفع
القاف، لكنه كسر الولاية^(٢).
قال الزجاج: معنى الولاية في مثل تلك الحال: تبين نصره ولي الله^(٣).
وقال غيره: هذا الكلام عائدٌ إلى ما قبل قصّة الرجلين، فأما
من فتح واو الولاية فإنه أراد الموالاة والنصرة، ومن كسر أراد السلطان
والملك على ما شرحناه في آخر الأنفال^(٤)، فعلى قراءة الفتح في معنى
الكلام قولان:
أحدهما: أنهم يتولون الله تعالى في القيامة، ويؤمنون به، ويتبرؤون ممّا
كانوا يعبدون، قاله ابن قتيبة^(٥).

(١) انظر: الحجة (٥/١٤٩)، والكامل (١/٥٩١)، والميسوط (١/٢٧٨).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٠٩)، والحجة (٥/١٤٩)، والتيسير (ص: ١٤٣).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/٢٩٠).

(٤) انظر: تفسير سورة الأنفال الآية رقم (٧٢).

(٥) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٨).

والثاني: هنالك يتولَّى الله أمرَ الخلائق، فينصر المؤمنين ويخذل الكافرين.
وعلى قراءة الكسر، يكون المعنى: هنالك السلطان لله.
قال أبو علي: من كسرَ قاف «الحق»، جعله من وصفِ الله ﷻ،
ومن رفعه جعله صفةً للولاية^(١).
فإن قيل: لم نعت **﴿الْوَلِيَّةُ﴾** وهي مؤنثةٌ بـ **﴿الْحَقِّ﴾** وهو مصدر؟
فعنه جوابان ذكرهما ابنُ الأنباري.
أحدهما: أن تأنيثها ليس حقيقةً فحملت على معنى النصر؛ والتقدير:
هنالك النصر لله الحق، كما حملت الصَّيْحَةُ على معنى الصَّيَاحِ في قوله:
﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ [هود: ٦٧].
والثاني: أن الحقَّ مصدرٌ يستوي في لفظه المذكر والمؤنث والاثنان
والجميع، فيقال: قولك حقٌّ، وكلمتك حقٌّ، وأقوالكم حقٌّ.
ويجوزُ ارتفاعُ الحقِّ على المدحِ للولاية، وعلى المدحِ لله تعالى بإضمارِ هو.
قوله تعالى: **﴿هُوَ خَيْرُ ثَوَابًا﴾** أي: هو أفضلُ ثواباً ممن يرجى ثوابه،
وهذا على تقدير أنه لو كان غيره يثيب لكان ثوابه أفضل.
قوله: **﴿وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾**.
قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرو، وابنُ عامرٍ، والكسائي: «عُقْبًا»
[٥٠٣/أ] مضمومة القاف.

وقرأ عاصمٌ، وحمزةٌ: **﴿عُقْبًا﴾** ساكنة القاف^(٢).

(١) انظر: الحجة (٥/ ١٥٠).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٣٩٢)، والحجة (٥/ ١٥٠)، والتيسير (ص: ١٤٣)، والمبسوط (١/ ٢٧٨).

قال أبو علي: ما كان على فعل جاز تخفيفه، كالعنق، والطنب.
 قال أبو عبيدة: العُقْب، والعُقْب، والعُقْبى، والعاقبة، بمعنى، وهي
 الآخرة، والمعنى: عاقبة طاعة الله خيرٌ من عاقبة طاعةٍ غيره^(١).
 قوله تعالى: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ
 فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْنِدًا
 ﴿٤٥﴾﴾ [الكهف: ٤٥].

قوله: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: في سرعة نفاذها^(٢) وذهابها،
 وقيل: في تصرف أحوالها، إذ مع كل فرحة ترحه، وهذا مفسرٌ في سورة
 يونس^(٣) إلى قوله: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا﴾.

قال القرأء: الهشيم: كل شيء كان رطباً فيس^(٤).
 وقال الزجاج: الهشيم: النبات الجاف^(٥).
 وقال ابن قتيبة: الهشيم من النبات: المتفتت، وأصله من هشمت
 الشيء: إذا كسرتة، ومنه سمي الرجل هاشماً^(٦).
 و﴿تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ تنسفه.

(١) الحجة (٥/ ١٥١).

(٢) في الأصل، و(ر): (نفاذها)، والمثبت من (م)، و(س).

(٣) انظر: تفسير سورة يونس الآية رقم (٢٤).

(٤) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ١٨٤) عن ابن قتيبة، والزجاج.

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩١).

(٦) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٨).

وقرأ أبي، وابن عباس، وابن أبي عتبة: «تَذْرِيهِ» برفع التاء وكسر
الراء بعدها ياء ساكنة وهاء مكسورة^(١).

وقرأ ابن مسعود كذلك، إلا أنه فتح التاء^(٢).

والمقتدر: مفتعل، من قدرت، قال المفسرون: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾
من الإنشاء والإفناء ﴿مُقْتَدِرًا﴾.

قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ
عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ ﴿٤٦﴾ [الكهف: ٤٦].

قوله: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ هذا رد على المشركين الذين
كانوا يفتخرون بالأموال والأولاد، فأخبر الله تعالى أن ذلك مما يتزين به في
الدنيا، لا مما ينفع في الآخرة.

قوله: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ فيها خمسة أقوال:

أحدها: أنها سبحانه الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.

روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنْ عَجَزْتُمْ عَنِ اللَّيْلِ أَنْ
تُكَابِدُوهُ، وَعَنِ الْعَدُوِّ أَنْ تُجَاهِدُوهُ فَلَا تَعْجِزُوا عَنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَقُولُوهَا فَإِنَّهُنَّ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ»^(٣)، وهذا
قول ابن عباس في رواية عطاء، وبه قال مجاهد، وعطاء، وعكرمة، والضحاك.

(١) ابن عباس في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٣)، والمحزر الوجيز (٣/ ٥٢٠)، وفي التحصيل
(١٩٣/ ٤) على الوجهين بالضم، والفتح.

(٢) «تَذْرِيهِ» عن ابن مسعود في كتاب فيه لغات القرآن (ص: ٨٥)، ومختصر ابن خالويه (ص: ٨٣).

(٣) رواه الواحدي في الوسيط (٣/ ١٥١)، وابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (٥/ ٣٩٧).

وسئل عثمان بن عفان رضي الله عنه عن الباقيات الصالحات، فقال: هذه الكلمات، وزاد فيها: ولا حول ولا قوة إلا بالله^(١).

وقال سعيد بن المسيب^(٢)، ومحمد بن كعب القرظي مثله سواء^(٣).

والثاني: أنها لا إله إلا الله، والله أكبر، والحمد لله، ولا قوة إلا بالله، رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ^(٤).

والثالث: أنها الصلوات الخمس، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال ابن مسعود، ومسروق، وإبراهيم. والرابع: الكلام الطيب، رواه العوفي عن ابن عباس.

والخامس: هي جميع أعمال الحسنات، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، وابن زيد.

قوله: ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ أي: أفضل جزاء ﴿وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ أي: خير مما تؤملون، لأن آمالكم كواذب، وهذا أمل لا يكذب.

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (١٧) وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (١٨) وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا

(١) رواه أحمد في مسنده (٥٣٧/١)، والبخاري في مسنده (٤٠٥)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٢٧٥/١٥)، والبيهقي في الشعب (٢٥٦٠)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصَّحيح. مجمع الزوائد (٨٩/١٠).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٧٧/١٥) من طريق عبارة بن عبد الله بن صياد، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٧٨/١٥).

(٤) لم أقف له على إسناد.

مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا
وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ
الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ
لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ
مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ [الكهف: ٤٧-٥١].

قوله: ﴿وَيَوْمَ تُسِيرُ الْجِبَالُ﴾

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «ويوم تُسِيرُ» بالتاء «الجبال» رفعاً.
وقرأ نافع، وعاصم، وحزرة، والكسائي: «تُسِيرُ» بالنون «الجبال» نصباً^(١).
[٥٠٣/ب] وقرأ ابن محيصن: «ويوم تُسِيرُ» بفتح التاء وكسر السين وتسكين
الياء «الجبال» بالرفع^(٢).

قال الزجاج: ﴿وَيَوْمَ﴾ منصوبٌ على معنى: اذكر، ويجوز أن يكون
منصوباً على: والباقيات الصالحات خير يوم تسير الجبال^(٣).
قال ابن عباس: تسيرُ الجبال عن وجه الأرض، كما يسير السحاب
في الدنيا، ثم تكسر فتكون في الأرض كما خرجت منها^(٤).

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٩٣)، والحجة (٥/ ١٥١)، والتيسير (ص: ١٤٤)، والمبسوط (١/ ٢٧٨).

(٢) في مختصر بن خالويه (ص: ٨٣)، والمحزر الوجيز (٣/ ٥٢٠)، عن ابن محيصن، وزاد
في التحصيل (٤/ ١٩٣) عيسى الثقفي، وفي البحر المحيط (٧/ ١٨٧) عن ابن محيصن،
ومحبوب، عن أبي عمر.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩٢).

(٤) لم أفق عليه.

قوله: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾.

وقرأ عمرو بن العاص، وابن السَّمِيفَع، وأبو العالية: «وترى الأرض بارزة» برفع التَّاء والضَّادِ^(١).

وقرأ أبو رجاء العطاردي كذلك، إلا أنه فتح ضاد «الأَرْض»^(٢).

وفي معنى ﴿بَارِزَةً﴾ قولان:

أحدهما: ظاهرة فليس عليها شيء من جبلٍ أو شجرٍ أو بناءٍ، قاله الأكثرون.
والثاني: بارزاً أهلها من بطنها، قاله الفقهاء^(٣).

قوله: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾ يعني المؤمنين والكافرين ﴿فَلَمْ تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.

قال ابن قُتَيْبَةَ: أي: فلم نخلف، يقال: غادرت كذا: إذا خلفته،
ومنه سَمِّي الغدير، لأنه ماء تُخَلِّفُه السُّيُولُ^(٤).

وروى أبان: ﴿فَلَمْ تُغَادِرْ﴾ بالتَّاء^(٥).

قوله: ﴿وَعَرِضْهُوا عَلَى رَيْكَ صَفًّا﴾ إن قيل: هذا أمرٌ مستقبل، فكيف

عبر عنه بالماضي؟

فالجواب: أن ما قد علم الله وقوعه، يجري مجرى المعين، كقوله:

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٣) عن عيسى.

(٢) البحر المحيط (١٨٧/٧) عن عيسى.

(٣) انظر: معاني القرآن (١٤٦/٢).

(٤) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٨).

(٥) انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ٨٣)، والتحصيل (١٩٣/٤)، والبحر المحيط (١٨٧/٧).

وفي معنى قوله: ﴿صَفًّا﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنه بمعنى: جميعاً، كقوله: ﴿ثُمَّ أَنتَوُا صَفًّا﴾ [طه: ٦٤]، قاله مقاتل^(١).

والثاني: أن المعنى: وعرضوا على ربك مصفوفين، هذا مذهب البصريين.

والثالث: أن المعنى: وعرضوا على ربك صفوفاً، فناب الواحد عن الجميع، كقوله: ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ [الحج: ٥].

والرابع: أنه لم يغب عن الله منهم أحد، فكانوا كالصَّف الذي تسهل الإحاطة بجملته، ذكر هذه الأقوال ابن الأنباري.

وقد قيل: إن كل أمة وزمرة صف.

قوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾، فيه إضمارٌ فيقال لهم.

وفي المخاطبين بهذا قولان:

أحدهما: أنهم الكل.

والثاني: الكفار، فيكون اللفظ عاماً، والمعنى خاصاً.

وقوله: ﴿كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ مفسرٌ في الأنعام^(٢)، وقوله: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾ خطابٌ للكفار^(٣) خاصة، والمعنى: زعمتم في الدنيا ﴿أَلَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِداً﴾ للبعث، والجزاء.

قوله: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الكتاب الذي سطر فيه ما تعمل الخلائق قبل وجودهم، قاله ابن عباس.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٥٨٨).

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٩٤).

(٣) في الأصل، و(ر): (الكفار)، والمثبت من (م)، و(س).

والثاني: أنه الحساب، قاله ابنُ السَّائبِ.

والثالث: كتاب الأعمال، قاله مقاتل^(١).

وقال ابنُ جرير: وضع كتاب أعمال العباد في أيديهم، فعلى هذا

الكتاب اسم جنس^(٢).

قوله: ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾

قال مجاهد: هم الكافرون.

وذكر بعض أهل العلم أن كل مجرم ذكر في القرآن، فالمراد به: الكافر.

قوله: ﴿مُشْفِقِينَ﴾ أي: خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ﴾ من الأعمال السيئة

﴿وَيَقُولُونَ يَوَلَّيْنَا﴾ هذا قول كل واقع في هلكة.

وقد شرحنا هذا المعنى في قوله: ﴿يَحْضَرُنَا﴾ [الأنعام: ٣١].

قوله: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ هذا على ظاهره في

صغير الأمور وكبيرها.

وقد روى عكرمة عن ابن عباس، قال: الصغيرة: التبسم، والكبيرة: [٥٠٤/أ]

القهقهة^(٣).

وقد يتوهم أن المراد بذلك صغائر الذنوب وكبائرها، وليس كذلك،

إذ ليس الضحك والتبسم مجردهما من الذنوب، وإنما المراد أن التبسم من

صغار الأفعال، والضحك فعل كبير.

(١) المصدر السابق (٢/ ٥٨٩).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٥/ ٢٨٣).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٢٨٤) من طريق الزيال بن عمرو، عن ابن

عباس، قال: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً﴾. قَالَ: «الضَّحْكُ».

وقد روى الضَّحَّاكُ عن ابنِ عَبَّاسٍ، قال: الصَّغِيرَةُ: التَّبَسُّمُ والاستهزاءُ بالمؤمن، والكَبِيرَةُ القَهْقَهَةُ بذلك^(١)، فعلى هذا يكون ذنباً من الذُّنُوبِ لمقصودِ فاعِلِهِ، لا لنفسِهِ.

ومعنى أحصاها: عدّها وأثبتها، والمعنى: وجدت محصاة.

﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ أي: مكتوباً مثبتاً في الكتاب، وقيل: رأوا جزاءه حاضراً.

وقال أبو سليمان: الصَّحِيحُ عند المحقِّقين أنَّ صغائر المؤمنين الذين وعدوا العفو عنها إذا اجتنبوا الكبائر، إنما يعفى عنها في الآخرة بعد أن يراها صاحبها.

قوله: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

قال أبو سليمان: لا تنقص حسنات المؤمن، ولا يزداد في سيئات الكافر. وقيل: إن كان للكافر فعل خير، كعتق رقبة، وصدقة، خُفِّفَ عنه به من عذابه، وإن ظلمه مسلم، أخذ الله من المسلم، فصار الحق لله. ثم إنَّ الله تعالى أمر نبيّه ﷺ أن يُذكِّر هؤلاء المتكبرين عن مجالسة الفقراء قصة إبليس وما أورثه الكبر، فقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ أي: واذكر ذلك. وفي قوله: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّه من الجنِّ حقيقة، لهذا النصِّ، واحتج قائلوا هذا بأنَّ له ذرية، وليس للملائكة ذرية، وأنَّه كفر، والملائكة رسل الله، فهم معصومون من الكفر.

(١) رواه أبو داود في الزهد (٣٤٠)، وابن أبي الدنيا في الصمت (٢٩٠)، وفي ذم الغيبة (١٥٤) من طريق بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحَّاك، عن ابن عباس بلفظ: «الصَّغِيرَةُ: التَّبَسُّمُ وَالْإِسْتِهْزَاءُ بِالْمُؤْمِنِ، وَالْكَبِيرَةُ: الْقَهْقَهَةُ بِذَلِكَ».

والثاني: أنه كان من الملائكة، وإنما قيل: من الجن، لأنه كان من قبيل من الملائكة يقال لهم: الجن، قاله ابن عباس؛ وقد شرحنا هذا في البقرة^(١).

قوله: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: خرج عن طاعة ربه، تقول العرب: فسقت الرطبة من قشرها: إذا خرجت منه، قاله الفراء، وابن قتيبة^(٢).

والثاني: أتاه الفسق لما أمر فعصى، فكان سبب فسقه عن أمر ربه.

قال الزجاج: وهذا مذهب الخليل وسيبويه، وهو الحق عندنا^(٣).

والثالث: فسق عن رد أمر ربه، حكاه الزجاج عن قطرب^(٤).

قوله: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أُولِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ أي: توالونهم بالاستجابة لهم.

قال الحسن، وقتادة: ذريته: أولاده، وهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم^(٥).

قال مجاهد: ذريته: الشياطين، ومن ذريته (زَلْزَلُور) صاحب راية

إبليس بكل سوق، و(ثَبْرُ)، وهو صاحب المصائب، و(الأغور) صاحب

الرياء، و(مَسُوطُ) صاحب الأخبار يأتي بها فيطرحها على أفواه الناس،

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٣٤).

(٢) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٨)، ومعاني القرآن (١٤٧/٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢٩٤/٣).

(٤) المصدر السابق.

(٥) رواه ابن جرير الطبري (١/ ٥٤٠) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، قال:

كان الحسن يقول: «وَهُمْ يَتَوَالِدُونَ كَمَا يَتَوَالِدُ بَنُو آدَمَ»، ورواه ابن جرير الطبري

(١٥/ ٢٩٣) من طريق سعيد، عن قتادة من قوله.

فلا يوجد لها أصل، و(دَاسَمُ) صاحبُ الإنسان إذا دخل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسمَ الله، فهو يأكلُ معه إذا أكل^(١).
قال بعضُ أهل العلم: إذا كانت خطيئةُ الإنسان في كبر فلا ترجمه، وإن كانت في شهوةٍ فارجه، فإن معصيةَ إبليس كانت بالكبر، ومعصيةُ آدم بالشهوة.

قوله: ﴿يَنْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ فيه ثلاثة أقوال: [٥٠٤/ب]

أحدها: ينسُ الاتِّخَاذَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا.

والثاني: ينسُ الشَّيْطَانَ.

والثالث: ينسُ الشَّيْطَانَ وَالدَّرِيَّةَ، ذكرهنَّ ابنُ الأَثَرِيِّ.

قوله: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

وقرأ أبو جعفر، وشيبة: «مَا أَشْهَدُنَاهُمْ» بالنون والألف^(٢).

وفي المشار إليهم أربعة أقوال:

أحدها: إبليس وذريته.

والثاني: الملائكة.

والثالث: جميع الكفار.

والرابع: جميع الخلق؛ والمعنى: أني لم أشاورهم في خلقهنَّ؛ وفي هذا

بيان للغنى^(٣) عن الأعوان، وإظهار كمال القدرة.

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٩٢/١٥)، وابن أبي الدنيا في مكائد الشيطان (٣٥).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٣)، والتحصيل (١٩٣/٤) عن يزيد بن القعقاع،

والسجستاني، وعون العقيلي، وفي البحر المحيط (١٩٠/٧) عن أبي جعفر، وشيبة

والسجستاني، وعون العقيلي، وابن مقسم.

(٣) في (ر): (المعنى).



قوله: ﴿وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: ما أشهدت بعضهم خلق بعض، ولا استعنت ببعضهم على إيجاد بعض.
قوله: ﴿وَمَا كُنْتَ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ﴾ يعني: الشياطين ﴿عُضْدًا﴾ أي: أنصارًا وأعوانًا.

والعضد يستعمل كثيرًا في معنى العون، لأنه قوام اليد.
قال الزجاج: والاعتصاد: التقوي وطلب المعونة، يقال: اعتصدت بفلان، أي: استعنت به^(١).

وفي ما نفى اتّخاذهم عضدًا فيه قولان:
أحدهما: أنه الولايات، والمعنى: ما كنت لأولي المضلين، قاله مجاهد.
والثاني: أنه خلق السموات والأرض، قاله مقاتل^(٢).
وقرأ الحسن، والجحدري، وأبو جعفر: «وما كنت» بفتح التاء^(٣).
قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمَجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَافِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [الكهف: ٥٢-٥٣].

قوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾
وقرأ حمزة: «نقول» بالنون^(٤)، يعني: يوم القيامة.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٩٠).

(٣) عن ابن القعقاع، والحسن في التحصيل (٤/ ١٩٣)، وفي البحر المحيط (٧/ ١٩١) عن أبي جعفر، والجحدري، والحسن، وشيبة «وَمَا كُنْتَ» بفتح التاء خطابًا للرسول ﷺ.

(٤) انظر: السبعة (ص: ٣٩٣)، والحجة (٥/ ١٥١)، والمبسوط (١/ ٢٧٩).

﴿نَادُوا شُرَكَاءِيَ﴾ أضاف الشركاء إليه على زعمهم، والمراد: نادوهم لدفع العذاب عنكم، أو الشفاعة لكم، ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أي: زعمتموهم شركاء ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾ أي: لم يجيبوهم.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ في المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنهم المشركون والشركاء.

والثاني: أهل الهدى وأهل الضلالة.

وفي معنى ﴿مَوْبِقًا﴾ ستة أقوال:

أحدها: مهلكاً، قاله ابن عباس، وقتادة، والضحاك.

وقال ابن قتيبة: مهلكاً بينهم وبين آلهتهم في جهنم، ومنه يقال: أوبقته ذنوبه، أي: أهلكته^(١).

قال الزجاج: المعنى: جعلنا بينهم من العذاب ما يوبقهم، أي: يهلكهم، والموبقُ المهلك، يقال: وبِقَ يُوْبِقُ، ويَابِقُ، وبَقاً؛ وبِقَ، يَبِقُ، وبُوقاً، فهو وَابِقٌ^(٢).

وقال الفراء: جعلنا تواصلهم في الدنيا موبقاً، أي: مهلكاً لهم في الآخرة^(٣). فالبين على هذا القول، بمعنى التواصل، كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَقَطَعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] على قراءة من ضمَّ النون.

والثاني: أن الموبق: وادٍ عميق يفرق به بين أهل الضلالة وأهل الهدى، قاله عبد الله بن عمرو.

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرايه (٣/ ٢٩٥).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٤٧).

والثالث: أَنَّهُ وادٍ فِي جَهَنَّمَ، قاله أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، ومجاهدٌ.

والرابع: أَنَّ معنى الموبق: العداوة، قاله الحسنُ.

والخامس: أَنَّهُ المحبس، قاله الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ.

والسادس: أَنَّهُ الموعدُ، قاله أبو عُبَيْدَةَ^(١).

قال ابنُ الأنباريِّ: إن قيل: لم قال: موبقاً ولم يقل: موبقاً بضمِّ الميم، إذ كان معناه عذاباً موبقاً؟

فالجواب: أَنَّهُ اسمٌ موضوعٌ لمحبس في النَّارِ، والأسماءُ لا تُؤخذُ

بالقياس، فيعلمُ أن موبقاً: مفعول، من أوبقَهُ اللهُ: إذا أهلكه، فتنتفتح الميمُ، [٥٠٥/أ]

كما تنفتحُ في موعد ومولد ومحتد إذا سميت الشخصَ بهنَّ.

قوله تعالى: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ أي: عاينوها وهي تتغيّظُ حنقاً عليهم.

والمرادُ بالمجرمين: الكفار.

﴿فَظَنُّوا﴾ أي: أيقنوا ﴿أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا﴾ أي: داخلوها.

ومعنى الواقعة: ملابسَةُ الشَّيْءِ بشدَّةٍ ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ أي:

معدلاً؛ والمصرفُ: الموضعُ الذي يصرف إليه، وذلك أنَّها أحاطت بهم

من كلِّ جانبٍ، فلم يقدروا على الهرب.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ

الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا

رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝٥٥﴾ [الكهف: ٥٤-٥٥].

(١) انظر: مجاز القرآن (١/٤٠٦).

قوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ قد فسرناه في بني إسرائيل^(١).

قوله: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ فيمن نزلت قولان:

أحدهما: أَنَّهُ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وكان جداله في القرآن، قاله ابنُ عباسٍ.

والثاني: أَبِي بَنْ خَلْفٍ، وكان جداله في البعثِ حين أتى بعظمِ قدرم،

فقال: أيقدرُ الله على إعادةِ هذا؟ قاله ابنُ السائبِ.

قال الزَّجَّاجُ: كل ما يعقل من الملائكةِ والجنِّ يجادل، والإنسان

أكثر هذه الأشياءِ جدلاً^(٢).

قوله: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ قال المفسرون: يعني: أهل مكة ﴿إِذْ

جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ وهو: مُحَمَّدٌ ﷺ، والقرآن، والإسلام ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ

الْأَوَّلِينَ﴾ وهو: أَنَّهُمْ إِذَا لَمْ يُؤْمِنُوا عَذَّبُوا.

وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: ما منعهم من الإيمانِ إِلَّا طلب أن تأتيهم سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ، قاله الزَّجَّاجُ^(٣).

والثاني: وما منع الشَّيْطَانَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِلَّا لِأَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ

الْأَوَّلِينَ، أي: منعهم رشدَهم لكي يقع العذاب بهم، ذكره ابنُ الأنباري.

والثالث: ما منعهم إِلَّا أَنِّي قَدْ قَدَّرْتُ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ، وهذه الآيةُ

فيمن قتل بيدٍ واحدٍ من المشركين، قاله الواحدي^(٤).

(١) انظر: تفسير سورة الإسراء الآية رقم (٤١).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩٦).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩٦).

(٤) انظر: تفسير الوسيط (٣/ ١٥٤).

قوله: ﴿أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قُبَلًا﴾.

ذكر ابن الأنباري في ﴿أَوْ﴾ هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها بمعنى الواو.

والثاني: أنها لوقوع أحد الشئين، إذ لا فائدة في بيانه.

والثالث: أنها دخلت للتبعيض، أي: أن بعضهم يقع به هذا، وهذه

الأقوال الثلاثة قد أسلفنا بيانها في قوله ﷻ: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾

[البقرة: ١٩].

قوله: ﴿قُبَلًا﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «قَبَلًا» بكسر القاف

وفتح الباء.

وقرأ عاصم، وحزرة، والكسائي: ﴿قُبَلًا﴾ بضم القاف والباء^(١).

وقد بينا علّة القراءتين في الأنعام^(٢).

وقرأ أبي بن كعب، وابن مسعود: «قَبِيلًا» بوزن فعيل^(٣).

وقرأ أبو الجوزاء، وأبو المتوكل: «قَبَلًا» بفتح القاف من غير ياء^(٤).

قال ابن قتيبة: أراد استثناءً^(٥).

(١) السبعة (ص: ٢٦٦)، والحجة (٥/ ١٥٢-١٥٣)، والتيسير (ص: ١٤٤)، والمبسوط (١/ ٢٦٦).

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (١١١).

(٣) في البحر المحيط (٧/ ١٩٤) عن أبي بن كعب، وغزوان عن طلحة.

(٤) في البحر المحيط (٧/ ١٩٤) بلا نسبة.

(٥) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٩٢).

فإن قيل: إذا كان المراد بسنة الأولين العذاب، فما فائدة التكرار بقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾؟

فالجواب: أن سنة الأولين أفادت عذاباً مبهماً يمكن أن يترأخى وقته، وتختلف أنواعه، وإتيان العذاب قبلاً أفاد القتل يوم بدر. [٥٠٥/ب] قال مقاتل: ﴿سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾: عذاب الأمم السالفة ﴿أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قُبْلاً﴾، أي: عياناً قتلاً بالسيف يوم بدر^(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَنَجِدُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ۝٥٦ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ۝٥٧ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنَ دُونِهِ مَوْيلاً ۝٥٨ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۝٥٩﴾ [الكهف: ٥٦-٥٩].

قوله: ﴿وَنَجِدُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾

قال ابن عباس: يريد: المستهزئين والمقتسمين وأتباعهم^(٢).

وجداهم بالباطل: أنهم ألزموه أن يأتي بالآيات على أهوائهم ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ أي: ليبطلوا ما جاء به محمد ﷺ.

(١) تفسير مقاتل (٢/ ٥٩٢).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٢/ ١٥٤).

وقيل: جداهم: قولهم: ﴿كُنَّا عِظَمًا وَرُفْنًا﴾ [الإسراء: ٤٩] ﴿صَلَّلْنَا فِي
الْأَرْضِ آئِنًا﴾ [السجدة: ١٠]، ونحو ذلك ليبطلوا به ما جاء في القرآن من
ذكر البعث والجزاء.

قال أبو عبيدة: ومعنى ليدحضوا: ليزيلوا ويذهبوا، يقال: مكان
دحض، أي: مَزَلْ لا يثبت فيه قدم ولا حافر^(١).

قوله: ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي﴾ يعني القرآن ﴿وَمَا أَنْذَرُوا﴾ أي: خوفوا به
من النار والقيامة ﴿هُزُوا﴾ أي: مهزوءا به.

قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ قد شرحنا هذه الكلمة في البقرة^(٢).

﴿ذُكِرَ﴾ بمعنى: وعظ.

﴿بَيَّأَتِ رَبِّهَ فَأَعْرَضَ﴾: القرآن، وإعراضه عنها: تهاون به.

﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أي: ما سلف من ذنوبه، وقد شرحنا ما بعد

هذا في الأنعام^(٣) إلى قوله: ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى﴾ وهو: الإيمان والقرآن
﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذَا أَبَدًا﴾ هذا إخبار عن علمه فيهم.

قوله: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ إذ لم يعاجلهم بالعقوبة.

﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ للبعث والجزاء ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾.

قال الفراء: الموئل: المنجى، وهو الملجأ في المعنى، لأن المنجى ملجأ،

والعرب تقول: إنه ليوائل إلى موضعه، أي: يذهب إلى موضعه، قال

(١) مجاز القرآن (ص: ٤٠٨).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١١٤).

(٣) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٢١).

الشاعر [من السريع] ^(١):

لَا وَاءَلَتْ نَفْسُكَ خَلِيَّتَهَا لِلْعَامِرِيِّينَ وَلَمْ تُكَلِّمْ
يريد: لا نجت نفسك، وأنشد أبو عبيدة للأعشى [من البسيط] ^(٢):

وَقَدْ أَخَالَسُ رَبَّ الْبَيْتِ غَفْلَتُهُ وَقَدْ يُحَاذِرُ مِنِّي ثُمَّ مَا يَنْلُ
أي: ما ينجو.

وقال ابن قتيبة: الموثل: الملجأ. يقال: وآل فلان إلى كذا: إذا لجأ ^(٣).
فإن قيل: ظاهر هذه الآية يقتضي أن تأخير العذاب عن الكفار
برحمة الله، ومعلوم أنه لا نصيب لهم في رحمته.
فعنه جوابان:

أحدهما: أن الرحمة هاهنا بمعنى النعمة، ونعمة الله لا يخلو منها
مؤمن ولا كافر، فأما الرحمة التي هي الغفران والرضى، فليس للكافر
فيها نصيب.
والثاني: أن رحمة الله محظورة على الكفار يوم القيامة، فأما في الدنيا،
فإنهم ينالون منها العافية والرزق.

(١) بلا نسبة في معاني القرآن (١٤٨/٢)، وتهذيب اللغة (٣١٨/١٥)، ولسان العرب
(٧١٥/١١)، وخزانة الأدب (٣٨٤/٩).

(٢) جاء الشاهد في ديوانه (ص: ٩٥)، وفيه: «فقد أخالس»، وانظر: شرح القصائد
العشر (ص: ٢٩٦)، وخزانة الأدب (٣٥٣/١١).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٩).



قوله: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ﴾ يريد: التي قصصنا عليك ذكرها، والمراد: أهلها، ولذلك قال: ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ والمراد: قوم هود، وصالح، ولوط، وشعيب.

قال الفرّاء: قوله: ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ معناه: بعد ما ظلموا.

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ﴾

قرأ الأكثرون بضم الميم وفتح اللام.

قال الزّجاج: وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون مصدرًا، فيكون المعنى: وجعلنا لإهلاكهم.

والثاني: أن يكون وقتًا، فالمعنى: لوقت هلاكهم^(١).

[٥٠٦/أ]

وقرأ أبو بكر، عن عاصم: بفتح الميم واللام، وهو مصدرٌ مثل الهلاك.

وقرأ حفص، عن عاصم: بفتح الميم وكسر اللام^(٢)، ومعناه: لوقت إهلاكهم.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتْنِهِ لَا أُنْبِرُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ

الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ

فِي الْبَحْرِ سَبِيلًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ إِنَّا غَدَاؤُنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا

(٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ

أَن أَدْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا

قَصَصًا (٦٤) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتِيَهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا

(٦٥) ﴿[الكهف: ٦٠-٦٥].﴾

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٢٩٧).

(٢) السبعة (ص: ٣٩٣)، والحجة (٥/ ١٥٦)، والتيسير (ص: ١٤٤)، والمبسوط (١/ ٢٧٩).

قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ﴾ الآية.

سبب خروج موسى عليه السلام في هذا السفر، ما روى ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ قال: «قام موسى عليه السلام خطيباً في بني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، قال: فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: أي رب كيف لي به؟ فقبل له: احمِلْ حوتاً في مكتل، فحيث تفقد الحوت فهو ثم، فأنطلق وانطلق معه فتاه، وهو يوشع بن نون، فحمل موسى عليه السلام حوتاً في مكتل وانطلق هو وفتاه يمشيان حتى أتيا الصخرة، فرقد موسى عليه السلام وفتاه، فاضطرب الحوت في المكتل، حتى خرج من المكتل، فسقط في البحر، قال وأمسك الله عنه جربة الماء حتى كان مثل الطاق، فكان للحوت سرباً، وكان لموسى وفتاه عجباً، فأنطلقا بقية يومهما وليلتهما، ونسي صاحب موسى أن يخبره، فلما أصبح موسى عليه السلام، قال لفتاه: آتينا غداً لنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً، قال: ولم ينصب حتى جاوز المكان الذي أمر به، قال: أرايت إذ أوتينا إلى الصخرة، فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجباً، قال موسى: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]، قال يقصان آثارهما، حتى أتيا الصخرة، فرأى رجلاً مسجى عليه بثوب، فسلم عليه موسى، فقال له الخضر: أنى بأرضك السلام؟ قال: أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: إنك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، وأنا على علم من

عَلَّمَ اللَّهُ عِلْمَيْنِهِ لَا تَعْلَمُهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى عليه السلام: «هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا. قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا. قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا». قَالَ لَهُ الْخَضِرُ ﴿قَالَ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠]، قَالَ: نَعَمْ، فَاَنْطَلَقَ الْخَضِرُ وَمُوسَى يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَمَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ، فَكَلَّمَاهُمَا أَنْ يَحْمِلُوهُمَا، فَعَرَّفُوا الْخَضِرَ فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، فَعَمَدَ الْخَضِرُ إِلَى لَوْحٍ مِنَ الْأَوَاحِ السَّفِينَةِ فَزَرَعَهُ، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ حَمَلُونَا بِغَيْرِ نَوْلٍ، عَمَدْتَ إِلَى سَفِينَتِهِمْ فَخَرَقْتَهَا ﴿لَنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿[الكهف: ٧٢]﴾، ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ، فَبَيْنَمَا هُمَا يَمْشِيَانِ عَلَى السَّاحِلِ إِذَا غُلَامٌ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ، فَأَخَذَ الْخَضِرُ بِرَأْسِهِ، فَاقْتَلَعَهُ بِيَدِهِ، فَقَتَلَهُ، فَقَالَ مُوسَى: «أَقْتَلْتُ نَفْسًا زَاكِيَةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا. قَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» قَالَ: وَهَذِهِ أَشَدُّ مِنَ الْأُولَى، ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ (٧٣) فَاَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ، ﴿[الكهف: ٧٦] يَقُولُ [٥٠٦/ب] مَائِلٌ، قَالَ الْخَضِرُ بِيَدِهِ هَكَذَا فَأَقَامَهُ، قَالَ لَهُ مُوسَى: قَوْمٌ آتَيْنَاهُمْ فَلَمْ يُضَيِّقُونَا وَلَمْ يُطْعِمُونَا، لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا، قَالَ: هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ»، هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ^(١)،

وقد ذكرنا إسناداه في كتاب الحقائق، فأثرنا الاختصار هاهنا.

(١) البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠).

فأما التفسير، فقولُه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾ المعنى: واذكر ذلك.

وفي موسى قولان:

أحدهما: أنه موسى بن عمران، قاله الأكثرون.

ويدلُّ عليه ما روي في الصحيحين من حديث سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوحاً البكالي يزعم أن موسى بني إسرائيل ليس هو موسى صاحب الخضر، قال: كذب عدو الله، أخبرني أبي بن كعب، فذكر الحديث الذي قدّمناه آنفاً^(١).

والثاني: أنه موسى بن ميثا، قاله ابن إسحاق، وليس بشيء، للحديث الصحيح الذي ذكرناه.

فأما فتاه فهو يوشع بن نون من غير خلاف، وإنما سمي فتاه، لأنه كان يلزمه، يأخذُ عنه العلم، ويخدمه.

ومعنى ﴿لَا أَتَّبِعُ﴾: لا أزال. وليس المرادُ به: لا أزل، لأنه إذا لم يزل لم يقطع أرضاً، فهو مثل قولك: ما برحت أناظر عبد الله، أي: ما زلت، قال الشاعر^(٢) [من الطويل]:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْرَحْ تُؤَدِّي أَمَانَةً وَتَحْمِلُ أُخْرَى أَفَرَحْتَكَ الْوَدَائِعُ
أي: أثقلتك، والمعنى: لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين، أي: ملتقاهما، وهو الموضع الذي وعده الله ببقاء الخضر فيه.

(١) سبق تخريجه.

(٢) البيت لبَيْهَسِ الْعُذْرِيِّ في لسان العرب (٢/٥٤١)، والتنبيه والإيضاح (١/٢٥٨)، وتاج العروس (١٣/١٧)، وبلا نسبة في العين (٣/٢١٣)، والمخصص (١٢/٣١٤)، وتهذيب اللغة (٥/٢٠).



قال قتادة: بحرُ فارس، وبحرُ الرُّوم، فبحر الروم نحو المغرب،
وبحر فارس نحو المشرق^(١).

وفي اسم البلد الذي بمجمع البحرين قولان:
أحدهما: إفريقية، قاله أبيُّ بن كعب.
والثاني: طنجة، قاله محمدُ بنُ كعب القرظي.
قوله: ﴿أَوَامِضٍ حُقْبًا﴾.

وقرأ أبو رزين، والحسن، وأبو مجليز، وقتادة، والجحدري، وابنُ
يعمر: «حُقبًا» بإسكانِ القاف^(٢).

قال ابنُ قُتيبة: الحُقب: الدَّهر، والحُقب: السَّنون، واحدها حِقْبة،
ويقال: حُقبٌ وحُقبٌ كما يقال: قُفلٌ وقُفْلٌ، وهُزؤٌ وهُزُؤٌ، وكُفؤٌ وكُفُؤٌ،
وأُكْلٌ وأُكْلٌ، وسُحْتٌ وسُحْتٌ، ورُعْبٌ ورُعْبٌ، ونُكْرٌ ونُكْرٌ، وأُذْنٌ وأُذْنٌ،
وسُحْقٌ وسُحْقٌ، وبُعْدٌ وبُعْدٌ، وشُغْلٌ وشُغْلٌ، وتُلْثٌ وتُلْثٌ، وعُذْرٌ
وعُذْرٌ، وتُذْرٌ وتُذْرٌ، وعُمُرٌ وعُمُرٌ^(٣).

وللمفسرين في المراد بالحقب هاهنا ثمانية أقوال:

أحدها: أنَّه الدَّهرُ، قاله ابنُ عباسٍ.

والثاني: ثمانون سنةً، قاله عبدُ الله بنُ عمرو، وأبو هريرة.

والثالث: سبعون ألف سنةً، قاله الحسن.

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٠٨/١٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٤)، والتحصيل (٢١٢/٤) عن الحسن، وزاد في المحرر

(٣/٥٢٨) الأعمش وعاصم، وفي البحر المحيط (٧/٢٠٠) الضحاك.

(٣) انظر: أدب الكاتب (٩٥/١).

والرابع: سبعون سنة، قاله مجاهدٌ.

والخامس: سبعة عشر ألف سنة، قاله مقاتل بن حيان.

والسادس: أنه ثمانون ألف سنة، كل يوم ألف سنة من عدد الدنيا.

والسابع: أنه سنة بلغة قيس، ذكرهما الفراء^(١).

والثامن: الحقب عند العرب وقت غير محدود، قاله أبو عبيدة^(٢). [I/٥٠٧]

ومعنى الكلام: لا أزال أسير، ولو احتجت أن أسير حقبا.

قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾ يعني: موسى وفتاه ﴿يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا﴾ يعني: البحرين ﴿نَسِيًا حَوْتَهُمَا﴾ وكانا قد تزودا حوتا مالحا في زبيل فكانا يصبيان منه عند الغداء والعشاء، فلما انتهيا إلى الصخرة على ساحل البحر وضع فتاه المكتل، فأصاب الحوت بلل البحر. وقيل: توصأ يوشع من عين الحياة فانتضح على الحوت الماء، فعاش، فتحرّك في المكتل، فانسرب في البحر، وقد كان قيل لموسى: تزود حوتا مالحا، فإذا فقدته وجدت الرجل. وكان موسى حين ذهب الحوت في البحر قد مضى لحاجة، فعزم فتاه أن يخبره بما جرى فنسي.

وإنما قيل: نسيا حوتهما توسعا في الكلام، لأنهما جميعا تزوداه، كما يقال: نسي القوم زادهم، وإنما نسيه أحدهم.

قال الفراء: ومثله قوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَاتُ﴾ [الرحمن: ٢٢]

وإنما يخرج ذلك من الملح، لا من العذب^(٣).

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٥٤).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/ ٤٠٩).

(٣) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٥٤).

وقيل: نسي يوشع أن يحمل الحوت، ونسي موسى أن يأمره فيه بشيء، فلذلك أضيف النسيان إليهما.

قوله: ﴿فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ أي: مسلكاً ومذهباً.

قال ابن عباس: جعل الحوت لا يمس شيئاً من البحر إلا ليس حتى يكون صخرة^(١).

وقال قتادة: جعل لا يسلك طريقاً إلا صار الماء جامداً^(٢).

وقد ذكرنا في حديث أبي بن كعب أن الماء صار مثل الطاق على الحوت^(٣).

قوله: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ ذلك المكان الذي ذهب فيه الحوت، أصابهما ما يصيب المسافرين من النصب، فدعا موسى بالطعام، فقال: ﴿إِنَّا غَدَاءَنَا﴾ وهو الطعام الذي يؤكل بالغداة. والنصب: الإعياء.

وهذا يدل على إباحة إظهار مثل هذا القول عندما يلحق الإنسان من الأذى والتعب، ولا يكون ذلك شكوى.

﴿قَالَ﴾ يوشع لموسى ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْنَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ أي: حين نزلنا هناك.

﴿فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: نسيت أن أخبرك خبر الحوت.

والثاني: نسيت حمل الحوت.

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣١٥/١٥) من طريق عطية العوفي، به.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣١٤/١٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٣) سبق تخريجه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْسَيْنُهُ﴾.

قرأ الكسائي: «أنسانيه»^(١) بإمالة السين^(٢).

وقرأ ابن كثير: «أنسانيهي» بإثبات ياء في الوصل بعد الهاء^(٣).

وروى حفص عن عاصم: «أنسانيه إلّا» بضم الهاء في الوصل^(٤).

قوله: ﴿وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ الهاء في السبيل ترجع إلى الحوت.

وفي المتخذ قولان:

أحدهما: أنّه الحوت، ثم في المخبر عنه قولان:

أحدهما: أنّه الله ﷻ، ثمّ في معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: فاتخذ سبيله في البحر يرى عجباً، ويحدث عجباً.

والثاني: أنه لما قال الله تعالى: ﴿وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ﴾، قال: اعجبوا

لذلك عجباً، وتنبهوا لهذه الآية.

والثالث: أن إخبار الله تعالى انقطع عند قوله: في البحر، فقال موسى:

عجباً، لما شهود من الحوت، ذكر هذه الأقوال ابنُ الأَثَرِيِّ.

والثاني: أن المخبر عن الحوت يوشع، وصف لموسى ما فعل الحوت. [٥٠٧/ب]

والقول الثاني: أن المتخذ موسى، اتخذ سبيل الحوت في البحر عجباً،

فدخل في المكان الذي مرّ فيه الحوت، فرأى الخضر.

(١) ليست في (س)، وفي (م): «وما أنسانيه».

(٢) انظر: الحجة (٥/١٥٤).

(٣) انظر: السبعة (ص: ١٣٢).

(٤) انظر: الحجة (٥/١٥٤)، والتيسير (ص: ١٤٤)، والمبسوط (١/٢٧٩).

وروى عطية عن ابن عباس قال: رجع موسى إلى الصخرة فوجد الحوت، فجعل الحوت يضرب في البحر، ويتبعه موسى، حتى انتهى به إلى جزيرة من جزائر البحر، فلقى الخضر^(١).

قوله: ﴿قَالَ﴾ يعني: موسى ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ﴾ أي: ذلك الذي نطلب من العلامة الدالة على مطلوبنا.

قرأ ابن كثير: «نبغي» بياء في الوصل والوقف.

وقرأ نافع، وأبو عمرو، والكسائي بياء في الوصل.

وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، بحذف الياء في الحالين^(٢).

قوله: ﴿فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾.

قال الزجاج: أي: رجعا في الطريق الذي سلكاه، يقصّان الأثر،

والقصص: أتباع الأثر^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا﴾ يعني الخضر.

وفي اسمه أربعة أقوال:

أحدها: اليسع، قاله وهب، ومقاتل^(٤).

والثاني: الخضر بن عاميا.

والثالث: أرميا بن حلفيا، ذكرهما ابن المنادي^(٥).

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٥/ ٣٣٠)، وابن أبي حاتم (١٢٨٧٧) في تفسيرهما.

(٢) انظر: الحجة (٥/ ١٤٨).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٠).

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٤٩).

(٥) هو الإمام القرئ الحافظ أبو الحسين، أحمد بن جعفر بن أبي جعفر محمد بن عبيد=

والرابع: بليا بن ملكان، ذكره عليُّ بنُ أحمد النيسابوري^(١).

فأما تسميته بالخضر، ففيه قولان:

أحدهما: أنه جلس في فروة بيضاء فاخضرت، رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ^(٢)، والفروة: الأرض اليابسة.

والثاني: أنه كان إذا جلس اخضرَّ ما حوله، قاله عكرمة.

وقال مجاهد: كان إذا صلى اخضرَّ ما حوله^(٣).

وهل كان الخضر نبياً، أم لا؟ فيه قولان، ذكرهما أبو بكر بن الأنباري.

وقال: كثيرٌ من الناس يذهبُ إلى أنه كان نبياً، وبعضهم يقول: كان عبداً صالحاً.

واختلف العلماء هل هو باق إلى يومنا هذا، على قولين حكاهما الماوردي^(٤).

وكان الحسنُ يذهب إلى أنه مات، وكذلك كان ابن المنادي من أصحابنا يقول، ويقبح قول من يرى بقاءه، ويقول: لا يثبت حديث في بقائه.

= الله بن أبي داود بن المنادي، البغدادي، صاحب التواليف، وقد اختص بكثرة الرواية عن عبد الله بن الإمام أحمد، انظر: ترجمته: طبقات الحنابلة (٣/٢)، وسير أعلام النبلاء (١٥/٣٦١).

(١) انظر: تفسير الوسيط (٣/١٥٧).

(٢) رواه أحمد في المسند (٣١٢/٢)، والبخاري (٣٤٠٢)، والترمذي (٣١٥١)، والبزار في مسنده (٩٣٩٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٢٢٢) من طريق معمر، عن همام بن منبه، به بلفظ: «إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَضِرُ أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى فَرُوءٍ بَيْضَاءَ، فَإِذَا هِيَ تَهْتَزُّ مِنْ خَلْفِهِ خَضِرَاءً».

(٣) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٦/١٨٢)، والبغوي في معالم التنزيل (٣/٢٠٥).

(٤) انظر: النكت والعيون (٣/٣٢٥).



وروى أبو بكر النقاش أن محمد بن إسماعيل البخاري سئل عن الخضر والياس: هل هما في الأحياء؟ فقال: كيف يكون ذلك؟ وقد قال النبي ﷺ: «لَا يَبْقَى عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِمَّنْ هُوَ الْيَوْمَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ»^(١).

قوله: ﴿وَإِنِّي لَخَافِئٌ بِكَ مِنَ الْعَذَابِ﴾ في هذه الرحمة ثلاثة أقوال: أحدها: أنها النبوة، قاله مقاتل^(٢).

والثاني: الرقة والحنو على من يستحقه، ذكره ابن الأنباري.
والثالث: النعمة، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ أي: من عندنا ﴿عِلْمًا﴾.
قال ابن عباس: أعطاه علماً من علم الغيب^(٣).

قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾^(١٦)
قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا^(١٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، خُبْرًا^(١٨) قَالَ سَتَجِدُنِي
إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا^(١٩) ﴿الكهف: ٦٦-٦٩﴾.
قوله: ﴿أَنْ تُعَلِّمَ﴾.

قرأ ابن كثير: «تعلمني مما» بإثبات الياء في الوصل والوقف.
وقرأ نافع، وأبو عمرو وبياء في الوصل.

(١) البخاري (١١٦)، ومسلم (٢٥٣٧) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، صَلَاةَ الْعِشَاءِ، فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ؟ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ».

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٩٤).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٥٨).

وقرأ ابنُ عامرٍ، وعاصمٌ بحذفِ الياءِ في الحالين^(١).

قوله: ﴿مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ، وحمزةٌ، والكسائيُّ: ﴿رُشْدًا﴾ بضمِّ

[١/٥٠٨] الرّاء خفيفة.

وقرأ أبو عمرو: «رَشْدًا» بفتح الرّاء والشّين.

وعن ابنِ عامرٍ بضمّهما^(٢).

والرُّشد، والرَّشد: لغتان كالنَّخل والنَّخل، والعُجم والعَجَم،

والعُرب والعَرَب، والمعنى: أن تعلمني علماً ذارشد.

وهذه القصة قد حرصت على الرحلة في طلبِ العلم، واتباع المفضول

للفاضل طلباً للفضل، وحث^(٣) على الأدب والتواضع للمصحوب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

قال ابنُ عباس: لن تصبر على صناعي، لأنّي علمت من غيب علم ربّي^(٤).

وفي هذا الصّبر وجهان:

أحدهما: عن الإنكار.

والثاني: عن السّؤال.

قوله: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ الخبر: علمك بالشّيء؛

والمعنى: كيف تصبر على أمرٍ ظاهره منكرٌ، وأنت لا تعلم باطنه؟

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٩١)، والحجة (٥/١٤٨)، والتيسير (ص: ١٤٧)، والمبسوط (١/٢٨٦).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٢٩٣)، والحجة (٥/١٥٤)، والتيسير (ص: ١٤٤)، والمبسوط (١/٢٧٩).

(٣) في الأصل، و(ر): (وحيث)، وفي (م): (وحتّ)، والمثبت من (س).

(٤) أورده الواحدي في تفسيره (٣/١٥٨).

قوله: ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾.

قال ابن الأنباري: نفي العصيان منسوق على الصبر، والمعنى: ستجدني صابراً ولا أعصي إن شاء الله .

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۖ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۖ﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصْنِجْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا فَاذْبَأْ أَنْ يَضِفُوا هُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ. قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا لَمْ تَسْتَطِيعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾﴾ [الكهف: ٧٠-٧٨].

قوله: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمره، والكسائي: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي﴾ ساكنة اللام.

وقرأ نافع: «فلا تسألني» مفتوحة اللام مشددة النون.

وقرأ ابن عامر في رواية الداجوني: «فلا تسألني عن شيء» بتحريك اللام من غير ياء، والنون مكسورة^(١).

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٩٤)، والحجة (٥/ ١٧٥)، والمبسوط (١/ ٢٨٠).

والمعنى: لا تسألني عن شيء مما أفعله ﴿حَتَّى أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: حتى أكون أنا الذي أبينه لك، لأن علمه قد غاب عنك.
قوله تعالى: ﴿خَرَقَهَا﴾ أي: شقها.

قال المفسرون: قلع منها لوحاً، وقيل: لوحين مما يلي الماء، فحشاها موسى بثوبه وأنكر عليه ما فعل بقوله: ﴿أَخْرَقْنَاهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾.
قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: ﴿لِتُغْرِقَ﴾ بالتاء ﴿أَهْلَهَا﴾ بالنصب.

وقرأ حمزة، والكسائي: «لِتَغْرِقَ» بالياء «أَهْلَهَا» برفع اللام^(١).

﴿لَقَدْ جَنَّتْ شَيْئًا إِمْرًا﴾ وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: منكرأ، قاله مجاهد.

وقال الزجاج: عظيماً من المنكر^(٢).

والثاني: عجباً، قاله قتادة، وابن قتيبة^(٣).

والثالث: داهية، قاله أبو عبيدة^(٤).

قوله: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ في هذا النسيان ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه على حقيقته، وأنه نسي.

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٩٥)، والحجة (٥/ ١٥٨)، والمبسوط (١/ ٢٨٠) قال أبو علي: ﴿لِتُغْرِقَ﴾ أولى ليكون الفعل مسنداً إلى المخاطب كما كان المعطوف عليه كذلك.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٢).

(٣) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٦٩).

(٤) انظر: مجاز القرآن (ص: ٤٠٩) وفيه: داهية نكراً عظيماً.

روى ابنُ عَبَّاسٍ عن رسولِ الله ﷺ: «أَنَّ الْأُولَى كَانَتْ نِسْيَانًا مِنْ مُوسَى»^(١).
والثاني: أَنَّهُ لَمْ يَنْسَ، وَلَكِنَّهُ مِنْ مَعَارِضِ الْكَلَامِ، قَالَه أَبِي بَنْ كَعْبٍ،
وَابْنُ عَبَّاسٍ.

والثالث: أَنَّهُ بِمَعْنَى التَّركِ، فَاْلْمَعْنَى: لَا تَوَاضِعْ لِي بِمَا تَرَكْتَهُ مِمَّا
عَاهَدْتُكَ عَلَيْهِ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ.

قوله: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ قَالَ الْفَرَّاءُ: لَا تُعْجِلْنِي^(٢).

وقال أبو عُبَيْدَةَ، وَابْنُ قُتَيْبَةَ، وَالزَّجَّاجُ: لَا تُغَشِّينِي^(٣).

قال أبو زَيْدٍ: يَقَالُ: أَرَهَقْتَهُ عَسْرًا: إِذَا كَلَّفْتَهُ ذَلِكَ^(٤).

قال الزَّجَّاجُ: وَالْمَعْنَى: عَامِلْنِي بِاليسْرِ، لَا بِالْعُسْرِ^(٥).

قوله: ﴿فَأَنْطَلَقًا﴾ يَعْنِي: مُوسَى وَالْخَضِرَ.

قال الماوردِيُّ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ يَوْشَعَ تَأَخَّرَ عَنْهُمَا، لِأَنَّ الْإِخْبَارَ

عَنْ اثْنَيْنِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعَهُمَا وَلَمْ يَذْكُرْ لِأَنَّهُ تَبِعَ لِمُوسَى، فَاقْتَصَرَ عَلَى [٥٠٨/ب] حَكْمِ الْمَتَّبِعِ^(٦).

قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا﴾ اخْتَلَفُوا فِي هَذَا الْغُلَامِ هَلْ كَانَ بِالْغَا، أَمْ

لَا؟ عَلَى قَوْلَيْنِ:

(١) رواه البخاري (١٢٢)، ومسلم (٢٣٨٠) في الحديث الطويل.

(٢) انظر: معاني القرآن (١٥٥/٢).

(٣) انظر: مجاز القرآن (٤١٠/١)، وغريب القرآن (ص: ٢٧٠)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣٠٢/٣).

(٤) انظر: التفسير الوسيط (١٥٨/٣).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٠٢/٣).

(٦) انظر: النكت والعيون (٣٢٨/٣).

أحدهما: أنه لم يكن بالغاً، قاله ابنُ عَبَّاسٍ، ومجاهدٌ، والأكثرُونَ.
والثاني: أنه كان شاباً قد قبض على لحيته، حكاه الماورديُّ عن ابنِ
عَبَّاسٍ أيضاً، واحتجَّ بأن غير البالغ لم يجر عليه قلم، فلم يستحق القتل^(١).
وقد يسمَّى الرَّجل غلاماً، قالت ليلي الأخيلية تمدح الحجاج [من الطويل]^(٢)
..... غُلامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَاءَ سَقَاهَا

وفي صفة قتله له ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه اقتلع رأسه، وقد ذكرناه في حديث أبي^(٣).
والثاني: كسر عنقه، قاله ابنُ عَبَّاسٍ.
والثالث: أضجعه وذبحه بالسكين، قاله سعيدُ بنُ جبير.
قوله تعالى: ﴿أَفَلَتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾. قرأ الكوفيون، وابنُ عامرٍ: ﴿زَكِيَّةً﴾
بغير ألفٍ، والياء مشددة.
وقرأ الباقر بالالف من غير تشديد^(٤).
قال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد، وهما بمنزلة القاسية، والقسية^(٥).

(١) المصدر السابق.

(٢) البيت في غريب الحديث؛ للخطابي (ص: ٥٢١)، ونهاية الأرب في فنون الأدب؛ للنويري
(٧ / ١٨١)، ولسان العرب (١٢ / ٤١٣) مادة (عقم). وصدرة: «شَفَّاهَا مِنْ الدَّاءِ
الْعُضَالِ الَّذِي يَهَا».

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) السبعة (ص: ٣٩٥)، والتيسير (ص: ١٤٤)، والمبسوط (١ / ٢٨٠).

(٥) الزاهر في معاني كلمات الناس (١ / ٣٣٩) وهو مذهب الفراء.

وللمفسرين فيها ستة أقوال:

أحدها: أنها التائبة، روي عن ابن عباس أنه قال: الزَّكِيَّةُ: التَّائِبَةُ^(١)، وبه قال الضَّحَّاكُ.

والثاني: أنها المسلمة، روي عن ابن عباس أيضاً.

والثالث: أنها الزكية التي لم تبلغ الخطايا، قاله سعيد بن جبيرة.

والرابع: أنها الزكية النامية، قاله قتادة.

وقال ابن الأنباري: القويمة في تركيبها.

والخامس: أن الزكية: المطهرة، قاله أبو عبيدة^(٢).

والسادس: أن الزكية: البريئة التي لم يظهر ما يُوجب قتلها، قاله الزَّجَّاجُ^(٣).

وقد فرَّق بعضهم بين الزَّائِكَةِ، والزَّكِيَّةِ، فروي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: الزَّائِكَةُ: التي لم تذنّب قطُّ، والزَّكِيَّةُ: التي أذنبت ثم تابت^(٤).

وروي عن أبي عبيدة أنه قال: الزاكية في البدن، والزكية في الدين^(٥).

قوله: ﴿نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ أي: بغير قتل نفسٍ ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿نُكْرًا﴾ خفيفة في

كُلِّ القرآن، إلّا قوله: ﴿إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ﴾ [القمر: ٦]، وخَفَّفَ ابنُ كثير أيضاً: «إلى شيء نُكْر».

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٤٠ / ١٥) من طريق عطية العوفي، به.

(٢) انظر: مجاز القرآن (١ / ٤١٠).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٣٠٣).

(٤) أورده الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٨ / ١٤٤)، والثعلبي في تفسيره (٦ / ١٨٤).

(٥) أورده الماوردي في النكت والعيون (٣ / ٢٢٩).

وقرأ ابنُ عامرٍ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «نُكْرًا» و﴿إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ﴾ مثقل^(١).
والمخففُ إنَّما هو من المثقل، كالْعُنُقِ، والعُنُقِ، والنُّكْرِ، والنُّكْرِ.
قال الزَّجَّاجُ: والمعنى: لقد أتيت شيئاً نكراً. ويجوز أن يكون معناه:
جئت بشيءٍ نكر، فلما حذف الباء، أفضى الفعل فنصب نكراً، ونكراً أقل
منكراً من قوله: إمرأاً لأنَّ تغريق من في السَّفينة كان عنده أنكر من قتل
نفس واحدة^(٢).

قوله: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ﴾.

إن قيل: لم ذكر «لَكَ» هاهنا، واختزله من الموضع الذي قبله؟
فالجواب: أن إثباته للتوكيد، واختزاله لوضوح المعنى، وكلاهما
معروفٌ عند الفصحاء. تقول العرب: قد قلت لك: اتَّقِ الله. وقد قلت
لك: يا فلان اتَّقِ الله، وأنشد ثعلبُ [من الرجز]^(٣):
قَدْ كُنْتُ حَدَرْتُكَ آلَ الْمُضْطَلِّقِ وَقُلْتُ يَا هَذَا أَطْغِنِي وَانْطَلِقِ
فقوله: يا هذا، توكيدٌ لا يخلُ الكلام بسقوطه. [٥٠٩/أ]

وسمعت الشيخَ أبا محمَّد بن الخشَّاب رحمته الله يقول: وقره في الأوَّل،
فلم يواجهه بكافِ الخطاب، فلما خالف في الثاني، واجهه بها.
قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ﴾ أي: سؤال توبيخ وإنكار
﴿بَعْدَهَا﴾ أي: بعد هذه المسألة ﴿فَلَا تُصِجْنِي﴾.

(١) السبعة (ص/ ٣٩٥)، والحجة (٥/ ١٩٥)، والتيسير (ص: ١٤٤)، والمبسوط (١/ ٢٨٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٣).

(٣) البيت في المجالسة وجواهر العلم (٧/ ١٧٢)، وجهرة الأمثال (١/ ١٢٤).

وقرأ كذلك معاذُ القاري، وأبو نهيك، وأبو المتوكل، والأعرج، إلا أنهم شددوا النون^(١).

قال الزجاج: ومعناه: إن طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك^(٢).
وقرأ أبي بن كعب، وابنُ أبي عبلة، ويعقوبُ: «فلا تصحبني» بفتح التاء من غير ألف.

وقرأ ابنُ مسعود، وأبو العالية، والأعمش كذلك، إلا أنهم شددوا النون.
وقرأ أبو رجاء، وأبو عثمان النهدي، والنخعي، والجحدري: «تُصَحِّبُنِي» بضم التاء، وكسر الحاء، وسكون الصادِ والباءِ^(٣).
قال الزجاج: فيهما وجهان:

أحدهما: لا تتابعني في شيء ألتسمه منك. يقال: قد أصحب المهر: إذا انقاد.
والثاني: لا تصحبني علماً من علمك^(٤).
﴿قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾.

قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو، وابنُ عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿مِنْ لَدُنِّي﴾ مثقل.
وقرأ نافع: «من لدني» بضم الدال مع تخفيف النون.
وروى أبو بكر عن عاصم: «من لدني» بفتح اللام مع تسكين الدال.
وفي رواية أخرى عن عاصم: «لدني» بضم اللام وتسكين الدال^(٥).

(١) انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ٨٤)، والتحصيل (٢١٣/٤)، والمحزر الوجيز (٣/٣٣٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٠٣).

(٣) انظر: مختصر ابن خالويه (ص: ٨٤)، والتحصيل (٢١٣/٤)، والمحزر الوجيز (٣/٣٣٢).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٠٣).

(٥) انظر: السبعة (ص: ٣٩٦)، والحجة (٥/١٦٠)، والتيسير (ص: ١٤٥)، والمبسوط (١/٢٨٢).

قال الزَّجَّاجُ: وأجودها تشديد النُّون، لأنَّ أصلَ لدن الإسكان، فإذا أضفتها إلى نفسك زدت نونًا، ليسلم سكون النُّون الأولى، تقول: من لدن زيد، فتسكن النُّون ثم تضيف إلى نفسك، فتقول: من لدني، كما تقول عن زيدٍ وعني. فأما إسكان دال لدني فإنَّهم أسكنوها، كما تقول في عَضْدٍ: عَضْدٍ، فيحذفون الضَّمَّ^(١).

قال ابنُ عباسٍ: يريد إنَّك قد أعذرت فيما بيني وبينك، يعني أنَّك قد أخبرتني أي لا أستطيع معك صبرًا^(٢).

قوله: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ فيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّها أنطاكية، قاله ابنُ عباسٍ.

والثاني: الأبله، قاله ابنُ سيرين.

والثالث: باجروان، قاله مُقاتِلٌ^(٣).

قوله: ﴿أَسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا﴾ أي: سألاهم الضِّيافة ﴿فَابَوَّأَنَّ يُضَيِّفُوهُمَا﴾.

روى المفضل عن عاصمٍ: «يُضَيِّفُوهُمَا» بضمَّ الياء الأولى وكسر الضَّادِ

وتخفيف الياء الثانية.

وقرأ أبو الجوزاء كذلك، إلَّا أنَّه فتح الياء الأولى.

وقرأ الباقون: ﴿يُضَيِّفُوهُمَا﴾ بفتح الضَّادِ وتشديد الياء الثانية وكسرها^(٤).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٠٣).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/٣٢٧) من طريق سعيد بن جبير، به، بلفظ مطول.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٥٩٧)، وقال محققه: «وفي نسخة بدون إعجام»، أي: باحروان.

(٤) الكامل في القراءات (١/٥٩٣).

قال أبو عبيدة: ومعنى ﴿يُضَيِّقُوهُمَا﴾: ينزلوهما منزل الأضياف، يقال: ضفت أنا، وأضافني الذي ينزلني^(١).

وقال الزجاج: يقال: ضفت الرجل: إذا نزلت عليه، وأصفته: إذا أنزلته وقرئته^(٢).

وقال ابن قتيبة: يقال: ضيقت الرجل: إذا أنزلته منزلة الأضياف، ومنه هذه الآية، وأصفته: أنزلته، ووضفته: نزلت عليه.

[٥٠٩/ب]

وروى أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ قال: «كَانُوا أَهْلَ قَرْيَةٍ لِنَامًا»^(٣). قوله: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ أي: حائطًا.

قال ابن فارس: وجمعه جدر، والجدر: أصل الحائط. ومنه حديث الزبير: «ثُمَّ دَعِ الْمَاءَ يَرْجِعْ إِلَى الْجَذْرِ»^(٤)، والجيدر: القصير^(٥). قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾.

(١) انظر: مجاز القرآن (١/ ٤١٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٦).

(٣) رواه النسائي في الكبرى (١١٢٤٧) وهو بعض حديث طويل.

(٤) رواه البخاري (٢٣٥٩)، ومسلم (٢٣٥٧) بلفظ عن عروة بن الزبير، أن عبد الله بن الزبير، حدثه أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير عند رسول الله ﷺ، في شراج الحرة التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمر، فأبى عليهم، فاخصموا عند رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ للزبير: «اسْقِ يَا زُبَيْرُ ثُمَّ أَرْسِلِ الْمَاءَ إِلَى جَارِكَ، فغضب الأنصاري، فقال: يا رسول الله أن كان ابن عمك فتلون وجه نبي الله ﷺ، ثم قال: «يَا زُبَيْرُ اسْقِ، ثُمَّ اخْبِسِ الْمَاءَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الْجَذْرِ».

(٥) انظر: مقاييس اللغة (١/ ٤٣١).

وقرأ أبي بن كعب، وأبو رجاء: «ينقاض» بألف ممدودة، وضاد معجمة^(١).
 وقرأ ابن مسعود، وأبو العالية، وأبو عثمان النهدي: «ينقاص»
 بألف ومدّه وصاد غير معجمة، وكلّه بلا تشديد^(٢).
 قال الزّجّاج: فمعنى: ينقض: يسقط بسرعة، وينقص، غير
 معجمة، ينشق طولاً، يقال: انقاضت^(٣) سنّه: إذا انشقت^(٤).
 قال ابن مقسم: انقاصت^(٥) سنّه، وانقاضت بالصاد، والضاد على معنى واحد.
 فإن قيل: كيف نسبت الإرادة إلى ما لا يعقل؟

فالجواب: أن هذا على وجه المجاز تشبيهاً بمن يعقل ويريد،
 لأنّ هيأته في التهيؤ للوقوع قد ظهرت كما يظهر من أفعال المريدين
 القاصدين، فوصف بالإرادة إذ كانت الصورتان واحدة، وقد أضافت
 العرب الأفعال إلى ما لا يعقل تجوزاً، قال الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى
 الْفَضْبُ﴾ [الأعراف: ١٥٤] والغضب لا يسكت، وإنما يسكت صاحبه،
 وقال: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١] وأنشدوا من ذلك [من الخفيف]^(٦):

(١) في التحصيل (٢١٥ / ٤) عن أبي بن كعب، وانظر: المحرر (٥٣٤ / ٣).

(٢) في التحصيل (٢١٥ / ٤)، والمحرر المجيز (٥٣٤ / ٣) عن علي رضي الله عنه، وعكرمة، ويحيى بن يعمر.

(٣) هكذا في الأصل، و(ر)، والمطبوع من معاني القرآن وإعرابه بالضاد، وفي (م)، و(س):
 (انقاصت) بالصاد.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣٠٦ / ٣).

(٥) في الأصل: (انقاضت)، والمثبت من بقية النسخ.

(٦) البيت لحسان بن ثابت في أساس البلاغة (لفف)، وبلا نسبة في لسان العرب (٢٩٣ / ٤) (دهر)،
 وتهذيب اللغة (١٩٢ / ٦)، وديوان الأدب (١٠٧ / ١)، وتاج العروس (٣٤٦ / ١١) (دهر).

إِنَّ دَهْرًا يُلْفُ شَمْلِي بِجُمْلٍ لَزْمَانُ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ
وقال آخر^(١):

صَحِكُوا وَالْدَّهْرُ عَنْهُمْ سَاكِتٌ ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا لَمَّا نَطَقُوا
وقال آخر [من الوافر]^(٢):

يُرِيدُ الرُّمَحُ صَدْرَ أَبِي بَرَاءٍ وَيَرْغَبُ عَنْ دَمَاءِ بَنِي عَقِيلٍ
وقال آخر [من الرمل]^(٣):

يَشْكُو إِلَيَّ جَمْلِي طَوْلَ الشَّرَى
وهذا كثير في أشعارهم.

قوله تعالى: ﴿فَأَقَامَهُ﴾ أي: سَوَّاهُ، لأنه وجده مائلاً.

وفي كيفية ما فعل قولان:

أحدهما: أَنَّهُ دَفَعَهُ بِيَدِهِ فَقَامَ.

والثاني: هَدَمَهُ ثُمَّ قَعَدَ بَيْنَهُ، رَوَى الْقَوْلَانِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

قوله: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو: «لَتَّخَذْتَ» بكسر الحاء، غير أن أبا عمرو
كان يدغم الذال، وابن كثير يظهرها.

(١) في عيون الأخبار (٣٢٦/٢)، والعقد الفريد (٣٠٩/٦) ويُروى:

سَكَتَ الدَّهْرُ زَمَانًا عَنْهُمْ ... ثُمَّ أَبْكَاهُمْ دَمًا لَمَّا نَطَقُوا

(٢) بلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه (٣٠٦/٣)، ولسان العرب (١٨٩/٣) (رود).

(٣) البيت للمبد بن حرملة في شرح أبيات الكتاب (٢٠٨/١)، وبلا نسبة في معاني القرآن

(٥٤/٢)، والأضداد (٢٢٢/١)، وعجزة: «صَبْرًا جَمِيلًا فِكْلَانَا مُبْتَلًى».

وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿لَتَخَذَتْ﴾
وكلُّهم أدغموا، إلا حفصاً عن عاصم، فإنه لم يدغم مثل ابن كثير^(١).
قال الزَّجَّاجُ: يقال: تَخَذَ يَتَخَذُ في معنى: اتَّخَذَ يَتَخَذُ، وإنما قال له
هذا، لأنَّهم لم يضيِّقوها^(٢).

قوله تعالى: ﴿قَالَ﴾ يعني: الخضر ﴿هَذَا﴾ يعني: الإنكار عليَّ
﴿فَرَأَى بَيْنِي وَبَيْنَكَ﴾ أي: هو المَفْرُقُ بيننا.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: هذا فراقُ بيننا، أي فراقُ اتِّصالنا، وكرَّرَ بين
توكيداً، ومثله في الكلام: أخزى الله الكاذب مِنِّي وَمِنْكَ^(٣).

وقرأ أبو رزين، وابن السَّمِيعِ، وأبو العالية، وابن أبي عبلة: «هذا
فراقُ» بالتَّوْنِ «بيني وبينك» بنصب التَّوْنِ.

قال ابن عباس: كان قول موسى في السَّفِينَةِ والغلام لربِّه، وكان
قوله في الجدارِ لنفسه، لطلب شيءٍ من الدُّنيا^(٤).

قوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا
وَكَانَ وَرَاءَ هُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩].

قوله: ﴿فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ﴾ في المراد بمسكتهم قولان:
أحدهما: أنَّهم كانوا ضعفاء في أكسابهم.
والثاني: في أبدانهم.

(١) السبعة (ص: ٣٩٦)، والحجة (٥/ ١٦٣)، والتيسير (ص: ١٤٥).

(٢) معاني القرآن وإعراجه (٣/ ٣٠٦-٣٠٧).

(٣) المصدر السابق (٣/ ٣٠٤).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٢١) في حديث طويل.

وقال كعب: كانت لعشرة إخوة، خمسة زمني، وخمسة يعملون في البحر^(١).
قوله تعالى: ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ أي: أجعلها ذات عيب، يعني بخرقها.
﴿وَكَانَ وِرَاءَهُمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أمامهم، قاله ابن عباس، وقتادة، وأبو عبيدة، وابن قتيبة^(٢).
وقرأ أبي بن كعب، وابن مسعود: «وَكَانَ أَمَامَهُمْ مَلِكٌ»^(٣).
والثاني: خلفهم.

قال الزجاج: وهو أجود الوجهين^(٤).

فيجوز أن يكون رجوعهم في طريقهم كان عليه، ولم يعلموا بخبره،
فأعلم الله تعالى الخضر خبره.

قوله: ﴿يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ أي: كل سفينة سالحة.

وفي قراءة أبي بن كعب: «كُلَّ سَفِينَةٍ صَحِيحَةٍ»^(٥).

قال الخضر: إنما خرقتها، لأن الملك إذا رآها منخرقة تركها ورقعها
أهلها فانتفعوا بها.

قوله: ﴿وَأَمَّا الْفُلُّ﴾

(١) أورده الثعلبي في تفسيره (١٨٦/٦).

(٢) انظر: مجاز القرآن (١/٤١٢)، وغريب القرآن (ص: ٢٧٠).

(٣) وهي قراءة ابن عباس كما في البخاري (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠)، وغيرهما.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٠٥).

(٥) عن ابن عباس، وسعيد بن جبير في المحرر الوجيز (٣/٥٣٥)، وبلا نسبة في تفسير الطبري (١٥/٣٥٤).

روي عن ابن عباسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ: «وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ كَافِرًا»^(١).
 وروى أَبِي بَنْ كَعْبٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الْغُلَامَ الَّذِي
 قَتَلَهُ الْخَضِرُ طَبَعَ كَافِرًا، وَلَوْ عَاشَ لَأَزْهَقَ أَبُوْنِهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا»^(٢).
 قال الرَّيْبَعُ بْنُ أَنَسٍ: كَانَ الْغُلَامُ عَلَى الطَّرِيقِ لَا يَمُرُّ بِهِ أَحَدٌ إِلَّا
 قَتَلَهُ أَوْ غَضِبَهُ، فَيَدْعُو ذَلِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَبُوِيهِ.
 وقال ابنُ السَّائِبِ: كَانَ الْغُلَامُ لَصًّا، فَإِذَا جَاءَ مَنْ يَطْلُبُهُ حَلَفَ
 أَبَوَاهُ أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ^(٣).

قوله: ﴿فَخَشِينَا﴾ فِي الْقَائِلِ لِهَذَا قَوْلَانِ:
 أَحَدُهُمَا: اللَّهُ ﷻ.

ثم فِي مَعْنَى الْخَشْيَةِ الْمُضَافَةِ إِلَيْهِ قَوْلَانِ:
 أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا بِمَعْنَى: الْعِلْمُ.
 قال الْفَرَّاءُ: مَعْنَاهُ: فَعَلِمْنَا^(٤).

وقال ابنُ عَقِيلٍ: الْمَعْنَى: فَعَلْنَا فَعَلَ الْخَاشِي.
 والثَّانِي: الْكَرَاهَةُ، قاله الْأَخْفَشُ، وَالزَّجَّاجُ^(٥).

(١) فِي تَفْسِيرِ عَبْدِ الرَّزَاقِ (٢/ ٣٤٠)، وَابْنُ الْبَخَّارِ (٣٤٠١)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٨٠).

(٢) رَوَاهُ عَبْدُ بَنٍ حَمِيدٍ فِي مُسْنَدِهِ (١٦٩)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٦١)، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٧٠٥)، وَالتِّرْمِذِيُّ
 (٣١٥٠)، وَالنَّسَائِيُّ فِي الْكِبَرِيِّ (٥٨١٣).

(٣) أَوْرَدَهُ الْمَاورِدِيُّ فِي النُّكْتِ وَالْعَيُونِ (٣/ ٣٣٣).

(٤) مَعَانِي الْقُرْآنِ (٢/ ١٥٧).

(٥) مَعَانِي الْقُرْآنِ (٢/ ٤٣٣)، وَمَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٣/ ٣٠٥).

والثاني: أنه الخضر، فتكون الخشية بمعنى الخوف للأمر المتوهم،
قاله ابن الأنباري.

وقد استدل بعضهم على أنه من كلام الخضر بقوله: ﴿فَارَدْنَا أَنْ
يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾.

قال الزجاج: المعنى: فأراد الله، لأن لفظ الخبر عن الله تعالى هكذا
أكثر من أن يحصى.

ومعنى ﴿يُرْهَقُهُمَا﴾: يحملهما على الرهق، وهو الجهل.

قال أبو عبيدة: يرهقهما: يغشيها^(١).

قال سعيد بن جبیر: خشينا أن يحملهما حبه على أن يدخل في دينه^(٢).

وقال قتادة: فرحاً به حين وُلد، وحزنًا عليه حين قُتل، ولو بقي
كان فيه هلاكهما، فرضي امرؤ بقضاء الله، فإن قضاء الله للمؤمن فيما يكره،
خير له من قضائه فيما يحب^(٣).

قوله: ﴿فَارَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو بكر عن عاصم: ﴿أَنْ يُبَدِّلَهُمَا﴾ بالتخفيف.

وقرأ نافع، وأبو عمرو بالتشديد^(٤).

(١) مجاز القرآن (١/٤١٢).

(٢) أورده الثعلبي في تفسيره (٦/١٨٧).

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/٤٢٩) لابن أبي حاتم، والبيهقي في الشعب عن قتادة
قال: قال مطرف بن الشخير... فذكره.

(٤) السبعة (ص: ٣٩٦)، والحجة (٥/١٦٤)، والتيسير (ص: ١٤٥)، والمبسوط (١/٢٨١).

قوله: ﴿خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: دينًا، قاله ابنُ عباسٍ.

والثاني: عملاً، قاله مقاتل^(١).

والثالث: صلاحًا، قاله القراء^(٢).

قوله: ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾.

[٥١٠/ب] قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وعاصمٌ، وحمزةٌ، والكسائيُّ: ﴿رُحْمًا﴾ ساكنة

الحاء، وقرأ ابنُ عامرٍ: «رُحْمًا» مثقلة^(٣).

وعن أبي عمرو كالقراءتين.

وقرأ ابنُ عباسٍ، وابنُ جبيرٍ، وأبو رجاءٍ: «رَحِمًا» بفتح الرَّاء، وكسر الحاء^(٤).

وفي معنى الكلام قولان:

أحدهما: أوصل للرحم وأبر للوالدين، قاله ابنُ عباسٍ، وقتادة.

وقال الزجاج: أقرب عطفًا، وأمس بالقربة.

ومعنى الرُّحم والرَّحم في اللغة: العطف والرحمة، قال الشاعر [من

مجزوء الوافر]^(٥):

وَكَيْفَ بَطُلُم جَارِيَةً وَمِنْهَا اللَّيْنُ وَالرُّحْمُ؟

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٩٩).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ١٥٧).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٣٩٧)، والحجة (٥/ ١٥٥)، والتيسير (ص: ١٥٤)، والمبسوط (١/ ٢٨٢).

(٤) عن ابن عباس في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٥).

(٥) بلا نسبة في معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٠٦)، ومجاز القرآن (١/ ٤١٣)، ولسان العرب

والثاني: أقرب أن يُرحا به ، قاله القراء^(١).

وفيا بُدلاً به قولان:

أحدهما: جارية، قاله الأكثرون.

وروى عطاء عن ابن عباس، قال: أبدعها به جارية ولدت سبعين نبياً^(٢).

والثاني: غلام مسلم، قاله ابن جريج.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ يعني: القرية المذكورة في قوله: ﴿أَنِيَأْ أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾.

قال مقاتل: واسمها أصرم، وصريم^(٣).

قوله: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كان ذهباً وفضة، رواه أبو الدرداء عن رسول الله ﷺ^(٤).

(١) معاني القرآن للقرآن للفراء (٢/ ١٥٧).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٦١) عن عطاء، عن ابن عباس به.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٥٩٩).

(٤) رواه الترمذي (٣١٥٢)، والبزار في مسنده (٤٠٨٢)، والطبراني في الأوسط (٦٩٦٩)، وفي الصغير (٩٧٧)، وابن عدي في الكامل (١٥١/ ٩)، والحاكم في المستدرک (٤٠١/ ٢) من طريق الوليد بن مسلم، عن يزيد بن يوسف الصنعاني، عن مكحول، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، به.

وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف يزيد بن يوسف الصنعاني.

وقال الحسن^(١)، وعكرمة^(٢)، وقتادة^(٣): كان مالاً.

والثاني: أنه كان لوحاً من ذهب، فيه مكتوب: عجباً لمن أيقن بالقدر ثم هو ينصب، عجباً لمن أيقن بالنار كيف يضحك، عجباً لمن يؤمن بالموت كيف يفرح، عجباً لمن يوقن بالرزق كيف يتعب، عجباً لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل، عجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، أنا الله لا إله إلا أنا، محمدٌ عبدي ورسولي، وفي الشَّقِّ الآخر: أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، خلقت الخير والشر، فطوبى لمن خلقت له للخير وأجريت له على يديه، والويل لمن خلقت له للشر وأجريت له على يديه، رواه عطاء عن ابن عباس.

قال ابن الأنباري: فسمي كنزاً من جهة الذهب، وجعل اسمه هو المغلب.

والثالث: كنز علم، رواه العوفي عن ابن عباس.

وقال مجاهد: صحف فيها علم^(٤)، وبه قال سعيد بن جبير، والسدي.

قال ابن الأنباري: فيكون المعنى على هذا القول: كان تحته مثل

الكنز، لأنه يتعجل من نفعه أفضل مما ينال من الأموال.

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٦٣ / ١٥) بلفظ: قَالَ: لَوْحٌ مِنْ ذَهَبٍ مَكْتُوبٍ فِيهِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: عَجِبْتُ لِمَنْ يُؤْمِنُ كَيْفَ تَحْزَنُ وَعَجِبْتُ لِمَنْ يُوقِنُ بِالْمَوْتِ كَيْفَ يَفْرَحُ وَعَجِبْتُ لِمَنْ يَعْرِفُ الدُّنْيَا وَتَقْلِبُهَا بِأَهْلِهَا، كَيْفَ يَظْمِنُ إِلَيْهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ».

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٦٥ / ١٥) من طريق حصين، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٦٥ / ١٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٦٣ / ١٥) من طريق ابن أبي نجيع، به.

قال الزَّجَّاجُ: والمعروفُ في اللُّغة: أنَّ الكنزَ إذا أُفرد، فمعناه: المال المدفون المدَّخر، فإذا لم يكن المال، قيل: عنده كنز علم، وله كنز فهم، والكنز هاهنا بالمال أشبه، وجائز أن يكون الكنز كان مالاً، مكتوبٌ فيه علم، على ما روي، فهو مالٌ وعلمٌ عظيم^(١).

قوله: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾.

قال ابن عباس: حفظا بصلاح أبيهما، ولم يذكر منهما صلاحاً^(٢).

وقال جعفر بن محمد^(٣): كان بينهما وبين ذلك الأب الصَّالح سبعة آباء^(٣).

وقال مقاتل: كان أبوهما ذا أمانة^(٤).

قوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾.

قال ابن الأنباري: لما كان قوله: ﴿فَأَرَدْتُ﴾ و﴿فَأَرَدْنَا﴾ كل واحد منهما

يصلح أن يكون خبراً عن الله ﷻ، وعن الخضر، أتبعهما بما يحصر الإرادة عليه، [٥١١/أ] ويزيلها عن غيره، ويكشف البغية من اللفظتين الأولين.

وإنما قال: ﴿فَأَرَدْتُ﴾ و﴿فَأَرَدْنَا﴾ و﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾، لأنَّ العرب تؤثر

اختلاف الكلام على اتِّفاقه مع تساوي المعاني، لأنَّه أعذب على الألسن،

وأحسن موقعاً في الأسماع، فيقول الرَّجُلُ: قال لي فلان كذا، وأنبأني بما

كان، وخبرني بما نال.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٠٧).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (٣٣٢) كما في زوائد المروزي، والحميدي في مسنده (٣٧٦)، وأبو داود في الزهد (٣٣٢)، والنسائي في الكبرى (١١٨٣٨)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/٣٦٦)، والحاكم في المستدرک (٢/٤٠٠) من طريق سعيد بن جبیر، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/٣٦٣) في حديث.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٥٩٩).

فأما الأشدُّ فقد سبق ذكره في مواضع^(١)، ولو أنَّ الخضرَ لم يَقم الحائطَ لنقض وأخذ ذلك الكنز قبل بلوغهما.
قوله: ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: رحمهما الله بذلك.
﴿وَمَا فَعَلْنَاهُ عَنْ أَمْرِى﴾ قال قتادة: كان عبدًا مأمورًا^(٢).
فأما قوله: ﴿تَسْطِعْ﴾ فإنَّ استطاع واسطاع بمعنى واحد.
قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾.
قوله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ قد ذكرنا سبب نزولها عند قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥].

واختلفوا في اسم ذِي القرنين على أربعة أقوال:
أحدها: عبد الله، قاله عليُّ عليه السلام، وروى عن ابن عباس: أنَّه عبد الله بن الضَّحَّاك.
والثاني: الإسكندر، قاله وهب.
والثالث: عياش، قاله محمد بنُ عليِّ بن الحسين.
والرابع: الصَّعب بنُ جابر بن القلمس، ذكره ابنُ أبي خيثمة.
وفي علَّة تسميته بذِي القرنين عشرة أقوال:
أحدها: أنَّه دعا قومه إلى الله تعالى، فضربوه على قرنِه فهلك، فغبر زمانًا، ثم بعثه الله، فدعاهم إلى الله فضربوه على قرنِه الآخر فهلك، فذانك قرنَاه، قاله عليُّ عليه السلام.

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (١٥٢)، وسورة يوسف الآية رقم (٢٢)، وسورة الإسراء الآية رقم (٣٤).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٦٧/١٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

والثاني: أنه سَمِّيَ بذِي الْقَرْنَيْنِ، لأنَّه سارَ إلى مغربِ الشَّمْسِ وإلى مطلعها، رواه أبو صالح عن ابنِ عَبَّاسٍ.

والثالث: لأنَّ صفحتي رأسِه كانتا من نحاسٍ.

والرابع: لأنَّه رأى في المنام كأنَّه امتدَّ من السَّماءِ إلى الأرضِ وأخذ بقرني الشَّمْسِ، فقَصَّ ذلك على قومِه، فسَمِّيَ بذِي الْقَرْنَيْنِ.

والخامس: لأنَّه ملكُ الرُّومِ وفارس.

والسادس: لأنَّه كان في رأسِه شبه القرنين، رويت هذه الأقوالُ الأربعةُ عن وهب بن منبِّه.

والسابع: لأنَّه كانت له غديرتان من شعرٍ، قاله الحسنُ.

قال ابنُ الأَبارِيِّ: والعربُ تسمِّي الضفيرتين من الشَّعر غديرتين، وجيرتين، وقرنين؛ قال: ومَن قال سَمِّيَ بذلك لأنَّه ملك فارس والرُّومِ، قال: لأنَّهما عاليان على جانبيين من الأرضِ، يقال لهما: قرنان.

والثامن: لأنَّه كان كريم الطَّرفين من أهل بيتِ ذوي شرفٍ.

والتاسع: لأنَّه انقضى في زمانِه قرنان من النَّاسِ، وهو حيٌّ.

والعاشر: لأنَّه سلك الظلمة والنُّور، ذكر هذه الأقوال الثلاثة أبو اسحاق الثَّعلبيُّ^(١).

واختلفوا هل كان نبيًّا، أم لا؟ على قولين:

أحدهما: أنَّه كان نبيًّا، قاله عبد الله بنُ عمرو، والضَّحَّاك بنُ مزاحمٍ.

والثاني: أنَّه كان عبدًا صالحًا، ولم يكن نبيًّا، ولا مَلَكًا، قاله عليُّ بنُ النُّعمانِ.

(١) الكشف والبيان (٢٤٨/١٧).

وقال وهب: كان ملكًا، ولم يُوحَ إليه .

وفي زمان كونه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه من القرون الأول من ولد يافث بن نوح، قاله عليّ عليه السلام. [٥١١/ب]

والثاني: أنه كان بعد ثمود، قاله الحسن.

ويقال: كان عمره ألفًا وست مائة سنة.

والثالث: أنه كان في الفترة بين عيسى ومحمد صلّى الله عليهما وسلم،

قاله وهب.

قوله تعالى: ﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: خبرًا يتضمن ذكره.

﴿إِنَّا مَكَنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: سهلنا عليه السير فيها.

قال عليّ عليه السلام: إنه أطاع الله، فسخر له السحاب فحمله عليه، ومدَّ

له في الأسباب، وبسط له النور، فكان الليل والنهار عليه سواء^(١).

وقال مجاهد: ملك الأرض أربعة: مؤمنان، وكافران؛ فالمؤمنان:

سليمان بن داود، وذو القرنين؛ والكافران الثمود، وبختنصر^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَنبَتْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾

قال ابن عباس: علمًا يتسبب به إلى ما يريد^(٣).

وقيل: هو العلم بالطرق والمسالك.

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٤٧/٥) لابن إسحاق، والفريابي، وابن أبي الدنيا،

وابن المنذر بلفظ أطول من هذا.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٧١/٤) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٧١/١٥) من طريق علي بن طلحة، به. قال: علمًا.

قوله: ﴿فَاتَّبَعَ سَبِيًّا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرو: «فَاتَّبَعَ سَبِيًّا» ثم اتَّبَعَ سَبِيًّا «ثم اتَّبَعَ سَبِيًّا» مشدَّدات التَّاءِ.

وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةٌ، والكسائيُّ: «فَاتَّبَعَ سَبِيًّا» ثم اتَّبَعَ سَبِيًّا «ثم اتَّبَعَ سَبِيًّا» مقطوعاتٍ^(١).

قال ابنُ الأنباريِّ: مَنْ قرأ «فَاتَّبَعَ سَبِيًّا» فمعناه: قفا الأثر، ومن قرأ «فَاتَّبَعَ» فمعناه: لحق؛ يقال: اتَّبَعَنِي فلانٌ، أي: تبعني، كما يقال: ألحقني فلانٌ، بمعنى لحقني.

وقال أبو عليٍّ: اتَّبَعَ تقديره: اتَّبَعَ سَبِيًّا سَبِيًّا، فأتبع ما هو عليه سَبِيًّا، والسَّبَبُ: الطَّرِيقُ، والمعنى: تبع طريقاً يؤدِّيهِ إلى مغربِ الشَّمْسِ^(٢). وكان إذا ظهر على قومٍ أخذ منهم جيشاً فسارَ بهم إلى غيرهم.

قوله: ﴿وَجَدَهَا تَقَرَّبُ فِي غَيْرِ حِمَّةٍ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرو، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿حِمَّةٍ﴾، وهي قراءةُ ابنِ عَبَّاسٍ.

وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةٌ، والكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «حامية»، وهي قراءةُ عمرو، وعليٍّ، وابنِ مسعودٍ، والزَّبير، ومعاويةَ، وأبي عبد الرَّحْمَنِ، والحسنِ، وعكرمةَ، والنَّخعيِّ، وقتادةَ، وأبي جعفرٍ، وشيبةَ، وابنِ مُحَيِّصٍ، والأعمشِ، كلهم لم يهمز^(٣).

(١) السبعة (ص: ٣٩٧)، والحجة (٥/ ١٦٦)، والتيسير (ص: ١٤٥)، والمبسوط (١/ ٢٨٢).

(٢) الحجة (٥/ ١٦٨).

(٣) السبعة (ص: ٣٩٨)، والحجة (٥/ ١٦٩)، والمبسوط (١/ ٢٨٢).

قال الزَّجَّاجُ: فمن قرأ: ﴿حَمَّةٌ﴾ أراد في عين ذات حمأة، يقال: حمأت البئر: إذا أخرجت حماتها؛ وأحماتها: إذا ألقيت فيها الحمأة، وحمئت فهي حمئة: إذا صارت فيها الحمأة، ومن قرأ: «حَامِيَةٌ» بغير همز، أراد: حارة، وقد تكون حارة ذات حمأة^(١).

وروى قتادة عن الحسن، قال: وجدها تغرب في ماء يغلي كغليان القدور، ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ لباسهم جلود السباع، وليس لهم طعام إلا ما أحرقت الشمس من الدواب إذا غربت نحوها، وما لفظت العين من الحيتان إذا وقعت فيها الشمس.

وقال ابن السائب: وجد عندها قوماً مؤمنين وكافرين، يعني عند العين. وربما توهم متوهم أن هذه الشمس على عظم قدرها تغوص بذاتها في عين ماء، وليس كذلك، فإنها أكبر من الدنيا مراراً، فكيف تسعها عين ماء؟

وقيل: إن الشمس بقدر الدنيا مائة وخمسين مرة، وقيل: بقدر الدنيا مائة وعشرين مرة، والقمر بقدر الدنيا ثمانين مرة. وإنما وجدها تغرب في العين كما يرى راكب البحر الذي لا يرى طرفه أن الشمس تغيب في الماء، وذلك لأن ذا القرنين انتهى إلى آخر البنيان فوجد عيناً حمئة ليس بعدها أحد.

قوله: ﴿فَلَنَأْيُذًا الْقَرْنَيْنِ﴾ فمن قال: إنه نبي، قال: هذا القول وحي، ومن قال: ليس بنبي، قال: هذا إلهام.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٠٨).

قوله: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ﴾ قال المفسرون: إمّا أن تقتلهم إن أبوا ما تدعوهم إليه، وإمّا أن تأسرهم، فتبصرهم الرشد.
﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ أي: أشرك ﴿فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ﴾ بالقتل إذا لم يرجع عن الشرك.

وقال الحسن: كان يطبخهم في القدور ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾ بعد العذاب ﴿فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾ بالنار.
قوله: ﴿فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَىٰ﴾

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «جزاء الحسنى» رفع مضاف^(١).

قال القرأء: الحسنى الجنة، وأضيف الجزاء إليها، وهي الجزاء، كقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الحاقة: ٥١]، و﴿دَيْنُ الْقِيعَةِ﴾ [البينة: ٥]، و﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [النحل: ٣٠]^(٢).

قال أبو علي الفارسي: المعنى: فله جزاء الخلال الحسنى، لأن الإيمان والعمل الصالح خلال^(٣).

وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف، ويعقوب: ﴿جَزَاءٌ﴾ بالنصب والتّوئين.

(١) السبعة (ص: ٣٩٨)، والحجة (٥/ ١٧٠)، والتيسير (ص: ١٤٥)، والمبسوط (١/ ١٨٢).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٥٩).

(٣) الحجة (٥/ ١٧٠).

قال الزَّجَّاجُ: وهو مصدرٌ منصوبٌ على الحال، المعنى: فله الحسنى مجزئاً بها جزاء^(١).

وقال ابنُ الأنباري: وقد يكون الجزاء غير الحسنى إذا تأول الجزاء بأنه الثواب؛ والحسنى الحسنه المكتسبة في الدنيا، فيكون المعنى: فله ثواب ما قدّم من الحسنات.

قوله: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ آتٍ﴾ أي: نقول له قولاً جميلاً.
قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْبَعِ سَبَبًا﴾ ^(٨٩) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجْهَهَا تَطَّلَعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبِيلًا ^(٩٠) كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ^(٩١) [الكهف: ٨٩-٩١].
قوله: ﴿ثُمَّ أَنْبَعِ سَبَبًا﴾ أي: طريقاً آخر يوصله إلى المشرق.

قال قتادة: مضى يفتح المدائن ويجمع الكنوز ويقتل الرجال إلا من آمن حتى أتى مطلع الشمس فأصاب قوماً في أسراب عراة، ليس لهم طعام إلا ما أحرقت الشمس إذا طلعت، فإذا توسطت السماء خرجوا من أسرابهم في طلب معاشهم مما أحرقت الشمس.

وبلغنا أنهم كانوا في مكانٍ لا يثبت عليه بنيان، فيقال: إنهم الزنج.
قال الحسن: كانوا إذا غربت الشمس خرجوا يتراعون كما يتراعى الوحش.
وقرأ الحسن، ومجاهد، وأبو مجليز، وأبو رجاء، وابنُ محيصن: «مطلع الشمس» بفتح اللام^(٢).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٠٩).

(٢) في الكامل (١/٥٩٣) عن الحسن، وابن محيصن، وحيد، وفي التحصيل (٤/٢١٦) عن ابن كثير وغيره.

قال ابنُ الأنباريِّ: ولا خلاف بين أهل العربيَّة في أنَّ المَطْلَع، والمَطْلَع كلاهما يعنى بهما المكان الذي تطلع منه الشَّمْسُ.

ويقولون: ما كان على فعل يفعل، فالمصدر واسم الموضع يأتيان على المفعول، كقولهم: المدخل، للدُّخول، والموضع الذي يدخل منه، إلَّا أحد عشر حرفًا جاءت مكسورة إذا أريد بها الموضع، وهي: المَطْلَع، والمسكن، والمنسك، والمشرق، والمغرب، والمسجد، والمنبت، والمجزر، والمفرق، والمسقط، والمهبل، الموضع الذي تضع فيه الناقة؛ وخمسة من هؤلاء الأحد عشر حرفًا سُمع فيهن الفتح والكسر: المَطْلَع، والمَطْلَع، والمنسك والمنسك، والمجزر، والمجزر، والمسكن، والمسكن، والمنبت، والمنبت؛ فقرأ الحسنُ على الأصل من احتمال المفعول الوجهين الموصوفين، [٥١٢/ب] وقرأه العامَّة على اختيار العربِ وما كثر على ألسنتها، وخصَّت الموضع بالكسر، وآثرت المصدر بالفتح.

قال أبو عمرو: المَطْلَع، بالكسر: الموضع الذي تطلع فيه؛ والمَطْلَع، بالفتح: الطُّلوع؛ قال ابنُ الأنباريِّ: هذا هو الأصل، ثمَّ إنَّ العربَ تتسع فتجعل الاسمَ نائبًا عن المصدر، فيقروون: «حتَّى مَطْلَعِ الفجرِ» [القدر: ٥] بالكسر وهم يعنون الطُّلوع؛ ويقرأ من قرأ «مَطْلَع» بالفتح على أنَّه موضع بمنزلة المدخل الذي هو اسمٌ للموضع الذي يدخل منه. قوله: ﴿كَذَلِكَ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: كما بلغ مغرب الشَّمْسِ بلغ مطلعها.

والثاني: اتَّبِعَ سببًا كما اتَّبِعَ سببًا.

والثالث: كما وجد أولئك عند مغربِ الشمسِ وحكم فيهم، كذلك وجد هؤلاء عند مطلعها وحكم فيهم.

والرابع: أنَّ المعنى: كذلك أمرهم كما قصصنا عليك؛ ثمَّ استأنف فقال: ﴿وَقَدْ أَحْطَيْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ بما عنده ومعه من الجيوش والعدد. وحكى أبو سليمان الدمشقي: ﴿بِمَا لَدَيْهِ﴾ أي: بما عند مطلع الشمس، وقد سبق معنى الخبر^(١).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أُنْبِئْ سَبِيًّا﴾ (١٢) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (١٣) قَالُوا يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ نَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (١٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (١٥) ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (١٦) فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَصْلَوْهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَقْبًا (١٧) قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (١٨) [الكهف: ٩٢-٩٨]. قوله: ﴿ثُمَّ أُنْبِئْ سَبِيًّا﴾ أي: طريقًا ثالثًا بين المشرق والمغرب ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَيْنِ﴾.

قال وهبُ بن منبّه: هما جبلان منيفان في السماء، من ورائهما البحر، من أمامهما البلدان، وهما بمنقطع أرضِ التُّركِ ممَّا يلي بلاد أرمينية^(٢). وروى عطاء الخراساني عن ابنِ عباسٍ قال: الجبلان من قبل أرمينية وأذربيجان^(٣).

(١) انظر: تفسير سورة الكهف الآية رقم (٦٨).

(٢) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٢٢٤).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/ ٣٨٦).

واختلف القراء في ﴿السَّيِّئِينَ﴾:

فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم بفتح السين.
وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، وحمزة، والكسائي بضمها^(١).
وهل المعنى واحد، أم لا؟ فيه قولان:
أحدها: أنه واحد.

قال ابن الأعرابي: كل ما قابلك فسداً ما وراءه، فهو سدٌّ، وسُدٌّ،
نحو: الضعف والضعف، والفقر والفقر^(٢).

قال الكسائي، وثعلب: السد والسد لغتان بمعنى واحد، وهذا
مذهب الزجاج.

والثاني: أنهما يختلفان.

وفي الفرق بينهما قولان:

أحدهما: أن ما هو من فعل الله تعالى فهو مضمومٌ، وما هو من
فعل الآدميين فهو مفتوحٌ، قاله ابن عباس، وعكرمة، وأبو عبيدة^(٣).

قال القراء: وعلى هذا رأيت المشيخة وأهل العلم من النحويين.
والثاني: أن السد، بفتح السين: الحاجز بين الشئين، والسد، بضمها:
الغشاوة في العين، قاله أبو عمرو بن العلاء.

قوله تعالى: ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا﴾ يعني: أمام السَّيِّئِينَ ﴿قَوْمًا لَا يَكَادُونَ
يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾.

(١) السبعة (ص: ٣٩٩)، والحجة (٥/ ١٧٠)، والتيسير (ص: ١٤٥)، والمبسوط (١/ ٢٨٣).

(٢) انظر: تهذيب اللغة (١٢/ ١٩٥).

(٣) انظر: مجاز القرآن (١/ ٤١٤).

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: ﴿يَفْقَهُونَ﴾ بفتح الياء، أي: لا يكادون يفهمونه.

قال ابن الأنباري: قال اللغويون: معناه أنهم يفهمون بعد إبطاء، وهو كقوله: ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١].

قال المفسرون: وإنما كانوا كذلك لأنهم لا يعرفون غير لغتهم. وقرأ حمزة، والكسائي: «يُفْقَهُونَ» بضم الياء، أراد: يُفْهِمُونُ غيرهم. [٥١٣/أ] وقيل: كلّم ذا القرنين عنهم مترجمون ترجموا^(١).

قوله: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ هما اسمان أعجميان، وقد همزهما عاصم^(٢). قال الليث: الهمز لغة رديئة.

قال ابن عباس: يأجوج رجل، ومأجوج رجل، وهما ابنا يافث بن نوح عليه السلام، يأجوج ومأجوج عشرة أجزاء، وولد آدم كلهم جزء، وهم شبر وشبران وثلاثة أشبار^(٣).

وقال عليّ عليه السلام: منهم من طوله شبر، ومنهم من هو مفرط في الطول، ولهم من الشعر ما يواريه من الحرّ والبرد. وقال الضحاك: هم جيل من الترك.

(١) انظر: السبعة (ص: ٣٩٩)، والحجة (٥/ ١٧٢)، والتيسير (ص: ١٤٥).

(٢) السبعة (ص: ٣٩٩)، والحجة (٥/ ١٧٢)، والتيسير (ص: ١٤٦).

(٣) رواه الحاكم في المستدرک (٤/ ٥٧٢) من طريق أبي الجوزاء، به بلفظ: «يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ شِبْرٌ وَشِبْرَيْنِ، وَثَلَاثَةُ، وَهُمْ مِنْ وَلَدِ آدَمَ».

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ٤٥٧) لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

وقال السُّدِّيُّ: التَّرْكُ سَرِيَّةٌ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ خَرَجْتَ تَغِيرَ،
فَجَاءَ ذُو الْقَرْنَيْنِ فَضْرَبَ السَّدَّ، فَبَقِيَتْ خَارِجَةٌ.

وروى شَقِيقٌ عَنْ حَذِيفَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ يَأْجُوجَ
وَمَأْجُوجَ، فَقَالَ: «يَأْجُوجُ أُمَّةٌ، وَمَأْجُوجُ أُمَّةٌ، كُلُّ أُمَّةٍ أَرْبَعُمِائَةِ أُمَّةٍ، لَا
يَمُوتُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى أَلْفِ ذَكَرٍ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ صَلْبِهِ، كُلُّ
وَاحِدٍ قَدْ حَمَلَ السَّلَاحَ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ قَالَ: «هُمْ ثَلَاثَةُ
أَصْنَافٍ: صِنْفٌ مِنْهُمْ أَمْثَالُ الْأَرْزِ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْأَرْزُ؟ قَالَ:
«شَجَرٌ بِالشَّامِ طُولُ الشَّجَرَةِ عِشْرُونَ وَمِائَةً ذِرَاعٍ فِي السَّمَاءِ، وَصِنْفٌ مِنْهُمْ
عَرْضُهُ وَطُولُهُ سَوَاءٌ عِشْرُونَ وَمِائَةً ذِرَاعٍ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَقُومُ لَهُمْ جَبَلٌ
وَلَا حَدِيدٌ، وَصِنْفٌ مِنْهُمْ يَفْتَرِشُ بِأُذُنِهِ، وَيَلْتَحِفُ بِالْأُخْرَى، لَا يَمُرُّونَ بِفِيلٍ
وَلَا وَخْشٍ وَلَا جَمَلٍ وَلَا خَنْزِيرٍ إِلَّا أَكَلُوهُ، وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ أَكَلُوهُ، مُقَدَّمَتُهُمْ
بِالشَّامِ، وَسَاقَتُهُمْ بِخُرَاسَانَ، يَشْرَبُونَ أَنْهَارَ الْمَشْرِقِ، وَبُحَيْرَةَ طَبْرِيقَةَ»^(١).

قوله: ﴿مُقِيدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ في هذا الفساد أربعة أقوال:

أحدها: أَنَّهُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ فَعْلَ قَوْمِ لُوطَ، قَالَ وَهْبُ بْنُ مَنْبِيَّ.

والثاني: أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْكُلُونَ النَّاسَ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ.

والثالث: يَخْرُجُونَ إِلَى الْأَرْضِ الَّذِينَ شَكُوا مِنْهُمْ أَيَّامَ الرَّبِيعِ، فَلَا يَدْعُونَ

شَيْئًا أَخْضَرَ إِلَّا أَكَلُوهُ، وَلَا يَابَسًا إِلَّا احْتَمَلُوهُ إِلَى أَرْضِهِمْ، قَالَ ابْنُ السَّائِبِ.

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٣٨٥٥)، والواحدي في الوسيط (١٦٦/٣) من طريق يحيى بن

سعيد العطار، عن محمد بن إسحاق، عن الأعمش، عن شقيق بن سلمة، به، بنحوه.

وهذا إسناد ضعيف؛ لضعف يحيى بن سعيد العطار، وفيه محمد بن إسحاق، وهو

مدلس، ولم يصرح بالتحديث.

والرابع: كانوا يقتلون النَّاسَ، قاله مُقَاتِلٌ^(١).

قوله: ﴿فَهَلْ تَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرو، وابنُ عامرٍ، وعاصمٌ: ﴿خَرْجًا﴾ بغير ألفٍ.

وقرأ حمزةٌ، والكسائيُّ: «خراجًا» بألفٍ^(٢).

وهل بينهما فرقٌ؟ فيه قولان:

أحدهما: أنَّهما لغتان بمعنى واحد، قاله أبو عبيدة، والليث.

والثاني: أنَّ الخرج: ما تبرَّعت به، والخراج: ما لزمك أدائه، قاله أبو عمرو بن العلاء.

قال المفسِّرون: المعنى: هل نخرجُ إليك من أموالنا شيئًا كالجعل لك؟

قوله: ﴿مَا مَكَّنِي﴾.

وقرأ ابنُ كثيرٍ: «مكنتي» بنونين، وكذلك هي في مصاحفٍ مكَّةَ^(٣).

قال الرَّجَّاجُ: مَنْ قرأ: ﴿مَكَّنِي﴾ بالتَّشْدِيدِ^(٤)، أدغم النُّونَ في النُّونِ

لاجتماع النُّونين، وَمَنْ قرأ: «مكنتي» أظهرَ النُّونين، لأنَّهما من كلمتين،

الأولى من الفعلِ، والثَّانية تدخل مع الاسمِ المضميرِ^(٥).

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٠١).

(٢) السبعة (ص: ٤٠٠)، والحجة (٥/ ١٧٤)، والمبسوط (١/ ٢٨٣-٢٨٤).

(٣) هي قراءة ابن كثير وحده: «ما مكنني»، وانظر: السبعة (ص: ٤٠٠)، والحجة

(٥/ ١٧٦)، والمبسوط (١/ ١٨٤).

(٤) في الأصل، و(ر): (بنونين بالتشديد)، والمثبت من (س).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١٠).

وفي الذي أراد بتمكينه منه قولان:

أحدهما: أنه العلم بالله؛ وطلب ثوابه.

والثاني: ما ملك من الدنيا، والمعنى: الذي أعطاني الله خير مما [٥١٣/ب]

تبدلون لي.

قوله: ﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ فيها قولان:

أحدهما: أنها الرجال، قاله مجاهدٌ، ومقاتل^(١).

والثاني: الآلة، قاله ابنُ السائب.

فأما الردمُ، فهو: الحاجزُ.

قال الزجاجُ: والردمُ في اللغة أكبر من السدِّ، لأنَّ الردمَ: ما جعل

بعضه على بعضٍ، يقال: ثوبٌ مردم: إذا كان قد رقع رقعة فوق رقعة^(٢).

قوله تعالى: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَقًّا﴾.

قرأ الجمهورُ: ﴿رَدْمًا﴾ ﴿آتُونِي﴾ أي: أعطوني.

وروى أبو بكرٍ عن عاصمٍ: «ردم» «إيتوني» بكسر التَّنوين، أي:

جيئوني بها^(٣).

قال ابنُ عباسٍ: احمِلوها إليَّ^(٤).

وقال مقاتلٌ: أعطوني^(٥).

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٠١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١١).

(٣) السبعة (ص: ٤٠٠)، والحجة (٥/ ١٧٤-١٧٥)، والمبسوط (١/ ٢٨٤).

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٦٧).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/ ٦٠١).

وقال الفراء: المعنى: إيتوني بها، فلما أقيت الياء زيدت ألف^(١).
فأما الزُّبْرُ، فهي: القطع، واحدها: زُبْرَةٌ؛ والمعنى: فأتوه بها فبناه.
﴿حَقَّ إِذَا سَاوَى﴾ روى أبان: «إذا سَوَى» بتشديد الواو من غير
ألف^(٢).

قال الفراء: ساوى وسَوَى سواء^(٣).
واختلف القراء في ﴿الصَّدْفَيْنِ﴾:
فقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: «الصَّدْفَيْنِ» بضم الصاد
والدَّالِ، وهي: لغة حمير.
وروى أبو بكرٍ والمفضل عن عاصم: «الصَّدْفَيْنِ» بضم الصاد
وتسكين الدَّالِ.
وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم، وخلف، بفتح
الصَّادِ والدَّالِ جميعاً، وهي لغة تميم، واختارها ثعلب^(٤).
وقرأ أبو مجلز، وأبو رجاء، وابن عمر: «الصَّدْفَيْنِ» بفتح الصَّادِ
ورفع الدَّالِ.
وقرأ أبو الجوزاء، وأبو عمران، والزُّهري، والجحدري برفع الصَّادِ

(١) معاني القرآن (٢/ ١٦٠).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٥)، عن قتادة، وأبان عن عاصم، وعن قتادة في المحرر
(٤٠٦/ ٩)، والكامل (١/ ٥٩٤).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٦٠).

(٤) السبعة (ص: ٤٠١)، والحجة (٥/ ١٧٧)، والتيسير (ص: ١٤٦).

وفتح الدال^(١).

قال ابن الأنباري: ويقال: صَدَفَ، على مثال تُغَر، وكل هذه لغات في الكلمة.

قال أبو عبيدة: الصَّدْفان: جنبَا الجبل^(٢).

قال الأزهرى: يقال لجانبي الجبل: صدفان، إذا تحاذيا، لتصادفهما، أي: لتلاقيهما^(٣).

قال المفسرون: حشا ما بين الجبلين بالحديد، ونسج بين طبقات الحديد الخطب والفحم، ووضع عليها المناfix، ثم ﴿قَالَ أَنْفُخُوا﴾ فنفخوا ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ﴾ يعني: الحديد، وقيل: الهاء ترجع إلى ما بين الصدفين ﴿نَارًا﴾ أي: كالنار، لأن الحديد إذا أحمى بالفحم والمناfix صار كالنار، ﴿قَالَ ءَاتُونِي﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي: «آتوني» ممدودة؛ والمعنى: أعطوني.

وقرأ حمزة، وأبو بكر عن عاصم: «إيتوني» مقصورة؛ والمعنى: جيئوني به أفرغه عليه^(٤).

وفي القطر أربعة أقوال:

(١) المحتسب (٢/ ٣٤)، والمحرو (٣/ ٥٤٣)، والبحر المحيط (٧/ ٢٢٧).

(٢) مجاز القرآن (١/ ٤١٤).

(٣) تهذيب اللغة (١٢/ ١٠٤).

(٤) تقدم قريباً.

أحدها: أَنَّهُ النَّحَّاسُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمَجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالْفَرَّاءُ، وَالزَّجَّاجُ^(١).

والثاني: أَنَّهُ الْحَدِيدُ الذَّائِبُ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ^(٢).

والثالث: الصُّفْرُ الْمَذَابُ، قَالَ مُقَاتِلٌ^(٣).

والرابع: الرَّصَاصُ، حَكَاهُ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ.

قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: أَذَابَ الْقَطْرُ ثُمَّ صَبَّ عَلَيْهِ، فَاخْتَلَطَ وَالتَّصَقَّ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ حَتَّى صَارَ جِبَالًا صَلْدًا مِنْ حَدِيدٍ وَقَطِيرٍ.

قَالَ قَتَادَةُ: فَهُوَ كَالْبُرْدِ الْمُحَبَّرِ، طَرِيقَةُ سُودَاءَ وَطَرِيقَةُ حَمْرَاءَ^(٤).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا﴾ أَصْلُهُ: فَمَا اسْتَطَاعُوا، فَلَمَّا كَانَتْ التَّاءُ وَالطَّاءُ مِنْ مَخْرَجٍ وَاحِدٍ أَحْبَبُوا التَّخْفِيفَ فَحَذَفُوا.

قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: إِنَّمَا تَقُولُ الْعَرَبُ: اسْطَاعَ، تَخْفِيفًا، كَمَا قَالُوا: سَوْفَ يَقُومُ، وَسَيَقُومُ، فَاسْقَطُوا الْفَاءَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ أَيُّ: يَعْלוهُ، يُقَالُ: ظَهَرَ فَلَانٌ فَوْقَ الْبَيْتِ:

[٥١٤/أ] إِذَا عُلَاهُ، وَالْمَعْنَى: مَا قَدَرُوا أَنْ يَعْلوهُ لِارْتِفَاعِهِ وَإِمْلَاسِهِ ﴿وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُ نَقَبًا﴾ مِنْ أَسْفَلِهِ لَشِدَّتِهِ وَصَلَابَتِهِ.

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ

لَيَخْفِرُونَ السَّدَّ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرَوْنَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/٣١١).

(٢) مجاز القرآن (١/٤١٥).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٦٠٢).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/٤٠٤) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

عَلَيْهِمْ: اَرْجِعُوا فَسْتَخْفِرُونَهُ غَدًا، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ فَيَرُونَهُ كَأَشَدَّ مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغْتَ مَدَّتْهُمْ، وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ، حَفَرُوا، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرُونَ شُعَاعَ الشَّمْسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: اَرْجِعُوا فَسْتَخْفِرُونَهُ غَدًا، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَسْتَنْبِي، فَيَعُودُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَخْفِرُونَهُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ، وذكر باقي الحديث^(١)، وقد ذكرت هذا الحديث بطوله وأشباهه في كتاب الحقائق، فكرهت التّطويل هاهنا.

قوله: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ لما فرغ ذو القرنين من بنيانه قال هذا.

وفيا أشار إليه قولان:

أحدهما: أَنَّهُ الرَّدُّ، قاله مقاتل^(٢)؛ قال: فالمعنى: هذا نعمة من ربّي على المسلمين لئلا يخرجوا إليهم.

والثاني: أَنَّهُ التَّمَكِينُ الَّذِي أدرك به عمل السّدِّ، قاله الزّجاج^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَذَرَنِي﴾ فيه قولان:

أحدهما: القيامة.

والثاني: وعده لخروج يأجوج ومأجوج.

قوله تعالى: ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «دكّا» منونا غير مهموز ولا ممدود.

(١) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٥١٠)، والترمذي (٣١٥٣)، وابن ماجه (٤٠٨٠)، وأبو يعلى في مسنده (٦٤٣٦)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٣٩٨/ ١٥)، وإسناده صحيح.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٠٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١٢).

وقرأ عاصمٌ، وحزرةٌ، والكسائيُّ: ﴿دَكَّاءٌ﴾ ممدودةٌ مهموزةٌ بلا تنوين^(١).

وقد شرحنا معنى الكلمة في الأعراف^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ أي: الثواب والعقاب.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَمَجَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾^(٣)

وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩-١٠٠].

قوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ في المشار إليهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أَنَّهُمْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ.

ثمَّ في المراد بـ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ قولان: أحدهما: أَنَّهُ يَوْمُ انْقِضَى أَمْرُ السِّدِّ،

تُرِكُوا يَمُوجُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ مِنْ وَرَائِهِ مَخْلُطِينَ لِكَثْرَتِهِمْ؛ وَقِيلَ: مَا جَاوَا

مَتَعَجِّبِينَ مِنَ السِّدِّ، وَالثَّانِي: أَنَّهُ يَوْمُ يَخْرُجُونَ مِنَ السِّدِّ تَرَكَوا يَمُوجُ

بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُمُ الْكَفَّارُ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّهُمْ جَمِيعُ الْخَلَائِقِ: الْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوجُونَ حِيَارَى.

فَعَلَى هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ، الْمَرَادُ بِالْيَوْمِ الْمَذْكُورِ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ هذه نفخةُ البعثِ.

وقد شرحنا معنى الصُّورِ في الأنعام^(٣).

(١) السبعة (ص: ٢٩٣)، والحجة (٥/ ١٨٢)، والتيسير (ص: ١٤٦).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٤٣).

(٣) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٧٣).

قوله: ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ﴾ أي: أظهرناها لهم حتى شاهدوها.

قوله: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ يعني: أعين قلوبهم ﴿فِي غِطَاءٍ﴾ أي: في غفلة ﴿عَنْ ذِكْرِي﴾ أي: عن توحيدى والإيمان بي وبكتابى ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ هذا لعداوتهم وعنادهم وكرهاتهم ما يندرون به، كما تقول لمن يكره قولك: ما تقدر أن تسمع كلامي.

قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِ أَوْلِيَاءِ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٢].

قوله: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أظنّ المشركون ﴿أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾ في هؤلاء العباد ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّهم الشياطين، قاله ابن عباس.
والثاني: الأصنام، قاله مقاتل^(١).

والثالث: الملائكة والمسيح وعزير وسائر المعبودات من دونه، قاله أبو سليمان الدمشقي.

[٥١٤/ب]

قوله: ﴿مِنْ دُونِ﴾:

فتح هذه الباء نافع، وأبو عمرو^(٢).

وجواب الاستفهام في هذه الآية محذوف، وفي تقديره قولان:

أحدهما: أفحسبوا أن يتخذوهم أولياء، كلاب لهم أعداء لهم يتبرؤن منهم.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٠٤).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٤٠٢)، والتيسير (ص: ١٤٧).

والثاني: أن يتخذوهم أولياء ولا أغضب ولا أعاقبهم.
 وروى أبان عن عاصم، وزيد عن يعقوب: «أفحسب» بتسكين
 السين وضَمِّ الباء، وهي قراءة عليّ عليه السلام، وابن عباس، وسعيد بن
 جبير، ومجاهد، وعكرمة، وابن عمر، وابن محيصين^(١)؛ ومعناها: أفيكفهم
 أن يتخذوهم أولياء؟
 فأما النزل ففيه قولان:

أحدهما: أنه ما يهين للضيف والعسكر، قاله ابن قتيبة^(٢).
 والثاني: أنه المنزل، قاله الزجاج^(٣).

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ
 فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٠٥﴾ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا
 ﴿١٠٦﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٦].

قوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ فيهم قولان:
 أحدهما: أنهم القسيسون والرهبان، قاله عليّ عليه السلام، والضحاك.
 والثاني: اليهود والنصارى، قاله سعد بن أبي وقاص.
 قوله: ﴿أَعْمَالًا﴾ منصوب على التمييز، لأنه لما قال: بالأخسرين كان
 ذلك مبهمًا لا يدلُّ على ما خسروه، فبيِّن ذلك في أي نوع وقع.

(١) انظر: الكامل (ص: ٥٩٤)، والمبسوط (١/ ٢٨٥).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧١).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١٤).

قوله: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ أي: بطل عملهم واجتهادهم في الدنيا، وهم يظنون أنهم محسنون بأفعالهم، فرؤسائهم يعلمون الصحيح، ويؤثرون الباطل لبقاء رئاستهم، وأتباعهم مقلدون بغير دليل.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ جحدوا دلائل توحيده، وكفروا بالبعث والجزاء، وذلك أنهم بكفروهم برسول الله ﷺ والقرآن صاروا كافرين بهذه الأشياء ﴿فَخَطَّتْ أَعْمَلُهُمْ﴾ أي: بطل اجتهدهم، لأنه خلا عن الإيمان ﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾.

وقرأ ابن مسعود، والجحدري: «فلا يقيم» بالياء^(١).

وفي معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه إنما يثقل الميزان بالطاعة، وإنما توزن الحسنات والسَّيِّئَاتُ، والكافر لا طاعة له.

والثاني: أن المعنى: لا نقيم لهم قدرًا.

قال ابن الأعرابي في تفسير هذه الآية: يقال: ما لفلان عندنا وزن، أي: قدر، لحسنه.

فالمعنى: أنهم لا يعتد بهم، ولا يكون لهم عند الله قدر ولا منزلة.

وقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَأُوا: ﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾»^(٢).

(١) عن عبيد بن عمير في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٥)، والبحر المحيط (٧/ ٢٣١) وزاد مجاهدًا.

(٢) متفق عليه: البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

والثالث: أنه قال: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ﴾ لأنَّ الوزنَ عليهم لا لهم، ذكره ابنُ الأنباريِّ. قوله: ﴿ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ﴾ أي: الأمرُ ذلك الذي ذكرت من بطلان عملهم وخسَّة قدرهم، ثمَّ ابتداءً فقال: ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ﴾، وقيل: المعنى: ذلك التَّصْغِيرُ لهم، وجزاؤهم جهنَّم، فأضمرت واو الحال. قوله: ﴿يَمَّا كَفَرُوا﴾ أي: بكفرهم واتخاذهم ﴿ءَايَاتِي﴾ التي أنزلتها ﴿وَرُسُلِي هُرُوءًا﴾ أي: مهزوءًا به.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۖ (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨]. قوله: ﴿كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾.

[٥١٥/أ] قال ابنُ الأنباريِّ: كانت لهم في علم الله قبل أن يُخلَقوا.

وروى البخاريُّ ومسلمٌ في الصَّحِيحَيْنِ من حديثِ أبي موسى عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ أَرْبَعُ: ثِنْتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، حَلِيتُهُمَا وَأَيْتُهُمَا، وَثِنْتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، حَلِيتُهُمَا وَأَيْتُهُمَا، وَلَيْسَ بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبَرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ»^(١).

وروى عبادةُ بنُ الصَّامِتِ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «الْجَنَّةُ مِائَةُ دَرَجَةٍ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا، وَمِنْهَا تَفْجَرُ الْأَنْهَارُ الْأَرْبَعَةُ، وَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ»^(٢).

(١) متفق عليه: البخاري (٧٤٤٤)، ومسلم (١٨٠)، وقد ساقه المؤلف بالمعنى، ولفظه: «جَنَّاتٍ مِنْ فِضَّةٍ أَيْتُهُمَا، وَمَا فِيهِنَّ، وَجَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ أَيْتُهُمَا، وَمَا فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِذَاءُ الْكِبَرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ».

(٢) رواه أحمد (٣٧/٣٦٩)، والترمذي (٢٥٣١)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٤٣٢/١٥)، =

قال أبو أمامة: الفردوسُ سرّة الجنّة^(١).
 قال مجاهد: الفردوسُ: البستانُ بالرومية^(٢).
 وقال كعب^(٣)، والضّحّاك: جنّاتُ الفردوسِ: جنّاتُ الأُغابِ.
 قال الكلبي، والقرّاء: الفردوسُ: البستانُ الذي فيه الكرم^(٤).
 وقال المبرّد: الفردوسُ فيما سمعت من كلام العرب: الشجرُ الملتفُّ،
 والأغلب عليه العنب.
 وقال ثعلب: كلُّ بستانٍ يحوط عليه فهو فردوسٌ، قال عبد الله بن رُوَاحَة^(٥):
 فِي جَنَانِ الْفِرْدَوْسِ لَيْسَ يَخَافُونَ خُرُوجًا عَنْهَا وَلَا تَحْوِيلًا
 وقرأت على شيخنا أبي منصور اللّغوي قال: قال الرّجّاج: الفردوسُ
 أصله روميٌّ أعرب، وهو البستانُ، كذلك جاء في التفسير، وقد قيل:
 الفردوس تعرفه العرب، وتسمّي الموضع الذي فيه كرم: فردوسًا.
 وقال أهل اللّغة: الفردوسُ مذكّرٌ، وإنّما أُثبت في قوله تعالى: ﴿يَرِثُونَ
 الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١١] لأنّه عني به الجنّة.

= والشاشي في مسنده (١٢٣٨)، والحاكم في المستدرک (١ / ٨٠)، والبيهقي في البعث والنشور
 (٢٢٦).

- (١) رواه مجاهد في تفسيره (١ / ٤٥١)، وابن جرير الطبري (١٥ / ٤٣١).
- (٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥ / ٤٣٢) من طريق عبد الله بن كثير، به.
- (٣) رواه عبد الرزاق في المصنف (٣٤١١١)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٥ / ٤٣٢) من طريق عبد الله بن الحارث، به.
- (٤) معاني القرآن (٢ / ٢٣١).
- (٥) البيت في الزاهر (١ / ٥٠٣)، والمذكر والمؤنث (١ / ٤٩٩).

وقال الزَّجَّاجُ: وقيل: الفردوسُ: الأوديةُ التي تنبتُ ضروباً من النَّبَتِ، وقيل: هو بالرومية منقولٌ إلى لفظ العربيَّة، قال: والفردوسُ أيضاً بالسَّريانيَّة كذا اللفظه: فردوس، قال: ولم نجده في أشعار العرب إلا في شعر حسان، وحقيقته أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين، لأنه عند أهل كل لغة كذلك، وبيت حسان: [من الطويل] ^(١)

وَإِنَّ ثَوَابَ اللَّهِ كُلَّ مُوَحِّدٍ جَنَّاتٍ مِنَ الْفِرْدَوْسِ فِيهَا يُخَلَّدُونَ
وقال ابنُ الكلبيِّ بإسناده: الفردوس: البُستانُ بلغة الرُّوم، وقال الفراءُ: وهو عربيٌّ أيضاً، والعربُ تسمي البُستان الذي فيه الكرمُ فردوساً ^(٢).

وقال السُّدِّيُّ: الفردوسُ أصله بالنبطيَّة فرداسا ^(٣).

وقال عبدُ الله بنُ الحارث: الفردوس: الأعناب ^(٤).

وقد شرحنا معنى قوله: ﴿نُزُلًا﴾ أنفاً ^(٥).

قوله: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: لا يريدون عنها تحولاً، يقال: قد حال من مكانه حولاً، كما قالوا في المصادر: صغرُ صغراً، وعظمُ عظماً، وعادني حبُّها عوداً؛ قال: وقد قيل أيضاً: إنَّ الحول: الحيلة، فيكون المعنى: لا يَحْتَالُونَ منزلاً غيرها ^(٦).

(١) البيت لحسان في ديوانه (ص: ٣٣٩)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١٥)، والظاهر (١/ ٥٠٣)، وتهذيب اللغة (١٣/ ١٠٤)، ولسان العرب (٦/ ١٦٤).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٢٣١).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٠٠٩).

(٤) انظر: المعرب (ص: ٤٧٠).

(٥) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١٩٨).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣١٥).

فإن قيل: قد علم أن الجنة كثيرة الخير، فما وجه مدحها بأنهم لا يبغيون عنها حولا؟

فالجواب: أن الإنسان قد يجد في الدار الأنيقة معنى لا يوافقه، فيحب أن ينتقل إلى دار أخرى، وقد يمل، والجنة على خلاف ذلك. [٥١٥/ب]

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلَمَتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

قوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَكَلَمَتِ رَبِّي﴾.

سبب نزولها: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] قالت اليهود: كيف وقد أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء؟ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس^(١).

ومعنى الآية: لو كان ماء البحر مدادا يكتب به.

قال مجاهد: والمعنى: لو كان البحر مدادا للقلم، والقلم يكتب^(٢).

قال ابن الأنباري: سمي المداد مدادا لإمداده الكاتب، وأصله من الزيادة ومجيء الشيء بعد الشيء.

وقرأ الحسن، والأعمش: «مدداً لكلمات ربِّي» بغير ألف^(٣).

(١) رواه أحمد في المسند (٤/ ١٥٥)، والترمذي (٣١٤٠)، والنسائي (١١٢٥٢)، وأبو يعلى في مسنده (٢٥٠٥)، والحاكم في المستدرک (٢/ ٥٧٩)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: تفسير مجاهد (١/ ٤٥٢).

(٣) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٥٤٧)، والبحر المحیط (٨/ ٤٢١).

قوله: ﴿قَبْلَ أَنْ نَنْفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرو، وعاصمٌ: ﴿نَنْفَذَ﴾ بالتَّاءِ.

وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةٌ، والكسائيُّ: «ينفذ» بالياء^(١).

قال أبو علي: التَّائِيثُ أحسنُ، لأنَّ المسندَ إليه الفعل مؤنَّثٌ، والتَّذْكِيرُ حسنٌ، لأنَّ التَّائِيثَ ليس بحقيقي، وإنَّما لم تنفذ كلمات الله، لأنَّ كلامه صفة من صفات ذاته، ولا يتطرق على صفاته النفاذُ^(٢) ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾ أي: بمثل البحرِ ﴿مَدَدًا﴾ أي: زيادة؛ والمدد: كل شيء زاد في شيء^(٣). فإن قيل: لم قال في أوَّل الآية: مداداً وفي آخرها: مدداً وكلاهما بمعنى واحد، واشتقاقهما غير مختلف؟

فقد أجاب عنه ابنُ الأنباريِّ فقال: لما كان الثاني آخر آية، وأواخر الآيات هاهنا أتت على الفعل، والفعل، كقوله: نُزِّلَا هُزُّوَا حَوْلَا كان قوله: مدداً أشبه بهؤلاء الألفاظ من المدادِ، واتَّفَاقِ المقاطع عند أواخر الآي، وانقضاء الأبيات، وتَمَامِ السَّجْعِ والنَّشْرِ أخفُّ على الألسنِ، وأحلى موقعاً في الأسجاعِ، فاختلفت اللَّفْظَتَانِ لهذه العِلَّةِ.

وقد قرأ ابنُ عَبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، ومجاهدٌ، وأبو رجاء، وقتادةٌ، وابنُ مُحَيِّصٍ: «ولو جئنا بمثله مداداً» فحملوها على الأولى، ولم ينظروا إلى المقاطع.

وقراءة الأولين أبينُ حجةً، وأوضح منهاجاً.

(١) السبعة (ص: ٤٠٢)، والحجة (٥/ ١٨٣)، والمبسوط (ص: ٢٨٥).

(٢) في الأصل، و(ر): (النفاذ)، والمثبت من بقية (م)، و(س).

(٣) الحجة (٥/ ١٨٣).

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.

قال ابن عباس: علم الله تعالى رسوله التواضع لئلا يزهى على خلقه، فأمره أن يقر على نفسه بأنه آدمي كغيره، إلا أنه أكرم بالوحي^(١).
قوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾.

سبب نزولها: أن جندب بن زهير الغامدي قال لرسول الله ﷺ:
إني أعمل العمل فإذا أطلع عليه سرني، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَلَا يَقْبَلُ مَا رُوِيَ فِيهِ»، فنزلت فيه هذه الآية،
قاله ابن عباس^(٢).

وقال طاووس: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أحب الجهاد وأحب أن يرى مكاني، فنزلت هذه الآية^(٣).

(١) أورده الواحدي في الوسيط (١٧٢/٣).

(٢) أورده الواحدي في أسباب النزول (٢٩٩/١) بلا إسناد عن ابن عباس، ورواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٥٨٠/٢) من طريق محمد بن السائب عن أبي صالح، عن ابن عباس، قَالَ: كَانَ جُنْدُبُ بْنُ زُهَيْرٍ إِذَا صَلَّى، أَوْ صَامَ أَوْ تَصَدَّقَ، فَذَكَرَ بِخَيْرِ أَرْزَاحٍ، فَزَادَ فِي ذَلِكَ لِقَاءَ النَّاسِ، فَلَا يُرِيدُ بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَتَنَزَّلَ فِي ذَلِكَ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٤٧/٢)، ومن طريقه ابن جرير الطبري (٤٤٠/١٥)، والحاكم في المستدرک (٣٦٦/٤) من طريق عبد الكريم الجزري، عن طاووس مرسلاً. ورواه الحاكم في المستدرک (١٢٢/٢)، ومن طريقه البيهقي في الشعب (٦٤٣٨) بذكر ابن عباس.

وقال مجاهدٌ: جاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: إني أتصدقُ، وأصل الرّحم، ولا أصنع ذلك إلاّ الله تعالى، فيذكر ذلك منّي وأحمد عليه فيسرّني ذلك وأعجب به، فسكت رسولُ الله ﷺ، فنزلت هذه الآية^(١).

وفي قوله: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا﴾ قولان:

أحدهما: يخاف، قاله ابنُ قُتَيْبَةَ^(٢). [٥١٦/أ]

والثاني: يأمل، وهو اختيار الزّجاج^(٣).

وقال ابنُ الأنباريّ: المعنى: فمن كان يرجو لقاء ثواب ربّه.

قال المفسّرون: وذلك يوم البعث والجزاء.

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ لا يراني به ﴿وَلَا يَتْرِكْ بَعَادَةَ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

قال سعيدُ بنُ جبير: لا يراني^(٤).

قال معاويةُ بنُ أبي سفيان: هذه آخرُ آية نزلت من القرآن^(٥).

(١) رواه هناد في الزهد (٤٣٥ / ٢) عن مجاهد مرسلًا، بلفظ قريب.

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧١).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٣١٦).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٤٠ / ١٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٤٣٩).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٤١ / ١٥) من طريق عمرو بن قيس الكندي، به،

بنحوه.

سورة مريم

وهي مكيّة بإجماعهم من غير خلافٍ علمناه.
وقال مقاتلٌ: هي مكيّة غير سجّدتها، فإنّها مدنيّة^(١).
وقال هبة الله المفسّر^(٢): هي مكيّة غير آيتين منها، قوله: ﴿خَلَفَ مِنْ
بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ والتي تليها [مريم: ٦٠-٥٩]^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كَهَيَّعَ ١﴾ ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُهُ، زَكَرِيَّا ٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ،
نِدَاءً خَفِيًّا ٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ
بِدُعَايِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا
فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٦﴾
[مريم: ١-٦].

قوله تعالى: ﴿كَهَيَّعَ﴾.

قرأ ابنُ كثير: «كهَيَّعَ ذكر» بفتح الهاء والياء، وتبيين الدال التي
في هجاء صاد.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٦١٩/٢).

(٢) هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي أبو القاسم البغدادي الضرير المفسر صاحب
الناسخ والمنسوخ، إمام حافظ، قال الداني: كان أحفظ أهل زمانه لتفسير القرآن
واختلاف السلف فيه، توفي ببغداد سنة (٤١٠هـ)، وانظر ترجمته: غاية النهاية
(٣٥١/٢)، وطبقات المفسرين (٣٤٨/٢).

(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ (ص: ١١٨).

وقرأ أبو عمرو: «كهَيْعَص» بكسرِ الهاءِ وفتحِ الياءِ ويدغم الدَّالُ في الدَّالِ.
 وكان نافعٌ يلفظ بالهاءِ والياءِ بين الكسرِ والفتحِ، ولا يدغم الدَّالُ
 التي في هجاءِ صادٍ في الدَّالِ من «ذكر».

وقرأ أبو بكرٍ عن عاصمٍ، والكسائيُّ، بكسرِ الهاءِ والياءِ، إلَّا أنَّ
 الكسائيَّ لا يبين الدَّالَ، وعاصمٌ يبينها.

وقرأ ابنُ عامرٍ، وحمزةٌ، بفتحِ الهاءِ وكسرِ الياءِ ويدغمان^(١).

وقرأ أبيُّ بنُ كعبٍ: «كهُيَعَص» برفعِ الهاءِ وفتحِ الياءِ^(٢).

وقد ذكرنا في أوَّلِ البقرة ما يشتمل على بيانِ هذا الجنسِ، وقد
 خصَّ المفسِّرون هذه الحروف المذكورة هاهنا بأربعة أقوالٍ:
 أحدها: أنَّها حروفٌ من أسماءِ الله تعالى، قاله الأكرثون.

ثم اختلف هؤلاء في الكاف من أي اسم هو، على أربعة أقوالٍ:
 أحدها: أنَّه من اسمِ الله الكبير.

والثاني: من الكريم.

والثالث: من الكافي، روى هذه الأقوال الثلاثة سعيدُ بنُ جبيرٍ،
 عن ابنِ عباسٍ.

والرابع: أنَّه من الملك، قاله محمدُ بنُ كعبٍ.

فأمَّا الهاءُ، فكلُّهم قالوا: هي من اسمِ الهادي، إلَّا القرظي فإنَّه
 قال: من اسمِ الله.

(١) انظر: السبعة (ص: ٤٠٦)، والحجة (٥/ ١٨٤)، والتيسير (ص: ١٤٧).

(٢) وعن الحسن في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦).

وَأَمَّا الْيَاءُ، ففيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أَنَّها من حكيم.

والثاني: من رحيم.

والثالث: من أمين، روى هذه الأقوال الثلاثة سعيدُ بنُ جبير، عن

ابنِ عَبَّاسٍ.

فَأَمَّا الْعَيْنُ ففيها أربعة أقوال:

أحدها: أَنَّها من عليم.

والثاني: من عالم.

والثالث: من عزيز، رواها أيضًا سعيدُ بنُ جبير، عن ابنِ عَبَّاسٍ.

والرابع: أَنَّها من عدلٍ، قاله الضَّحَّاكُ.

وَأَمَّا الصَّادُ، ففيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أَنَّها من صادق.

والثاني: من صدوق، رواهما سعيدُ بنُ جبير أيضًا عن ابنِ عَبَّاسٍ.

والثالث: من الصَّمَد، قاله مُحَمَّدُ بنُ كَعْبٍ.

والقول الثاني: أَنَّ «كهيعص» قسم أقسم الله به، وهو من أسمائه،

رواه عليُّ بنُ أبي طلحة عن ابنِ عَبَّاسٍ.

وروي عن عليٍّ عليه السلام أَنَّهُ قال: هو اسمٌ من أسماءِ الله تعالى، وروي

عنه أَنَّهُ كان يقول: يا كهيعص اغفر لي^(١).

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٥١ / ١٥) من طريق أبي بكر الهذلي، عن عاتكة،

عن فاطمة ابنة علي به.

قال الزَّجَّاجُ: والقسمُ بهذا والدُّعاءُ لا يدلُّ على أنَّه اسمٌ واحد، لأنَّ الدَّاعي إذا علم أنَّ الدَّعاءَ بهذه الحروفِ يدلُّ على صفاتِ الله فدعا بها، فكأنَّه قال: يا كافي، يا هادي، يا عالم، يا صادق، وإذا أقسم بها، فكأنَّه [٥١٦/ب] قال: والكافي الهادي العالم الصادق، وأسكنت هذه الحروفُ لأنَّها حروفُ تهجٍّ، النيةُ فيها الوقفُ^(١).

والثالث: أنَّه اسمٌ للسورة، قاله الحسنُ ومجاهدٌ.

والرابع: اسمٌ من أسماءِ القرآن، قاله قتادةٌ.

فإن قيل: لم قالوا: هايا، ولم يقولوا في الكاف: كا، وفي العين: عا، وفي الصاد: صا، لتتفق المباني كما اتَّفقت العللُ؟

فقد أجاب عنه ابنُ الأنباريِّ فقال: حروفُ المعجمِ التسعة والعشرون تجري مجرى الرِّسالة والخطبة، فيستقبحون فيها اتِّفاق الألفاظِ واستواء الأوزان، كما يستقبحون ذلك في خطبهم ورسائلهم، فيغيرون بعضَ الكلم ليختلف الوزن وتغيَّر المباني، فيكون ذلك أعذب على الألسن وأحلى في الأسماع.

قوله تعالى: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: الذكرُ مرفوعٌ بالمضمر، المعنى: هذا الذي نتلو عليك: ذكر رحمة ربِّك عبده^(٢).

قال الفَرَّاءُ: وفي الكلامِ تقديمٌ وتأخيرٌ؛ المعنى: ذكر ربك عبده

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/٣١٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣١٨).

بِالرَّحْمَةِ، وَزَكَرِيَّا فِي مَوْضِعٍ نَّصَبٍ^(١).

قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ النداء هاهنا بمعنى الدعاء.

وفي علة إخفائه لذلك ثلاثة أقوال:

أحدها: ليبعد عن الرياء، قاله ابن جريج.

والثاني: لئلا يقول الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يسأل الولد على

الكبر، قاله مقاتل^(٢).

والثالث: لئلا يعاديه بنو عمّه، ويظنّوا أنّه كره أن يلوا مكانه بعده،

ذكره أبو سليمان الدمشقي.

وهذه القصّة تدلّ على أنّ المستحب إسرار الدعاء، ومنه الحديث:

«إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ»^(٣).

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾.

وقرأ معاذ القاري، والضّحّاك: «وَهْنٌ» بضمّ الهاء، أي: ضعف^(٤).

قال الفراء: وغيره: وَهَنَ الْعَظْمُ، وَوَهِنَ، بفتح الهاء وكسرها؛

والمستقبل على الحالين كليهما: يَهْنُ^(٥).

(١) معاني القرآن (٢/ ١٦١).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٢٠).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٩٢)، ومسلم (٢٧٠٤) من حديث أبي موسى الأشعري قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْزِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ».

(٤) عن بعضهم في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦).

(٥) لغات القرآن (ص: ٨٩).

وأراد أن قوة عظامه قد ذهبت لكبره؛ وإنما خصَّ العظم، لأنه الأصل في التركيب.

وقال قتادة: شكا ذهاب أضراسه^(١).

قوله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ يعني: انتشر الشيب فيه، كما ينتشر شعاع النار في الحطب، وهذا من أحسن الاستعارات. ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ﴾ أي: بدعائي إياك ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ أي: لم أكن أتعب بالدعاء ثم أخيب، لأنك قد عودتني الإجابة؛ يقال: شقي فلان بكذا، إذا تعب بسببه، ولم ينل مراده.

قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ يعني: الذين يلونه في النسب وهم بنو العم والعصبة ﴿مِنْ وَرَائِي﴾ أي: من بعد موتي. وفي ما خافهم عليه قولان:

أحدهما: أنه خاف أن يرثوه، قاله ابن عباس، فإن اعترض عليه معترض، فقال: كيف يجوز لنبي أن يتفلس على قراباته بالحقوق المفروضة لهم بعد موته؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنه لما كان نبياً، والنبي لا يورث، خاف أن يرثوا ماله فيأخذوا ما لا يجوز لهم.

والثاني: أنه غلب عليه طبع البشر، فأحب أن يتولى ماله ولده، ذكرهما ابن الأنباري.

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٥).

قلت: وبيان هذا أنه لا بد أن يتولّى ماله وإن لم يكن ميراثاً، فأحبّ أن يتولّاه ولده.

والقول الثاني: أنه خاف تضييعهم للدين ونبذهم إيّاه، ذكره جماعة [٥١٧/أ] من المفسّرين.

وقرأ عثمان، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمرو، وابن جبير، ومجاهد، وابن أبي شريح عن الكسائي: «خَفَّتْ» بفتح الخاء وتشديد الفاء^(١)؛ على معنى قلت، فعلى هذا يكون إنشأ خاف على علمه ونبوّته ألا يورثا فيموت العلم.

وأسكن ابن شهاب الزهريّ ياء «الموالي»^(٢).

قوله تعالى: ﴿مِنْ وَرَاءِ﴾ أسكن الجمهور هذه الياء، وفتحها ابن كثير في رواية قبل، وروى عنه شبل: «وراي» مثل عصاي^(٣). قوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ أي: من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ أي: ولداً صالحاً يتولّاني.

قوله تعالى: ﴿يَرْثِي وَيَرْثُ مِنْ آلٍ يَعْقُوبُ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر، وحمزة: «يرثني»، و«يرث» برفعهما.

(١) عن عثمان، ومحمد بن علي، وعلي بن الحسن رضي الله عنهم في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦)، وعن زيد بن ثابت، وابن عباس في التحصيل (٤ / ٢٤٨)، وفي المحتسب (٣٧ / ٢) زاد ابن يعمر وشبل.

(٢) في الكامل (ص: ٥٩٥) عن الوليد بن مسلم، وابن مقسم.

(٣) انظر: السبعة (ص: ٤٠٧)، والحجة (٥ / ١٨٦)، والمبسوط (١ / ٢٩١).



وقرا أبو عمرو، والكسائي: «يرثني»، و«يرث» بالجزم فيهما^(١).
قال أبو عبيدة: مَنْ قرأ بالرفع، فهو على الصفة للولي؛ فالمعنى:
هب لي ولياً وارثاً، ومن جزم، فعلى الشرط والجزاء، كقولك: إن وهبته
لي ورثني^(٢).

وفي المراد بهذا الميرث أربعة أقوال:
أحدها: يرثني مالي، ويرث من آل يعقوب النبوة، رواه عكرمة عن
ابن عباس، وبه قال أبو صالح.
والثاني: يرثني العلم، ويرث من آل يعقوب الملك، فأجابه الله تعالى
إلى وراثة العلم دون الملك، وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً.
والثالث: يرثني نبوتي وعلمي، ويرث من آل يعقوب النبوة أيضاً،
قاله الحسن.

والرابع: يرثني النبوة ويرث من آل يعقوب الأخلاق، قاله عطاء.
قال مجاهد: كان زكريا من ذرية يعقوب^(٣).
وزعم الكلبي أن آل يعقوب كانوا أخواله، وأنه ليس بيعقوب أبي يوسف.
وقال مقاتل: هو يعقوب بن ماثان، وكان يعقوب هذا وعمران -
أبو مريم - أخوين^(٤).

والصحيح: أنه لم يرد ميراث المال لوجوه:

(١) انظر: السبعة (ص: ٤٠٧)، والحجة (٥/ ١٩١)، والمبسوط (١/ ٢٨٧).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٨/ ١٥) من طريق ابن أبي نجیح، به.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٢٠).

أحدها: أنه قد صحَّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «نَحْنُ مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ»^(١).

والثاني: أنه لا يجوز أن يتأسفَ نبيُّ الله على مصير ماله بعد موته إذا وصل إلى وارثه المستحق له شرعاً.

والثالث: أنه لم يكن ذا مالٍ.

وقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ: «أَنْ زَكَرِيَّا كَانَ نَجَارًا»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَجْعَلُهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾.

قال اللغويون: أي: مرضياً، فصرف عن مفعولٍ إلى فاعيلٍ، كما قالوا: مقتول وقتيل.

قوله تعالى: ﴿يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ (٧) قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا (٩) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١) ﴿[مريم: ٧-١١].

قوله تعالى: ﴿يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾ في الكلام إضمارٌ، تقديره: فاستجاب الله له فقال: يا زكريَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ.

(١) رواه النسائي في الكبرى (٦٢٧٥) بلفظ: «إِنَّا مَعَشَرُ الْأَنْبِيَاءِ لَا نُورَثُ، مَا تَرَكْنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ»، وأصله في الصحيحين البخاري (٣٠٩٤)، ومسلم (١٧٥٧) بلفظ: «لَا نُورَثُ مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ» في قصة.

(٢) رواه أحمد (٢/٢٩٦)، ومسلم (٢٣٧٩)، وابن ماجه (٢١٥٠).

وقرأ حمزة: «نَبْشُرُك» بالتَّخْفِيفِ^(١).

وقد شرحنا هذا في آل عمران^(٢).

قوله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لم يسمَّ يحيى قبله، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال
عكرمة، وقتادة، وابن زيد، والأكثر.

فإن اعترض معترض، فقال: ما وجه المدح باسم لم يسمَّ به أحدٌ

قبله، ونرى كثيرا من الأسماء لم يسبق إليها؟

فالجواب: أنَّ وجه الفضيلة أنَّ الله تعالى تولى تسميته، ولم يكل ذلك

[٥١٧/ب] إلى أبيه، فسماه باسم لم يسبق إليه.

والثاني: لم تلد العواقر مثله ولدا، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

فعلى هذا يكون المعنى: لم نجعل له نظيرا.

والثالث: لم نجعل له من قبل مثلاً وشبيهاً، قاله مجاهد.

فعلى هذا يكون عدم الشبه من حيث أنه لم يعص ولم يهمل بمعصية.

وما بعد هذا مفسر في آل عمران^(٣) إلى قوله: ﴿وَكَاَنَّا آمِرَاتٍ عَاقِرَاتٍ﴾.

وفي معنى (كانت) قولان:

أحدهما: أنه توكيد للكلام، فالمعنى: وهي عاقر، كقوله: ﴿كُنْتُمْ

خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠] أي: أنتم.

(١) انظر: التيسير (ص: ٨٨).

(٢) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٣٩).

(٣) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٣٩).

والثاني: أنها كانت منذ كانت عاقراً، لم يحدث ذلك بها، ذكرهما ابنُ الأنباري، واختار الأول.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾.

قرأ ابنُ كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابنُ عامر، وأبو بكرٍ عن عاصم: «عُتِيًّا»، و«بُكِيًّا»، [مريم: ٥٨] و«صُلِيًّا» [مريم: ٧٠] بضمٍّ أوائلها. وقرأ حمزة، والكسائي، بكسر أوائلها، وافقهما حفصٌ عن عاصم، إلا في قوله: «بُكِيًّا» فإنه ضمَّ أوله^(١).

وقرأ ابنُ عباس، ومجاهدٌ: «عُسيًّا» بالسَّين^(٢).

قال مجاهدٌ: عتياً هو قحول العظم^(٣).

وقال ابنُ قُتيبة: أي يُيسَا؛ يقال: عتا وعسا بمعنى واحد^(٤).

قال الزجاج: كلُّ شيءٍ انتهى، فقد عتا يعتو عتياً، وعتواً، وعسواً، وعسياً^(٥).

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾ أي: الأمرُ كما قيل لك من هبة الولدِ على الكبر ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ﴾ أي: خلق يحيى عليّ سهل.

وقرأ معاذُ القاري، وعاصمُ الجحدري: «هَيْنٌ» بإسكانِ الياء.

﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: أوجدتك.

(١) السبعة (ص: ٤٠٧)، والحجة (١٩١/٥ - ١٩٢)، والمبسوط (٢٨٨/١).

(٢) معاني القرآن (١٦٢/٢)، عن ابن عباس، وفي مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦) عن ابن مسعود، ومجاهد، قال الزجاج: ولا يجوز في القراءة؛ لأنه بخلاف المصحف.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٦٥/١٥) بلفظ: نحول العظم.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٧٢).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣٢٠/٣).

- قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر: ﴿خَلَقْنَاكَ﴾.
 وقرأ حمزة، والكسائي: «خلقناك» بالنون والألف^(١).
 ﴿وَلَوْ تَأَكَّ شَيْئًا﴾ المعنى: فخلق الولد، كخلقك.
 وما بعد هذا مفسر في آل عمران^(٢) إلى قوله: ﴿ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾.
 قال الزجاج: سويًا منصوبٌ على الحال، والمعنى: تمتع عن الكلام
 وأنت سوي^(٣).
 قال ابن قتيبة: أي: سليماً غير أخرس^(٤).
 قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ وهذا في صبيحة الليلة التي حملت
 فيها امرأته.
 ﴿مِنَ الْمُخَرَّبِ﴾ أي: من مصلاه وقد ذكرناه في آل عمران^(٥).
 قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾ فيه قولان:
 أحدهما: أنه كتب إليهم في كتاب، قاله ابن عباس.
 والثاني: أوماً برأسه ويديه، قاله مجاهد.
 قوله تعالى: ﴿أَنْ سَبَّحُوا﴾ أي: صلُّوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ قد شرحناه
 في آل عمران^(٦)، والمعنى: أنه كان يخرج إلى قومه فيأمرهم بالصلاة بكرة
-
- (١) انظر: السبعة (ص ٤٠٨)، والحجة (٥ / ١٩٤-١٩٥)، والمبسوط (١ / ٢٨٨).
 (٢) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٣٩).
 (٣) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٣٢١).
 (٤) غريب القرآن (ص: ٢٧٣).
 (٥) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٣٩).
 (٦) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (٣٩).

وعشيًا، فلما حملت امرأته أمرهم بالصلاة إشارة.

قوله تعالى: ﴿يَبْعَثُ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَاَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًا ۝١٢ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ۝١٤ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمُ وُلِدَ وَيَوْمُ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝١٥﴾ [مريم: ١٢-١٥].

قوله تعالى: ﴿يَبْعَثُ﴾.

قال الزجاج: المعنى: فوهبنا له يحيى، وقلنا له: ﴿يَبْعَثُ خُذِ الْكِتَابَ﴾ يعني: التوراة، وكان مأموراً بالتمسك بها^(١).

وقال ابن الأنباري: المعنى: اقبل كتب الله كلها إيماناً بها واستعمالاً لأحكامها. وقد شرحنا في البقرة^(٢) معنى قوله: ﴿بِقُوَّةٍ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَاَتَيْنَهُ الْحُكْمَ﴾ فيه أربعة أقوال: أحدها: أنه الفهم، قاله مجاهد.

والثاني: اللب، قاله الحسن، وعكرمة.

والثالث: العلم، قاله ابن السائب.

والرابع: حفظ التوراة وعلمها، قاله أبو سليمان الدمشقي.

وقد زدنا هذا شرحاً في سورة يوسف^(٣).

وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: مَنْ قرأ القرآن من [٥١٨/أ] قبل أن يحتلم، فهو ممن أُوتِيَ الْحُكْمَ صَبِيًّا^(٤).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢١).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٦٣).

(٣) انظر: تفسير سورة يوسف الآية رقم (٢٣).

(٤) رواد البيهقي في شعب الإيمان (١٧٩٨) من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عباس، مرفوعاً.

فَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿صَبِيًّا﴾ فِي سَنَةِ أَوْتَى الْحُكْمَ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ سَبْعُ سِنِينَ، رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١).
وَالثَّانِي: ثَلَاثُ سِنِينَ، قَالَهُ قَتَادَةُ، وَمُقَاتِلٌ^(٢).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا﴾.

قَالَ الرَّجَّاجُ: وَآتَيْنَاهُ حَنَانًا^(٣).

وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: الْمَعْنَى: وَجَعَلْنَاهُ حَنَانًا لِأَهْلِ زَمَانِهِ.

وَفِي الْحَنَانِ سِتَّةُ أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ الرَّحْمَةُ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَبِهِ قَالَ الْحَسَنُ،
وَعُكْرَمَةُ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَالْفَرَّاءُ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ، وَأَنشَدَ [الْمُقَابَر] ^(٤):

نَحْنُ عَلَى هَذَاكَ الْمَلِكُ فَإِنَّ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا

قَالَ: وَعَامَةً مَا يَسْتَعْمَلُ فِي الْمُنْطَقِ عَلَى لَفْظِ الْاِثْنَيْنِ، قَالَ طَرَفَةُ [مِنَ الطَّوِيلِ] ^(٥):

أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَاسْتَبَقَ بَعْضُنَا حَنَائِكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

(١) رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ، وَابْنُ مَرْدُوَيْهِ، وَالدِّيلَمِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: أُعْطِيَ
الْفَهْمَ وَالْعِبَادَةَ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ. انْظُرْ: الدَّرُ الْمَشْهُور (٥/ ٤٨٤).

(٢) انْظُرْ: تَفْسِيرُ مُقَاتِلِ بْنِ سُلَيْمَانَ (٢/ ٦٢٢).

(٣) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٣/ ٣٢٢).

(٤) الْبَيْتُ لِلْحَطِيطَةِ فِي دِيْوَانِهِ (ص: ٧٢)، وَتَخْلِيصُ الشُّوَاهِدِ (ص: ٢٠٦)، وَلِسَانُ الْعَرَبِ
(١١/ ٥٧٣) (قَوْلُ)، (١٣/ ١٣٠) (حَنْنُ)؛ وَتَاجُ الْعُرُوسِ (قَوْلُ) (حَنْنُ).

(٥) الْبَيْتُ فِي دِيْوَانِهِ (ص: ٦٦)، وَالدَّرُ (٣/ ٦٧)، وَالْكِتَابُ (١/ ٣٤٨)، وَلِسَانُ الْعَرَبِ
(١٣/ ٣٠) (حَنْنُ).

قال ابن قُتيبة: ومنه يقال: تحنَّ عليَّ، وأصله من حنين الناقة على ولدها^(١).
وقال ابن الأنباري: لم يختلف اللُّغويون أنَّ الحنان: الرَّحمة، والمعنى:
فعلنا ذلك رحمةً لأبويه، وتزكيةً له.

والثاني: أنَّه التعطف من ربِّه عليه، قاله مجاهد.

والثالث: أنَّه اللِّين، قاله سعيد بن جبیر.

والرابع: البركة، وروي عن ابن جبیر أيضاً.

والخامس: المحبة، قاله عكرمة، وابن زيد.

والسادس: التعظيم، قاله عطاء بن أبي رباح.

وفي قوله: ﴿وَزَكَّوْهُ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنَّها العمل الصَّالح، قاله الضَّحَّاك، وقتادة.

والثاني: أنَّ معنى الزَّكاة: الصَّدقة، فالتقدير: إنَّ الله تعالى جعله صدقة
تصدَّق بها على أبويه، قاله ابن السَّائب.

والثالث: أنَّ الزَّكاة: التَّطهير، قاله الزَّجاج^(٢).

والرابع: أنَّ الزَّكاة: الزَّيادة، فالمعنى: وآتيناه زيادةً في الخير على ما
وصف وذكر، قاله ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾.

قال ابن عباس: جعلته يتَّقيني، لا يعدل بي غيري^(٣).

(١) غريب القرآن (ص: ٢٧٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٢).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٨).

قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ﴾ أي: وجعلناه برًّا بوالديه، والبرُّ بمعنى: البار؛ والمعنى: لطيفاً بهما، محسناً إليهما.

والعصي بمعنى: العاصي.

وقد شرحنا معنى الجبار في هود^(١).

قوله تعالى: ﴿وَسَلَّمَ عَلَيْهِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أَنَّهُ السَّلَامُ المعروفُ من الله تعالى.

قال عطاء: سلامٌ عليه منِّي في هذه الأيام^(٢)؛ وهذا اختيارُ أبي سليمان.

والثاني: أَنَّهُ بمعنى: السَّلامَة، قاله ابنُ السَّائبِ.

فإن قيل: كيف حصَّ التسليم عليه بالأيام، وقد يجوز أن يولد ليلاً ويموت ليلاً؟

فالجواب: أَنَّ المراد باليوم الحين والوقت، على ما بينا في قوله:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣].

قال ابنُ عَبَّاسٍ: وسلام عليه حين ولد.

وقال الحسنُ البصريُّ: التقى يحيى وعيسى، فقال يحيى لعيسى:

أنت خيرٌ منِّي، فقال عيسى ليحيى: بل أنت خيرٌ منِّي، سلَّم الله عليك،

[٥١٨/ب] وأنا سلَّمت على نفسي^(٣).

وقال سعيدُ بنُ جبْرِ مثله، إلَّا أَنَّهُ قال: أثنى الله عليك، وأنا أثَّنتُ على نفسي.

(١) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٥٩).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٩).

(٣) رواه عبد الرزاق (١٧٤٢)، وابن جرير الطبري (٤٨٢/ ١٥) في تفسيرهما من طريق

قتادة، عن الحسن، بنحوه.

وقال سفيانُ بنُ عيينةَ: أوحش ما يكون الإنسان في ثلاثة مواطن، يوم يولد فيرى نفسه خارجاً ممّا كان فيه، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يبعث فيرى نفسه في محشرٍ لم يره^(١).

فخصَّ الله تعالى يحى فيها بالكرامة والسَّلامة في المواطن الثلاثة.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۖ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۗ﴾ (١٧) **قَالَتْ إِنَّيَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ نَقِيًّا ۝** (١٨) **قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۝** (١٩) **قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝** (٢٠) **قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٌ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ۝** [مريم: ١٦ - ٢١].

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾ يعني: القرآن ﴿مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ﴾. قال أبو عبيدة: تنَحَّتْ واعتزلت ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ مما يلي المشرق، وهو عند العرب خيرٌ من الغربي^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ يعني: أهلها ﴿حِجَابًا﴾ أي: سترًا وحاجزًا، وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّها ضربت سترًا، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ. والثاني: أنّ الشَّمْسَ أَظْلَتَهَا، فلم يرها أحدٌ منهم، وذلك ممّا سترها الله به، وروي هذا المعنى عن ابنِ عباسٍ أيضاً.

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٧٩).

(٢) مجاز القرآن (٣/ ٢).

والثالث: أَنَّهَا اتَّخَذَتْ حِجَاباً مِنَ الْجَدْرَانِ، قَالَ السُّدِّيُّ عَنْ أَشْيَاخِهِ.
 وَفِي سَبَبِ انْفِرَادِهَا عَنْهُمْ قَوْلَانِ:
 أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا انْفَرَدَتْ لِتَطْهَرَ مِنَ الْحَيْضِ وَتَمْتَشِطَ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ.
 وَالثَّانِي: لِتَغْلِي رَأْسَهَا، قَالَ عَطَاءٌ.
 قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَازْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ وَهُوَ جَبْرِيلُ فِي قَوْلِ الْجُمْهُورِ.
 وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: صَاحِبُ رُوحِنَا، وَهُوَ جَبْرِيلُ.
 وَالرُّوحُ بِمَعْنَى: الرُّوحُ وَالْفَرْحُ، ثُمَّ تَضُمُّ الرَّاءُ لِتَحْقِيقِ مَذْهَبِ
 الْأِسْمِ، وَإِبْطَالِ طَرِيقِ الْمَصْدَرِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِالرُّوحِ هَاهُنَا: الْوَحْيُ،
 وَجَبْرِيلُ صَاحِبُ الْوَحْيِ.
 وَفِي وَقْتٍ مَجِيئِهِ إِلَيْهَا ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ:
 أَحَدُهَا: وَهِيَ تَغْتَسِلُ.
 وَالثَّانِي: بَعْدَ فِرَاقِهَا، وَلِبْسِهَا الثِّيَابَ.
 وَالثَّلَاثُ: بَعْدَ دُخُولِهَا بَيْتِهَا، وَقَدْ قِيلَ: الْمُرَادُ بِالرُّوحِ هَاهُنَا: الرُّوحُ
 الَّذِي خَلَقَ مِنْهُ عِيسَى، حَكَاهُ الزَّجَّاجُ، وَالْمَآوَزِيُّ، وَهُوَ مُضْمُونُ كَلَامِ
 أَبِي بَنِ كَعْبٍ فِيهِمَا سَنَذْكُرُهُ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾^(١).
 قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَفِيهِ بُعْدٌ، لِقَوْلِهِ: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾،
 وَالْمَعْنَى: تَصَوَّرَ لَهَا فِي صُورَةِ الْبَشَرِ التَّامِّ الْخَلْقَةِ.
 وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: جَاءَهَا فِي صُورَةِ شَابٍّ أَيْضَ الْوَجْهِ جَعْدَ قَطَطٍ
 حِينَ خَضَّرَ شَارِبَهُ.

(١) انظر: معاني القرآن وإعراجه (٣/ ٣٢٢)، والنكت والعيون (٣/ ٣٦٢).

وقرأ أبو نهيك، وأبو حيوة: «فأرسلنا إليها رَوْحَنَا» بفتح الرَّاءِ، من الروح^(١).
قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا﴾ المعنى: إن كنت
تتقي الله، فستنتهي بتعوذي منك، هذا هو القول عند المحققين.

وحكي عن ابن عباس: أنه كان في زمانها رجلٌ اسمه تقى، وكان
فاجرًا، فظنَّته إِيَّاه، ذكره ابنُ الأنباريِّ، والماورديُّ^(٢).

وفي قراءة عليٍّ عليه السلام، وابن مسعود، وأبي رجاء: «إِلَّا أَنْ تَكُونَ تَقِيًّا».
قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ أي: فلا تخافي ﴿لَا هَبَ لَكِ﴾.
قرأ ابنُ كثير، ونافع، وعاصم، وابنُ عامر، وحمزة، والكسائيُّ:
﴿لَا هَبَ لَكِ﴾ بالهمز.

وقرأ أبو عمرو، وورش عن نافع: «ليهب لك» بغير همز^(٣).
قال الزَّجَّاجُ: من قرأ «ليهب» فالمعنى: أرسلني ليهب، ومن قرأ
«لأهب» فالمعنى: أرسلت إليك لأهب لك^(٤).

وقال ابنُ الأنباريِّ: المعنى: أرسلني يقول لك: أرسلت رسولي [٥١٩/أ]
إليك لأهب لك.

قوله تعالى: ﴿غُلَامًا زَكِيًّا﴾ أي: طاهرًا من الذنوب.
والبغي: الفاجرة الزَّانية.

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦-٨٧) عن أبي حيوة.

(٢) انظر: النكت والعيون (٣/٣٦٣).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٤٠٨)، والحجة (٥/١٩٥)، والمبسوط (١/٢٨٨).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٢٣).

قال ابن الأنباري: وإنما لم يقل: بغية لأنه وصف يغلب على النساء،
فقلما تقول العرب: رجلٌ بغِي؛ فيجري مجرى حائض، وعافر.
وقال غيره: إنما لم يقل: بغية لأنه مصروفٌ عن وجهه، فهو فِعْلٌ
بمعنى: فاعل.

ومعنى الآية: ليس لي زوج، ولست بزانية، وإنما يكون الولد من
هاتين الجهتين.

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾ قد شرحناه في قصة زكريا، والمعنى: أنه
يسير عليّ أن أهب لك غلاماً من غير أب.

﴿وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ أي: دلالة على قدرتنا كونه من غير أب.
قال ابن الأنباري: إنما دخلت الواو في قوله: ﴿وَلَنَجْعَلَنَّ﴾ لأنها
عاطفة لما بعدها على كلام مضمير محذوف، تقديره: قال ربك خلقه عليّ
هيئت لننفعك به ولنجعله عبرة.

قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾ أي: لمن تبعه وآمن به ﴿وَكَاثَ أَمْرًا
مَّقْضِيًّا﴾ أي: وكان خلقه أمراً محكوماً به، مفروغاً عنه، سابقاً في علم الله
تعالى كونه.

قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ، مَكَانًا قَصِيًّا﴾ (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ
إِلَى جَنْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلْتَنِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا (٢٣) فَادْنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا
أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهَرَى إِلَيْكَ بِجَنْعِ النَّخْلَةِ تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا
جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ
صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦) [مريم: ٢٢-٢٦].

قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ يعني: عيسى.

وفي كيفية حملها له قولان:

أحدهما: أن جبريل نفخ في جيب درعها، فاستمر بها حملها، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس.

قال السدي: نفخ في جيب درعها وكان مشقوقاً من قدامها، فدخلت النفخة في صدرها فحملت من وقتها^(١).

والثاني: الذي خاطبها هو الذي حملته، ودخل من فيها، قاله أبي بن كعب.

وفي مقدار حملها سبعة أقوال:

أحدها: أنها حين حملت وضعت، قاله ابن عباس، والمعنى: أنه ما طال حملها، وليس المراد أنها وضعت في الحال، لأن الله تعالى يقول: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾، وهذا يدل على أن بين الحمل والوضع وقتاً يحتمل الانتباض به.

والثاني: أنها حملته تسع ساعات، ووضعت من يومها، قاله الحسن.

والثالث: تسعة أشهر، قاله سعيد بن جبيرة، وابن السائب.

والرابع: ثلاث ساعات، حملته في ساعة، وصور في ساعة، ووضعت في ساعة، قاله مقاتل بن سليمان^(٢).

والخامس: ثمانية أشهر، فعاش، ولم يعيش مولود قط لثمانية أشهر، فكان في هذا آية، حكاه الزجاج^(٣).

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٥ / ٤٥٠) من طريق أسباط بن نصر، به.

(٢) انظر: مقاتل بن سليمان (٢ / ٦٢٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٣٢٤).

- والسَّادِسُ: فِي سِتَّةِ أَشْهُرٍ، حَكَاهُ الْمَاوَزْدِيُّ^(١).
- وَالسَّابِعُ: فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، حَكَاهُ الثَّعْلَبِيُّ^(٢).
- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَنْبَذَتْ بِهِ﴾ يَعْنِي بِالْحَمْلِ ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ أَي: بَعِيدًا.
- وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ أَبِي عُبَلَةَ: «قَاصِيًّا»^(٣).
- قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: مَشَتْ سِتَّةَ أَمْيَالٍ.
- قَالَ الْفَرَّاءُ: الْقَصِي وَالْقَاصِي بِمَعْنَى وَاحِدٍ^(٤).
- وَقَالَ غَيْرُ الْفَرَّاءِ: الْقَصِي وَالْقَاصِي بِمَنْزِلَةِ الشَّهِيدِ وَالشَّاهِدِ، وَإِنَّمَا بَعُدَتْ، فَرَارًا مِنْ قَوْمِهَا أَنْ يَعْرِوَهَا بَوْلَادَتِهَا مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ.
- قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾.
- وَقَرَأَ عِكْرَمَةُ، وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ، وَعَاصِمُ الْجَحْدَرِيُّ: «الْمَخَاضُ» بِكَسْرِ الْمِيمِ^(٥).
- قَالَ الْفَرَّاءُ: الْمَعْنَى: فَجَاءَ بِهَا الْمَخَاضُ، فَلَمَّا أَلْقَيْتِ الْبَاءَ، جَعَلَتْ فِي [٥١٩/ب] الْفِعْلُ أَلْفًا، وَمِثْلُهُ: ﴿ءَايِنَا غَدَاءَنَا﴾ [الْكَهْفُ: ٦٢] أَي: بَغْدَانَنَا، وَمِثْلُهُ: ﴿زُبُرَ الْحَدِيدِ حَتَّى﴾ [الْكَهْفُ: ٩٦] أَي: بِزُبُرِ الْحَدِيدِ^(٦).
-
- (١) النكت والعيون (٣/٣٦٢).
- (٢) الكشف والبيان (١٧/٣٥٤).
- (٣) لم نقف عليها.
- (٤) معاني القرآن للفراء (٢/١٦٤) وفيه: «مَكَانًا قَصِيًّا، قَاصِيًّا بِمَعْنَى وَاحِدٍ».
- (٥) عن ابن كثير في رواية في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦)، والمحذر الوجيز (٤/١٠)، والبحر المحيط (٧/٢٥١).
- (٦) معاني القرآن (٢/١٦٤).

قال أبو عبيدة: أفعلها من جاءت هي، وأجاءها غيرها^(١).
وقال ابن قتيبة: المعنى: جاء بها وألجأها، وهو من حيث يقال
جاءت بي الحاجة إليك، وأجاءتني الحاجة إليك، والمخاض: الحمل^(٢).
وقال غيره: المخاض: وجع الولادة.
﴿إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ وهو ساق النخلة، وكانت نخلة يابسة في الصحراء،
ليس لها رأس ولا سعف.
﴿قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ اليوم، أو هذا الأمر.
وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وخلف، وحفص: ﴿مِتُّ﴾ بكسر الميم^(٣).
وفي سبب قولها هذا قولان:
أحدهما: أنها قالت حياء من الناس.
والثاني: لئلا ياثموا بقذفها.
قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا﴾.
قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي، وأبو
بكر عن عاصم، بكسر النون.
وقرأ حمزة، وحفص عن عاصم: ﴿نَسِيًّا﴾ بفتح النون^(٤).

(١) مجاز القرآن (٢/ ٤٣-٤٤).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧٣).

(٣) السبعة (ص: ٢١٨)، والحجة (٣/ ٩٢)، والتيسير (ص: ٩١).

(٤) السبعة (ص: ٤٠٨)، والحجة (٥/ ١٨٦)، والتيسير (ص: ١٤٨).

قال القَرَاءُ: وأصحاب عبد الله يقرؤون: ﴿نَسِيًا﴾ بفتح النون، وسائر العرب بكسرها، وهما لغتان، مثل الجسر والجسر، والوتر والوتر، والفتح أحبُّ إليَّ^(١).

قال أبو عليِّ الفارسيُّ: الكسرُ أعلى اللُّغتين^(٢).

وقال ابنُ الأنباريِّ: من كسر النون قال: النسي: اسم لما ينسى، بمنزلة البغض اسم لما يبغض، والسبُّ اسم لما يسب. والنسي بفتح النون: اسم لما ينسى أيضاً على أنه مصدرُ ناب عن الاسم، كما يقال: الرَّجُلُ دَنِفٌ ودَنَفٌ. فالمكسورُ: هو الوصف الصَّحيحُ، والمفتوح: مصدر سدَّ مسدَّ الوصف، ويمكن أن يكون النسي والنسي اسمين لمعنى، كما يقال: الرَّطْلُ والرَّطْل.

وللمفسرين في قوله تعالى: ﴿نَسِيًا مَّنْسِيًا﴾ خمسة أقوال:

أحدها: يا ليتني لما أكن شيئاً، قاله الضَّحَّاكُ عن ابنِ عَبَّاسٍ، وبه قال عطاءٌ، وابنُ زَيْدٍ.

والثاني: ﴿وَكُنْتُ نَسِيًا مَّنْسِيًا﴾ أي: دم حيضة ملقاة، قاله مجاهدٌ، وسعيدُ بنُ جبْرِ، وعكرمة.

قال القَرَاءُ: النسي: ما تلقى المرأة من خرق اعتلاها^(٣).

وقال ابنُ الأنباريِّ: هي خرقُ الحيض تلقىها المرأة فلا تطلبها ولا تذكرها.

والثالث: أنه السقط، قاله أبو العالية، والرَّبيع.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٢/ ١٦٤).

(٢) انظر: الحجة (٥/ ١٩٦).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٦٤-١٦٥).

وارابع: أن المعنى: يا ليتني لا يُدرى من أنا، قاله قتادة.
والخامس: أنه الشيء التافه يرتحل عنه القوم، فيهون عليهم فلا يرجعون إليه، قاله ابن السائب.

وقال أبو عبيدة: النسي، والمنسي ما ينسى من إداوة وعصا^(١).
يعني أنه ينسى في المنزل، فلا يرجع إليه لاحتقار صاحبه إياه.
ونال الكسائي: معنى الآية: ليتني كنت ما إذا ذكر لم يُطلب^(٢).
قوله تعالى: ﴿فَنَادَيْنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «مَنْ
تَحْتَهَا» بفتح الميم، والتاء.
ونقرأ نافع، وحمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾
بكسر الميم والتاء^(٣).

فمن قرأ بكسر الميم، ففيه وجهان:
أحدهما: ناداها الملك من تحت النخلة.
وقيل: كانت على نشز، فناداها الملك أسفل منها.
والثاني: ناداها عيسى لما خرج من بطنها.
قال ابن عباس: كل ما رفعت إليه طرفك، فهو فوقك، وكل ما [٥٢٠/أ]
خفضت إليه طرفك، فهو تحتك^(٤).

(١) مجاز القرآن (٤/٢).

(٢) انظر: الحجة (١٩٦/٥).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٤٠٨ - ٤٠٩)، والحجة (١٩٦/٥ - ١٩٧)، والتيسير (ص: ١٤٨).

(٤) لم نقف عليه.

وَمَنْ قرأ بفتح الميم، ففيه الوجهان المذكوران.
 وكان الفراء يقول: ما خاطبها إلا المَلَك على القراءتين جميعاً^(١).
 قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ سِرِيًّا﴾ فيه قولان:
 أحدهما: أنه النهر الصَّغِيرُ، قاله جمهور المفسرين، واللُّغويون.
 قال أبو صالح، وابنُ جريج: هو الجدولُ بالسريانية.
 والثاني: أنه عيسى كان سرياً من الرجال، قاله الحسن، وعكرمة،
 وابنُ زيد.

قال ابنُ الأنباري: وقد رجع الحسنُ عن هذا القولِ إلى القولِ
 الأول، ولو كان وصفاً لعيسى، كان غلاماً سرياً أو سويّاً من الغلمان، وقلماً
 تقول العرب: رأيت عندك نبيلًا، حتى يقولوا: رجلاً نبيلًا.
 فإن قيل: كيف ناسبَ تسليتها أن قيل: لا تحزني، فهذا نهرٌ يجري؟
 فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أنها حزنت لجذب مكانها الذي ولدت فيه، وعدم الطعام
 والشراب والماء الذي تتطهَّرُ به، فقيل: لا تحزني قد أجرينا لك نهراً،
 وأطلعنا لك رطباً، قاله أبو صالح عن ابنِ عباسٍ.
 والثاني: أنها حزنت لما جرى عليها من ولادة ولد عن غير زوج، فأجرى الله
 تعالى لها نهراً، فجاءها من الأردن، وأخرج لها الرُّطب من الشجرة اليابسة، فكان
 ذلك آية تدلُّ على قدرة الله تعالى في إيجاد عيسى، قاله مقاتل^(٢).

(١) معاني القرآن (٢/ ١٦٥).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٢٥).

قوله تعالى: ﴿وَهَزَىٰ إِلَيْكَ﴾ الهَزُّ التَّحْرِيكُ.
 والباءُ في قوله تعالى: ﴿يَجْذَعُ النَّخْلَةَ﴾ فيها قولان:
 أحدهما: أنَّها زائدة مؤكدة، كقوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾
 [الحج: ١٥].

قال الفَرَّاءُ: معناه: فليمدد سيباً. والعربُ تقول: هَزَّه وهَزَّبَه، وخُذَ
 الخطامَ، وخُذَ بالخطامِ، وتعلَّقَ زيْداً، وتعلَّقَ به^(١).
 وقال أبو عبيدة: هي مؤكدة، كقول الشاعر [من الرجز]^(٢):
 نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَتَرْجُو بِالْفَرْجِ
 والثاني: أنَّها دخلت على الجذع لتلصقه بالهز، فهي مفيدة للإصاق،
 قاله ابنُ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿تُسْقِطُ﴾.
 قرأ ابنُ كثير، ونافعٌ، وأبو عمرو، وابنُ عامرٍ، والكسائي، وأبو
 بكرٍ عن عاصمٍ: «تَسَاقُطُ» بالتَّاءِ مشددة السَّينِ.
 وقرأ حمزة، وعبدُ الوارث: «تَسَاقُطُ» بالتَّاءِ مفتوحة مخففة السَّينِ.
 وقرأ حفصٌ عن عاصمٍ: ﴿تُسْقِطُ﴾ بضمِّ التَّاءِ وكسر القافِ مخففة السَّينِ^(٣).

(١) معاني القرآن (٢/ ١٦٥).

(٢) عجز البيت للنابعة الجعدي في ملحق ديوانه (ص: ٢١٦)، وبلا نسبة في مجاز القرآن
 (٥/ ٢) وفيه: «نَضْرِبُ بِالْبَيْضِ»، ولسان العرب (١٥/ ٤٤٣) (الباء)، والمخصص
 (١٤/ ٧٠)، وأدب الكاتب (ص: ٥٢٢)، والإنصاف (١/ ٢٨٤)، وخزانة الأدب
 (٩/ ٥٢٠، ٥٢١) وصدر البيت: نَحْنُ بَنُو جَعْفَةَ أَصْحَابُ الْفَلَجِ ...

(٣) انظر: السبعة (ص: ٤٠٩)، والحجة (٥/ ١٩٧-١٩٨)، والمبسوط (١/ ٢٨٨-٢٨٩).

وقرأ يعقوب، وأبو زيد، عن المفضل: «يَسَاقُطُ» بالياء مفتوحة وتشديد السّين وفتح القاف^(١)، فهذه القراءات المشاهير.
وقرأ أبي بن كعب، وأبو حيوة: «تَسْقُطُ» بفتح التاء وسكون السّين ورفع القاف^(٢).

وقرأ عبد الله بن عمرو، وعائشة، والحسن: «يُسَاقِطُ» بالالف وتخفيف السّين ورفع الياء وكسر القاف^(٣).
وقرأ الضحاك، وعمرو بن دينار: «يُسْقِطُ» برفع الياء وكسر القاف مع سكون السّين وعدم الألف.

وقرأ عاصم الجحدري، وأبو عمران الجوني مثله، إلا أنه بالتاء.
وقرأ معاذ القاري، وابن يعمر مثله، إلا أنه بالنون.

وقرأ أبو رزين العقيلي، وابن أبي عبلة: «يَسْقُطُ» بالياء مفتوحة مع سكون السّين ورفع القاف. [٥٢٠/ب]

وقرأ أبو السّمك العدوي، وابن حزام: «تَسَاقُطُ» بتاءين مفتوحين وبألف^(٤).
وقال الزجاج: مَنْ قرأ «يَسَاقُطُ» فالمعنى: يتساقط فأدغمت التاء في السّين، وَمَنْ قرأ «تَسَاقُطُ» بالتاء والتخفيف، فإنه حذف من تتساقط

(١) عن البراء بن عازب في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦)، وفي التحصيل (٢٥٠/٤) عن عاصم، وابن رستم، عن نصير، عن الكسائي، والحسن، وقتادة، وغيرهم.
(٢) البحر المحيط (٢٥٥/٧).

(٣) وعن مسروق في التحصيل (٢٥١/٤)، وفي المحرر (١٢/٤) عن أبي حيوة، وأما قراءة مسروق فيه؛ فبضم التاء وكسر القاف، من غير ألف «تُسْقِطُ»، وكذا في البحر المحيط (٢٥٥/٧).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦) عن أبي السمال.

اجتماع التاءين، وَمَنْ قرأ «يساقط» ذهب إلى معنى: يساقط الجذع عليك، وَمَنْ قرأ «نساقط» بالنون، فالمعنى: نحن نساقط عليك، فنجعله لك آية، والنحويون يقولون: إِنَّ رطبًا منصوبٌ على التَّمييز إذا قلت: «يساقط»، أو «يتساقط»، المعنى: يتساقط الجذع رطبًا، وإذا قلت: «تساقط» بالتاء، فالمعنى: تتساقط النخلة رطبًا^(١).

قوله تعالى: ﴿جَنَيْنَا﴾

قال القرّاء: الجنى: المجتنى^(٢).

وقال ابنُ الأنباري: هو الطري، والأصل: مجنوّ، صرف من مفعولٍ إلى فاعيلٍ، كما يقال: قديد، وطبيخ.

وقال غيره: هو الطَّريُّ بغباره: ولم يكن لتلك النخلة رأسٌ، فأنبته الله تعالى، فلمَّا وضعت يدها عليها، سقط الرُّطبُ رطبًا.

وكان السَّلف يستحبُّون للنفساء الرطب من أجل مريم عليها السلام.

قوله تعالى: ﴿فَكُلِي﴾ أي: من الرُّطب ﴿وَأَشْرِي﴾ من النهر ﴿وَقَرِي عَيْنًا﴾ بولادة عيسى عليه السلام.

قال الزَّجَّاجُ: يقال: قررت به عينًا أقر، بفتح القاف في المستقبل، وقررت في المكان أقر، بكسر القاف، و﴿عَيْنًا﴾ منصوبٌ على التَّمييز^(٣).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٢٦).

(٢) معاني القرآن (٢/١٦٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٢٦).

وروى ابن الأنباري عن الأصمعي: أنه قال: معنى «وقري عيناً»؛ ولتبرد دمعتك، لأن دمعَةَ الفرح باردة، ودمعة الحزن حارة، واشتقاق قَرِّي من القُرور، وهو الماء البارد.

وقال لنا أحمد بن يحيى: تفسير «قري عيناً» بلغت غاية أملك حتى تفر عينك من الاستشراف إلى غيره، واحتج بقول عمرو بن كلثوم [من الوافر]^(١):
يَوْمَ كَرِيهَةٍ ضَرْباً وَطَعْنَا أَقْرَبَ بِهِ مَوَالِكَ الْعُيُونَا
أي: ظفروا وبلغوا منتهى أمنيتهُم، فقرت عينهم من تَطَلُّعٍ إلى غيره.
قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا تَرِينٌ﴾.

وقرأ ابن عباس، وأبو مجليز، وابن السمين، والضحاك، وأبو العالية، وعاصم الجحدري: «تَرِينٌ» بهمزة مكسورة من غير ياء^(٢).
أي: إن رأيت أحداً من البشر فقولي؛ وفيه إضمار تقديره: فسألك عن أمر ولدك، فقولي: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ فيه قولان:
أحدهما: صمتاً، قاله ابن عباس، وأنس بن مالك، والضحاك.
وكذلك قرأ أبي بن كعب، وأنس بن مالك، وأبو رزین العقيلي:
«صمتاً» مكان قوله^(٣): ﴿صَوْمًا﴾^{(٤) (٥)}.

(١) البيت في ديوانه (ص: ٦٧)، والزاهر (١/ ٢٠٠)، وجمهرة أشعار العرب (١/ ٣٩١)، وشرح ديوان امرئ القيس (ص: ٣٢١)، وشرح القصائد السبع (ص: ٣٧٥).

(٢) في المحتسب (٢/ ٤٢)، والتحصيل (٤/ ٢٥١)، ومختصر ابن خالويه (ص: ٨٦)، والبحر المحيط (٧/ ٢٥٦) عن ابن الرومي، عن أبي عمرو.

(٣) ليست في (س).

(٤) قوله: ﴿صَوْمًا﴾ ليس في الأصل، و(ر)، وهو من (س).

(٥) عن أنس بن مالك في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٦)، وفي المحرر (٤/ ١٣) ابن عباس، =

وقرأ ابنُ مسعودٍ^(١): «صياماً»^(٢).

والثاني: صوماً عن الطَّعامِ والشَّرابِ والكلامِ، قاله قتادةٌ.

وقال ابنُ زيدٍ: كان المجتهد من بني إسرائيل يصومُ عن الكلامِ كما يصومُ عن الطَّعامِ، إلَّا مَنْ ذكر الله ﷻ.

قال السُّدِّيُّ: فأذن لها أن تتكلَّم بهذا القَدْرِ ثم تسكت^(٣). [١/٥٢١]

قال ابنُ مسعودٍ: أمرت بالصَّمتِ، لأنَّها لم تكن لها حجةٌ عند النَّاسِ، فأمرت بالكفِّ عن الكلامِ ليكفيها الكلام ولدها مما يبرئ به ساحتها^(٤).

وقيل: كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الإنس.

قال ابنُ الأنباريِّ: الصَّومُ في لغة العربِ على أربعة معانٍ، يقال: صومٌ لترك الطَّعامِ والشَّرابِ، وصومٌ للصَّمتِ، وصومٌ لضرب من الشَّجر، وصومٌ لذرق النعام.

واختلف العلماءُ في مقدار سنِّ مريم يوم ولادتها على ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّها ولدت وهي بنت خمس عشرة سنة، قاله وهبُ بنُ منبِّهٍ.

والثاني: بنت اثنتي عشرة سنة، قاله زيدُ بنُ أسلمٍ.

= وأنس، وفي البحر المحيط (٢٥٦/٧) عن عبد الله.

(١) في (س): (ابن عباس).

(٢) عن زيد بن علي في البحر المحيط (٢٥٦/٧).

(٣) في التفسير الوسيط (١٨٢/٣) بلا نسبة.

(٤) انظر: المصدر السابق.

والثالث: بنت ثلاث عشرة سنة، قاله مقاتل^(١).

قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾ قَالُوا يَمْرُؤُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَّخِذَ هُزُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًى وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ (مريم: ٢٧-٣٣).

قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾.

قال ابن عباس في رواية أبي صالح: أتتهم به بعد أربعين يوماً حين طهرت من نفاسها.

وقال في رواية الضحاك: انطلق قومها يطلبونها، فلما رأتهم حملت عيسى فتلقتهن به، فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾. فإن قيل: «أت به» يُغْنِي عَنْ ﴿تَحْمِلُهُ﴾ فما فائدة التكرير؟

فالجواب: أنه لما ظهرت منه آيات، جاز أن يتوهم السامع: ﴿فَأَتَتْ بِهِ﴾ أن يكون ساعياً على قدميه، فيكون سعيه آية كمنطقه، فقطع ذلك التوهم، وأعلم أنه كسائر الأطفال، وهذا مثل قول العرب: نظرت إلى فلان بعيني، فنفوا بذلك نظر العطف والرحمة، وأثبتوا أنه نظر عين. وقال ابن السائب: لما دخلت على قومها بكوا، وكانوا قوماً صالحين و﴿قَالُوا يَمْرُؤُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ وفيه ثلاثة أقوال:

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٤٢).

أحدها: شيئاً عظيماً، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة.
 قال الفراء: الفري: العظيم، والعرب تقول: تركته يفري الفري،
 إذا عمل فأجاد العمل ففضل الناس، قيل هذا فيه، قال النبي ﷺ: «فَمَا
 رَأَيْتُ عَبْقَرِيًّا يَفْرِى فَرِي عُمَرَ»^(١).
 والثاني: عجباً فائقاً، قاله أبو عبيدة^(٢).
 والثالث: شيئاً مصنوعاً، ومنه يقال: فريت الكذب، وافتريته، قاله اليزيدي.
 قوله تعالى: ﴿يَتَأَخَذَ هَرُونَ﴾ في المراد بـ ﴿هَرُونَ﴾ خمسة أقوال:
 أحدها: أنه أخ لها من أمها، وكان من أمثل فتى في بني إسرائيل،
 قاله أبو صالح عن ابن عباس.
 وقال الضحاك: كان من أبيها وأمها.
 والثاني: أنها كانت من بني هارون، قاله الضحاك عن ابن عباس.
 وقال السدي: كانت من بني هارون أخي موسى عليه السلام، فنسبت
 إليه، لأنها من ولده^(٣).
 والثالث: أنه رجل صالح كان في بني إسرائيل، فشبهوها به في
 الصلاح، وهذا مروى عن ابن عباس أيضاً، وقتادة.

(١) متفق عليه: البخاري (٣٦٨٢)، ومسلم (٢٣٩٣) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «أُرِيتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَنْزِعُ بِدَلْوٍ بَكْرَةً عَلَى قَلِيبٍ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَتَزَعَّ ذَنْوَبًا، أَوْ ذَنْوَبَيْنِ نَزْعًا ضَعِيفًا، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَاسْتَحَالَتْ غَرْبًا، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِى فَرِيَهُ حَتَّى رَوَى النَّاسُ، وَصَرَّبُوا بِعَطْنٍ».

(٢) انظر: مجاز القرآن (٧/٢).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٢٥/١٥) من طريق أسباط بن نصر، به.

ويدل عليه ما روى المغيرة بن شعبة قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل نجران، فقالوا: أليستم تقرأون: يا أخت هارون وقد علمتم ما كان بين موسى وعيسى؟ فلم أدر ما أجيبهم، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «ألا أخبرتهم أنهم كانوا يُسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»^(١).

والرابع: أن قوم هارون كان فيهم فساق وزناة، فنسبوا إليهم، قاله سعيد بن جبير.

والخامس: أنه رجل من فساق بني إسرائيل شبَّهوها به، قاله وهب بن منبه.

فعلى هذا يُخرج في معنى الأخت قولان:

أحدهما: أنها الأخت حقيقة.

والثاني: المشابهة، لا المناسبة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ [الزخرف: ٤٨].

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ﴾ يعنون: عمران ﴿أَمْرًا سَوِيًّا﴾ أي: زانياً ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾ حنة ﴿بَغِيًّا﴾ أي: زانية، فمن أين لك هذا الولد؟ قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ﴾ أي: أومأت ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: إلى عيسى فتكلم. وقيل المعنى: أشارت إليه أن كلموه.

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٧٠١٩)، وأحمد (٢٥٢/٤)، ومسلم (٢١٣٥)، والترمذي (٣١٥٥)، والنسائي في الكبرى (١١٢٥٣) من طرق عن عبد الله بن إدريس، عن أبيه، عن سأك، عن علقمة بن وائل، به.

وكان عيسى قد كلّمها حين أتت قومها، وقال: يا أمّاه أبشري فلنّ
عبدُ الله ومسيحه، فلما أشارت أن كلّموه، تعجّبوا من ذلك، ﴿قَالُوا كَيْفَ
نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ﴾ وفيها أربعة أقوال:

أحدها: أنّها زائدة، فالمعنى كيف نكلّم صبيّاً في المهد؟

والثاني: أنّها في معنى: وقع، وحدث.

والثالث: أنّها في معنى الشرط والجزاء، فالمعنى: من يكن في المهد
صبيّاً، فكيف نكلّمه؟ حكاها الزّجاج، واختار الأخير منها^(١).

قال ابنُ الأنباريّ: وهذا كما تقول: كيف أعظ من كان لا يقبل
موعظتي؟ أي: من يكن لا يقبل، والماضي يكون بمعنى المستقبل في الجزاء.

والرابع: أن كان بمعنى: صار، قاله قطرب.

وفي المراد بالمهد قولان:

أحدهما: حجرها، قاله نوف، وقتادة، والكلبيّ.

والثاني: سرير الصّبي المعروف، حكاها الكلبيّ أيضاً.

قال السّديّ: فلما سمع عيسى كلامهم، لم يزد على أن ترك الرّضاع،
وأقبل عليهم [بوجهه]^(٢)، فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾.

قال المفسّرون: إنّما قدّم ذكر العبوديّة، ليبطل قول من ادّعى فيه الربوبية.

وفي قوله: ﴿آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾ أسكن هذه الياء حمزة^(٣).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٨).

(٢) زيادة من (م).

(٣) انظر: السبعة (ص: ٤١٤)، والمبسوط (١/ ٢٩١).

وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: أَنَّهُ آتَاهُ الْكِتَابَ وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، قَالَ أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وقيل: عَلَّمَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ.

والثاني: قَضَى أَنْ يُؤْتِنِي الْكِتَابَ، قَالَ عِكْرَمَةُ.

وفي الكتاب قولان:

أحدهما: أَنَّهُ التَّوْرَةُ.

والثاني: الْإِنْجِيلُ.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ هذا وما بعده إخبارٌ عما قضى الله له

وحكم له به ومنحه إياه مما سيظهر ويكون.

وقيل: المعنى: يُؤْتِنِي الْكِتَابَ وَيَجْعَلُنِي نَبِيًّا إِذَا بَلَغْتَ؛ فَحَلَّ الْمَاضِي

مَحَلَّ الْمُسْتَقْبَلِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَنَعِيْسَى﴾ [المائدة: ١١٦].

أحدهما: أَنَّهُ كَلَّمَهُمْ بَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا.

والثاني: فِي يَوْمِهِ، وَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى مَا ذَكَرْنَا مِنَ الزَّمَانِ الَّذِي غَابَتْ

عَنْهُمْ فِيهِ مَرْيَمُ.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ

[٥٢٢/أ] رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ: «نَفَاعًا حَيْثُمَا تَوَجَّهْتُ»^(١).

(١) رواه الإسماعيلي في معجمه (٢٤٥)، وأبو نعيم في الحلية (٢٥/٣) من طريق هشيم بن

بشير، عن يونس، عن الحسن البصري، عن أبي هريرة، به.

وهشيم بن بشير مدلس، وقد عنعن، ولم يسمع الحسن من أبي هريرة، وانظر: جامع

التحصيل (ص: ١٦٤).

وقال مجاهدٌ: معلماً للخير^(١).

وفي المراد بالزكاة قولان:

أحدهما: زكاة الأموال، قاله ابنُ السائبِ.

والثاني: الطَّهارة، قاله الزَّجَّاجُ^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْ﴾

قال ابنُ عباسٍ: لما قال هذا، ولم يقل: بوالديَّ علموا أنه وُلِدَ من

غير بشرٍ.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ أي: متعظماً ﴿شَقِيًّا﴾ عاصياً لرَبِّه.

﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ﴾ قال المفسِّرون: السَّلام^(٣) عليَّ من الله يوم

وُلِدْتُ حتَّى لم يضرني شيطان.

وقد سبق تفسير الآية^(٤).

فإن قيل: لم ذكر هاهنا السَّلام بألفٍ ولامٍ، وذكره في قصَّة يحيى بلا

ألفٍ ولامٍ؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنَّه لما جرى ذكر السَّلام قبل هذا الموضع بغير ألفٍ ولامٍ،

كان الأحسن أن يرد ثانية بألفٍ ولامٍ، هذا قولُ الزَّجَّاجِ^(٥).

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٣١ / ١٥) من طريق ليث، به.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٣٢٨).

(٣) في (م): (السلامة).

(٤) انظر: تفسير سورة مريم الآية رقم (١٥).

(٥) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٣٢٩).

وقد اعترض على هذا القول، ف قيل: كيف يجوز أن يعطف هذا وهو قول عيسى، على الأول وهو قول الله ﷻ؟
وقد أجاب عنه ابنُ الأنباري فقال: عيسى إنما يتعلم من ربه، فيجوز أن يكون سمع قول الله في يحيى، فبنى عليه وألصقه بنفسه، ويجوز أن يكون الله ﷻ عرّف السّلام الثاني؛ لأنّه أتى بعد سلام قد ذكره، وأجراه عليه غير قاصد به اتباع اللفظ المحكي، لأنّ المتكلّم له أن يغير بعض الكلام الذي يحكيه، فيقول: قال عبدُ الله: أنا رجل منصف، يريد: قال لي عبد الله: أنت رجل منصف.

والجواب الثاني: أن سلامًا والسلام لغتان بمعنى واحد، ذكره ابنُ الأنباري.
قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (٣١) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٥) وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿[مريم: ٣٤-٣٦].

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾.
قال الزّجاج: أي: ذلك الذي قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ هو ابنُ مريم، لا ما تقول النّصارى: إنّهُ ابنُ الله، وإنّهُ إله (١).
قوله تعالى: ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾.

قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو، ونافع، وحمزة، والكسائي: «قَوْلُ الْحَقِّ» برفع اللام.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٢٩).

وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامِرٍ، ويعقوبُ: بنصب اللّام^(١).
 قال الزّجاجُ: من رفع «قَوْلُ الْحَقِّ»، فالمعنى: هو قولُ الحقِّ، يعني
 هذا الكلامُ؛ ومن نصب، فالمعنى: أقولُ «قَوْلُ الْحَقِّ»^(٢).
 وذكر ابنُ الأنباريّ في الآية وجهين:
 أحدهما: أنّه لما وصف بالكلمة جاز أن ينعت بالقول.
 والثاني: أن في الكلام إضمارًا، تقديره: ذلك نبأ عيسى، ذلك النبأ
 قول الحقِّ.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي: يشكّون.
 قال قتادة: امترت اليهودُ فيه والنصارى، فزعم اليهودُ أنّه ساحرٌ،
 وزعم النصارى أنّه ابنُ الله وثالث ثلاثة^(٣).
 قرأ أبو مجلزٍ، ومعاذُ القاري، وابنُ يعمر، وأبو رجاءٍ: «يَمْتَرُونَ» بالتاء^(٤).
 قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾.
 قال الزّجاجُ: المعنى: أن يتخذ ولدًا، و﴿مِنْ﴾ مؤكدة تدلُّ على نفى
 الواحد والجماعة، لأنَّ للقاتل أن يقول: ما اتَّخَذْتُ فرسًا، يريد: اتَّخَذْتُ
 أكثر من ذلك، وله أن يقول: ما اتَّخَذْتُ فرسين ولا أكثر، يريد: اتَّخَذْتُ [٥٢٢/ب]

(١) انظر: السبعة (ص: ٤٠٩)، والحجة (٥/٢٠٢)، والتيسير (ص: ١٤٩).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٢٩).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/٥٣٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٨) عن علي بن أبي طالب، والسلمي، وفي التحصيل

(٤/٢٦٧) عن أبي عبد الرحمن السلمي، وغيره، وفي المحرر (٤/١٥) عن داود ابن أبي

هند، وزاد في البحر المحيط (٧/٢٦١) نافعًا في رواية الكسائي.

فرساً واحداً؛ فإذا قال: ما اتخذت من فرسٍ، فقد دلَّ على نفي لواحدٍ والجميع^(١).

قوله تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾.

وقرأ أبو عمران الجوني، وابنُ أبي عبلة: «فَيَكُونُ» بالنصب^(٢)، وقد ذكرنا وجهه في البقرة^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾.

قرأ ابنُ كثير، ونافعٌ، وأبو عمرو: «وَأَنَّ الله» بنصبِ الألفِ.

وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةٌ، والكسائيُّ: «وَإِنَّ الله» بكسر الألفِ^(٤).

وهذا من قولِ عيسى؛ فمن فتح، عطفه على قوله: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ وبـ «أَنَّ الله ربِّي»؛ ومن كسر ففيه وجهان.

أحدهما: أن يكون معطوفاً على قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾.

والثاني: أن يكون مستأنفاً.

قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ

﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ

الْخُسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا

يَرْجِعُونَ﴾ [مريم: ٣٧-٤٠].

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٢٩-٣٤٠).

(٢) انظر: السبعة (ص: ١٦٩)، ومعاني القراءات (١/ ١٧٢)، والمبسوط (ص: ١٣٥).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١١٧).

(٤) انظر: السبعة (ص: ٤١٠)، والحجة (٥/ ٢٠٢)، والمبسوط (١/ ٢٨٩).

قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ قال المفسرون: مَنْ زائدة، والمعنى: اختلفوا بينهم.

وقال ابن الأنباري: لما تمسك المؤمنون بالحق كان اختلاف الأحزاب بين المؤمنين مقصوراً عليهم.

وفي ﴿الْأَحْزَابُ﴾ قولان:

أحدهما: أنهم اليهود والنصارى، فكانت اليهود تقول: إنه لغير رِشْدَةٍ^(١)، والنصارى تدعي فيه ما لا يليق به.

والثاني: أنهم فرق النصارى، قال بعضهم: هو الله، وقال بعضهم: ابن الله، وقال بعضهم: ثالث ثلاثة.

قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بقولهم في المسيح ﴿مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: من حضورهم ذلك اليوم للجزاء.

قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن لفظه لفظ الأمر، ومعناه الخبر؛ فالمعنى: ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة، سمعوا وأبصروا حين لم ينفعهم ذلك لأنهم شاهدوا من أمر الله ما لا يحتاجون معه إلى نظر وفكر فعلموا الهدى وأطاعوا، هذا قول الأكثرين.

والثاني: أسمع بحدثهم اليوم، وأبصر كيف يصنع بهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ قاله أبو العالية.

(١) لغير رِشْدَةٍ: أي: ابن زنا، ويجوز فيها فتح الراء: رِشْدَةٌ، وانظر: لسان العرب (١٤/ ٣٦٠).

قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ الْظَّالِمُونَ﴾ يعني: المشركين والكفار ﴿الْيَوْمَ﴾ يعني: في الدنيا ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.
قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ﴾ أي: خوِّفْ كفَّار مكَّة ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ يعني: يوم القيامة يتحسّر المسيء إذ لم يحسن، والمقصر إذ لم يزد من الخير.

وموجبات الحسرة يوم القيامة كثيرة، فمن ذلك ما روى أبو سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَسْرَتُونَ وَيَنْظُرُونَ، وَقِيلَ: يَا أَهْلَ النَّارِ فَيَسْرَتُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَجَاءُ بِالْمَوْتِ كَأَنَّهُ كَبَشٌ أَمْلَحُ، فَيَقَالُ لَهُمْ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: فَيَذْبَحُ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).
قال المفسرون: فهذه هي الحسرة إذا ذبح الموت، فلو مات أحد فرحاً مات أهل الجنة، ولو مات أحد حزيناً مات أهل النار.

[٥٢٣/أ] ومن موجبات الحسرة، ما روى عدي بن حاتم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِنَاسٍ إِلَى الْجَنَّةِ، حَتَّى إِذَا دَنَوْا مِنْهَا، وَاسْتَنَشَقُوا رِيحَهَا، وَنَظَرُوا إِلَى قُصُورِهَا، نُودُوا أَنْ أَصْرِفُوهُمْ عَنْهَا لَا نَصِيبَ لَهُمْ فِيهَا، فَيَرْجِعُونَ بِحَسْرَةٍ مَا رَجَعَ الْأَوَّلُونَ بِمِثْلِهَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، لَوْ أَذْخَلْتَنَا النَّارَ قَبْلَ أَنْ تُرِينَا مَا أَرَيْتَنَا كَانَ أَهْوَنَ عَلَيْنَا، قَالَ: ذَاكَ أَرَدْتُ بِكُمْ، كُنتُمْ إِذَا خَلَوْتُمْ بَارَزْتُمُونِي بِالْعَظِيمِ، وَإِذَا لَقِيتُمُ النَّاسَ لَقِيتُمُوهُمْ مُخْبِتِينَ، تُرَاءُونَ

(١) متفق عليه: البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

النَّاسِ بِخِلَافِ مَا تُعْطُونِي بِقُلُوبِكُمْ، هَبْتُمُ النَّاسَ وَلَمْ تَهَابُونِي، وَأَجَلَلْتُمْ النَّاسَ وَلَمْ تُجَلِّلُونِي، وَتَرَكْتُمْ لِلنَّاسِ وَلَمْ تَتْرُكُوا لِي، فَالْيَوْمَ أُذِيقُكُمُ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ مَا حَرَمْتُكُمْ مِنَ الثَّوَابِ»^(١).

ومن موجبات الحسرة ما روي عن ابن مسعود قال: ليس من نفس يوم القيامة إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة، وبيت في النار، ثم يقال: يعني هؤلاء: لو عملتم، ولأهل الجنة: لولا أن من الله عليكم^(٢).

ومن موجبات الحسرة: قطع الرجاء عند انطباق^(٣) النار على أهلها. قوله تعالى: ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾.

قال ابن الأنباري: ﴿قُضِيَ﴾ في اللغة بمعنى: أُنقِضَ وأُحْكِمَ، وإنَّما سُمِّيَ الحاكم قاضيًا، لإتقانه وإحكامه ما ينفذ.

وفي الآية اختصارٌ، والمعنى: إذ قضى الأمر الذي فيه هلاكهم. وللمفسرين في الأمر قولان:

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٩٩)، وفي الأوسط (٥٤٧٨)، وابن حبان في المجروحين (٣/١٥٥)، والبيهقي في البعث والنشور (١١٨١) من طريق أبي جنادة السلولي، عن الأعمش، عن خيثمة بن عبد الرحمن، عن عدي، بن حاتم، به، بنحوه. قال ابن حبان: هذا خبر باطل لا أصل له، وأبو جنادة شيخ يروي عن الأعمش ما ليس من حديثه، لا يجوز الاحتجاج به، ولا الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٤٥/١٥)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٧٩/١٤)، والحاكم في المستدرک (٥٤١/٤)، ومن طريقه البيهقي في البعث والنشور (٥٩٨).

وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(٣) في (ر)، و(م): (إطباق).

أحدهما: أنه ذبح الموت، قاله ابن جريج، والسُدِّيُّ.

والثاني: أن المعنى: قضي العذاب لهم، قاله مقاتل^(١).

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ أي: هم في الدنيا في غفلة عما يصنع بهم ذلك اليوم ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بما يكون في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ﴾ أي: نُمِيتُ سُكَّانَهَا فَنَرِثُهَا ﴿وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ بعد الموت.

فإن قيل: ما الفائدة في ﴿نَحْنُ﴾ وقد كفت عنها ﴿إِنَّا﴾؟

فالجواب: أنه لما جاز في قول المعظم: «إنا نفعل» أن يوهم أن أتباعه فعلوا، أبانت «نحن» بأن الفعل مضاف إليه حقيقة.

فإن قيل: فلم قال: ﴿وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ وهو يرث الأدميين وغيرهم؟

فالجواب: أن من تختص أهل التمييز، وغير المميزين يدخلون في معنى الأرض ويجرون مجراها، ذكر الجوابين عن السؤالين ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (١١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّبِعْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (١٢) يَتَّبِعْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (١٣) يَتَّبِعْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (١٤) يَتَّبِعْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (١٥) قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ هِيَ إِلَّا إِلَهَتِي بَنِي إِسْرَءِيلَ لَنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرَنِي مَلِيًّا (١٦) قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (١٧) وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (١٨)

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٦٢٩).

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٤٢﴾ [مريم: ٤١ - ٥٠].

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: اذكر لقومك قصته، وقد سبق في النساء^(١) معنى الصديق.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ أي: لا يدفع عنك ضرًا.
قوله تعالى: ﴿إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ﴾ بالله والمعرفة ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾.
قوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ أي: لا تطعه فيما يأمر به من الكفر والمعاصي.
وقد شرحنا معنى كان آنفاً.

و﴿عَصِيًّا﴾ أي: عاصياً، فهو فعيل بمعنى فاعل.
قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾.
قال مقاتل: في الآخرة^(٢).
وقال غيره: في الدنيا.

﴿فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ أي: قريباً في عذاب الله، فجرت المقارنة مجرى الموالاة.

وقيل: إنما طمع إبراهيم في إيمان أبيه، لأنه حين خرج من النار [٥٢٣/ب]
قال له: نعم الإله إلهك يا إبراهيم، فحينئذ أقبل يعظه، فأجابه أبوه:
﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ﴾! أي: أترك عبادتها أنت؟ ﴿لَئِنْ لَمْ
تَنْتَهِ﴾ عن عيها وشتمها ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ وفيه قولان:

(١) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (٦٩).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٦٢٩).

أحدهما: بالشتيم والقول، قاله ابن عباس، ومجاهد.

والثاني: بالحجارة حتى تتباعد عني، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَأَهْجُرْني مَلِيًّا﴾ فيه قولان:

أحدهما: اهجرني طويلاً، رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس،

وبه قال الحسن، والفراء^(١)، والأكثر.

قال ابن قتيبة: اهجرني حيناً طويلاً، ومنه يقال: تملّيت حبيبك^(٢).

والثاني: اجتنبني سالماً قبل أن تصيبك عقوبتي، رواه العوفي عن ابن

عبّاس، وبه قال قتادة، والضحاك؛ فعلى هذا يكون من قولهم: فلان مليٌّ

بكذا وكذا: إذا كان مضطرباً به، فالمعنى: اهجرني وعرضك وافر، وأنت

سليم من أذاي، قاله ابن جرير^(٣).

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَلَمْتُ عَلَيْكَ﴾ أي: سلمت من أن أصيبك بمكروه،

وذلك أنه لم يؤمر بقتاله على كفره.

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن المعنى سأسأل الله لك توبة تنال بها مغفرته.

والثاني: أنه وعده الاستغفار وهو لا يعلم أن ذلك محظور في حق

المصرّين على الكفر، ذكرهما ابن الأنباري.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِحَفِيًّا﴾ فيه ثلاثة أقوال:

(١) معاني القرآن (٢/١٦٩).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧٤).

(٣) تفسير ابن جرير الطبري (١٥/٥٣٥).

أحدها: لطيفاً، رواه ابنُ أبي طلحة عن ابنِ عباس، وبه قال ابنُ زيد، والزَّجَّاجُ^(١).

والثاني: رحيماً، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عباس.

والثالث: باراً عودني منه الإجابة إذا دعوته، قاله ابنُ قُتَيْبَةَ^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَعَزَّ لَكُمْ﴾ أي: وأتخى عنكم، وأعتزل ما ﴿تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأصنام.

وفي معنى ﴿تَدْعُونَ﴾ قولان:

أحدهما: تعبدون.

والثاني: أن المعنى: وما تدعونه ربّاً، ﴿وَأَدْعُوا رَبِّي﴾ أي: وأعبده ﴿عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ أي: أرجو أن لا أشقى بعبادته كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام، لأنّها لا تنفعهم ولا تجيب دعاءهم.

﴿فَلَمَّا أَعَزَّهُمْ﴾ قال المفسِّرون: هاجر عنهم إلى أرض الشام، فوهب الله له إسحاق ويعقوب، فأنس الله وحشته عن فراق قومه بأولاد كرام.

قال أبو سليمان: وإنما وهب له إسحاق ويعقوب بعد إسماعيل.

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا﴾ أي: وكلّ من هذين.

وقال مقاتل: ﴿وَكُلًّا﴾ يعني: إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا﴾ قال المفسِّرون: المال والولد

والعلم والعمل.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٣).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧٤).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣٠).

﴿رَحِمْنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلَيَّا﴾.

قال ابن قتيبة: أي: ذكراً حسناً في الناس مرتفعاً، فجميع أهل الأديان يتولون إبراهيم وذريته، ويشنون عليهم، فوضع اللسان مكان القول، لأنَّ القول يكون باللسان^(١).

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝٥١ وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۝٥٢ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥١ - ٥٣].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والمفضل عن عاصم: «مُخْلِصًا» بكسر اللام. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم بفتح اللام^(٢).

[٥٢٤/أ] قال الزجاج: المخلص، بكسر اللام: الذي وحّد الله، وجعل نفسه خالصة في طاعة الله غير دنسة، والمخلص، بفتح اللام: الذي أخلصه الله، وجعله مختاراً خالصاً من الدنس^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾.

قال ابن الأنباري: إنما أعاد كان لتفخيم شأن النبي المذكور.

قوله تعالى: ﴿وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ أي: من ناحية الطور، وهو جبل بين مصر ومدين اسمه زبير.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٧٤).

(٢) السبعة (ص: ٣٤٨)، والحجة (٤/ ٤٢٠ - ٤٢١)، والتيسير (ص: ١٤٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٣).

قال ابنُ الأنباري: إنما خاطب الله العربَ بما يستعملون في لغتهم، ومن كلامهم: عن يمين القبلة وشمالها، يعنون: مما يلي يمين المستقبل لها وشماله، فنقلوا الوصف إلى ذلك اتساعاً عند انكشاف المعنى، لأنَّ الوادي لا يدلُّه فيكون له يمين.

وقال المفسرون: جاء النداء عن يمين موسى، فلهذا قال: الأيمن، ولم يرد به يمين الجبل.

قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَهُ نَحْيًا﴾.

قال ابنُ الأنباري: معناه: مناجياً فعبرَ فاعِل عن مفاعل، كما قالوا: فلانٌ خليطي وعشيري: يعنون: مخالطي ومعاشري.

وروى سعيدُ بنُ جبير، عن ابنِ عباسٍ في قوله: ﴿وَقَرْنَهُ﴾ قال: حتَّى سمع صريف القلم حين كتب له في الألواح^(١).

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمِنَا﴾ أي: من نعمتنا عليه إذ أجبتا دعاءه حين سأل أن نجعل معه أخاه وزيراً له.

قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا^(٥٥) وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا^(٥٦) وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا^(٥٧) [مريم: ٥٤ - ٥٧].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ هذا عامٌ فيما بينه وبين الله، وفيما بينه وبين الناس.

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٥٩/١٥) من طريق عطاء بن السائب، به.

وقال مجاهد: لم يعد ربّه بوعدٍ قطُّ إلاّ وفيّ له به^(١).
 فإن قيل: كيف خصّ بصدق الوعدِ إسماعيل، وليس في الأنبياء من
 ليس كذلك؟
 فالجواب: أن إسماعيلَ عانى في الوفاء بالوعدِ ما لم يعانِه غيره من
 الأنبياء، فأثني عليه بذلك.
 وذكر المفسرون أنه كان بينه وبين رجل ميعاد، فأقام ينتظره مدة،
 فيها لهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه أقام حولاً، قاله ابنُ عباسٍ.
 والثاني: اثنين وعشرين يوماً، قاله يزيدُ الرقاشيُّ.
 والثالث: ثلاثة أيام، قاله مقاتل^(٢).
 قوله تعالى: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ إلى قومه، وهم جُزهم.
 ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ﴾ قال مقاتل: يعني: قومه^(٣).
 وقال الزّجاج: أهله: جميع أمته^(٤).
 فأما الصّلاة والزّكاة، فهما العبادتان المعروفتان.
 قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ فيه أربعة أقوال:
 أحدها: أنه في السّماء الرّابعة، روى البخاريّ ومسلم في الصّحيحين
 من حديث مالك بن صعصعة عن رسول الله ﷺ في حديث المعراج: أنه

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٦١ / ١٥) من قول ابن جريج.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٦٣١ / ٢).

(٣) المصدر السابق.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣٣٣ / ٣).

رأى إدريس في السماء الرابعة^(١)، وبهذا قال أبو سعيد الخدري، ومجاهد، وأبو العالية.

والثاني: أنه في السماء السادسة، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك.

والثالث: أنه في الجنة، قاله زيد بن أسلم، وهذا يرجع إلى الأول، لأنه قد روي أن الجنة في السماء الرابعة.

والرابع: أنه في السماء السابعة، حكاه أبو سليمان الدمشقي.

وفي سبب صعوده إلى السماء ثلاثة أقوال:

[٥٢٤/ب]

أحدها: أنه كان يصعد له من العمل مثل ما يصعد لجميع بني آدم، فأحبّه ملك الموت، فاستأذن الله في خلّته، فأذن له، فهبط إليه في صورة آدمي، وكان يصحبه فلمّا عرفه، قال إني أسألك حاجة، قال: ما هي؟ قال: تذيّني الموت، فلعلّي أعلم ما شدّته فأكون له أشدّ استعدادًا؛ فأوحى الله إليه أن قبض روحه ساعة ثمّ أرسله، ففعل، ثمّ قال: كيف رأيت؟ قال: كان أشدّ ممّا بلغني عنه، وإني أحبّ أن تريني النّار، قال: فحمله، فأراه إيّاها؛ قال: إني أحبّ أن تريني الجنة، فأراه إيّاها، فلمّا دخلها طاف فيها، قال له ملك الموت: اخرج، فقال: والله لا أخرج حتّى يكون الله تعالى يخرجني؛ فبعث الله ملكًا فحكم بينهما، فقال: ما تقول يا ملك الموت؟ فقصرّ عليه ما جرى؛ فقال: ما تقول يا إدريس؟ قال: إنّ الله تعالى قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقد ذقته، وقال:

(١) البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] وقد وردتها، وقال لأهل الجنة: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨] فوالله لا أخرج حتى يكون الله بخرجني؛ فسمع هاتفاً من فوقه يقول: بإذني دخل، وبأمرني فعل، فخل سبيله؛ هذا معنى ما رواه زيد بن أسلم مرفوعاً إلى النبي ﷺ^(١).

فإن سأل سائل فقال: من أين لإدريس هذه الآيات، وهي في كتابنا؟ فقد ذكر ابن الأنباري عن بعض العلماء، قال: كان الله تعالى قد أعلم إدريس بما ذكر في القرآن من وجوب الورود، وامتناع الخروج من الجنة، وغير ذلك، فقال ما قاله بعلم.

والثاني: أن ملكاً من الملائكة استأذن ربه أن يهبط إلى إدريس، فأذن له، فلما عرفه إدريس، قال: هل بينك وبين ملك الموت قرابة؟ قال: ذاك أخي من الملائكة، قال: هل تستطيع أن تنفني عند ملك الموت؟ قال: سأكلّمه فيك، فيرفق بك، اركب بين جناحي، فركب إدريس، فصعد به إلى السماء، فلقي ملك الموت، فقال: إن لي إليك حاجة، قال: أعلم ما حاجتك، تكلّمني في إدريس وقد محي اسمه من الصحيفة ولم يبق من أجله إلا نصف طرفه عين؟ فمات إدريس بين جناحي الملك، رواه عكرمة عن ابن عباس^(٢).

وقال أبو صالح عن ابن عباس: فقبض ملك الموت روح إدريس في السماء السادسة^(٣).

(١) انظر: الدر المنثور (٥/ ٥١٧).

(٢) رواه ابن جرير الطبري (١٥/ ٥٦٣) من طريق هلال بن يساف بن عباس.

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (٥/ ٥٢٤) عن ابن عباس.

والثالث: أن إدريس مشى يوماً في الشمس، فأصابه وهجها، فقال: اللهم خفف ثقلها عمن يحملها، يعني به الملك الموكل بالشمس، فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرّها ما لا يعرف، فسأل الله ﷻ عن ذلك، فقال: إن عبيدي إدريس سألني أن أخفف عنك حملها وحرّها، فأجبتّه، فقال: يا رب اجمع بيني وبينه، واجعل بيننا خلة، فأذن له، فاتاه، فكان ممّا قال له إدريس: اشفع لي إلى ملك الموت ليؤخر أجلي، فقال: إن الله لا يؤخر نفساً إذا جاء أجلها، ولكن أكلّمه فيك، فما كان مستطيعاً أن [٥٢٥/أ] يفعل بأحد من بني آدم فعل بك، ثمّ حمّله الملك على جناحه، فرفعه إلى السماء، فوضعه عند مطلع الشمس، ثمّ أتى ملك الموت فقال: إن لي إليك حاجة، صديق لي من بني آدم تشفع بي إليك لتؤخر أجله، قال: ليس ذاك إليّ، ولكن إن أحببت أعلمته متى يموت، فنظر في ديوانه، فقال: إنك كلّمتني في إنسان ما أراه يموت أبداً، ولا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس، فقال: إنّي أتيتك وتركته هناك، قال: انطلق، فما أراك تجده إلا ميتاً، فوالله ما بقي من أجله شيء، فرجع الملك فرآه ميتاً. وهذا المعنى مروى عن ابن عباس وكعب في آخرين^(١).

فهذا القول والذي قبله يدلّان على أنّه ميت، والقول الأوّل يدلّ على أنّه حيّ.

(١) انظر: الدر المنثور (٥/ ٥٢٥).

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ٦٠﴾ جَنَّتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِآلِغَيْبٍ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ يَقِيًّا ٦٣﴾ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ٦٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٥٨-٦٥].

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ يعني: الذين ذكرهم من الأنبياء في هذه السورة ﴿مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ﴾ يعني إدريس ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ يعني: إبراهيم، لأنه من ولد سام بن نوح ﴿وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ يريد: إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿وَإِسْرَءِيلَ﴾ يعني: ومن ذرية إسرائيل، وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى.

قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ أي: هؤلاء كانوا ممن أرشدنا، ﴿وَاجْتَبَيْنَا﴾ أي: واصطفينا.

قوله تعالى: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: سجداً حال مقدرة، المعنى: خروا مقدرين السجود، لأنَّ الإنسان في حال خروره لا يكون ساجداً، فسجداً منصوباً على الحال، وهو جمع ساجد، ﴿وَبُكِيًّا﴾ معطوفٌ عليه، وهو جمع باكٍ، فقد بين الله

تعالى أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كَانُوا إِذَا سَمِعُوا آيَاتِ اللَّهِ سَجَدُوا وَبَكَوْا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ^(١).

قوله تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ قد شرحناه في الأعراف^(٢).

وفي المراد بهذا الخلف ثلاثة أقوال:

أحدها: أَنَّهُم الْيَهُودُ، رواه الضَّحَّاكُ عن ابنِ عَبَّاسٍ.

والثاني: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، قاله السُّدِّيُّ.

والثالث: أَنَّهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، يَأْتُونَ عِنْدَ ذَهَابِ صَالِحِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ ﷺ

يَتَبَارُونَ بِالزَّنَا، يَنْزُو بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَزْوَاجِ زِنَا، قاله مجاهدٌ، وقَتَادَةُ.

قوله تعالى: ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رزِينِ الْعَقِيلِيُّ، والحسنُ البصريُّ: «الصلوات»

على الجمع^(٣).

وفي المراد بإضاعتهم إِيَّاهَا قولان:

أحدهما: أَنَّهُمْ أَخْرَوْهَا عَنْ وَقْتِهَا، قاله ابنُ مسعودٍ، والنخعيُّ،

وعمرُ بنُ عبد العزيزٍ، والقاسمُ بنُ مخيمرة.

والثاني: تَرْكُوهَا، قاله القرظِيُّ، واختاره الزَّجَّاجُ^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾.

قال أبو سليمان الدَّمَشْقِيُّ: وذلك مثل استماع الغناء، وشرب الخمر،

وَالزَّنَا، وَاللَّهْوَ، وما شاكل ذلك ممَّا يَقْطَعُ عَنْ أدَاءِ فَرَائِضِ اللَّهِ ﷻ.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٥).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٦٩).

(٣) التحصيل (٤/ ٢٦٧)، وابن خالويه في الشواذ (ص: ٨٨) وزاد الضحَّاك.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٥).

قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ ليس معنى هذا اللقاء مجرد الرؤية، [٥٢٥/ب] وإنما المراد به الاجتماع والملابسة مع الرؤية.

وفي المراد بهذا الغي ستة أقوال:

أحدها: أنه واد في جهنم، رواه ابن عباس عن رسول الله ﷺ^(١)، وبه قال كعب.

والثاني: أنه نهر في جهنم، قاله ابن مسعود.

والثالث: أنه الخسران، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والرابع: أنه العذاب، قاله مجاهد.

والخامس: أنه الشر، قاله ابن زيد، وابن السائب.

والسادس: أن المعنى: فسوف يلقون مجازاة الغي، كقوله: ﴿يَلْقَى

أَنَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] أي مجازاة الآثام، قاله الزجاج^(٢).

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: تاب من الشرك، وآمن بمحمد ﷺ، قاله مقاتل^(٣).

والثاني: تاب من التقصير في الصلاة، وآمن من اليهود والنصارى.

قوله تعالى: ﴿جَنَّتِ عَذْنٍ﴾

(١) رواه ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (٥/٥٢٨) من طريق نهشل، عن الضحاك، به.

ونهشل بن سعيد الورداني، متروك.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٣٦).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٦٣٢).

وقرأ أبو رزين العقيلي، والضَّحَّاكُ، وابنُ يعمر، وابنُ أبي عبلَةَ: «جناتُ» برفع التَّاءِ^(١).

وقرأ الحسنُ البصري، والشَّعْبِيُّ، وابنُ السَّمِيفِع: «جَنَّةُ عَذْنٍ» على التَّوْحِيد مع رفع التَّاءِ^(٢).

وقرأ أبو مجلِّز، وأبو المتوكلُّ الناجي: «جَنَّةُ عَذْنٍ» على التَّوْحِيد مع نصبِ التَّاءِ.

وقوله: ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ أي: وعدهم بها، ولم يروها، فهي غائبةٌ عنهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ فيه قولان: أحدهما: آتياً.

قال ابنُ قُتَيْبَةَ: وهو مفعولٌ في معنى فاعل، وهو قليلٌ أن يأتي الفاعل على لفظِ المفعولِ به^(٣).

وقال الفَرَّاءُ: إنَّهما لم يقل: آتياً، لأنَّ كلَّ ما أتاك فأنت تأتیه؛ ألا ترى أنَّك تقول: أتيت على خمسين سنة، وأتت عليَّ خمسون^(٤).

والثاني: مبلوغاً إليه، قاله ابنُ الأنباري.

(١) مختصر ابن خالويه (ص: ٨٨) عن الحسن، وفي المحرر (٢٣/٤) عيسى بن عمر، وأبي حيوه

(٢) مختصر ابن خالويه (ص: ٨٨)، الحسن بن حي، والمحرر (٢٣/٤) عن علي بن صالح، وزاد في التحصيل (٢٦٧/٤) الأعمش.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٧٤).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٧٠).

وقال ابنُ جريج: ﴿وَعَدُهُ﴾ هاهنا: موعوده، وهو الجنة، و﴿مَأْنِيًا﴾ يأتيه أولياؤه^(١).

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ فيه قولان: أحدهما: أنه التخالف عند شرب الخمر، قاله مقاتل^(٢). والثاني: ما يلغى من الكلام ويؤثم فيه، قاله الزجاج^(٣). وقال ابنُ الأنباري: اللغو في العربية: الفاسد المطروح. قوله تعالى: ﴿إِلَّا سَلَمًا﴾.

قال أبو عبيدة: السلامُ ليس من اللغو، والعربُ تستثنى الشيء بعد الشيء وليس منه، وذلك أنها تضرر فيه، فالمعنى: إلا أنهم يسمعون فيها سلاماً^(٤).

وقال ابنُ الأنباري: استثنى السلام من غير جنسه، وفي ذلك تأكيدٌ للمعنى المقصود، لأنهم إذا لم يسمعوا من اللغو إلا السلام، فليس يسمعون لغواً البتة، وكذلك قوله: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٧٧] إذا لم يخرج من عداوتهم لي غير ربِّ العالمين، فكلُّهم عدوٌّ.

وفي معنى هذا السلام قولان:

أحدهما: أنه تسليم الملائكة عليهم، قاله مقاتل^(٥).

(١) أورده الواحدي في الوسيط (١٨٨/٣).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٦٣٣/٢).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣٣٧/٣).

(٤) انظر: مجاز القرآن (٨/٢).

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٦٣٣/٢).

والثاني: أَنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ إِلَّا مَا يُسَلَّمُ لَهُمْ، وَلَا يَسْمَعُونَ مَا يُؤْتِيهِمْ،
قاله الزَّجَّاجُ^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

قال المفسِّرون: ليس في الجنة بكرة ولا عشيَّة، ولكنَّهم يؤتون برزقهم
- على مقدارٍ ما كانوا يعرفون - في الغداة والعشي.

قال الحسن: كانت العرب لا تعرف شيئاً من العيشِ أفضل من
الغداة والعشاء، فذكر الله لهم ذلك^(٢). [أ/٥٢٦]

وقال قتادة: كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداة والعشاء أعجب
به، فأخبر الله أنَّهُمْ في الجنة رزقهم بكرةً وعشيًّا على قدر ذلك الوقت،
وليس ثمَّ ليل ولا نهار، وإنَّما هو ضوءٌ ونورٌ^(٣).

وروى الوليد بن مسلم قال: سألت زهير بن محمَّد عن قوله تعالى:
﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ فقال: ليس في الجنة ليلٌ ولا نهارٌ، هم في نورٍ أبدًا، ولهم
مقدار اللَّيل والنَّهار، يعرفون مقدار اللَّيل بإرخاء الحجب وإغلاق
الأبواب، ويعرفون مقدار النَّهار برفع الحجب وفتح الأبواب^(٤).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٣٧).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/١٨٩).

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٣٥٨)، ومن طريقه ابن جرير الطبري (١٥/٥٧٧) عن
معمر، به.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥/٥٧٦) عن علي بن سهل، عن الوليد بن
مسلم، عن زهير بن محمد التميمي العنبري، أبو المنذر الخراساني، بنحوه.

قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ﴾ الإشارة إلى قوله: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾.

قوله تعالى: ﴿نُورِثُ﴾.

وقرأ أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ، والحسنُ، والشَّعْبِيُّ، وقتادة، وابنُ أبي عبلة: بفتح الواو وتشديد الرَّاء^(١).

قال المفسِّرون: ومعنى «نُورِثُ»: نعطي المساكن التي كانت لأهل النار لو آمنوا للمؤمنين.

ويجوز أن يكون معنى نورث: نعطي، فيكون كالميراث لهم من جهة أنَّها تملك متسأنف، وقد شرحنا هذا في الأعراف^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾.

وقرأ ابنُ السَّمِيعِ وابنُ يَعْمَرُ: «وَمَا يَنْتَزِلُ» بياء مفتوحة^(٣).

وفي سبب نزولها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن رسولَ الله ﷺ قال: «يَا جَبْرِيلُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا»، فنزلت هذه الآية، رواه سعيدُ بنُ جبْرِ عن ابنِ عَبَّاسٍ^(٤).

(١) عن الحسن، وقتادة في التحصيل (٢٦٨/٤)، وانظر: معاني القراءات (١٣٦/٢)، والمبسوط (٢٨٩/١)، والكامل (٥٥٥/١).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٤٣).

(٣) عن الأعرج في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٨).

(٤) رواه أحمد (٢٣١/١)، والبخاري (٤٧٣١)، وفي خلق أفعال العباد (ص: ٧٢)، والترمذي (٣١٥٨)، والنسائي في الكبرى (١١٢٥٧) من طرق عن عمر بن ذر، عن أبيه، به.

والثاني: أن الملك أبطأ على رسول الله ﷺ ثم أتاه، فقال: لَعَلِّي أبطأت، قال: قد فعلت، قال: وما لي لا أفعل، وأنتم لا تتسوكون، ولا تقصون أظفاركم، ولا تنقون براجمكم، فنزلت الآية، قاله مجاهد^(١).

قال ابن الأنباري: البراجم عند العرب: الفصوص التي في فصول ظهور الأصابع، تبدو إذا جمعت، وتغمض إذا بسطت، والرواجب: ما بين البراجم، بين كل برجتين راجبة.

والثالث: أن جبريل احتبس عن النبي ﷺ حين سأله قومه عن قصة أصحاب الكهف، وذوي القرنين، والروح، فلم يدر ما يجيبهم، ورجا أن يأتيه جبريل بجواب، فأبطأ عليه، فشق على رسول الله ﷺ مشقة شديدة، فلما نزل جبريل قال له: «أَبْطَأْتُ عَلَيَّ حَتَّى سَاءَ ظَنِّي، وَاسْتَقْتُ إِلَيْكَ»، فقال جبريل: إِنِّي كُنْتُ أَشْوَقَ، وَلَكِنِّي عَبْدٌ مَأْمُورٌ، إِذَا بَعَثْتَ نَزَلْتُ، وَإِذَا حَبَسْتَ احْتَبَسْتُ، فنزلت هذه الآية، قاله عكرمة^(٢) وقتادة^(٣) والضحاك^(٤).

وفي سبب احتباس جبريل عن رسول الله ﷺ قولان:

أحدهما: لامتناع أصحابه من كمال النظافة، كما ذكرنا في حديث مجاهد.

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٤٤٩/٥) من طريق الأعمش، عن مجاهد، مرسلًا.

(٢) أثر عكرمة رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٢٤٩/٥) وقال غريب.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٨٠/١٥) من طريق سعيد بن أبي عروبة، بنحو حديث عكرمة.

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٨١/١٥).

والثاني: لأنهم سألوه عن قصة أصحاب الكهف، فقال: «غداً أُخبرُكُمْ»، ولم يقل: إن شاء الله؛ وقد سبق هذا في سورة الكهف^(١).
وفي مقدار احتباسه عنه خمسة أقوال:

[ب/٥٢٦]

أحدها: خمسة عشر يوماً؛ وقد ذكرناه في الكهف عن ابن عباس.

والثاني: أربعون يوماً، قاله عكرمة، ومقاتل^(٢).

والثالث: اثنتا عشرة ليلة، قاله مجاهد.

والرابع: ثلاثة أيام، حكاه مقاتل^(٣).

والخامس: خمسة وعشرون يوماً، حكاه الثعلبي^(٤).

وقيل: إن سورة الضحى نزلت في هذا السبب.

والمفسرون على أن قوله: ﴿وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ قول جبريل.

وحكى الماوردي: أنه قول أهل الجنة إذا دخلوها، فالمعنى: ما نزل

هذه الجنان إلا بأمر الله، وقيل: ما نزل موضعاً من الجنة إلا بأمر الله^(٥).

وفي قوله: ﴿لَهُ مَابَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ قولان:

أحدهما: ﴿لَهُ مَابَيْنَ أَيْدِينَا﴾: الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: الدنيا، رواه

العوفي عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، وقتادة، ومقاتل^(٦).

(١) انظر: تفسير سورة الكهف الآية رقم (٢٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٦٣٣).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) انظر: الكشف والبيان (٦/٢٢٣) وفيه: «خمس عشرة».

(٥) انظر: النكت والعيون (٣/٣٨١).

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٢/٦٣٣).

والثاني: ما بين أيدينا: ما مضى من الدنيا، وما خلفنا: من الآخرة، فهو عكس الأول، قاله مجاهدٌ.
وقال الأخفش: ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾: قبل أن نخلق، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾: بعد الفناء^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ ثلاثة أقوال:
أحدها: ما بين الدنيا والآخرة، قاله سعيد بن جبير.
والثاني: ما بين النفختين، قاله مجاهدٌ، وعكرمةٌ، وأبو العالية.
والثالث: حين كوننا، قاله الأخفش^(٢).
قال ابنُ الأنباري: وإنما وحد ذلك، والإشارة إلى شيئين.
أحدهما: ما بين أيدينا.
والثاني: ما خلفنا، لأنَّ العربَ توقع ذلك على الاثنين والجمع.
قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ النسيُّ بمعنى النَّاسِي.
وفي معنى الكلام قولان:
أحدهما: ما كان تاركاً لك منذ أبطأ الوحي عنك، قاله ابنُ عباسٍ.
قال مقاتلٌ: ما نسيك عند انقطاع الوحي عنك^(٣).
والثاني: أنَّه عالم بما كان ويكون لا ينسى شيئاً، قاله الزجاج^(٤).

(١) انظر: معاني القرآن (٢/ ٤٣٩).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٤٣٩).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٧).

قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ أي: وحده، لأنَّ عبادته بالشُّركِ ليست عبادة،
﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ أي: اصبر على توحيدِهِ؛ وقيل: على أمرِهِ ونهيه.
قوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾.

روى هارون عن أبي عمرو أنّه كان يدغم «هل تعلم»، ووجهه أنَّ
سيبويه يميز إدغام اللّام في التّاء والتّاء والدّال والزّاي والسّين والصّاد
والطّاء، لأن آخر مخرج اللّام قريبٌ من مخرجهنَّ.

قال أبو عبيدة: إذا كان بعد «هل» تاء، ففيه لغتان، بعضهم يبين لام
«هل»، وبعضهم يدغمها^(١).

وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: مثلاً وشبهاً، رواه ابنُ أبي طلحة عن ابنِ عبّاسٍ، وبه قال
سعيدُ بنُ جبير، ومجاهدٌ، وقتادةٌ.

والثاني: هل تعلم أحداً يسمّي الله غيره، رواه عطاءٌ عن ابنِ عبّاسٍ.
والثالث: هل تعلم أحداً يستحقُّ أن يُقال له: خالق وقادر إلّا هو،
قاله الزّجاجُ^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَنُ أَيْدَا مَا مِثُّ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا﴾ ١٦ ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ
الْإِنْسَنُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ ١٧ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ
لَنَحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ ١٨ ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِثًّا
١٩﴾ ١٩ ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا﴾ ٢٠ ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا

(١) مجاز القرآن (٩/٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٣٨).

مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَا ﴿٧٢﴾ [مريم: ٦٦-٧٢].

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَنُ﴾:

سبب نزولها: أن أبي بن خلف أخذ عظمًا بالياً، فجعل يفتنه بيده ويذريه في الرِّيح ويقول: زعم لكم محمد أن الله يبعثنا بعد أن نكون مثل هذا العظم البالي، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(١). وروى عطاء عن ابن عباس: أنه الوليد بن المغيرة.

قوله تعالى: ﴿لَسَوْفَ أَخْرِجُ حَيًّا﴾ إن قيل: ظاهره ظاهر سؤال، فأين [٥٢٧/أ] جوابه؟ فعنه ثلاثة أجوبة، ذكرها ابن الأنباري:

أحدها: أن ظاهر الكلام استفهام، ومعناه معنى جحد وإنكار، تلخيصه: لست مبعوثاً بعد الموت.

والثاني: أنه لما استفهم بهذا الكلام عن البعث، أجابه الله ﷻ بقوله: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَنُ﴾، فهو مشتمل على معنى: نعم، وأنت مبعوث.

والثالث: أن جواب سؤال هذا الكافر في يس^(٢) عند قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾، ولا ينكر بعد الجواب، لأن القرآن كله بمنزلة الرسالة الواحدة، والسورتان مكيتان.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَنُ﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: بفتح الدال مشددة الكاف.

(١) أورده الواحدي في أسباب النزول (١/ ٣٠١) عن محمد بن السائب الكلبي.

(٢) انظر: تفسير سورة يس الآية (٧٨).

وقرأ نافعٌ، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ: ﴿يَذْكُرُ﴾، ساكنة الدَّال خفيفة^(١).
 وقرأ أبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو المتوكلُ الناجي: «أولا يتذكر الإنسان» بياء وتاء^(٢).
 وقرأ ابنُ مسعودٍ، وابنُ عباسٍ، وأبو عبد الرحمن السلميُّ، والحسنُ:
 «يذكر» بياء من غير تاء ساكنة الدَّال مخففة مرفوعة الكاف، والمعنى:
 أولا يتذكر هذا الجاحدُ أوَّل خلقه، فيستدل بالابتداء على الإعادة؟
 ﴿فَوَرَّيْكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ يعني: المكذِّبين بالبعث ﴿وَالشَّيْطِينَ﴾ أي:
 مع الشَّيَاطِين، وذلك أنَّ كلَّ كافرٍ يحشر مع شيطانه في سلسلة.
 ﴿ثُمَّ لَنُخْصِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾.
 قال مقاتلٌ: أي: في جهنم، وذلك أنَّ حَوْلَ الشَّيْءِ يجوز أن يكون
 داخله، تقول: جلس القومُ حول البيت: إذا جلسوا داخله مطيفين به^(٣).
 وقيل: يحشون حولها قبل أن يدخلوها.
 فأما قوله: ﴿جَنَّتًا﴾.
 فقال الزجاجُ: هو جمعُ جاثٍ، مثل قاعد وقعود، وهو منصوبٌ
 على الحالِ، والأصلُ ضمُّ الجيمِ، وجاء كسرُها إتياعاً لكسرةِ الشَّاءِ^(٤).
 وللمفسِّرين في معناه خمسةُ أقوالٍ:
 أحدها: قعوداً، رواه العوفيُّ عن ابنِ عباسٍ.

(١) السبعة (ص: ٤١٠)، والحجة (٥/ ٢٠٣-٢٠٤)، والتيسير (ص: ١٤٩).

(٢) قراءة أبي رضي الله عنه في الحجة (٥/ ٢٠٤)، والمحرر (٤/ ٢٥)، ومختصر ابن خالويه (ص: ٨٨).

(٣) لم أقف عليه من كلام مقاتل، وهو في الوسيط للواحدي (٣/ ١٩٠) بلا نسبة.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٨).

والثاني: جماعات جماعات، روي عن ابن عباسٍ أيضًا.
 فعلى هذا هو جمع جنوة وهي المجموع من التُّراب والحجارة.
 والثالث: جثيًا على الرُّكَب، قاله الحسنُ، ومجاهدٌ، والزَّجَّاجُ^(١).
 والرابع: قيامًا، قاله أبو مالك.

والخامس: قيامًا على ركبهم، قاله السُّدِّيُّ، وذلك لضيق المكان بهم.
 قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ أي: لنأخذنَّ من كلِّ فرقةٍ
 وأمةٍ وأهل دين ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ أي: أعظمهم له معصية،
 والمعنى: أنَّه يبدأ بتعذيب الأعتى فالأعتى، وبالأكابر جرماً، والرؤوس
 القادة في الشرِّ.

قال الزَّجَّاجُ: وفي رفع ﴿أَيُّهُمْ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّه على الاستئناف، ولم تعمل «لننزعن» شيئاً، هذا قولُ يونسَ.
 والثاني: أنَّه على معنى الذي يُقال لهم: أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا؟
 قاله الخليلُ، واختاره الزَّجَّاجُ، وقال: التأويل لننزعن الذي من أجل
 عتوه يقال: أي هؤلاء أَشَدُّ عِتِيًّا؟ وأنشد [من الكامل]^(٢):

وَلَقَدْ أَبَيْتُ مِنَ الْفَتَاةِ بِمَنْزِلٍ فَأَبَيْتُ لَا حَرْجٌ وَلَا مَحْرُومٌ

المعنى: أبَيْتُ بمنزلة الذي يقال له: لا هو حرج ولا محروم.

[٥٢٧/ب]

(١) انظر: المصدر السابق (٣/٣٣٨).

(٢) البيت للأخطل في ديوانه (ص: ٦١٦)، وشرح أبيات سيويه (١/٥١٠)، وشرح المفضل

(٣/١٤٦)، والكتاب (٢/٨٤)، ولسان العرب (٤/٤٩٢)، وبلا نسبة في الإنصاف

(١/٧١٠)، وشرح المفصل (٧/٨٧).

والثالث: أَنَّ أَيُّهُمْ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الضَّمِّ، لِأَنَّهُ خَالَفتْ أَخَوَاتُهَا، فَاَلْمَعْنَى: أَيُّهُمْ هُوَ أَفْضَلُ . وَبَيَانُ خِلَافِهَا لِأَخَوَاتِهَا أَنَّكَ تَقُولُ: اضْرِبْ أَيُّهُمْ أَفْضَلَ، وَلَا يَحْسُنُ: اضْرِبْ مِنْ أَفْضَلٍ، حَتَّى تَقُولَ مِنْ هُوَ أَفْضَلُ، وَلَا يَحْسُنُ: كُلُّ مَا أَطِيبَ، حَتَّى تَقُولَ: مَا هُوَ أَطِيبُ، وَلَا خِذْ مَا أَفْضَلُ، حَتَّى تَقُولَ: الَّذِي هُوَ أَفْضَلُ، فَلَمَّا خَالَفتْ مَا وَمِنْ وَالَّذِي، بُنِيَتْ عَلَى الضَّمِّ، قَالَه سَيِّوِيهِ^(١).

قوله تعالى: ﴿هُمُ أَوْلَىٰ بِهَا صِلًىً﴾ يعني: أَنَّ الْأَوَّلَىٰ بِهَا ﴿صِلًىً﴾ الَّذِينَ هُمْ أَشَدُّ ﴿عِنًىً﴾، فَيُتَبَدَأُ بِهِمْ قَبْلَ أَتْبَاعِهِمْ. ﴿صِلًىً﴾: مَنْصُوبٌ عَلَى التَّفْسِيرِ، يَقَالُ: صِلِي النَّارَ يَصْلَاهَا: إِذَا دَخَلَهَا وَقَاسَى حَرَّهَا.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فِي الْكَلَامِ إِضْمَارٌ تَقْدِيرُهُ: وَمَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ وَارِدُهَا.

وَفِيْمِنْ عَنِي بِهَذَا الْخُطَابِ قَوْلَانِ:
أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ عَامٌّ فِي حَقِّ الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ، هَذَا قَوْلُ الْأَكْثَرِينَ.
وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: هَذِهِ الْآيَةُ لِلْكَفَّارِ .
وَأَكْثَرُ الرِّوَايَاتِ عَنْهُ كَالْقَوْلِ الْأَوَّلِ.

قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَوَجْهٌ هَذَا أَنَّهُ لَمَّا قَالَ: لِنَحْضُرْهُمْ وَقَالَ: أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا، كَانَ التَّقْدِيرُ: وَإِنْ مِنْهُمْ، فَأَبْدَلَتِ الْكَافُ مِنَ الْهَاءِ، كَمَا فَعَلَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾ [الْإِنْسَانُ: ٢٢] الْمَعْنَى: كَانَ لَهُمْ، لِأَنَّهُ مُرَدُّودٌ

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٣٩).

على قوله: ﴿وَسَقَهُمُ رَبُّهُمْ﴾ [الإنسان: ٢١]، وقال الشاعر [من الكامل] ^(١):
 شَطَّتْ مُزَارَ الْعَاشِقِينَ فَأَضْبَحَتْ عَسِيرًا عَلَيَّ طِلَابُكَ ابْنَةَ مُحَرَّمٍ
 أراد: طلابها.

وفي هذا الورود خمسة أقوال:

أحدها: أنه الدُّخُولُ، روى جابرُ بنُ عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال: «الْوُرُودُ: الدُّخُولُ، لَا يَبْقَى بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَتَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِ بَرْدًا وَسَلَامًا، كَمَا كَانَتْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، حَتَّى إِنَّ لِلنَّارِ، - أَوْ قَالَ: لِحَهْنَمَ - ضَجِيجًا مِنْ بَرْدِهِمْ» ^(٢).

وروي عن ابن عباس أنه سأل نافع بن الأزرق عن هذه الآية فقال له: أمّا أنا وأنت فسندخلها، فانظر أئخر جنا الله ﷻ منها، أم لا؟ فاحتج بقوله تعالى: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: ٩٨] وبقوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] ^(٣).

(١) البيت لعنترة في ديوانه (ص: ١٠٩)، ولسان العرب (٤/ ٣١٤ - ٣٣٦)، وتاج العروس (١١/ ٣٩٦)، ومقياس اللغة (٣/ ٤٢).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢٢/ ٣٩٧)، وعبد بن حميد (١١٠٦)، والبيهقي في الشعب (٣٧٠) من طريق سليمان بن حرب، عن غالب بن سليمان، عن كثير بن زياد البرساني، عن أبي سمية، عن جابر بنحوه.
 ورواه الحاكم في المستدرک (٤/ ٥٧٨) من طريق سليمان بن حرب، عن أبي صالح غالب بن سليمان، عن كثير بن زياد أبي سهل، عن مُسَّة الأزدية، عن عبد الرحمن بن شيبه، عن جابر.
 وهذا إسناد ضعيف؛ لجهالة أبي سمية، ومُسَّة هذه لم يرو عنها غير كثير بن زياد، وقد اضطرب في هذا الحديث.

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٦٠)، ومن طريقه ابن جرير الطبري (١٥/ ٥٩٠)

وكان عبد الله بن رواحة يبيكي ويقول: أنبت أني وارد، ولم أنبأ أني صادر^(١).
وحكى الحسنُ البصريُّ أنَّ رجلاً قال لأخيه: يا أخي هل أتاك
أنك وارد النار؟ قال: نعم؛ قال: فهل أتاك أنك خارج منها، قال: لا؛
قال: فقيم الضحك^(٢)؟

وقال خالد بن معدان: إذا دخل أهل الجنة الجنة، قالوا: ألم يعدنا
ربنا أن نرد النار؟ فيقال لهم: بلى، ولكن مررتم بها وهي خامدة^(٣).
ومن ذهب إلى أنه الدخول: الحسن في رواية، وأبو مالك.
وقد اعترض على أرباب هذا القول بأشياء.

فقال الزجاج: العرب تقول: وردت بلد كذا، ووردت ماء كذا،
إذا أشرفوا عليه وإن لم يدخلوا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾
[القصص: ٢٣] والحجة القاطعة في هذا القول قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا
مُبْعَدُونَ﴾ [١٠١] لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا [الأنبياء: ١٠١، ١٠٢]، وقال زهير [من
الطويل] ^(٤):

فَلَمَّا وَرَدْنَ الْمَاءَ زُرْقًا جَمَامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الْحَاضِرِ الْمُتَخَيِّمِ
أي: لما بلغن الماء قُضْنَ عليه.

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٧٢٧) عن وكيع، عن إسماعيل، عن قيس، به.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦٠٠ / ١٥) من طريق ابن المبارك، به.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٩٢ / ١٥) من طريق بكار بن أبي مروان، به.

(٤) البيت في ديوانه (ص: ١٣)، ولسان العرب (٤٥٧ / ٣)، وتهذيب اللغة (٦٠٨ / ٧)، وتاج
العروس (٢٨٩ / ٩).

قال الشيخ^(١): قلتُ: وقد أجاب بعضهم عن هذه الحجج، فقال: أمّا الآية الأولى، فإنّ موسى لما أقام حتّى استقى الماء وسقى الغنم، كان بلبشه ومباشرته كأنّه دخل؛ وأمّا الآية الأخرى: فإنّها تضمّنت الإخبار عن أهل الجنّة حين كونهم فيها، وحينئذٍ لا يسمعون حسيسها.

وقد روينا أنفأ عن خالد بن معدان أنّهم يمرّون بها، ولا يعلمون^(٢).

والثاني: أن الورود: الممر عليها، قاله عبد الله بن مسعود، وقتادة.

وقال ابن مسعود: يرد الناس النار، ثم يصدرون عنها بأعمالهم، فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشدّ الرّجل، ثم كمشيّه^(٣).

والثالث: أن ورودها: حضورها، قاله عبيد بن عمير.

والرابع: أن ورود المسلمين: المرور على الجسر، وورود المشركين: دخولها، قاله ابن زيد.

والخامس: أن ورود المؤمن إليها: ما يصيبه من الحمى في الدنيا، روى عثمان بن الأسود، عن مجاهد أنّه قال: الحمى حظّ كل مؤمن من النار، ثم قرأ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾^(٤)، فعلى هذا من حُمّ من المسلمين، فقد وردّها.

(١) في (س)، و(ر): (قلت)، وفي (م): (قال المصنّف: قلت).

(٢) تقدم قريباً.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤٣٥/١)، والدرمي (٢٨١٠)، والترمذي (٣١٥٩)، والحاكم في المستدرک (٤٠٧/٢) مرفوعاً.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في المرض والكفارات (٢٠)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٥٩٧/١٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٣٨٥) من طريق عثمان بن الأسود، به.

قوله تعالى: ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ﴾ يعني: الورود ﴿حَتْمًا﴾ والحتم: إيجاب القضاء، والقطع بالأمر.

والمقضي: الذي قضاه الله تعالى، والمعنى: إنه حتم ذلك وقضاه على الخلق. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ أَنْقَوْا﴾.

وقرأ ابن عباس، وأبو مجليز، وابن يعمر، وابن أبي ليلى، وعاصم الجحدري: «ثُمَّ» بفتح الشاء^(١).

وقرأ الكسائي، ويعقوب: «نُنْجِي» مخففة^(٢).

وقرأت عائشة، وأبو بحرية، وأبو الجوزاء الربيعي: «ثُمَّ يُنْجِي» بياء مرفوعة قبل النون خفيفة الجيم مكسورة.

وقرأ أبي بن كعب، وأبو مجليز، وابن السميع، وأبو رجاء: «نُنْجِي» بحاء غير معجمة مشددة^(٣).

وهذه الآية يحتج بها القائلون بدخول جميع الخلق، لأن النجاة: تخلص الواقع في الشيء، ويؤكد قوله تعالى: ﴿وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا﴾ ولم يقل: وندخلهم؛ وإنما يقال: نذر ونترك لمن قد حصل في مكانه.

ومن قال: إن الورود للكفار خاصة، قال: معنى هذا الكلام: نخرج المتقين من جملة من يدخل النار.

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩) عن ابن عباس، والجحدري، وابن أبي ليلى، وفي التحصيل (٢٨١/٤) عن ابن عباس، وغيره.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩) عن ابن محيصن، وزاد في المحرر (٢٨/٤) يحى والأعمش.

(٣) في المحرر الوجيز (٢٨/٤) عن علي بن أبي طالب.

والمراد بالمتقين: الذين اتقوا الشرك، وبالظالمين: الكفار.

وقد سبق معنى قوله تعالى: ﴿جَنَّتَا﴾ [مريم: ٦٨].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۖ﴾ (٧٣) ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيًّا﴾ [مريم: ٧٣ - ٧٤].

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يعني: المشركين ﴿آيَاتُنَا﴾ يعني: القرآن ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: مشركي قريش ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: لفقراء المؤمنين ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾.

قرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر، [وحفص] ^(١) عن عاصم: «مقاماً» بفتح الميم.

وقرأ ابن كثير بضم الميم ^(٢).

قال أبو علي الفارسي: المقام: اسم المثنوى، إن فُتحت الميم أو ضُمَّت ^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ والنديُّ والنادي: مجلس القوم ومجتمعهم. وقال الفراء: النديُّ والنادي، لغتان ^(٤).

ومعنى الكلام: أنحن خير، أم أنتم؟ فافتخروا عليهم بالمساكن [٥٢٨/ب]

والمجالس، فأجابهم الله تعالى فقال: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ﴾ وقد بينا

(١) زيادة من (م).

(٢) السبعة (ص: ٤١١)، والحجة (٥/٢٠٤-٢٠٥)، والتيسير (ص: ١٤٩).

(٣) الحجة (٥/٢٠٥).

(٤) معاني القرآن (٢/١٧١).

معنى القرن في الأنعام^(١) وشرحنا الأثاث في النحل^(٢).

فأما قوله تعالى: ﴿وَرِيًّا﴾.

فقرأ ابنُ كثير، وعاصمٌ، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: ﴿وَرِيًّا﴾ بهمزة بين الرّاء والياء في وزن رعيّا.

قال الزّجاج: ومعناها: منظراً، من رأيت^(٣).

وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ: «ريّاً» بياءٍ مشدّدةٍ من غير همز^(٤).

قال الزّجاج: لها تفسيران:

أحدهما: أنّها بمعنى الأولى.

والثاني: أنّها من الرّيّ، فالمعنى منظرهم مرتوٍ من النعمة، كأنّ النّعيم بيّنٌ فيهم^(٥).

وقرأ ابنُ عباسٍ، وأبو المتوكّل، وأبو الجوزاء، وابنُ أبي سُرَيْجٍ عن الكسائي: «زيّاً» بالزّاي المعجمة مع تشديد الياء من غير همز^(٦).

قال الزّجاج: ومعناها: حسنٌ هيئتهم^(٧).

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٦).

(٢) انظر: تفسير سورة النحل الآية رقم (٨٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٤٢).

(٤) السبعة (ص: ٤١١)، والحجة (٥/٢٠٩)، والمبسوط (١/٢٩٠).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٤٣).

(٦) في التحصيل (٤/٢٨٢) عن سعيد بن جبیر، والأعسم المكي، ويزيد البربري، وفي مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩) عن ابن جبیر

(٧) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٤٣).

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ۝٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَلَقِيتُ أَصْلَحْتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿مريم: ٧٥-٧٦﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾ أي: في الكفر والعمى عن التوحيد ﴿فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: وهذا لفظ أمر، ومعناه الخبر، والمعنى: أن الله تعالى جعل جزاء ضلَّالته أن يتركه فيها^(١).

قال ابنُ الأنباري: خاطب الله العربَ بلسانها، وهي تقصد التوكيد للخبر بذكر الأمر، يقول أحدهم: إن زارنا عبد الله فلنكرمه، يقصد التوكيد، وينبّه على أني ألزم نفسي إكرامه؛ ويجوز أن تكون اللام لام الدُّعاء على معنى: قل يا محمد: من كان في الضلالة فاللهم مدِّ له في العمر مدًّا.

قال المفسرون: ومعنى مد الله تعالى له: إمهاله في الغي.

﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا﴾ يعني الذين مدَّهم في الضلالة.

وإنما أخبر عن الجماعة، لأنَّ لفظ «من» يصلح للجماعة.

ثم ذكر ما يوعدون فقال: ﴿إِمَّا الْعَذَابَ﴾ يعني: القتل، والأسر ﴿وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ يعني: القيامة وما وعدوا فيها من الخلود في النار ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ في الآخرة، أمهم، أم المؤمنون؟ لأنَّ مكان

(١) المصدر السابق.

هؤلاء [الجنة، ومكان هؤلاء] ^(١) النار، ويعلمون بالنصر والقتل ﴿وَأَضَعُفُ جُنْدًا﴾ جندهم، أم جند رسول الله ﷺ.

وهذا ردٌ عليهم في قولهم: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ فيه خمسة أقوال:

أحدها: ويزيد الله الذين اهتدوا بالتوحيد إيمانًا.

والثاني: يزيدهم بصيرة في دينهم.

والثالث: يزيدهم بزيادة الوحي إيمانًا، فكلما نزلت سورة زاد إيمانهم.

والرابع: يزيدهم إيمانًا بالناسخ والمنسوخ.

والخامس: يزيد الذين اهتدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْعَلُ جَزَاءَهُمْ أَنْ يَزِيدَهُمْ يَقِينًا،

كما جعل جزاء الكافر أن يمدّه في ضلّالته ^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَالْبَقِيَّتُ الصَّالِحَتُ﴾ قد ذكرناها في سورة الكهف ^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَخَيْرُ مَرَدًّا﴾ المرادُ هاهنا مصدر مثل الرَّدِّ، والمعنى: وخير

ردًا للثواب على عامليها، فليست كأعمال الكفار التي خسروها فبطلت.

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَا أُوتِيكَ مَالًا وَلَدًا﴾ ^(٧٧)

أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ^(٧٨) كَلَّا سَنَكُنُّبُ مَا يَقُولُ وَنَعُدُّ لَهُ مِنْ

الْعَذَابِ مَدًّا ^(٧٩) وَنُرِيهِ مَا يَقُولُ وَيَأْتِنَا فَردًا ﴿[مريم: ٧٧ - ٨٠].

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (س)، و(م).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤٤).

(٣) انظر: تفسير سورة الكهف الآية رقم (٤٦).

[٥٢٩/أ]

قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ في سبب نزولها قولان:

أحدهما: ما روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث مسروق، عن خباب بن الارت قال: كُنْتُ قَيْنًا^(١) فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ لِي عَلَى الْعَاصِ بْنِ وائِلٍ دَيْنٌ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أَقْضِيكَ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَقُلْتُ: لَا أَكْفُرُ حَتَّى يُمِيتَكَ اللَّهُ، ثُمَّ تَبَعْتُ، قَالَ: دَعْنِي حَتَّى أَمُوتَ وَأُبْعَثَ، فَسَأَوْتَنِي مَالًا وَوَلَدًا فَأَقْضِيكَ، فَتَرَلْتُ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَرَدَّ﴾^(٢).

والثاني: أنها نزلت في الوليد بن المغيرة، وهذا مروى عن الحسن^(٣) والمفسرون على الأول.

قوله تعالى: ﴿لَا تُتْرَكُ مَالًا وَوَلَدًا﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وعاصم، وابن عامر: بفتح الواو. وقرأ حمزة، والكسائي: بضم الواو^(٤).

وقال الفراء: وهما لغتان: العَدم، وَالْعُدْمُ، وليس يجمع، وقيس تجعل الولد جمعاً، والولد، بفتح الواو، واحداً^(٥).

وأين زعم هذا الكافر أن يؤتى المال والولد؟ فيه قولان: أحدهما: أنه أراد في الجنة على زعمكم.

(١) أي: حذاذاً.

(٢) رواه البخاري (٢٠٩١)، ومسلم (٢٧٩٥).

(٣) أورده ابن عطية في المحرر (٤/ ٣٠)، وأبو حيان في البحر المحيط (٧/ ٢٩٣).

(٤) السبعة (ص: ٤١٢)، والحجة (٥/ ٢١٠)، والتيسير (ص: ١٤٩).

(٥) معاني القرآن (٢/ ١٧٣).

والثاني: في الدنيا.

قال ابن الأنباري: وتقدير الآية: رأيت مصيباً؟

قوله تعالى: ﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ﴾.

قال ابن عباس في رواية: أَعْلِمَ ما غاب عنه حتّى يعلم أفي الجنة

هو، أم لا^(١)؟

وقال في رواية أخرى: أَنْظَرَ في اللّوح المحفوظ^(٢)؟

قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أم قال: لا إله إلا الله، فأرحمه بها؟ قاله ابن عباس.

والثاني: أم قدّم عملاً صالحاً، فهو يرجوه؟ قاله قتادة.

والثالث: أم عهد إليه أنّه يدخله الجنة؟ قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر على ما قال من أنّه يؤتى

المال والولد.

ويجوز أن يكون معنى كلا أي: أنّه لم يطلع الغيب، ولم يتخذ عند

الرّحمن عهداً.

﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ أي: سنأمر الحفظة بإثبات قوله عليه لنجازه

به، ﴿وَنُعَذِّلُهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ أي: نجعل بعض العذاب على إثر بعض.

وقرأ أبو العالية الرّياحي، وأبو رجاء العطاردي: «سيكتب»،

و«يرثه» بياء مفتوحة^(٣).

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ١٩٤).

(٢) أورده الثعلبي في الكشف والبيان (٦/ ٢٢٩)، وفي الوسيط (٣/ ١٩٤) من قول الكلبي.

(٣) في المحرر الوجيز (٤/ ٣١) وقرأ عاصم والأعمش «سيكتب» بياء مضمومة.

قوله تعالى: ﴿وَرِثُهُ مَا يَقُولُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: رثته ما يقول أنه له في الجنة، فنجعله لغيره من المسلمين،
قاله أبو صالح عن ابن عباس، واختاره الفراء.

والثاني: نرث ما عنده من المال والولد، بإهلاكنا إياه، وإبطال ملكه، وهو مروى عن ابن عباس أيضاً، وبه قال قتادة.
قال الزجاج: المعنى: سنسلبه المال والولد، ونجعله لغيره^(١).

قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ أي: بلا مال ولا ولد.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ (٨١) ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ (٨٢) ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا﴾ (٨٣) ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا﴾ [مريم: ٨١ - ٨٤].

قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً﴾ يعني: المشركين عابدي الأصنام ﴿لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾.

قال الفراء: ليكونوا لهم شفعاء في الآخرة^(٢).

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي: ليس الأمر كما قدرُوا، ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ يعني الأصنام بجحد عبادة المشركين، كقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا إِلَّا نَارًا يَبْدُوتُ﴾ [القصص: ٦٣] لأنها كانت جماداً لا تعقل العبادة، ﴿وَيَكُونُونَ﴾ يعني: الأصنام ﴿عَلَيْهِمْ﴾ يعني: المشركين ﴿ضِدًّا﴾ أي: أعواناً عليهم في القيامة، يكذبونهم ويلعنونهم.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤٥).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٧١).

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾^(١)
 قال الزَّجَّاجُ: في معنى هذا الإرسال وجهان:
 أحدهما: خَلينا بين الشياطين وبين الكافرين فلم نعصمهم من
 القبول منهم.

والثاني: وهو المختار: سلطناهم عليهم، وقضناهم لهم بكفرهم.
 ﴿تَوَزُّؤُهُمْ أَرْأَى﴾ أي: تزعجهم إزعاجاً حتى يركبوا المعاصي^(٢).
 وقال الفراء: تزعجهم إلى المعاصي، وتغريهم بها^(٣).
 قال ابنُ فارسٍ: يقال: أَرَّه على كذا: إذا أغراه به، وَأَرَّتِ الْقَدْرُ: غَلَّتْ^(٤).
 قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: لا تعجل بطلب عذابهم، وزعم
 بعضهم أن هذا منسوخٌ بآية السَّيفِ، وليس بصحيح.
 ﴿إِنَّمَا نَعْدُ لَهُمْ عَذَابًا﴾ في هذا المَعْدُودِ ثلاثة أقوال:
 أحدها: أَنَّها أنفاسهم، رواه ابنُ أبي طلحة عن ابنِ عَبَّاسٍ، وبه قال
 طاووس، ومقاتل^(٥).

والثاني: الأَيَّامُ، واللَّيَالِي، والشُّهُورُ، والسُّنُونُ^(٥)، والسَّاعَاتُ، رواه أبو
 صالح عن ابنِ عَبَّاسٍ.
 والثالث: أَنَّها أَعْمَالُهُمْ، قاله قطرب.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤٥).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٧٢).

(٣) مجمل اللغة (١/ ٧٩).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٢/ ٦٣٩).

(٥) في (ر): (والسنين).

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ (٨٥) ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا﴾ (٨٦) ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٥ - ٨٧].

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ﴾ قال بعضهم: هذا متعلق بقوله: ويكونون عليهم ضداً، يوم نحشر المتقين.

وقال بعضهم: تقديره: اذكر لهم يوم نحشر المتقين، وهم الذين اتقوا الله بطاعته واجتناب معصيته.

وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني: «يَحْشُر» بياء مفتوحة ورفع الشين، و«يَسُوق» بياء مفتوحة ورفع السين.

وقرأ أبي بن كعب، والحسن البصري، ومعاذ القاري، وأبو المتوكل الناجي: «يوم يُحْشَر» بياء مرفوعة وفتح الشين «المتقون» رفعا، «ويُسَاق» باللف وياء مرفوعة «المجرمون» بالواو على الرفع^(١).

والوفد: جمع وافد، مثل: ركب، وراكب، وصحب، وصاحب.

قال ابن عباس، وعكرمة، والفراء: الوفد: الركبان^(٢).

قال ابن الأنباري: الركبان عند العرب: ركاب الإبل.

وفي زمان هذا الحشر قولان:

أحدهما: أنه من قبورهم إلى الرحمن، قاله علي بن أبي طالب.

والثاني: أنه بعد الحساب، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني: الكافرين ﴿إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا﴾.

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩)، والمحرر (٣٢ / ٤) عن الحسن.

(٢) معاني القرآن (١٧٢ / ٢).

قال ابنُ عَبَّاسٍ، وأبو هريرة، والحسن: عطاشاً^(١).

قال أبو عُبَيْدَةَ: الِوَرْدُ: مصدرُ الورد^(٢).

وقال ابنُ قُتَيْبَةَ: الِوَرْدُ: جماعةٌ يردون الماءَ^(٣)، يعني: أنهم عطاشٌ، لأنه لا يرد الماء إلا العطشان.

وقال ابنُ الْأَنْبَارِيِّ: معنى قوله ورداً: واردين.

قوله تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ﴾ أي: لا يشفعون ولا يشفع لهم.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: جائزٌ أن يكون «من» في موضع رفع على البدل من الواو والنون، فيكون المعنى: لا يملك الشَّفاعة إلا من أخذ عن الرَّحْمَنِ عهداً، وجائزٌ أن يكون في موضع نصبٍ على استثناء «ليس» من الأول، فالمعنى: لا يملك الشَّفاعة المجرمون، ثم قال: إلا على معنى لكن ﴿مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ فإنه يملك الشَّفاعة^(٤).

والعهد هاهنا: توحيدُ الله والإيمانُ به.

وقال ابنُ الْأَنْبَارِيِّ: تفسيرُ العهد في اللغة: مقدمة أمر يعلم ويحفظ،

من قولك: عهدت فلاناً في هذا المكان، أي: عرفته، وشهدته.

(١) روي هذه الآثار ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥ / ٦٣١).

(٢) مجاز القرآن (١١ / ٢).

(٣) غريب القرآن (١ / ٢٧٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٣٤٦).

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ (٨٨) ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ (٨٩) ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا﴾ (٩٠) ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ (٩١) ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ (٩٢) ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (٩٣) ﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ (٩٤) ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ (مريم: ٨٨-٩٥).

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ يعني: اليهود، والنصارى، ومن زعم من المشركين أن الملائكة بنات الله ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ أي: شيئاً عظيماً من الكفر.

قال أبو عبيدة: الإدُّ، والنُّكر: الأمرُ المتناهي العِظَمُ^(١).

قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ﴾.

قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو، وابنُ عامرٍ، وحمزة، وأبو بكرٍ عن عاصم: ﴿تَكَادُ﴾ بالتَّاءِ.

وقرأ نافعٌ، والكسائي: «يَكَادُ» بالياءِ^(٢).

وقرأ جميعاً: ﴿يَنْفَطَرْنَ﴾ بالياءِ والتَّاءِ مشددة الطَّاءِ، وافقهما ابنُ كثير، وحفصٌ عن عاصمٍ في: ﴿يَنْفَطَرْنَ﴾.

وقرأ أبو عمرو، وأبو بكرٍ عن عاصم: «ينفطرن» بالنون^(٣).

وهكذا خلافهم في ﴿عَسَى﴾^(٤).

(١) مجاز القرآن (١٢/٢).

(٢) السبعة (ص: ٤١٢)، والحجة (٥/٢١٤)، والمبسوط (١/٢٩١).

(٣) السبعة (ص: ٢١٢)، والحجة (٥/٢١٣)، والتيسير (ص: ١٩٤).

(٤) قوله: (وهكذا خلافهم في عسى)، ليس في (م).

وقرأ حمزة، وابن عامر في مزيم مثل أبي عمرو، وفي ﴿عَسَقَ﴾ مثل ابن كثير.
ومعنى ﴿يَنْفَطَرَنَّ مِنْهُ﴾: يقاربن الإنشقاق من قولكم.
قال ابن قتيبة: وقوله تعالى: ﴿هَذَا﴾ أي: سقوطاً^(١).
قوله تعالى: ﴿أَنْ دَعَوْا﴾.

قال الفراء: من أن دعوا، ولأن دعوا^(٢).

وقال أبو عبيدة: معناه: أن جعلوا، وليس هو من دعاء الصوت،
وأنشد [من الطويل]^(٣):

أَلَا رَبَّ مَنْ تَدْعُو نَصِيحًا وَإِنْ تَغِبْ نَحْذُهُ بِغَيْبٍ غَيْرِ مُتَّصِحِ الصَّدْرِ
قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: ما يصلح له، ولا
يليق به اتِّخَاذُ الْوَلَدِ، لأنَّ الْوَلَدَ يَقْتَضِي مِجَانَسَةً، وَكُلُّ مَتَّخِذٍ وَلَدًا يَتَّخِذُهُ
مِنْ جَنْسِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى مَنْزَعٌ عَنْ أَنْ يَجَانَسَ شَيْئًا، أَوْ يَجَانَسَهُ، فَمَحَالٌ فِي
حَقِّهِ اتِّخَاذُ الْوَلَدِ، ﴿إِنْ كُُلُّ﴾ أي: ما كل ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى
الرَّحْمَنِ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿عَبْدًا﴾ ذَلِيلًا خَاضِعًا.
والمعنى: أَنَّ عِيسَى وَغُزَيْرًا وَالْمَلَائِكَةَ عِبِيدٌ لَهُ.

قال القاضي أبو يعلى: وفي هذا دلالة على أَنَّ الْوَالِدَ إِذَا اشْتَرَى وَلَدَهُ،
لَمْ يَبْقَ مَلِكُهُ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا يَعْتَقُ بِنَفْسِ الشَّرَاءِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَفَى الْبَنُوَّةَ لِأَجْلِ
الْعِبُودِيَّةِ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ بَنُوَّةٌ وَرِقٌّ.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٧٦).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٧٣).

(٣) بلا نسبة في مجاز القرآن (٢/ ١٢)، ولسان العرب (١٤/ ٢٦١).

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخْصَنَّهُمْ﴾ أي: علم عددهم ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم مع كثرتهم ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا﴾ بلا مالٍ ولا نصيرٍ يمنعه.

فإن قيل: لآية على وحد في الرحمن ﴿ءَاتِيهِ﴾، وجمع العائد في ﴿أَخْصَنَّهُمْ﴾، ﴿وَعَدَّهُمْ﴾؟

فالجواب: أن لكل لفظٍ توحيد، وتأويل جمع، فالتوحيد محمولٌ على اللفظ، والجمع مصروفٌ إلى التأويل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْتَهُ لِبِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ۝٩٧ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ۝٩٨﴾ [مريم: ٩٦ - ٩٨].

قوله تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾.

قال ابن عباس: نزلت في عليٍّ ؑ، وقال معناه: يحبُّهم ويحبُّهم إلى المؤمنين^(١). قال قتادة: يجعل لهم وُدًّا في قلوب المؤمنين^(٢).

ومن هذا حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، إِنِّي أَحِبُّ فَلَانًا فَأَجِبُّوهُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي السَّمَوَاتِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فَلَانًا فَأَجِبُّوهُ، فَيُلْقَى حُبُّهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَيُحِبُّ»، وذكر في

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٢٦٥٥)، وفي الأوسط (٥٥١٦) من طريق بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحاك، به، وبشر بن عمار الخثعمي؛ ضعيف.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦٤٣/١٥) بلفظ: «إِي وَاللَّهِ فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْإِيْمَانِ».

[٥٣٠/ب] البُغْضُ مثل ذلك^(١).

وقال هرم بن حيان: ما أقبل عبدٌ بقلبه إلى الله ﷻ، إلا أقبل الله ﷻ بقلوبِ أهلِ الإيمانِ إليه، حتَّى يرزقه مودَّتْهم ورحمتهم.
قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾ يعني: القرآن.
قال ابن قُتَيْبَةَ: أي، سهَّلناه، وأنزلناه بلغتك^(٢).
واللُدُّ: جمع ألدٍّ، وهو الحَصِمُ الجَدِل.
قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾ هذا تخويفٌ لكفارِ مَكَّةَ ﴿هَلْ نَحْسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: أي: هل ترى، يقال: هل أحسست صاحبك، أي: هل رأيته؟ والرَّكْزُ: الصوتُ؛ الخفيُّ^(٣).
وقال ابن قُتَيْبَةَ: الصَّوْتُ الذي لا يفهم^(٤).
وقال أبو صالح: حركةٌ، والله تعالى أعلم.

(١) رواه البخاري (٣٢٠٩)، ومسلم (٢٦٣٧) بلفظ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَخْبِنَهُ، فَيَجِبُهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَجِيبُوهُ، فَيَجِبُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوَضَّعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ».

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٤٧).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٧٦).

سورة طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿طه ١﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذِيرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ يُجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿طه: ١-٨﴾.

وهي مكِّيَّةٌ كُلُّهَا بإجماعهم.

وفي سبب نزول ﴿طه﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَرَاوِحُ بَيْنَ قَدَمَيْهِ، يَقُومُ عَلَى رَجُلٍ، حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَهُ عَلِيٌّ ؓ^(١).

والثاني: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ صَلَّى هُوَ وَأَصْحَابُهُ فَأَطَالَ الْقِيَامَ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: مَا أَنزَلَ اللَّهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى مُحَمَّدٍ إِلَّا لِيَشْقَى، فنزلت هذه الآية، قاله الضَّحَّاكُ^(٢).

والثالث: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ، وَالتَّضَرُّبُ بْنُ الْحَارِثِ، وَالْمَطْعَمُ بْنُ عَدِيٍّ، قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّكَ لَتَشْقَى بِتَرْكِ دِينِنَا، فنزلت هذه الآية، قاله مُقَاتِلٌ^(٣).

(١) رواه البزار في مسنده (٩٢٦) من طريق يزيد بن بلال، عن علي كان النَّبِيُّ ﷺ: يُرَاوِحُ بَيْنَ قَدَمَيْهِ يَقُومُ عَلَى كُلِّ رَجُلٍ حَتَّى نَزَلَتْ: ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ وَحَسَنَهُ السَّيُوطِيُّ.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (٥/ ٥٥٠)، والواحد في أسباب النزول (٣٠٣/ ١).

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٠).

وفي ﴿طه﴾ قراءات:

قرأ ابن كثير، وابن عامر: ﴿طه﴾ بفتح الطاء والهاء.
وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: بكسر الطاء والهاء.
وقرأ نافع: «طه» بين الفتح والكسر، وهو إلى الفتح أقرب؛ كذلك
قال خلف عن المسيبي.

وقرأ أبو عمرو: بفتح الطاء وكسر الهاء، وروى عنه عباس مثل حمزة^(١).
وقرأ ابن مسعود، وأبو رزين العقيلي، وسعيد بن المسيب، وأبو
العالية: بكسر الطاء وفتح الهاء^(٢).
وقرأ الحسن: «طه» بفتح الطاء وسكون الهاء^(٣).
وقرأ الضحاك، ومورق: «طه» بكسر الطاء وسكون الهاء^(٤).
واختلفوا في معناها على أربعة أقوال:

أحدها: أن معناها: يا رجل، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال
الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، [وعطاء]^(٥)، وعكرمة.
واختلف هؤلاء بأي لغة هي، على أربعة أقوال:
أحدها: بالنبطية، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن
جبير في رواية، والضحاك.

(١) السبعة (ص: ٤١٦)، والحجة (٥/ ٢١٧)، والتيسير (ص: ١٥٠).

(٢) عن عيسى بن عمر في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩).

(٣) مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩)، والكامل (١/ ٥٩٧) وزاد أبا حنيفة، وورشًا.

(٤) في المحتسب (٢/ ٤٧)، والمحزر (٤/ ٣٧) عن الضحاك، ومورق: «طأوي».

(٥) زيادة من (س).

والثاني: بلسان عكّ، رواه أبو صالح عن ابن عباسٍ.
والثالث: بالسريانيّة، قاله عكرمة في رواية، وسعيد بن جبير في
رواية، وقتادة.

والرابع: بالحشيّة، قاله عكرمة في رواية.
قال ابن الأنباريّ: ولغة قريش وافقت هذه اللغة في المعنى.
والثاني: أنّها حروف من أسماء.

ثم فيها قولان:
أحدهما: أنّها من أسماء الله تعالى.

ثم فيها قولان:
أحدهما: أنّ الطاء من اللّطيف، والهاء من الهادي، قاله ابن مسعود، وأبو العالية.
والثاني: أنّ الطاء افتتاح اسمه طاهرٌ وطيبٌ، والهاء افتتاح اسمه
هادي، قاله سعيد بن جبير.

[١/٥٣١]

والقول الثاني: أنّها من غير أسماء الله تعالى.
ثمّ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّ الطاء من طابة، وهي مدينة رسول الله ﷺ، والهاء من
مكّة، حكاه أبو سليمان الدمشقي.

والثاني: أنّ الطاء: طرب أهل الجنّة، والهاء: هوان أهل النار.
والثالث: أنّ الطاء في حساب الجمل تسعة، والهاء خمسة، فتكون أربعة عشر،
والمعنى: يا أيها البدر ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾، حكى القولين الثعلبي^(١).

(١) الكشف والبيان (١٧/٤٩٣).

والثالث: أَنَّهُ قَسَمٌ أَقْسَمَ اللَّهُ بِهِ، وَهُوَ مِنْ أَسْمَائِهِ، رَوَاهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَقَدْ شَرَحْنَا مَعْنَى كَوْنِهِ اسْمًا فِي فَاتِحَةِ مَرْيَمَ.
وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: أَقْسَمَ اللَّهُ بِطَوْلِهِ وَهَدَايَتِهِ^(١)، وَهَذَا الْقَوْلُ قَرِيبُ الْمَعْنَى مِنَ الَّذِي قَبْلَهُ.

وَالرَّابِعُ: أَنَّ مَعْنَاهُ: طَأَّ الْأَرْضَ بِقَدَمَيْكَ، قَالَهُ مُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ.
وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لَتَشَقَّ﴾ لَتَتْعَبُ وَتَبْلُغُ مِنَ الْجُهْدِ مَا قَدْ بَلَغْتَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ اجْتَهِدَ فِي الْعِبَادَةِ وَبَالَغَ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَرَاوِحُ بَيْنَ قَدَمَيْهِ لَطَوِيلِ الْقِيَامِ، فَأَمَرَ بِالتَّخْفِيفِ.
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا نَذْكِرُهُ﴾.
قَالَ الْأَخْفَشُ: هُوَ بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَتَشَقَّ﴾، مَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَّا تَذْكِرَةً، أَيَّ: عِظَةً.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَنْزِيلًا﴾.
قَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى: أَنْزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا، وَ﴿أَفْلَى﴾ جَمْعُ الْعُلْيَا، تَقُولُ: سَمَاءٌ عُلْيَا، وَسَمَاوَاتٌ عُلَا، مِثْلُ الْكِبْرَى، وَالْكَبَرِ^(٢).
فَأَمَّا ﴿الترى﴾ فهو الترابُ النَّدِي.

وَالْمَفْسَّرُونَ يَقُولُونَ: أَرَادَ الثَّرَى الَّذِي تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ.
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ﴾ أَيَّ: تَرَفَعَ صَوْتُكَ ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ الْسِرَّ﴾

(١) أوردته البغوي في معالم التنزيل (٣/ ٢٥٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٠).

والمعنى: لا تجهد نفسك برفع الصوت، فإن الله يعلم السرّ.

وفي المراد بـ ﴿السرّ وأخفى﴾ خمسة أقوال:

أحدها: أن السرّ: ما أسره الإنسان في نفسه، وأخفى: ما لم يكن بعد وسيكون، رواه جماعة عن ابن عباس، وبه قال الضحاك.

والثاني: أن السرّ: ما حدثت به نفسك، وأخفى: ما لم تلفظ به، قاله سعيد بن جبير.

والثالث: أن السرّ: العمل الذي يسره الإنسان من الناس، وأخفى منه: الوسوسة، قاله مجاهد.

والرابع: أن معنى الكلام: يعلم إسرار عباده، وقد أخفى سرّه عنهم فلا يعلم، قاله زيد بن أسلم، وابنه.

والخامس: يعلم ما أسره الإنسان إلى غيره، وما أخفاه في نفسه، قاله الفراء^(١).

قوله تعالى: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ قد شرحناه في الأعراف^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ (٩) إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ أَحْدُثُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١٠) فَلَمَّا أَنهَا تُودَى بِمُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٥) فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى [طه: ٩-١٦].

(١) معاني القرآن (٢/ ١٧٤).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٨٠).

قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ هذا استفهام تقرير، ومعناه: وقد أتاك.

قال ابن الأثيري: وهذا معروف عند اللغويين أن تأتي هل معبرة عن قد، فقد قال رسول الله ﷺ وهو أفصح العرب: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ»^(١) يريد: قد بلغت.

قال وهب بن منبه: استأذن موسى شعبياً عليهما السلام في الرجوع إلى والدته، فأذن له فخرج بأهله فولد له في الطريق في ليلة شاتية، فقدح فلم يُور الزناد، فبينا هو في مُزاولة ذلك، أبصر ناراً من بعيدٍ عن يسار الطريق، وقد ذكرنا هذا الحديث بطوله في كتاب «الحدائق» فكرهنا إطالة التفسير بالقصص، لأنَّ غرضنا الاختصار على التفسير ليسهل حفظه.

قال المفسرون: رأى نوراً، ولكن أخبر بما كان في ظن موسى. ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ﴾ يعني: امرأته ﴿أَمْكُثُوا﴾ أي: أقيموا مكانكم. وقرأ حمزة: «لأهله امكثوا» بضم الهاء هاهنا، وفي القصص ﴿إِنِّي عَاسَتْ نَارًا﴾^(٢).

(١) يُشِيرُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ ؓ الَّذِي فِي الْبَخَارِيِّ (١٧٣٩)، وَمُسْلِمٍ (٢٢١) قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ يَوْمَ النَّخْرِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟»، قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟»، قَالُوا: بَلَدٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟»، قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا»، فَأَعَادَهَا مِرَارًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ»... الْحَدِيث.

(٢) السبعة (ص: ٤١٧)، والحجة (٥/ ٢٢٠)، والتيسير (ص: ١٥٠).

قال القراء: إني وجدت، يقال: هل آنست أحدًا، أي: وجدت^(١).
وقال ابن قتيبة: ﴿ءَانَسْتُ﴾ بمعنى أبصرت^(٢).
فأما القبس، فقال الزجاج: هو ما أخذته من النار في رأسٍ عودٍ أو
في رأس فتيلة^(٣).

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَجِدْ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾.
قال القراء: أراد: هادياً، فذكره بلفظ المصدر^(٤).
قال ابن الأنباري: يجوز أن تكون «على» هاهنا بمعنى عند، وبمعنى
مع، وبمعنى الباء.
وذكر أهل التفسير أنه كان قد ضلَّ الطريق، فعلم أن النار لا تخلو
من موقدٍ.
وحكى الزجاج: أنه ضلَّ عن الماء، فرجا أن يجد من يهديه الطريق
أو يدلّه على الماء^(٥).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنهَا﴾ يعني: النار ﴿نُودِيَ يَمُوسَى﴾ ﴿إِنِّي أَنَا
رَبُّكَ﴾ إنما كرّر الكناية، لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإزالة الشبهة،
ومثله ﴿إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ [الحجر: ٨٩].
قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر: «أَنِّي» بفتح الألف والياء.

(١) معاني القرآن (٢/ ١٧٤).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥١).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٧٥).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥١).

وقرأ نافعٌ، وعاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةٌ، والكسائيُّ: «إني» بكسر الألفِ، إِلَّا أَنْ نافعًا فتح الياء^(١).

قال الرَّجَّاجُ: مَنْ قرأ: «أَنْيَ أنا» بالفتح، فالمعنى: نوذي بأنِّي أنا ربك، وَمَنْ قرأ بالكسر، فالمعنى: نوذي يا موسى، فقال الله: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ في سبب أمره بخلعهما قولان: أحدهما: أنَّهما كانا من جلد حمارٍ مَيِّتٍ، رواه ابنُ مسعودٍ عن رسول الله ﷺ^(٣)، وبه قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ كَرَّمَ الله وجهه، وعكرمةُ. والثاني: أنَّهما كانا من جلد بقرةٍ ذُكِّيَتْ، ولكنَّه أمر بخلعهما ليباش تراب الأرض المقدَّسة، فتناله بركتها، قاله الحسنُ، وسعيدُ بنُ جبير، ومجاهدٌ، وقتادةٌ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ فيه قولان قد ذكرناهما في المائدة^(٤)

(١) الحجة (٢١٨/٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣٥١/٣).

(٣) ضعيف جدًا. رواه الترمذي (١٧٣٤)، وأبو يعلى في مسنده (٤٩٨٣)، والبزار في مسنده (٢٠٣١)، والحاكم في المستدرک (٨١/١) من طريق خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «كَانَ عَلَى مُوسَى يَوْمَ كَلَّمَهُ رَبُّهُ كِسَاءُ صُوفٍ، وَجُبَّةُ صُوفٍ، وَكُمَّةُ صُوفٍ، وَسَرَاوِيلُ صُوفٍ، وَكَانَتْ نَعْلَاهُ مِنْ جِلْدِ حِمَارٍ مَيِّتٍ».

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حميد الأعرج. وحميد: هو ابن علي الكوفي منكر الحديث. أهـ

(٤) انظر: تفسير سورة المائدة الآية رقم (٢١).

عند قوله: ﴿الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾.

قوله تعالى: ﴿طُوى﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «طوى» و«أنا» غير مجرأة.
وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «طوى» مجرأة، وكلهم
ضمّ الطاء^(١).

وقرأ الحسن، وأبو حيوه «طوى» بكسر الطاء مع التنوين^(٢).

وقرأ علي بن نصر عن أبي عمرو: «طوى» بكسر الطاء من غير تنوين^(٣).

قال الزجاج: في ﴿طوى﴾ أربعة أوجه:

«طوى»^(٤)، بضم أوله من غير تنوين وبتنوين، فمن نونه، فهو
اسم للوادي، وهو مذكر سمي بمذكّر على فعل نحو حطّم وصرّد، ومن
لم ينوّنه ترك صرفه من جهتين:

إحداهما: أن يكون معدولاً عن طاو، فيصير مثل عمر المعدول عن
عامر، فلا ينصرف كما لا ينصرف عمر.

والجهة الثانية: أن يكون اسماً للبقعة، كقوله: ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ﴾
[القصص: ٣٠] وإذا كسر ونوّن فهو مثل معى.

(١) السبعة (ص: ٤١٧)، والحجة (٢١٩/٥)، والتيسير (ص: ١٥٠ - ١٥١).

(٢) في التحصيل (٣٠٦/٤) عن الحسن، وعكرمة، والأعمش.

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) من قوله: (بكسر الطاء من غير تنوين) ... إلى هنا، سقط من (س).

[٥٣٢/أ] والمعنى: المقدّس مرّة بعد مرّة، كما قال عديّ بن زيد [من الطويل] (١):
 أَعَاذَلِ إِنَّ اللَّوْمَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ عَلَيَّ طُؤَى مِنْ غِيكِ الْمُتَرَدِّدِ
 أَي: اللّوم المكرّر عليّ، ومن لم ينوّن جعله اسماً للبقعة.
 وللمفسّرين في معنى ﴿طُؤَى﴾ ثلاثة أقوال:
 أحدها: أنّه اسم الوادي، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبّاس.
 والثاني: أنّ معنى ﴿طُؤَى﴾: طأ الوادي، رواه عكرمة عن ابن عبّاس، وعن مجاهد كالقولين.
 والثالث: أنّه قدّس مرّتين، قاله الحسن، وقتادة (٢).
 قوله تعالى: ﴿وَأَنَا أَخْتَرُكَ﴾ أي: اصطفتك.
 وقرأ حمزة، والمفضل: «وَأَنَا» بالنّون المشدّدة «اخترناك» بالفاء (٣).
 ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ أي: للذي يوحى.
 قال ابن الأنباريّ: الاستماع هاهنا محمول على الإنصات، المعنى:
 فأنصت لوحيي، والوحي هاهنا قوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾
 أي: وحدني.
 ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾ فيه قولان:
 أحدهما: أقم الصّلاة متى ذكرت أنّ عليك صلاة، سواء كنت في وقتها أو لم تكن، هذا قول الأكثرين.

(١) البيت في ديوانه (ص: ١٠٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٥/٢٧٩)، ولسان العرب (١٤/١٢١) (ثني).

(٢) من قوله: (وللمفسرين في معنى ﴿طُؤَى﴾ ثلاثة أقوال)... إلى هنا، سقط من (س).

(٣) السبعة (ص: ٤١٧)، والحجة (٥/٢٢١)، والمبسوط (١/٢٩٣).

وروى أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ نَسِيَ صَلَاةً فَلْيَصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا، لَا كَفَّارَةَ لَهَا إِلَّا ذَلِكَ»، وقرأ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(١).

والثاني: أقم الصلاة لتذكرني فيها، قاله مجاهد.

وقيل: إنَّ الكلام مردودٌ على قوله: ﴿فَاسْتَمِعْ﴾، فيكون المعنى:

فاستمع لما يوحى، واستمع لذكري.

وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وابن السَّمِيعِ: «وأقم الصلاة للذكرى» بلامين وتشديد الدال^(٢).

قوله تعالى: ﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾ أكثر القراء على ضمِّ الألف.

ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: أكاد أخفيها من نفسي، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبيرة، ومجاهد في آخرين.

وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، ومحمد بن علي: «أكاد أخفيها من نفسي»^(٣). قال القراء: المعنى: فكيف أظهركم عليها.

قال المبرد: وهذا على عادة العرب، فإنهم يقولون إذا بالغوا في كتمان الشيء: كتمته حتى من نفسي، أي: لم أطلع عليه أحداً^(٤).

(١) البخاري (٥٩٧)، ومسلم (٦٨٤).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩) عن النبي ﷺ، وأبي عبد الرحمن، وفي التحصيل (٣٠٧/٤) عن ابن عباس، والزهري، وغيرهما.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩)، ومعاني القرآن (١٧٦/٢): «أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها» عن أبي بن كعب.

(٤) انظر: معاني القرآن (١٧٦/٢).

والثاني: أَنَّ الكلامَ تَمَّ عند قوله: أكاد، وبعده مضمّر تقديره: أكاد آتي بها، والابتداء: أخفيها.

قال ضابئ البرجمي [من الطويل] ^(١):

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَالُهُ
أراد: كدت أفعل.

قال الشاعر:

كَادْتُ وَكِدْتُ وَتِلْكَ خَيْرُ إِرَادَةٍ لَوْ عَادَ مِنْ هُوِ الصَّبَابَةِ مَا مَضَى
معناه: أَرَادْتُ وَأَرَدْتُ، ذكرهما ابنُ الأنباري.

فإن قيل: فما فائدة هذا الإخفاء الشديد؟

فالجواب: أَنَّهُ للتحذير والتَّخْوِيفِ، وَمَنْ لم يعلم متى يهجم عليه
عدوه كان أشدَّ حذرًا.

وقرأ سعيدُ بنُ جبير، وعروة بنُ الزبير، وأبو رجاء العطاردي،
وحيد بنُ قيس، «أخفيها» بفتح الألف ^(٢).

[٥٣٢/ب] قال الزَّجَّاجُ: ومعناه: أكاد أظهرها، قال امرؤ القيس [من المتقارب] ^(٣):

فَإِنْ تَذَفُّنُوا الدَّاءَ لَا تُخْفِهِ وَإِنْ تَبْعُثُوا الْحَرْبَ لَا تَقْعُدِ

(١) في حماسة البحرني (ص: ١١)، والشعر والشعراء (١/٣٥٨)، ولسان العرب (٥/١٢٥)،
وخزانة الأدب (٩/٣٢٣-٣٢٧).

(٢) عن أبي الدرداء، وسعيد بن جبير في مختصر ابن خالويه (ص: ٨٩)، وزاد في التحصيل
(٤/٣٠٧) مجاهدًا، والحسن.

(٣) في ديوانه (ص: ١٨٦)، ولسان العرب (١٤/٢٣٤)، وتاج العروس (خفي).

أي: إن تدفنوا الداء لا نظهره.

قال: وهذه القراءة أبين في المعنى، لأن معنى أكاد أظهرها: قد أخفيتُها وكدت أظهرها^(١).

﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ أي: بما تعمل، و﴿لِتُجْزَى﴾ متعلق بقوله: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ﴾، ﴿لِتُجْزَى﴾، ويجوز أن يكون على ﴿وَأَقِيم الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(٢) لتجزي.

قوله تعالى: ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا﴾ أي: من لا يؤمن بكونها؛ والخطاب للنبي ﷺ خطاب لجميع أمته، ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ أي: مراده وخالف أمر الله ﷻ، ﴿فَتَرَدَّى﴾ أي: فتهلك. قال الزجاج: يقال ردي يردى: إذا هلك^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمْوَسَى﴾ (١٧) ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَسْتُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَخَارِبٌ أُخْرَى﴾ (١٨) ﴿قَالَ أَلْقَاهَا يَمْوَسَى﴾ (١٩) ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (٢٠) ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ (٢١) ﴿وَأَضْمَمْنَا يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى﴾ (٢٢) ﴿لَنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ [طه: ١٧-٢٣].

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٥٣).

(٢) قوله: (لذكرى) من (س).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٥٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: ﴿تِلْكَ﴾ اسمٌ مبهم يجري مجرى التي، والمعنى ما التي بيمينك^(١).

قوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَنْتَ وَكَوُؤُا عَلَيْهَا﴾ التوكؤ: التحاملُ على الشيءِ ﴿وَأَهْشُ بِهَا﴾.

قال الفراءُ: أضربُ بها الشَّجرَ اليابس ليسقط ورقه فترعاه غنمي^(٢).

قال الزَّجَّاجُ: واشتقاقه من أُنِّي أحيل الشيء إلى الهشاشة والإمكان^(٣).
والمآرب: الحاجات، واحدها: مأرَبَةٌ، ومأرَبَةٌ.
وروى قتيبةٌ، وورشٌ: «مآرب» بإمالة الهمزة^(٤).

فإن قيل: ما الفائدة في سؤال الله تعالى له: وما تلك بيمينك وهو يعلم؟
فعنه جوابان:

أحدهما: أن لفظه لفظ الاستفهام، ومجراه مجرى السؤال، ليجيب
المخاطب بالإقرار به، فتثبت عليه الحجة باعترافه فلا يمكنه الجحد،
ومثله في الكلام أن تقول لمن تخاطبه وعندك ماء: ما هذا؟ فيقول: ماء،
فتضع عليه شيئاً من الصَّبغ، فإن قال: لم يزل هكذا، قلت له: أأست قد
اعترفت بأنه ماء؟ فتثبت عليه الحجة، هذا قولُ الزَّجَّاجِ^(٥).

(١) المصدر السابق (٣/ ٣٥٤).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٧٧).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٤).

(٤) المبسوط (١/ ٣٠٠).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٤).

فعلى هذا تكون الفائدة أنه قرّر موسى أنها عصاً لما أراد أن يريه من قدرته في انقلابها حيّة، فوقع المعجز بها بعد الثبّت في أمرها.

والثاني: أنه لما اطلع الله تعالى على ما في قلب موسى من الهيبة والإجلال حين التكليم، أراد أن يؤانسّه ويخفّف عنه ثقل ما كان به من الخوف، فأجرى هذا الكلام للاستئناس، حكاه أبو سليمان الدمشقي.

فإن قيل: قد كان يكفي في الجواب أن يقول: هي عصاي، فما الفائدة في قوله: ﴿أَتَوَكَّلُ عَلَيْهَا﴾ إلى آخر الكلام، وإنّما يشرح هذا لمن لا يعلم فوائدها؟

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه أجاب بقوله: ﴿هِيَ عَصَاي﴾، ف قيل له: ما تصنع بها؟ فذكر باقي الكلام جواباً عن سؤال ثانٍ، قاله ابن عباسٍ ووهب.

والثاني: أنه إنّما أظهر فوائدها، وبين حاجته إليها، خوفاً من أن يأمره بالقائها كالنعلين، قاله سعيد بن جبير.

والثالث: أنه بين منافعها لثلاث يكون عابثاً بحملها، قاله الماوردي^(١).

فإن قيل: فلم اقتصر على ذكر بعض منافعها ولم يطل الشرح؟

فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه كره أن يشتغل عن كلام الله بتعداد منافعها.

والثاني: استغنى بعلم الله فيها عن كثرة التعداد.

والثالث: أنه اقتصر على اللازم دون العارض.

وقيل: كانت تضيء له بالليل، وتدفع عنه الهوام، وتثمر له إذا اشتهى الثمار.

وفي جنسها قولان:

أحدهما: أنها كانت من آس الجنة، قاله ابن عباس.

والثاني: أنها كانت من عوسج.

فإن قيل: المآرب جمع، فكيف قال: ﴿أُخْرَى﴾، ولم يقل: «آخر»؟

فالجواب: أن المآرب في معنى جماعة، فكأنه قال: جماعة من الحاجات أخرى، قاله الزجاج^(١).

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَى﴾ قال المفسرون: ألقاها، ظناً منه أنه قد أمر برفضها، فسمع حساً فالتفت فإذا هي كأعظم ثعبان تمر بالصخرة العظيمة فتبتلعها، فهرب منها.

وفي وجه الفائدة في إظهار هذه الآية ليلة المخاطبة قولان:

أحدهما: لئلا يخاف منها إذا ألقاها بين يدي فرعون.

والثاني: ليريه أن الذي أبعثك إليه دون ما أريتك، فكما ذللت لك الأعظم وهو الحية، أذل لك الأدنى.

ثم إن الله تعالى أمره بأخذها وهي على حالها حية، فوضع يده عليها فعادت عصا، فذلك [قوله]^(٢): ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا﴾.

قال الفراء: طريقتهما، يقول: نردّها عصي كما كانت^(٣).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٤).

(٢) ليست في الأصل، و(ر)، وهي من (س).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٧٧).

قال الزَّجَّاجُ: ﴿سِيرَتَهَا﴾ منصوبة على إسقاط الخافض وإفشاء الفعل إليها، المعنى: سنعيدها إلى سيرتها^(١).

فإن قيل: إنما كانت العصا واحدة، وكان إلقاؤها مرة، فما وجه اختلاف الأخبار عنها، فإنه يقول في الأعراف: ﴿فَإِذَا هِيَ تُعْبَانُ مُبِينٌ﴾ [الأعراف: ١٠٧]، وهاهنا: حَيَّةٌ، وفي مكان آخر: ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ [النمل: ١٠]، والجنان ليست بالعظيمة، والثعبان أعظم الحيات؟

فالجواب: أن صفتها بالجان عبارة عن ابتداء حالها، وبالثعبان إخبار عن انتهاء حالها، والحية اسم يقع على الصغير والكبير والذكر والأنثى. وقال الزَّجَّاجُ: خلقها خلق الثعبان العظيم، واهتزازها وحركتها وخفتها كاهتزاز الجان وخفته.

قوله تعالى: ﴿وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾.

قال القرطبي: الجناح من أسفل العضد إلى الإبط^(٢).

وقال أبو عبيدة: الجناح ناحية الجنب، وأنشد [من الرجز]^(٣):

أَضْمُهُ لِلصَّدرِ وَالْجَنَاحِ

قوله تعالى: ﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ أي: من غير برصٍ ﴿ءَايَةً

أُخْرَى﴾ أي: دلالة على صدقك سوى العصا.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٥).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٧٨).

(٣) بلا نسبة في مجاز القرآن (٢/ ١٨)، وتفسير ابن جرير الطبري (١٦/ ٤٩)، والمحزر الوجيز (٤/ ٤٢).

قال الزَّجَّاجُ: ونصب آية على معنى: آتيناك آية، أو نؤتيك^(١).
قوله تعالى: ﴿لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ إن قيل: لم لم يقل: الكبر؟
فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه كقوله: ﴿مَنَازِبُ أُخْرَى﴾ وقد شرحناه، هذا قول الفقهاء^(٢).
والثاني: أن فيه إضماراً تقديره: لنريك من آياتنا الآية الكبرى.
وقال أبو عبيدة: فيه تقديم وتأخير، تقديره: لنريك الكبرى من آياتنا^(٣).
والثالث: إنما كان ذلك لوفاق رأس الآي، حكى القولين الثعلبي^(٤).
قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾^(٢٤) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي^(٢٥)
وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي^(٢٦) وَأَخْلَلَ عُقْدَةَ مِنَ لِسَانِي^(٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي^(٢٨) وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي^(٢٩)
هَؤُلَاءِ أَخِي^(٣٠) أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى^(٣١) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي^(٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا^(٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا^(٣٤)
إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا^(٣٥) [طه: ٢٤ - ٣٥].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ أي: جاوز الحد في العصيان.
قوله تعالى: ﴿اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ قال المفسرون: ضاق موسى صدرًا
بما كلف من مقاومة فرعون وجنوده، فسأل الله تعالى أن يوسع قلبه
للحق حتى لا يخاف فرعون وجنوده.
ومعنى قوله: ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ أي: سهّل عليّ ما بعثني له.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٥).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٧٨).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ١٨).

(٤) الكشف والبيان (١٧/ ٥٢٣).

﴿وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِّن لَّسَانِي﴾ قال ابن قُتَيْبَةَ: كانت فيه رُتَّةٌ^(١).

قال المفسرون: كان فرعون قد وضع موسى في حجره وهو صغير، فمدَّ لحية فرعون بيده، فهمَّ أن يقتله، فقالت له آسية: إنَّه لا يعقل، وسأريك بيان ذلك، قدَّم إليه جمرتين ولؤلؤتين، فإن اجتنب الجمرتين عرفت أنَّه يعقل، فأخذ موسى جمرة فوضعها في فيه فأحرقت لسانه وصار فيه عقدة، فسأل حلَّها ليفهموا كلامه.

وأما الوزير، فقال ابن قُتَيْبَةَ: أصل الوِزَارَة من الوِزْر وهو الحِمْلُ، كأن الوزير قد حمل عن السلطان الثَّقل^(٢).

وقال الزَّجَّاجُ: اشتقاقه من الوَزَر، والوَزَر: الجبل الذي يُعْتَصَم به لِيُنْجَى من الهلكة، وكذلك وزير الخليفة، معناه: الذي يعتمد عليه في أموره ويلتجئ إلى رأيه^(٣).

ونصب ﴿هَرُونَ﴾ من جهتين:

إحداهما: أن تكون «اجعل» تتعدَّى إلى مفعولين، فيكون المعنى: اجعل هارون أخي وزيري، فينتصب ﴿وَزِيرًا﴾ على أنَّه مفعول ثانٍ. ويجوز أن يكون ﴿هَرُونَ﴾ بدلًا من قوله: ﴿وَزِيرًا﴾، فيكون المعنى: اجعل لي وزيرًا من أهلي، ثمَّ أبدل ﴿هَرُونَ﴾ من ﴿وَزِيرًا﴾، والأوَّل أجود.

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٧٨)، وقال في لسان العرب (٢/ ٣٣): «الرُّتَّة، بِالضَّمِّ: عَجَلَةٌ فِي الْكَلَامِ، وَقِلَّةُ أُنَاةٍ، وَقِيلَ: هُوَ أَنْ يَغْلِبَ اللَّامُ يَاءً».

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٧).

قال الماوردي: وإنما سأل الله تعالى أن يجعل له وزيراً؛ لأنه لم يُرد أن يكون مقصوراً على الوزارة حتى يكون شريكاً في النبوة، ولولا ذلك لجاز أن يستوزر من غير مسألة^(١).

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو بفتح ياء «أخي»^(٢).

قوله تعالى: ﴿أَشْدُّ بِهِ أَزْرِي﴾.

قال الفراء: هذا دعاء من موسى، والمعنى: اشدد به يا رب أزري، وأشركه يا رب في أمري^(٣).

وقرأ ابن عامر: «أشدد» بالالف مقطوعة مفتوحة، «وأشركه» بضم الألف، وكذلك يتدئ بالالفين^(٤).

قال أبو علي: هذه القراءة على الجواب والمجازاة، والوجه الدعاء دون الإخبار، لأن ما قبله دعاء، ولأن الإشراك في النبوة لا يكون إلا من الله ﷻ^(٥). قال ابن قتيبة: والأزر: الظهر، يقال: آزرت فلاناً على الأمر، أي: قويته عليه وكنت له فيه ظهراً^(٦).

قوله تعالى: ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ أي: في النبوة معي ﴿كَيْ تُسْحَكَ﴾ أي: نصلي لك ﴿وَنَذْكُرَكَ﴾ بالسنتنا حامدين لك على ما أوليتنا من نعمك

(١) النكت والعيون (٣/ ٤٠١).

(٢) السبعة (ص: ٤١٨)، والمبسوط (١/ ٢٩٤)، والحجة (٥/ ٢٢١).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٧٨).

(٤) السبعة (ص: ٤١٨)، والحجة (٥/ ٢٢١)، والمبسوط (١/ ٢٩٤).

(٥) الحجة (٥/ ٢٢٢).

(٦) غريب القرآن (ص: ٢٧٨).

﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ أي: عالماً إذ خصصتنا بهذه النعم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمْوَسَىٰ﴾ (٣٦) وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ (٣٨) أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَآقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَهُ، وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي (٣٩) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ، فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمْوَسَىٰ (٤٠) وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤١) أَذْهَبَ أَنتَ وَأَخُوكَ بِأَيْنِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي﴾ (طه: ٣٦-٤٢).

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمْوَسَىٰ﴾.

قال ابن قُتَيْبَةَ: أي: طلبك، وهو فعل من سألت، أي: أعطيت ما سألت^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ﴾ أي: أنعمنا عليك ﴿مَرَّةً أُخْرَىٰ﴾ قبل هذه المرة.

ثم بيّن متى كانت بقوله: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ﴾ أي: ألهمناها ما يلهم مما كان سبباً لنجاتك، ثم فسّر ذلك بقوله: ﴿أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾ وقذف الشيء: الرمي به.

[١/٥٣٤]

فإن قيل: ما فائدة قوله: ﴿مَا يُوحَىٰ﴾ وقد علم ذلك؟

فقد ذكر عنه ابن الأنباري جوابين:

أحدهما: أن المعنى: أوحينا إليها الشيء الذي يجوز أن يوحى إليها، إذ ليس كل الأمور يصلح وحيه إليها، لأنها ليست بنبي، وذلك أنها ألهمت.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٧٨).

والثاني: أن ما يوحى أفاد توكيداً، كقوله: ﴿فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى﴾ [النجم: ٥٤].

قوله تعالى: ﴿فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ﴾.

قال ابن الأنباري: ظاهر هذا الأمر، ومعناه معنى الخبر، تأويله: يلقى اليم، ويموز أن يكون البحر مأموراً بآلة ركبها الله تعالى فيه، فسمع وعقل، كما فعل ذلك بالحجارة والأشجار.

فأما السَّاحِل، فهو: شطُّ البحر.

﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ يعني: فرعون.

قال المفسرون: اتخذت أمه تابوتاً وجعلت فيه قطناً محلوفاً، ووضعت فيه موسى وأحكمت بالقار شقوق التَّابُوت، ثم ألقت في النيل، وكان يشرع منه نهرٌ كبيرٌ في دار فرعون، فبينا هو جالسٌ على رأس البركة مع امرأته آسية، إذا بالتَّابُوت، فأمر الغلمان والجواري بأخذه، فلما فتحوه رأوا صبيّاً من أصبح النَّاس وجهاً؛ فلما رآه فرعون أحبه حباً شديداً، فذلك قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾.

قال أبو عبيدة: ومعنى ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ﴾ أي: جعلت لك محبةً مني^(١).

قال ابن عباس: أحبه وحببه إلى خلقه، فلا يلقاه أحدٌ إلا أحبه من مؤمن وكافر^(٢).

وقال قتادة: كانت في عينيه ملاحه، فما رآه أحدٌ إلا أحبه^(٣).

(١) مجاز القرآن (٢/ ١٩).

(٢) رواه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم في تفسيرهما كما في الدر المنثور (٥/ ٥٦٧).

(٣) في الأصل، و(ر): (حبه)، والمثبت من (س).

(٤) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٣/ ٨٠) من طريق خليل بن دعلج، به بلفظ: «حلاوة في عيني موسى لم ينظر إليه خلق إلا أحبه».

قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾.

وقرأ أبو جعفر: «ولتُصنع» بسكون اللام والعين والإدغام^(١).

قال قتادة: لتُغذى على محبتي وإرادتي^(٢).

قال أبو عبيدة: على ما أريد وأحب^(٣).

قال ابن الأنباري: هو من قول العرب: غذي فلان على عيني،

أي: على المحبة مني.

وقال غيره: ليربى وتُغذى بمرائي مني، يقال: صنع الرجل جاريته:

إذا ربّاهَا؛ وصنع فرسه: إذا داوم على علفه ومراعاته، والمعنى: ولتُصنع

على عيني، قدّرنا مشي أختك وقولها: ﴿هَلْ أَذْكَرُ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ لأنّ هذا

كان من أسباب تربيته على ما أراد الله ﷻ.

فأمّا أخته، فقال مقاتل: اسمها مريم^(٤).

قال الفرّاء: وإنّما اقتصر على ذكر المشي، ولم يذكر أنّها مشّت حتّى

دخلت على آل فرعون فدلّتهم على الظئر، لأنّ العرب تجتزئ بحذف كثير

من الكلام، وبقليله، إذا كان المعنى معروفاً، ومثله قوله: ﴿أَنَا أَنبِئُكُمْ

بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ [يوسف: ٤٥]، ولم يقل: فأرسل حتّى دخل على يوسف^(٥).

(١) في الكامل (٥٩٧/١) شيبة، والمفضل عنه.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٧١/٢)، ومن طريقه ابن جرير الطبري (٥٩/١٦) من

طريق معمر، به، بنحوه.

(٣) مجاز القرآن (١٩/٢).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٢٧/٣).

(٥) معاني القرآن (١٧٩/٢).

قال المفسرون: سبب مشي أخته أن أمه قالت لها: قُصِّيهِ، فَاتَّبَعَتْ موسى على أثر الماء، فلما التقطه آل فرعون جعل لا يقبل ثدي امرأة، فقالت لهم أخته: هل أدلكم على مَنْ يكفله أي: يرضعه ويضمُّه إليه، فقبل لها: ومن هي؟ فقالت: أمي، قالوا: وهل لها لبن؟ قالت: لبن أخي هارون، وكان هارون أسنَّ من موسى بثلاث سنين، فأرسلوها، فجاءت [٥٣٤/ب] بالأمِّ فقبل نديها، فذلك قوله: ﴿فَرَجَعْتُكَ إِلَى أُمِّكَ﴾ أي: رددناكِ إليها ﴿كَى نَفَرَ عَيْنَهَا﴾ بك وبرؤيتك.

﴿وَقَلَّتْ نَفْسًا﴾ يعني: القبطي الذي وكزه فقضى عليه، وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ وكان مغموماً مخافة أن يُقتل به، فنجاه الله بأن هرب إلى مدين.

﴿وَفَنَّكَ فُنُونًا﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: اختبرناك اختباراً، رواه عليُّ بنُ أبي طلحة عن ابن عباسٍ.
والثاني: أخلصناك إخلاصاً، رواه الضَّحَّاكُ عن ابن عباسٍ، وبه قال مجاهدٌ.
والثالث: ابتليناك ابتلاءً، رواه العوفي عن ابن عباسٍ، وبه قال قتادة.
وقال الفرَّاء: ابتليناك بغمِّ القتل ابتلاءً^(١).

وروى سعيدُ بنُ جبْرِ عن ابن عباسٍ قال: الفتون: وقوعه في محنة بعد محنة خلَّصه الله منها، أولها أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال، ثمَّ إلقاؤه في البحر، ثم منعه الرضاع إلا من ثدي أمه، ثم جرَّه لحية فرعون حتَّى همَّ بقتله، ثم تناوله الجمره بدل الدُّرَّة،

(١) معاني القرآن (٢/ ١٧٩).

ثم قتله القبطي، ثم خروجه إلى مدين خائفًا.
 وكان ابنُ عباسٍ يقص هذه القصص على سعيد بن جبير، ويقول
 له عند كل ثلاثة: وهذا من الفتون يا ابن جبير^(١)، فعلى هذا يكون فتناك
 خلصناك من تلك المحن كما يفتن الذهب بالنار فيخلص من كل خبيث.
 والفتون: مصدر.

قوله تعالى: ﴿فَلَيْتَ سِنِينَ﴾ تقدير الكلام: فخرجت إلى أهل مدين.
 ومدين: بلد شعيب، وكان على ثمان مراحل من مصر، فهرب إليه موسى.
 وقيل مدين اسم رجل، وقد سبق هذا^(٢).
 وفي قدر لبته هناك قولان:
 أحدهما: عشر سنين؛ قاله ابنُ عباسٍ، ومقاتل^(٣).
 والثاني: ثمان وعشرون سنة، عشر منهنَّ مهر امرأته، وثمان عشرة
 أقام حتى ولد له، قاله وهب.
 قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ أي: جئت لملاقات قدرته لمجيئك
 قبل خلقك، وكان ذلك على رأس أربعين سنة، وهو الوقت الذي يُوحى
 فيه إلى الأنبياء، هذا قول الأكثرين.
 وقال الفراء: ﴿عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ أي: على ما أراد الله به من تكليمه^(٤).

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٠٦).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٨٦).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٧).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٧٩).

قوله تعالى: ﴿وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ أي: اصطفتيك واختصصتك، والاصطناع: اتخذ الصنعة، وهو الخير تسديه إلى إنسان.

وقال ابن عباس: اصطفتيك لرسالتي ووحبي^(١).

﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِمَا بَيْنِي﴾ وفيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها العصا واليد، وقد يذكر الاثنان بلفظ الجمع.

والثاني: العصا واليد وحل العقدة التي ما زال فرعون وقومه يعرفونها، ذكرهما ابن الأبياري.

والثالث: الآيات التسع، والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿وَلَا نَبِيَّ﴾.

قال ابن قتيبة: لا تضعفا ولا تفترا؛ يقال: ونى في الأمر يني؛ وفيه لغة أخرى: وني يؤنى^(٢).

وفي المراد بالذكر هاهنا قولان:

أحدهما: أنه الرسالة إلى فرعون.

والثاني: أنه القيام بالفرائض والتسبيح والتهليل.

قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿١٣﴾ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿١٤﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُقْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿١٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿١٦﴾ فَأَنبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِِبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ أَتَبَعَ الْهُدَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/٢٠٧).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٧٩).

عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿طه: ٤٣-٤٨﴾.

قوله تعالى: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ فائدة تكرار الأمر بالذهاب: التوكيد. [٥٣٥/أ]

وقد فسرنا قوله: ﴿إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿طه: ٢٤﴾

قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا﴾.

وقرأ أبو عمران الجوني، وعاصم الجحدري: «لَيْنَا» بإسكان الياء، أي: لطيفاً رقيقاً^(١).

وللمفسرين فيه خمسة أقوال:

أحدها: قولاً له: قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رواه خالد

بن معدان عن معاذ، والضحاك عن ابن عباس.

والثاني: أنه قوله: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزَكَّىٰ﴾ (١٨) وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخَشَىٰ ﴿

[النازعات: ١٨، ١٩]، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال مقاتل^(٢).

والثالث: كنيه، رواه عكرمة عن ابن عباس، وبه قال السدي.

فأمّا اسمه، فقد ذكرناه في البقرة^(٣).

وفي كنيته أربعة أقوال:

أحدها: أبو مرة، رواه عكرمة، عن ابن عباس.

والثاني: أبو مصعب، ذكره أبو سليمان الدمشقي.

والثالث: أبو العباس.

(١) عن أبي معاذ في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٠).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٢٨).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٤٩).

والرابع: أبو الوليد، حكاها الثعلبي^(١).

والقول الرابع: قولاً له: إِنَّ لَكَ رَبًّا، وَإِنَّ لَكَ مَعَاذًا، وَإِنَّ بَيْنَ يَدَيْكَ جَنَّةً وَنَارًا، قاله الحسن.

والخامس: أَنَّ الْقَوْلَ اللَّيْنُ: أَنَّ مُوسَى أَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ: تَوْمَنَ بِمَا جِئْتَ بِهِ وَتَعْبُدُ رَبَّ الْعَالَمِينَ، عَلَى أَنَّ لَكَ شَبَابَكَ فَلَا تَهْرَمَ، وَتَكُونَ مَلِكًا لَا يَنْزِعُ مِنْكَ حَتَّى تَمُوتَ، فَإِذَا مِتَّ دَخَلْتَ الْجَنَّةَ، فَأَعْجِبْهُ ذَلِكَ؛ فَلَمَّا جَاءَ هَامَانَ، أَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ مُوسَى، فَقَالَ: قَدْ كُنْتَ أَرَى أَنَّ لَكَ رَأْيًا، أَنْتَ رَبُّ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ مَرْبُوبًا؟ فَقَلْبُهُ عَنْ رَأْيِهِ، قَالَ السُّدِّيُّ.

وحكي عن يحيى بن معاذٍ أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ، فَقَالَ: إِلَهِي، هَذَا رَفَقَكَ بِمَنْ يَقُولُ: أَنَا إِلَهٌ، فَكَيْفَ رَفَقَكَ بِمَنْ يَقُولُ: أَنْتَ إِلَهِي^(٢).

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾.

قال الزَّجَّاجُ: لَعَلَّ فِي اللُّغَةِ: تَرَجَّ وَطَمَعَ، تقول: لَعَلِّي أَصِيرُ إِلَى خَيْرٍ، فخطب الله ﷻ العباد بما يعقلون، والمعنى عند سيبويه: اذهباً على رجائكما وطمعكما، والعلم من الله تعالى من وراء ما يكون، وقد علم أَنَّهُ لَا يَتَذَكَّرُ وَلَا يَخْشَى، إِلَّا أَنَّ الْحُجَّةَ إِنَّهَا تَجِبُ عَلَيْهِ بِالْآيَةِ وَالْبَرهَانِ، وَإِنَّمَا تَبْعَثُ الرُّسُلَ وَهِيَ لَا تَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا تَدْرِي أَيْقَبِلُ مِنْهَا، أَمْ لَا، وَهَمَّ يَرْجُونَ وَيَطْمَعُونَ أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُمْ، وَمَعْنَى «لَعَلَّ» مَتَصَوِّرٌ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَعَلَى تَصَوُّرِ ذَلِكَ تَقُومُ الْحُجَّةُ^(٣).

(١) الكشف والبيان (١٧/ ٥٣٥ - ٥٣٦).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤١٩٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٧).

قال ابن الأنباري: ومذهبُ الفَرَّاء في هذا: كي يتذكَّر.

وروى خالدُ بنُ معدانٍ عن معاذٍ قال: والله ما كان فرعون ليخرج من الدنيا حتَّى يتذكَّر أو يخشى هذه الآية، وإنَّه تذكَّر وخشي لما أدركه الغرقُ.
وقال كعبٌ: والذي يحلف به كعبٌ، إنَّه لمكتوبٌ في التَّوراة: فقولاً له قولاً ليناً، وسأقسي قلبه فلا يؤمنُ.

قال المفسِّرون: كان هارون يؤمِّدُ غائباً بمصرَ، فأوحى الله تعالى إلى هارون أن يتلقى موسى، فتلقَّاه على مرحلةٍ، فقال له موسى: إنَّ الله تعالى أمرني أن آتي فرعون، فسألته أن يجعلك معي؛ فعلى هذا يحتمل أن يكونا حين التقيا قالَا: ﴿رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ﴾.

قال ابنُ الأنباري: ويجوز أن يكون القائل لذلك موسى وحده، وأخبر الله عنه بالثَّنية لما ضمَّ إليه هارون، فإنَّ العرب قد توقع الثَّنية [٥٣٥/ب] على الواحد، فتقول: يا زيد قوما، يا حرسِي اضربا عنقه.
قوله تعالى: ﴿أَنْ يَفْرَطَ عَلَيْنَا﴾.

وقرأ عبدُ الله بنُ عمرو، وابنُ السَّمِيعِ، وابنُ يعمرَ، وأبو العالية: «أَنْ يَفْرَطَ» برفع الياءِ وكسرِ الرَّاءِ^(١).

وقرأ عكرمةٌ، وإبراهيمُ النَّخعيُّ: «أَنْ يَفْرَطَ» بفتح الياءِ والرَّاءِ^(٢).

وقرأ أبو رجاءُ العطارديُّ، وابنُ مُحِيسِنٍ: «أَنْ يَفْرَطَ» برفع الياءِ وفتح الرَّاءِ^(٣).

(١) عن ابن محيصن في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٠).

(٢) عن ابن محيصن في التحصيل (٣٠٨/٤) وعنه أيضاً: بضم الياء، وفتح الراء.

(٣) في المحتسب (٥٢/٢)، والمحزر (٤٦/٤)، والبحر المحيط (٣٣٨/٧) عن ابن محيصن، وعن يحيى، وأبي نوفل، وابن مسعود، والأعمش، وسلام في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٠).

قال الزَّجَّاجُ: المعنى، أن يُبادر بعقوبتنا، يقال: قد فرط منه أمر، أي: قد بَدَرَ؛ وقد أفرط في الشَّيء: إذا سَقَطَ فيه؛ وفرط في الشَّيء: إذا قصر؛ ومعناه كله: التَّقَدُّمُ في الشَّيء، لأنَّ الفرط في اللُّغة: المتقدم، ومنه قوله ﷺ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ»^(١).

قوله تعالى: ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ فيه قولان: أحدهما: يستعصي، قاله مقاتل^(٢).

والثاني: يجاوز الحدَّ في الإساءة إلينا.

قال ابنُ زيد: نخاف أن يعجل علينا قبل أن نبلغه كلامك وأمرك^(٣).
قوله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾ أي: بالنصرة والعون ﴿أَسْمِعْ﴾ أقوالكم ﴿وَأَرَى﴾ أفعالكم.

قال الكلبي: أسمع جوابه لكما، وأرى ما يفعل بكما.
قوله تعالى: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: خلَّ عنهم ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ وكان يستعملهم في الأعمالِ الشاقَّة، ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِثَاوِيٍّ مِنْ رَبِّكَ﴾.
قال ابنُ عباسٍ: هي العصا.

قال مقاتل: أظهر اليد في مقام، والعصا في مقام^(٤).
قوله تعالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَتْبَعَ الْهُدَى﴾.

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٥٨)، والحديث في البخاري (٦٥٧٥)، ومسلم (٢٢٩٧) من رواية ابن مسعود.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/٢٨).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٧٦/١٦) من طريق ابن وهب، به.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/٢٩).

قال مُقاتلٌ: على من آمن بالله^(١).

قال الزَّجَّاجُ: وليس يعني به التَّحِيَّةُ، وإنَّما معناه: أن من اتَّبَعَ الهدى، سلم من عذاب الله وسخطه، والدَّلِيلُ على أنَّه ليس بسلام، أنَّه ليس بابتداء لقاءٍ وخطابٍ^(٢).

قوله تعالى: ﴿عَلَى مَنْ كَذَّبَ﴾ أي: بما جئنا به وأعرض عنه.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى﴾ (٤٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى (٥٠) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٥١) قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى (٥٢) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى (٥٣) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَمَكُم إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى (٥٤) ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٤٩ - ٥٥].

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا﴾ في الكلام محذوفٌ معناه معلومٌ، وتقديره: فأتياه فأدِّيا الرِّسالة.

قال الزَّجَّاجُ: وإنَّما لم يقل: فأتياه، لأنَّ في الكلام دليلاً على ذلك، لأنَّ قوله: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا﴾ يدلُّ على أنَّهما أتياه وقالاه^(٣).

قوله تعالى: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أعطى كلَّ شيءٍ صورته، فخلق كلَّ جنسٍ من الحيوان على غير صورة جنسه، فصورة ابن آدم لا كصورة البهائم، وصورة البعير لا

(١) المصدر السابق.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٥٨).

(٣) المصدر السابق.

كصورة الفرس، روى هذا المعنى الضحّاك، عن ابن عباس، وبه قال مجاهد، وسعيد بن جبيرة.

والثاني: أعطى كل ذكرٍ زوجه، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال السُّدِّي، فيكون المعنى: أعطى كل حيوان ما يشاكله.

والثالث: أعطى كل شيء ما يصلحُه، قاله قتادة.

وفي قوله: ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: هدى كيف يأتي الذكر الأنثى، رواه الضحّاك عن ابن عباس، وبه قال ابن جبيرة.

والثاني: هدى للمَنكح والمطعم والمسكن، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: هدى كل شيء إلى معيشته، قاله مجاهد.

وقرأ عمر بن الخطّاب، وابن عباس، والأعمش، وابن السَّمِيع، ونصير عن الكسائي: «أعطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ» بفتح اللام^(١).

فإن قيل: ما وجه الاحتجاج على فرعون من هذا؟

فالجواب: أنّه قد ثبت وجود خلق وهداية، فلا بدّ من خالق [٥٣٦/أ]

وهادٍ.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ اختلفوا فيما سأل عنه من

حال القرون الأولى على ثلاثة أقوال:

(١) عن الأعمش في إعراب القرآن للنحاس (٢٨/٣)، وفي مختصر ابن خالويه (ص: ٩٠)

عن أبي نهبك، ونصير، عن الكسائي وفي التحصيل (٣٠٨/٤)، والمبسوط (٢٩٥/١) عن الكسائي.

أحدها: أنه سأل عن أخبارها وأحاديثها، ولم يكن له بذلك علم،
إذ التوراة إنما نزلت عليه بعد هلاك فرعون، فقال: ﴿عِلْمَهَا عِنْدَ رَبِّي﴾،
هذا مذهب مُقاتِل^(١).

وقال غيره: أراد: إني رسول، وأخبار الأمم علم غيب، فلا علم لي بالغيب.
والثاني: أن مراده من السؤال عنها: لم عبدت الأصنام، ولم لم يُعبد الله
إن كان الحق ما وصفت؟

والثالث: أن مراده: ما لها لا تبعث ولا تحاسب ولا تجازي؟ فقال:
علمها عند الله، أي: علم أعمالها.

وقيل: الهاء في ﴿عِلْمَهَا﴾ كناية عن القيامة، لأنه سأل عن بعث
الأمم، فأجابه بذلك.

وقوله: ﴿فِي كِتَابٍ﴾ أراد: اللوح المحفوظ.

قوله تعالى: ﴿لَا يُضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾.

وقرأ عبد الله بن عمرو، وعاصم الجحدري، وقتادة، وابن محيصن:
«لَا يُضِلُّ» بضم الياء وكسر الضاد، أي: لا يضيعه^(٢).

وقرأ أبو المتوكّل، وابن السّمِيع: «لَا يُضِلُّ» بضم الياء وفتح الضاد^(٣).

وفي هذه الآية تأكيد للجزاء على الأعمال، والمعنى: لا يخطئ ربّي ولا
ينسى ما كان من أمرهم حتّى يجازيهم بأعمالهم.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٢٩/٣).

(٢) عن ابن كثير، وابن محيصن، والحسن، والجحدري في التحصيل (٣٠٨/٤)، وزاد في
البحر المحيط (٣٤٢/٧) قتادة، وحماد بن سلمة، وعيسى الثقفي.

(٣) عن الحسن والجحدري، وحماد بن سلمة في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٠).

وقيل: أراد: لم يجعل ذلك في كتاب لأنه يضل وينسى.

قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «مهادا»^(١).

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: ﴿مَهْدًا﴾ بغير ألف^(٢).

والمهاد: الفراش، والمهد: الفرش.

﴿وَسَلَكَ لَكُمْ﴾ أي: أدخل لأجليكم في الأرض طرقاً تسلكونها، ﴿وَأَنْزَلَ

مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني المطر، وهذا آخر الإخبار عن موسى.

ثم أخبر الله تعالى عن نفسه بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ يعني: بالماء

﴿أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ أي: أصنافاً مختلفة في الألوان والطُعم، كل صنف

منها زوج.

﴿وَشَتَّى﴾ لا واحد له من لفظه.

﴿كُلُوا﴾ أي: مما أخرجنا لكم من الثمار ﴿وَارْعَوْا أَنْعَمَكُمْ﴾ يقال:

رعى الماشية، يرعاها: إذا سرحها في المرعى.

ومعنى هذا الأمر: التذكير بالنعم، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ أي: لعبارة في

اختلاف الألوان والطُعم ﴿لِأُولِي النُّهَى﴾.

قال الفراء: لذوي العقول، يقال للرجل: إنه لذو نُهية: إذا كان ذا عقل^(٣).

قال الزجاج: واحد النهى: نهي، يقال: فلان ذو نُهية، أي: ذو عقل

(١) السبعة (ص: ٤١٨)، والحجة (٥/ ٢٢٣)، والبسوط (١/ ٢٩٤)، وقرأ ابن كثير، ونافع،

وأبو عمرو، وابن عامر «مهادا» بالألف في كل القرآن.

(٢) الحجة (٥/ ٢٢٣)، وزاد في البسوط (١/ ٢٩٤)، وروح عن يعقوب، وخلف.

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٨١).

يُنْهِي بِهِ عَنِ الْمَقَابِحِ، وَيَدْخُلُ بِهِ فِي الْمَحَاسِنِ؛ قَالَ: وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ
اللُّغَةِ: ذُو النِّهْيَةِ: الَّذِي يُنْهَى إِلَى رَأْيِهِ وَعَقْلِهِ، وَهَذَا حَسَنٌ أَيْضًا^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ يَعْنِي: الْأَرْضَ الْمَذْكُورَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿جَعَلْ
لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾، وَالْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ إِلَى آدَمَ، وَالْبَشَرُ كُلُّهُمْ مِنْهُ.
﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ بَعْدَ الْمَوْتِ ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً﴾ أَي: مَرَّةً ﴿أُخْرَى﴾
بَعْدَ الْبَعْثِ، يَعْنِي: كَمَا أَخْرَجْنَاكُمْ مِنْهَا أَوَّلًا عِنْدَ خَلْقِ آدَمَ مِنَ الْأَرْضِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى﴾ ٥٦ ﴿قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّا
مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْوَسَى﴾ ٥٧ ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ، فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا
تُخْلِفُهُ، نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوَى﴾ ٥٨ ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ ضُحَى﴾
٥٩ ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ، ثُمَّ أَتَى﴾ ٦٠ ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَبِلَكُمْ لَا تَقْتَرُوا عَلَى
اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَتَرَى﴾ ٦١ ﴿فَلْتَرْعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا
النَّجْوَى﴾ ٦٢ ﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرُونَ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا
بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾ ٦٣ ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾
[طه: ٥٦ - ٦٤].

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾ يَعْنِي: التَّسْعَ
الْآيَاتِ، وَلَمْ يَرِ كُلَّ آيَةٍ لِلَّهِ، لِأَنَّهَا لَا تَحْصَى، ﴿فَكَذَّبَ﴾ أَي: نَسَبَ الْآيَاتِ إِلَى [٥٣٦/ب]
الْكَذِبِ، وَقَالَ هَذَا سِحْرٌ ﴿وَأَبَى﴾ أَنْ يُؤْمِنَ ﴿قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَّا مِنْ أَرْضِنَا﴾
يَعْنِي: مِصْرَ: ﴿بِسِحْرِكَ﴾ أَي: تَرِيدُ أَنْ تَغْلِبَ عَلَى دِيَارِنَا بِسِحْرِكَ فَتَمْلِكْهَا
وَتُخْرِجَنَا مِنْهَا ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ﴾ أَي: فَلَنُقَابِلَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ مِنَ السَّحْرِ

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٥٩).

بمثله، ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ أي: اضرب بيننا وبينك أجلاً وميقاناً ﴿لَّا نُخْلِفُهُ﴾ أي: لا نجاوزه ﴿نَحْنُ وَلَا أَنْتَ﴾.

وقيل: المعنى: اجعل بيننا وبينك موعداً مكاناً نتواعد لحضورنا ذلك المكان، ولا يقع منا خلاف في حضوره.

﴿سُوءٍ﴾:

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي بكسر السين.
وقرأ ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وخلف، ويعقوب: ﴿سُوءٍ﴾ بضمها^(١).

وقرأ أبي بن كعب، وأبو المتوكل، وابن أبي عبلة: «مكاناً سَوَاءً» بالمدّ والهمز والنصب والتنوين وفتح السين.
وقرأ ابن مسعود مثله، إلا أنه كسر السين^(٢).

قال أبو عبيدة: هو اسم للمكان النصف فيما بين الفريقين، والمعنى: مكاناً تستوي مسافته على الفريقين، فتكون مسافة كل فريقٍ إليه كمسافة الفريق الآخر^(٣).

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾:

قرأ الجمهور برفع الميم^(٤).

(١) السبعة (ص: ٤١٨)، والحجة (٥/ ٢١٩)، والتيسير (ص: ١٥١).

(٢) لم أقف على هذه القراءة

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٠).

(٤) المبسوط (١/ ٢٩٥).

وقرأ الحسن، ومجاهد، وقتادة، وابن أبي عبلّة، وهبيرة عن حفص بنصب الميم^(١).

وفي هذا اليوم أربعة أقوال:

أحدها: يوم عيد لهم، رواه أبو صالح عن ابن عباس، والسدي عن أشياخه، وبه قال مجاهد، وقتادة، وابن زيد.

والثاني: يوم عاشوراء، رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس.

والثالث: يوم النّيروز، ووافق ذلك يوم السبت أول يوم من السنة، رواه الضّحّاك عن ابن عباس.

والرابع: يوم سوق لهم، قاله سعيد بن جبيرة.

وأما رفع اليوم، فقال البصريون: التقدير: وقت موعدكم ﴿يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾، فناب الموعد عن الوقت، وارتفع به ما كان يرتفع بالوقت إذا ظهر.

فأما نصبه، فقال الزجاج: المعنى: موعدكم يقع يوم الزّينة، ﴿وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ﴾ موضع «أن» رفع، المعنى: موعدكم حشر الناس ﴿ضَحَى﴾ أي: إذا رأيت الناس قد حشروا ضحى، ويجوز أن تكون «أن» في موضع خفض عطفاً على الزّينة، المعنى: موعدكم يوم الزّينة ويوم حشر الناس ضحى^(٢).

وقرأ ابن مسعود، وابن يعمر، وعاصم الجحدري: «وَأَن تُحْشَرَ» بتاء مفتوحة ورفع الشّين ونصب «النّاس»^(٣).

(١) قرأ «يَوْمَ الزَّيْنَةِ» الحسن، والأعمش، والثقفى، ورويت عن أبي عمرو كما في المحتسب (٥٣/٢)، وانظر: التحصيل (٣٠٩/٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣٦٠/٣).

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩١) وفيها تصحيف، والبحر المحيط (٣٤٨/٧) ابن مسعود، والجحدري، وأبي عمران الجوني، وأبي نهيك، وعمرو بن فائد.

وعن ابن مسعود، والنَّخَعِيُّ: «وَأَنْ يَحْشُرَ» بِالْيَاءِ الْمَفْتُوحَةِ وَرَفْعِ الشَّيْنِ وَنَصَبِ «النَّاسِ»^(١).

قال المفسِّرون: أَرَادَ بِالنَّاسِ: أَهْلَ مِصْرَ، وَبِالضُّحَى: ضَحَى الْيَوْمِ، وَإِنَّمَا عَلَّقَهُ بِالضُّحَى، لِتَكَامُلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ وَاجْتِمَاعِ النَّاسِ، فَيَكُونُ أَبْلَغَ فِي الْحِجَّةِ وَأَبْعَدَ مِنَ الرَّيْبَةِ.

﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمَعْنَى: تَوَلَّى عَنِ الْحَقِّ الَّذِي أَمَرَ بِهِ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُ انْصَرَفَ إِلَى مَنْزِلِهِ لِاسْتِعْدَادِ مَا يَلْقَى بِهِ مُوسَى، ﴿فَجَمَعَ

كَيْدَهُ﴾ أَيِ: مَكْرَهُ وَحِيلَتِهِ ﴿ثُمَّ أَقْبَى﴾ أَيِ: حَضَرَ الْمَوْعِدَ.

﴿قَالَ لَهُمُ مُوسَى﴾ أَيِ: لِلسَّحَرَةِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا عِدْدَهُمْ فِي الْأَعْرَافِ^(٢). [١/٥٣٧]

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَلِكُمْ﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: هُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْزَمَكَمِ اللَّهُ وَيَلَا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ

عَلَى النَّدَاءِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا يَنْوَلِّنَا مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدًا﴾ [يس: ٥٢]^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا تَشْرِكُوا مَعَهُ أَحَدًا^(٤).

(١) فِي مَخْتَصَرِ ابْنِ خَالَوَيْهِ (ص: ٩١) عَنْ أَبِي عِمْرَانَ النَّحْوِيِّ، وَأَبِي نَهْيَكٍ، وَالْجَحْدَرِيِّ، وَفِي التَّحْصِيلِ (٣٠٩/٤) عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَالْجَحْدَرِيِّ.

(٢) انْظُرْ: تَفْسِيرَ سُورَةِ الْأَعْرَافِ الْآيَةِ رَقْمَ (١١٤).

(٣) مَعَانِي الْقُرْآنِ وَإِعْرَابُهُ (٣٦٠/٣).

(٤) أَوْرَدَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي الْوَسِيطِ (٢١١/٣).

قوله تعالى: ﴿فَيَسْحِكُمْ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «فيسحكنكم» بفتح الياء، من سَحَت. وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿فَيَسْحِكُمْ﴾ بضم الياء، من أَسَحَت^(١).

قال الفراء: ويسحت أكثر، وهو الاستئصال، والعرب تقول: سحته الله، وأسحته، قال الفرزدق [من الطويل]^(٢):
وَعَضُّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ مِنْ الْمَالِ إِلَّا مُسَحَّتًا أَوْ مُجْلَفًا
هكذا أنشد البيت الفراء، والزجاج.

ورواه أبو عبيدة: إِلَّا مَسَحْتُ أَوْ مُجْلَفٌ بِالرَّفْعِ^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَنَنْزِعُوهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ يعني: السحرة تناظروا فيما بينهم في أمر موسى، وتشاوروا ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ أي: أخفوا كلامهم من فرعون وقومه.

وقيل: من موسى وهارون.

وقيل: أسروا هاهنا بمعنى أظهروا.

وفي ذلك الكلام الذي جرى بينهم ثلاثة أقوال:

(١) السبعة (ص: ٤١٩)، والحجة (٢٢٨/٥)، والتيسير (ص: ١٥١)، والمبسوط (٢٩٥/١).

(٢) في ديوانه (ص:)، ومعاني القرآن (١٨٢/٢)، ومعاني القرآن وإعراجه (٣٦١/٣)، وجمهرة أشعار العرب (ص: ٨٨٠)، ولسان العرب (٤١/٢)، وخزانة الأدب (٢٣٧/١).

(٣) مجاز القرآن (٢١/٢).

أحدها: أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنْ كَانَ هَذَا سَاحِرًا، فَإِنَّا سَنَغْلِبُهُ، وَإِنْ يَكُنْ مِنَ السَّمَاءِ كَمَا زَعَمْتُمْ، فَلَهُ أَمْرُهُ، قَالَه قَتَادَةُ.

والثاني: أَنَّهُمْ لَمَّا سَمِعُوا كَلَامَ مُوسَى قَالُوا: مَا هَذَا بِقَوْلِ سَاحِرٍ، وَلَكِنْ هَذَا كَلَامُ الرَّبِّ الْأَعْلَى، فَعَرَفُوا الْحَقَّ، ثُمَّ نَظَرُوا إِلَى فِرْعَوْنَ وَسُلْطَانِهِ، وَإِلَى مُوسَى وَعَصَاهُ، فَانْكَسَوْا عَلَى رُؤُوسِهِمْ، وَقَالُوا: ﴿إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ جَرَنٌ﴾، قَالَه الضَّحَّاكُ، وَمُقَاتِلٌ.

والثالث: أَنَّهُمْ ﴿قَالُوا إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ جَرَنٌ﴾ الْآيَاتِ، قَالَه السُّدِّيُّ. واختلف القراء في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ جَرَنٌ﴾: فقرأ أبو عمرو ابن العلاء: «إِنْ هَذَيْنِ» على إعمال «إِنْ»، وقال: إِنِّي لَأَسْتَحْيِي مِنَ اللَّهِ أَنْ أَقْرَأَ: «إِنْ هَذَا»^(١).

وقرأ ابنُ كثيرٍ: «إِنْ» خفيفة «هَذَا» بتشديد النون. وقرأ عاصمٌ في رواية حفصٍ: ﴿إِنْ﴾ خفيفة ﴿هَذَا﴾ خفيفة أيضًا. وقرأ نافعٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةٌ، والكسائيُّ: «إِنْ» بالتشديد «هاذان» بآلفٍ ونونٍ خفيفة^(٢).

فأمَّا قراءة أبي عمرو، فاحتجاجة في مخالفة المصحف بما روي عن عثمانَ وعائشةَ، أنَّ هذا من غلط الكاتبِ على ما حكيناه في قوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ﴾ في سورة النساءِ^(٣).

(١) التحصيل (٤/٣٢٦).

(٢) السبعة (ص: ٤١٩)، والحجة (٥/٢٢٩)، والمبسوط (١/١٧٧).

(٣) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (١٦٢).

وأما قراءة عاصم، فمعناها: ما هذان إلا ساحران، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [الشعراء: ١٨٦] أي: ما نظنُّكَ إلا من الكاذبين، وأنشدوا في ذلك [من الكامل] ^(١):

نَكَلْتُكَ أُمُّكَ إِنْ قَتَلْتَ لِمُسْلِمًا حَلَّتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ ^(٢)
أي: ما قتلت إلا مسلماً.

قال الزَّجَّاجُ: ويشهد لهذه القراءة، ما روي عن أبي بن كعب أنه قرأ: «ما هذان إلا ساحران»، وروي عنه «إن هذان إلا ساحران»، ورويت عن الخليل «إن هذان» بالتخفيف، والإجماع على أنه لم يكن أحدًا أعلم [٥٣٧/ب] بالنحو من الخليل ^(٣).

فأما قراءة الأكثرين بتشديد «إن» وإثبات الألف في قوله: «هاذان» فروى عطاء عن ابن عباس أنه قال: هي لغة بلحارث بن كعب. وقال ابن الأنباري: هي لغة بني الحارث بن كعب، وافقتها لغة قريش. قال الزَّجَّاجُ: وحكى أبو عبيدة عن أبي الخطاب، وهو رأس من رؤوس الرواة: أنها لغة لكنانة، يجعلون ألف الاثنين في الرفع والنصب والخفض على لفظ واحد، يقولون: أتاني الزيدان، ورأيت الزيدان، ومررت بالزيدان، وأنشدوا [من الطويل] ^(٤):

(١) البيت لعاتكة بنت زيد في الأغاني (١١/١٨)، وخزانة الأدب (٣٧٣/١٠)، وشرح شواهد المغني (٧١/١).

(٢) في الأصل: (عقوبة الرجم المتعمد)، والمثبت من (س)، و(ر) ومصادر البيت.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٦١-٣٦٢).

(٤) البيت للمتللمس في ديوانه (ص: ٣٤)، والحيوان (٤/٢٦٣)، وخزانة الأدب (٧/٤٨٧)، =

فَأَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشُّجَاعِ وَلَوْ رَأَى مَسَاغًا لِنَابَاهُ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا
ويقول هؤلاء: ضربته بين أذناه.

وقال النحويون القدماء: هاهنا هاء مضمرة، المعنى إنه هذان لساحران.
وقالوا أيضًا: إن معنى «إن»: نعم هذان لساحران، وينشدون [مجزوء
الكامل]^(١):

وَيَقُلْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَكَ وَقَدْ كَبِرَتْ فَقُلْتُ إِنَّهُ
قال الزَّجَّاجُ: والذي عندي وكنْتُ عرضته على عالمنا محمد بن
يزيد، وعلى إسماعيل بن إسحاق بن حماد بن زيد، فقبلاه، وذكر أنه
أجود ما سمعناه في هذا، وهو أن «إن» قد وقعت موقع نعم، والمعنى:
نعم هذان هما الساحران، وبلي هذا في الجودة مذهب بني كنانة^(٢).

وأستحسن هذه القراءة، لأنَّها مذهب أكثر القراء، وبها نقرأ.
وأستحسن قراءة عاصم، والخليل، لأنَّهما إمامان، ولأنَّهما وافقا أبي
بن كعب في المعنى، ولا أجيز قراءة أبي عمرو لخلاف المصحف.
وحكى ابنُ الأنباري عن القراء قال: ألف «هذان» هي ألف هذا والنون
فرَّقت بين الواحد والثنية، كما فرَّقت نون الذين بين الواحد والجمع.

= والمؤتلف والمختلف (ص: ٧١)، وبلا نسبة في معاني القرآن (٢/ ١٨٤)، ومعاني القرآن
وإعرابه (٣/ ٣٦٨).

(١) البيت لعبيد الله بن قيس الرقيات في ديوانه (ص: ٦٦)، وشواهد سيبويه (٣/ ١٥١)،
ومغنى اللبيب (١/ ٣٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦٣).

قوله تعالى: ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمْ﴾:

قرأ أبان عن عاصم: «ويذهبا» بضم الياء وكسر الهاء.
وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وعبد الله بن عمرو، وأبو رجاء
العطاردى: «ويذهبا» بالطريقة «بألف ولام، مع حذف الكاف والميم.
وفي الطريقة قولان:

أحدهما: بدينكم المستقيم، رواه الضحاك، عن ابن عباس.
وقال أبو عبيدة: بستتكم ودينكم وما أنتم عليه، يقال: فلان
حسن الطريقة^(١).

والثاني: بأمثلكم، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.
وقال مجاهد: بأولي العقل والأشراف، والأسنان^(٢).
وقال الشعبي: يصرفان وجوه الناس إليهما^(٣).
قال الفراء: الطريقة: الرجال الأشراف، تقول العرب للقوم الأشراف:
هؤلاء طريقة قومهم، وطرائق قومهم^(٤).
فأما ﴿الْمَثَلَى﴾ فقال أبو عبيدة: هي تأنيث الأمثل، تقول في الإناث:
خذ المثل منهما، وفي الذكور خذ الأمثل^(٥).

(١) مجاز القرآن (٢/ ٢٣).

(٢) رواه ابن جرير الطبري (١٦/ ١٠٢)، وابن أبي حاتم (١٣٤٧٤) في تفسيرهما.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ١٠٤) عن علي بن أبي طالب.

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٨٥).

(٥) مجاز القرآن (٢/ ٢٣).

وقال الزَّجَّاجُ: ومعنى المثل والأمثل: ذو الفضل الذي به يستحقُّ [٥٣٨/أ] أن يقال: هذا أمثل قومِه؛ قال: والذي عندي أنَّ في الكلام محذوفاً، والمعنى: يذهباً بأهل طريقته المثل، وقول العرب: هذا طريقة قومِه، أي: صاحب طريقتهم^(١).

قوله تعالى: ﴿فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ﴾: قرأ الأكثرون: ﴿فَاجْمَعُوا﴾ بقطع الألف من أجمعت^(٢). والمعنى: ليكن عزمكم مجمعاً عليه، لا تختلفوا فيختل أمركم. قال الفراء: والإجماع: الإحكام والعزيمة على الشيء، تقول: أجمعت على الخروج وأجمعتُ الخروج، تريد: أزمعت. قال الشاعر [من الكامل]^(٣):

يَا لَيْتَ شِعْرِي وَالْمُنَى لَا تَنْفَعُ هَلْ أَغْدُونَ يَوْمًا وَأَمْرِي مُجْمَعُ^(٤)
يريد: قد أحكم وعزم عليه.

وقرأ أبو عمرو: «فَاجْمَعُوا» بفتح الميم من جمعت، يريد: لا تدعوا من كيدكم شيئاً إلا جئتم به^(٥). فأما كيدهم، فالمراد به: سحرهم ومكرهم.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٦٤).

(٢) السبعة (ص: ٤١٩)، والحجة (٥/٢٣٢)، والمبسوط (١/٢٦٩).

(٣) بلا نسبة في معاني القرآن (٢/١٨٥)، وإصلاح المنطق (ص: ٢٦٣)، والخصائص (٢/١٣٦)، وشواهد المغني (٢/٨١١)، ولسان العرب (٨/٥٧) (جمع)، ومغني اللبيب (٢/٣٨٨).

(٤) في الأصل، و(ر): (ينفع)، والمثبت من (س)، ومصادر البيت.

(٥) التحصيل (٤/٣٢٦).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتَوَوْا صَفًّا﴾ أي: مصطفين مجتمعين، ليكون أنظم لأمرهم، وأشد لهيبكم.

قل أبو عبيدة: ﴿صَفًّا﴾ أي: صفوفًا^(١).

وقال ابن قتيبة: ﴿صَفًّا﴾ بمعنى: جمعًا^(٢).

قال الحسن: كانوا خمسة وعشرين صفًا، كل ألف ساحر صف.

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ أَسْتَعْلَى﴾.

قال ابن عباس: فاز من غلب^(٣).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَمْوَسَّىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ (٦٥) قَالَ بَلْ

أَلْقُوا فَإِذَا جِأَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ بِخَلِّ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ (٦٦) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً

مُوسَىٰ (٦٧) فَلَمَّا لَا تَخَفْ إِنْكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ (٦٨) وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا

كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ (٦٩) فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ

(٧٠) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ، قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ

وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَتَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ إِنَّمَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (٧١) قَالُوا

لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّمَا آمَنَ بِرَبِّنَا لِیَغْفِرَ لَنَا خَطِئَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَىٰ

(٧٣) ﴿طه: ٦٥-٧٣﴾.

(١) مجاز القرآن (٢/ ٢٣).

(٢) غريب القرآن (١/ ٢٨٠).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٣).

قوله تعالى: ﴿بَلِّ الْقَوَّاءُ﴾.

قال ابن الأنباري: دخلت بل لمعنى: جحد في الآية الأولى، لأن الآية الأولى إذا تَوَمَّلْتَ وَجَدْتَ مشتملة على: إمَّا أن تلقي، وإمَّا أن لا تلقي.

قوله تعالى: ﴿وَعَصِيَّتُهُمْ﴾.

قرأ الحسن، وأبو رجاء العطاردي، وأبو عمران الجوني، وأبو الجوزاء: و«وَعَصِيَّتُهُمْ» برفع العين^(١).

قوله تعالى: ﴿يُخَيِّلُ إِلَيْهِ﴾.

وقرأ أبو رزين العقيلي، وأبو عبد الرحمن السلمي، والحسن، وقتادة، والزهرى، وابن أبي عبلة: «يُخَيِّلُ» بالتاء «إِلَيْهِ» أي: إلى موسى^(٢).
يقال: خَيَّلَ إليه: إذا شَبَّهَ له، وقد استدل قوم بهذه الآية على أن السحر ليس بشيء.

وقال: إنهما خَيَّلَ إلى موسى، فالجواب: أننا لا ننكر أن يكون ما رآه موسى تخيلاً، وليس بحقيقة، فإنه من الجائز أن يكونوا تركوا الزئبق في سلوخ الحيات حتى جرت، وليس ذلك بحيات فأما السحر، فإنه يؤثر، وهو أنواع.

وقد سحر رسول الله ﷺ حتى أثر فيه، ولعن العاصية^(٣)، وهي الساحرة.

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩١)، عن عيسى، وفي التحصيل (٣٢٧/٤) عن الحسن.

(٢) مختصر ابن خالويه (ص: ٩١)، والتحصيل (٣٢٧/٤).

(٣) جاءت في حديث ابن عباس الذي أخرجه الضياء في المختارة (٤١١) «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُجِلَّ وَالْمَحَلَّلَ لَهُ، وَالْوَائِسَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ، وَالرَّائِيَّ وَالْمُرْتَشِيَّ، وَالنَّابِصَةَ وَالْمُتَمَصِّصَةَ، وَالْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْعَاصِيَةَ وَالْمُسْتَعْصِيَةَ».

قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾.

قال ابن قتيبة: أضمر في نفسه خوفاً^(١).

وقال الزجاج: أصلها «خوفة»، ولكن الواو قلبت ياء لانكسار ما قبلها^(٢).

وفي خوفه قولان:

أحدهما: أنه خوف الطبع البشري.

والثاني: أنه لما رأى سحرهم من جنس ما أراهم في العصي، خاف

أن يلتبس على الناس أمره، ولا يؤمنوا، ف قيل له: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ عليهم بالظفر والغلبة. وهذا أصح من الأول.

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ﴾ يعني: العصا ﴿تَلْقَفْ﴾.

وقرأ ابن عامر: «تَلْقَفُ» برفع الفاء وتشديد القاف.

وروى حفص عن عاصم: ﴿تَلْقَفْ﴾ خفيفة، وكان ابن كثير يشدد

التاء من «تَلْقَف» يريد: تتلقف^(٣).

وقرأ ابن مسعود، وأبي بن كعب، وسعيد بن جبير، وأبو رجاء:

[٥٣٨/ب]

«تلقم» بالميم وقد شرحناها في الأعراف^{(٤)(٥)}.

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدَ سِحْرٍ﴾.

قرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «كيد سحر».

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٠).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٦٣).

(٣) السبعة (ص: ٢٩٠)، والحجة (٥/٢٣٥)، والتيسير (ص: ١٩٢).

(٤) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١١٧).

(٥) عن سعيد بن جبير في المصاحف لابن أبي داود (١/٢٢٢).

وقرأ الباقر: ﴿كَيْدٌ سَحَرٌ﴾ بألف^(١).
 والمعنى: إن الذي صنعوا كيد ساحر، أي: عمل ساحر.
 وقرأ ابن مسعود، وأبو عمران الجوني: «إنما صنعوا كيد» بنصب الدال^(٢).
 ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ﴾.
 قال ابن عباس: لا يسعد حينما^(٣) كان^(٤)، وقيل: لا يفوز.
 وروى جندب بن عبد الله البجلي أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا أَخَذْتُمُ
 السَّاحِرَ فَاقْتُلُوهُ»، ثم قرأ ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَى﴾، قال: «لا يأمن حيث
 وُجد»^(٥).
 قوله تعالى: ﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ﴾.
 قرأ ابن كثير، وحفص عن عاصم، وورش عن نافع: ﴿ءَامَنْتُمْ لَهُ﴾
 على لفظ الخبر.
 وقرأ نافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «آمتم له» بهمزة ممدودة.
 وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «آآمتم له» بهمزتين
 الثانية ممدودة^(٦).

(١) السبعة (ص: ٤٢١)، والحجة (٥/ ٢٣٧)، والمبسوط (١/ ٢٩٦).

(٢) الكامل في القراءات (١/ ١٣٤).

(٣) في (س): (حيث).

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٤).

(٥) بهذا اللفظ رواه ابن أبي حاتم، وابن مردويه في تفسيرهما كما في الدر المنثور (٥/ ٥٨٦)،

وجاء بلفظ: «حَدَّ السَّاحِرِ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ» رواه الترمذي (١٤٦٠) وضعفه.

(٦) السبعة (ص: ٤٢١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ﴾.

قال ابن عباس: يريد معلمكم^(١).

قال الكسائي: الصَّبِي بالحجاز إذا جاء من عند معلمه، قال: جئت من عند كبير^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ ﴿فِي﴾ بمعنى على، ومثله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ [الطور: ٣٨] ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ﴾ أيها السحرة ﴿أَيْنَا أَشَدُّ عَذَابًا﴾ لكم ﴿وَأَبْقَى﴾ أي: أدام، أنا على إيمانكم، أو رب موسى على ترككم الإيمان به؟ ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾ أي: لن نختارك ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ﴾ يعنون اليد والعصى.

فإن قيل: لم نسبوا الآيات إلى أنفسهم بقولهم: ﴿جَاءَنَا﴾ وإنما جاءت عامة لهم ولغيرهم.

فالجواب: أنهم لما كانوا بأبواب السحر ومذاهب الاحتيال أعرف من غيرهم، وقد علموا أن ما جاء به موسى ليس بسحر، كان ذلك في حق غيرهم أبين وأوضح، وكانوا هم^(٣) لمعرفته أخص.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ وجهان ذكرهما الفراء، والزجاج.

أحدهما: أن المعنى: لن نؤثرك على ما جاءنا من البيّنات، وعلى الذي فطرنا. والثاني: أنه قسم، تقديره: وحق الذي فطرنا^(٤).

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٥).

(٢) التفسير الوسيط (٣/ ٢١٤).

(٣) ليست في (س).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٨٧)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦٨).

قوله تعالى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ أي: فاصنع ما أنت صانع، وأصل القضاء: عملٌ بإحكام.

﴿إِنَّمَا تُقْضَى هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾.

قال الفراء: إنما حرفٌ واحدٌ، فلهذا نصب: الحياة الدنيا، ولو قرأ قارئ برفع الحياة لجاز، على أن يجعل «ما» في مذهب الذي، كقولك: إن الذي تقضي هذه الحياة الدنيا^(١).

وقرأ ابنُ أبي عبلة، وأبو المتوكل: «إِنَّمَا تُقْضَى» بضمّ التاء على ما لم يسمَّ فاعله، «الحياة» برفع التاء^(٢).

قال المفسرون: والمعنى: إنما سلطانك وملكك في هذه الدنيا، لا في الآخرة. قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَنَا﴾ يعنون الشرك ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ﴾ أي: والذي أكرهتنا عليه، أي: ويغفر لنا إكراهك إيانا على السحر.

فإن قيل: كيف قالوا: ﴿أَكْرَهْتَنَا﴾، وقد قالوا: ﴿أَبْنَا لَنَا لَأَجْرًا﴾، وفي هذا دليلٌ على أنهم فعلوا السحر غير مكرهين؟ فعنه أربعة أجوبة:

أحدها: أن فرعون كان يُكره الناس على تعلّم السحر، قاله ابنُ عباسٍ. قال ابنُ الأنباري: كان يطالب بعض أهل مملكته بأن يُعلّموا [٥٣٩/أ] أولادهم السحر وهم لذلك كارهون، وذلك لشغفه بالسحر، ولما خامر قلبه من خوف موسى، فالإكراه على السحر، هو الإكراه على تعلمه في

(١) معاني القرآن (٢/ ١٨٧).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩١) عن أبي حنيفة.

أَوَّل الْأَمْرِ.

والثاني: أَنَّ السَّحْرَةَ لما شاهدوا موسى بعد قولهم: ﴿أَيْنَ لَنَا لَاجِرٌ﴾ ورأوا ذكره الله تعالى وسلوكه منهاج المتقين، جزعوا من ملاقاته بالسَّحَرِ، وحذروا أن يظهر عليهم فيُطَّلَعَ على ضعفِ صناعتهم، فيفسد^(١) معيشتهم، فلم يقنع فرعون منهم إلا بمعارضة موسى، فكان هذا هو الإكراه على السَّحَرِ.

والثالث: أَنَّهُمْ خافوا أن يغلبوا في ذلك الجمع، فيقدح ذلك في صنعتهم عند الملوك والسوق، وأكرههم فرعون على فعل السَّحَرِ. والرابع: أَنَّ فرعون أكرههم على مفارقة أوطانهم، وكان سبب ذلك السَّحَرِ، ذكر هذه الأقوال ابنُ الأنباري.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ أي: خيرٌ منك ثواباً إذا أطيعَ ﴿وَأَبْقَى﴾ عقاباً إذا عصي، وهذا جوابُ قوله: ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾، وهذا آخرُ الإخبارِ عن السَّحْرَةِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۖ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۖ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٤-٧٦].

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ يعني: مشركاً ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياةً تنفعُهُ.

أنشد ابنُ الأنباري في مثل هذا المعنى قوله [من الطويل] (٢):

(١) في (س): (فتفسد).

(٢) بلا نسبة في الزاهر (٤/٢)، ولسان العرب (٣٣٥/١٢).

أَلَا مَنْ لِنَفْسٍ لَا تَمُوتُ فَيَنْقُضِي شَقَاَهَا وَلَا تُحْيَا حَيَاةَهَا طَعْمٌ^(١)
قوله تعالى: ﴿قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾.

قال ابن عباس: قد أدى الفرائض، ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾
يعني: درجات الجنة، وبعضها أعلى من بعض^(٢).
والعلى، جمع العليا، وهو تأنيث الأعلى.

قال ابن الأنباري: وإنما قال: ﴿فَأُولَئِكَ﴾، لأن من تقع بلفظ
التوحيد على تأويل الجمع. فإذا غلب لفظها، وحد الراجع إليها، وإذا
بُيِّنَ تأويلها، جمع المصروف إليها.

قوله تعالى: ﴿وَذَلِكَ﴾ يعني الثواب ﴿جَزَاءً مَن تَزَكَّى﴾ أي: تطهر من
الكفر والمعاصي.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَن أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا
فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تُخْشَى﴾ (٧٧) ﴿فَأَنبَعَثْهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ، فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا
غَشِيَهُمْ﴾ (٧٨) ﴿وَاضْلَ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ، وَمَا هَدَى﴾ (٧٩) ﴿يَبْنِي إِسْرَاءَ بِلَ قَدْ أَنجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ
جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَ وَالسَّلَوى﴾ (٨٠) ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا
تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ (٨١) ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن
تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (٨٢) [طه: ٧٧ - ٨٢].

قوله تعالى: ﴿أَن أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ أي: سر بهم ليلاً من أرض مصر
﴿فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا﴾ أي: اجعل لهم طريقاً ﴿فِي الْبَحْرِ يَبَسًا﴾.

(١) البيت ليس في (س).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٥).

قرأ أبو المتوكل، والحسن البصري، والنخعي: «يَسَا» بإسكان الباء^(١).
 وقرأ الشعبي، وأبو رجاء، وابن السَّمِيع: «يابَسَا» بآلف^(٢).
 قال أبو عبيدة: اليَس، متحرّك الحروف، بمعنى اليباس، يقال:
 شاةٌ يَسُّ، أي: يابسة ليس لها لبن^(٣).
 وقال ابن قُتَيْبَة: يقال لليباس: يَسُّ وَيَسُّ^(٤).
 قوله تعالى: ﴿لَا تَخَفْ﴾.
 قرأ الأكثرون: بآلف، وقرأ حمزة وأبان عن عاصم: ﴿لَا تَخَفْ﴾^(٥).
 قال الزّجّاج: مَنْ قرأ «لا تخاف»، فالمعنى: لست تخاف، ومَنْ قرأ:
 «لا تخف» فهو نهي عن الخوف^(٦).
 قال الفراء: قرأ حمزة: «لا تَخَفْ» بالجزم، ورفع «ولا تخشى» على
 الاستثنا، كقوله تعالى: ﴿يُولُوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [آل عمران: ١١١]
 استأنف بـ ﴿ثُمَّ﴾، فهذا مثله، ولو نوى حمزة بقوله: «ولا تخش» الجزم
 وإن كانت فيه الياء، كان صواباً^(٧).

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩١)، والبحر المحيط (٧/ ٣٦٢) عن الحسن.

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩١)، عن أبي حيوة، والمحزر (٤/ ٥٥).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٢٤).

(٤) معاني القرآن (ص: ٢٨٠).

(٥) السبعة (ص: ٤٢١)، والحجة (٥/ ٢٣٩)، والتيسير (ص: ١٥١).

(٦) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٦٩-٣٧٠).

(٧) معاني القرآن (٢/ ١٨٧).

[٥٣٩/ب] قال ابنُ قُتَيْبَةَ: ومعنى قوله: ﴿دَرَكًا﴾ لحاقًا^(١).

قال المفسِّرون: قال أصحابُ موسى: هذا فرعونُ قد أدركنا، وهذا البحر بين أيدينا، فأنزل الله على موسى ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا﴾ أي: من فرعون ﴿وَلَا تَخْشَى﴾ غرقًا في البحر.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ﴾ قال ابنُ قُتَيْبَةَ: لحقهم^(٢).

وروى هارونُ، عن أبي عمرو: «فَاتَّبَعَهُمْ» بالتَّشديد^(٣).

وقال الرَّجَّاجُ: تبع الرجل الشيء، وأتبعه بمعنى واحد، ومن قرأ بالتَّشديد، ففيه دليلٌ على أَنَّهُ اتَّبَعَهُمْ ومعه الجنود، ومن قرأ: ﴿فَاتَّبَعَهُمْ﴾، فمعناه: ألحق جنوده بهم، وجائز أن يكون معهم على هذا اللَّفظ، وجائز أن لا يكون، إِلَّا أَنَّهُ قد كان معهم^(٤).

﴿فَغَشَّيْهِمْ مِّنَ الَّيْمِ مَا غَشَّيْهِمْ﴾ أي: فغشيهم من ماء البحر ما غرقهم.

وقال ابنُ الأنباريِّ: ويعني بقوله: ما غشيهم البعض الذي غشيهم، لأنَّه لم يغشيهم كل مائه.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وعكرمة، وأبو رجاء، والأعمش: «فَغَشَّاهُمْ مِنَ الَّيْمِ مَا غَشَّاهُمْ» بِالْفِ فِيهِمَا مع تشديد الشَّين وحذف الياء^(٥).

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) في المحرر الوجيز (٤/ ٥٥)، والبحر المحيط (٧/ ٣٦٢) وزاد الحسن.

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٠).

(٥) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩١)، والتحصيل (٤/ ٣٢٨) عن الأعمش.

قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾ أي: دعاهم إلى عبادته ﴿وَمَا هَدَى﴾ أي: ما أرشدهم حين أوردتهم موارد الهلكة، وهذا تكذيبٌ له في قوله: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

قوله تعالى: ﴿وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ لأخذ التَّوَارَةِ، وقد ذكرنا في مريم^(١) معنى الأيمن، وذكرنا في البقرة^(٢) المنَّ والسَّلوى.

قوله تعالى: ﴿كُلُوا﴾ أي: وقلنا لهم: كلوا.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لا تطروا في نعمي فتظلموا.

والثاني: لا تجحدوا نعمي فتكونوا طاغين.

والثالث: لا تدخروا منه لأكثر من يومٍ وليلة.

قوله تعالى: ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ أي: فتجب لكم عقوبتي.

والجمهور قرؤوا: ﴿فَيَحِلَّ﴾^(٣) بكسرِ الحاءِ ﴿وَمَنْ يَحِلَّ﴾ بكسر اللامِ.

وقرأ الكسائي: «فَيَحِلُّ» بضمِّ الحاءِ «وَمَنْ يَحِلُّ» بضمِّ اللامِ^(٤).

قال الفراء: والكسرُ أحبُّ إليَّ، لأنَّ الضمَّ من الحلول، ومعناه:

الوقوع، ويحلُّ بالكسر، يجبُ، وجاء التفسيرُ بالوجوبِ، لا بالوقوع^(٥).

(١) انظر: تفسير سورة مريم الآية رقم (٥٢).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٥٧).

(٣) قوله: ﴿فَيَحِلَّ﴾ من (س).

(٤) السبعة (ص: ٤٢٢)، والحجة (٥/ ٢٤٢)، والتيسير (ص: ١٥٢).

(٥) معاني القرآن (٢/ ١٨٨).

قوله تعالى: ﴿فَقَدْ هَوَىٰ﴾ أي: هلك.

قوله تعالى: ﴿وَلَيْتَ لَغَفَّارٌ﴾ الغفار: الذي يغفر ذنوب عباده مرة بعد أخرى، فكلما تكررت ذنوبهم تكررت مغفرته، وأصل الغفر: السّتر، وبه سمّي زئبر الثوب: غفراً، لأنّه يستر سداه. فالغفار: السّتار لذنوب عباده، المسبل عليهم ثوب عطفيه.

قوله تعالى: ﴿لَمَن تَابَ﴾.

قال ابن عباس: لمن تاب من الشّرك ﴿وَأَمَنَ﴾ أي: وحّد الله وصدّقه، ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أدّى الفرائض^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَهْتَدَىٰ﴾ ثمانية أقوال:

أحدها: علم أن لعمله هذا ثواباً، رواه أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: لم يشكك، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثالث: علم أن ذلك توفيق من الله له، رواه عطاء عن ابن عباس.

والرابع: لزم السّنة والجماعة، قاله سعيد بن جبيرة.

والخامس: استقام، قاله الضّحّاك.

والسادس: لزم الإسلام حتّى يموت عليه، قاله قتادة.

والسابع: اهتدى كيف يعمل، قاله زيد بن أسلم.

[٥٤٠/أ]

والثامن: اهتدى إلى ولاية بيت النّبي ﷺ، قاله ثابت البناني^(٢).

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢١٧).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٦/ ١٢٩) من طريق عمر بن شاعر البصري، عن ثابت البناني به، وعمر بن شاعر وأهلي الحديث. انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٢٠٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ﴾ (٨٣) قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَاجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي (٨٦) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿طه: ٨٣-٨٩﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ﴾ قال المفسرون: لما نجى الله تعالى بني إسرائيل وأغرق فرعون، قالوا: يا موسى، لو أتيتنا بكتاب من عند الله، فيه الحلال والحرام والفرائض، فأوحى الله إليه يعده أنه ينزل عليه ذلك في الموضع الذي كلمه فيه، فاختار سبعين، فذهبوا معه إلى الطور لأخذ التوراة، فعجل موسى من بينهم شوقاً إلى ربه، وأمرهم بلحاقيه، فقال الله تعالى له: ما الذي حملك على العجلة عن قومك، ﴿قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ﴾ أي: هؤلاء ﴿عَلَىٰ أَثَرِي﴾.

وقرأ أبو رزين العقيلي، وعاصم الجحدري: «على إثري» بكسر الهمزة وسكون الثاء^(١).

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩١)، عن عيسى، وعبد الوارث، عن أبي عمرو، ويعقوب، وفي التحصيل (٣٢٩/٤) عن يعقوب الحضرمي، وانظر: المحرر (٥٧/٤)، والبحر المحيط (٣٦٦/٧).

وقرأ عكرمة، وأبو المتوكل، وابنُ يعمر، برفع الهمزة وسكونِ الثاء^(١).
 وقرأ أبو رجاء، وأبو العالية: بفتح الهمزة وسكونِ الثاء^(٢).
 والمعنى: هم بالقربِ منِّي يأتون بعدي ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾
 أي: لتزداد رضى، ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ﴾.
 قال الزجاج: ألقيناهم في فتنة ومحنة، واختبرناهم^(٣).
 قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَكَ﴾ أي: من بعد انطلاقك من بينهم ﴿وَأَضَلُّهُمْ
 السَّامِرِيُّ﴾ أي: كان سبباً لإضلالهم.
 وقرأ معاذُ القاري، وأبو المتوكل، وعاصمُ الجحدري، وابنُ السَّمِيعِ:
 «وَأَضَلُّهُمْ» برفع اللام^(٤)، وقد شرحنا في البقرة^(٥) سبب اتِّخاذِ السَّامِرِيِّ
 العجل، وشرحنا في الأعراف^(٦) معنى قوله تعالى: ﴿غَضَبْنَا أَسَفًا﴾.
 قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ أي: صدقاً، وفيه ثلاثة أقوال:
 أحدها: إعطاء التوراة.
 والثاني: قوله: ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ إلى قوله: ﴿لَأَكْفِرَنَّ عَنْكُمْ﴾
 الآية: [المائدة: ١٣]، وقوله: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ﴾ [طه: ٨٢].

(١) «أثري» بضم الهمزة وسكونِ الثاء عن الكسائي، وعيسى في البحر المحيط (٧/ ٣٦٦).

(٢) «أثري» أشار إليها أبو البقاء العكبري في إعراب القراءات الشواذ (٢/ ٨٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧١).

(٤) عن أبي معاذ في مختصر ابن خالويه (ص: ٩١)، والتحصيل (٤/ ٣٢٩)، وإعراب القراءات
 الشواذ (٢/ ٨٤).

(٥) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٥٢).

(٦) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٥٠).

والثالث: النَّصْر، والظفر.

قوله تعالى: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ﴾ أي: مدّة مفارقتي إياكم ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أن تصنعوا صنيعاً يكون سبباً لغضب ربكم ﴿فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ أي: عهدي، وكانوا قد عاهدوه أنّه إن فكّهم الله من ملكة آل فرعون، أن يعبدوا الله ولا يشركوا به، وقيموا الصّلاة، وينصروا الله ورسله.

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر: بكسر الميم.

وقرأ نافع، وعاصم: بفتح الميم.

وقرأ حمزة، والكسائي: بضمّ الميم^(١).

قال أبو علي: وهذه لغات^(٢).

وقال الزجاج: الْمَلِكُ بِالضَّمِّ: السُّلْطَانُ وَالْقُدْرَةُ، وَالْمَلِكُ بِالْكَسْرِ: مَا

حَوْنُهُ الْيَدُ، وَالْمَلِكُ بِالْفَتْحِ: الْمَصْدَرُ، يُقَالُ: مَلَكَتُ الشَّيْءَ أَمْلِكُهُ مَلَكًا^(٣).

وللمفسّرين في معنى الكلام أربعة أقوال:

أحدها: ما كنّا نملك الذي اتّخذ منه العجل، ولكنها كانت زينة آل

فرعون، فقدفناها، قاله ابن عباس.

والثاني: بطاقتنا، قاله قتادة، والسّدي.

والثالث: لم نملك أنفسنا عند الوقوع في البلية، قاله ابن زيد.

(١) السبعة (ص: ٤٢٢)، والحجة (٥/ ٢٤٤)، والتيسير (ص: ١٥٣).

(٢) الحجة (٥/ ٢٤٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧١).

[٥٤٠/ب] والرابع: لم يملك مؤمنونا سفهاءنا، ذكره الماوردي^(١).

فِيُخْرِجُ فَيَمْنُ قَالَ هَذَا الْمَوْسَى قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُمُ الَّذِينَ لَمْ يَعْبُدُوا الْعَجَلَ.

وَالثَّانِي: عَابَدُوهُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا﴾.

قَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ، وَنَافِعٌ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ: ﴿حَمَلْنَا﴾

بِضْمٍ الْحَاءِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ.

وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو، وَحَمْزُهُ، وَالْكَسَائِيُّ، وَأَبُو بَكْرِ عَنْ عَاصِمٍ: «حَمَلْنَا» خَفِيفَةً^(٢).

وَالْأَوْزَارُ: الْأَثْقَالُ. وَالْمُرَادُ بِهَا: حُلِيٌّ آلِ فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانُوا اسْتَعَارُوهُ

مِنْهُمْ قَبْلَ خُرُوجِهِمْ مِنْ مِصْرَ. فَمَنْ قَرَأَ ﴿حَمَلْنَا﴾ بِالتَّشْدِيدِ، فَالْمَعْنَى:

حَمَلْنَاهَا مَوْسَى، أَمَرْنَا بِاسْتِعَارَتِهَا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، ﴿فَقَذَفْتَهَا﴾ أَي: طَرَحْنَاهَا

فِي الْحَفِيرَةِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا سَبَبَ قَذْفِهِمْ إِيَّاهَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ^(٣).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ فِيهِ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ أَلْقَى حُلِيًّا كَمَا أَلْقَوْا.

وَالثَّانِي: أَلْقَى مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ تَرَابٍ حَافِرٍ فَرَسَ جَبْرِيلَ.

(١) النكت والعيون (٢/٤١٨).

(٢) السبعة (ص: ٤٢٣)، والحجة (٥/٢٤٥-٢٤٦)، والتيسير (ص: ١٥٣).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٥٢).

وقد سبق شرح القصّة في البقرة^(١)، وذكرنا في الأعراف^(٢) معنى قوله تعالى: ﴿عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ﴾. قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ﴾ هذا قول السّامريّ ومَن وافقه من الذين افتتنوا.

قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾ في المشار إليه بالنّسيان قولان: أحدهما: أنّه موسى.

ثمّ في المعنى ثلاثة أقوال: أحدها: هذا إلهكم وإله موسى فنسي موسى أن يخبركم أنّ هذا إلهه، رواه عكرمة عن ابن عبّاس.

والثاني: فنسي موسى الطّريق إلى ربّه، روي عن ابن عبّاس أيضًا. والثالث: فنسي موسى إلهه عندكم، وخالفه في طريق آخر، قاله قتادة. والثاني: أنّه السّامريّ، والمعنى: فنسي السّامريّ إيمانَه وإسلامه، قاله ابن عبّاس.

وقال مكحول: ﴿فَنَسِيَ﴾ أي: فترك السّامريّ ما كان عليه من الدين^(٣). وقيل: فنسي أنّ العجل لا يرجع إليهم قولاً، ولا يملك لهم ضرّاً ولا نفعاً. فعلى هذا القول، يكون قوله تعالى: ﴿فَنَسِيَ﴾ من إخبار الله عن السّامريّ.

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٥٢).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٤٨).

(٣) أورده أبو حيان في البحر المحيط (٣٦٩/٧).

وعلى ما قبله، فيمن قاله قولان:

أحدهما: أَنَّهُ السَّامِرِيُّ.

والثاني: بنو إسرائيل.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: أفلا يرون أَنَّهُ لا يرجع إليهم قولاً^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ

الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩١﴾

قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنَّكَ إِذْ رَأَيْنَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِيَ ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ

لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ

قَوْلِي ﴿طه: ٩٠-٩٤﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن يأتي موسى

﴿يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ أي: ابتليتم ﴿وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾ لا العجل، ﴿قَالُوا

لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ﴾ أي: لن نزال مقيمين على عبادة العجل ﴿حَتَّى يَرْجِعَ

إِلَيْنَا مُوسَى﴾ فلما رجع موسى ﴿قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنَّكَ إِذْ رَأَيْنَهُمْ ضَلُّوا﴾ بعبادة

العجل ﴿أَلَّا﴾.

قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو: «أَلَّا تَتَّبِعَنِي» بياءٍ في الوصل ساكنة،

ويقف ابنُ كثير بالياء، وأبو عمرو بغير ياء^(٢).

وروى إسماعيلُ بنُ جعفرٍ عن نافع: «أَلَّا تَتَّبِعَنِي أَفَعَصَيْتَ» بياءٍ منصوبة.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٢).

(٢) معاني القراءات (٢/ ١٦٢)، والحجة (٥/ ٢٤٧).

وروى قالون، عن نافع مثل أبي عمرو سواء.
 وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بغير ياء في الوصل، والوقف^(١).
 والمعنى: ما منعك من أتباعي، و«لا» كلمة زائدة.
 وفي المعنى ثلاثة أقوال:
 أحدها: تسير ورائي بمن معك من المؤمنين، وتفارقهم، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس.
 والثاني: أن تنجزهم القتال، رواه أبو صالح، عن ابن عباس.
 والثالث: في الإنكار عليهم، قاله مقاتل^(٢).
 قوله تعالى: ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ وهو قوله في وصيته إياه: ﴿أَخْلَفَنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].
 قال المفسرون: ثم أخذ برأس أخيه ولحيته غضباً منه عليه.
 وهذا وإن لم يذكر هاهنا، فقد ذكر في الأعراف^(٣) فاكفني بذلك، وقد شرحنا هناك معنى ﴿يَبْنُؤُمْ﴾ واختلاف القراء فيها.
 قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرَأِيهِ﴾ أي: بشعر رأسي، وهذا الغضب كان لله ﷻ، لا لنفسه، لأنه وقع في نفسه أن هارون عصي الله بترك أتباع موسى.
 قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ أي: إن فارقتهم وأتبعك ﴿أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وفيه قولان:
 أحدهما: بأتباعي إياك ومن معي من المؤمنين.

(١) التيسير (ص: ١٥٤)، والمبسوط (١/ ٢٩٩).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٩).

(٣) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٥٠).

والثاني: بقتالي لبعضهم ببعض.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ قولان:

أحدهما: لم ترقب قولي لك: ﴿أَخْلَقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلَحْ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

والثاني: لم تنتظر أمري فيهم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِعِي﴾ (١٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا

بِهِ، فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (١٦)

قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفَهُ،

وَأَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ، ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا (١٧)

إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٥-٩٨].

قوله تعالى: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِعِي﴾ أي: ما أمرك وشأنك الذي

دعاك إلى ما صنعت؟.

قال ابن الأنباري: وبعض اللغويين يقول: الخطبُ مشتقٌ من

الخطاب، المعنى: ما أمرك الذي تخاطب فيه؟

واختلفوا في اسم السامري على قولين:

أحدهما: موسى أيضًا، قاله وهبُ بنُ منبه، وقال: كان ابن عمِّ

موسى بن عمران.

والثاني: ميخا، قاله ابن السائب.

وهل كان من بني إسرائيل، أم لا؟ فيه قولان:

أحدهما: لم يكن منهم، قاله ابن عباس.

والثاني: كان من عظمائهم، وكان من قبيلة تسمى سامرة، قاله قتادة.

وفي بلد قولان:

أحدهما كَرْمان، قاله سعيدُ بنُ جبْرِ.

والثاني: باجرما، قاله وهبٌ.

قوله تعالى: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾.

وقرأ حمزة، والكسائي: «تبصروا»، بالتاء^(١)، فعلى قراءة الجمهور

أشار إلى بني إسرائيل، وعلى هذه القراءة خاطبَ الجميع.

قال أبو عبيدة: علمت ما لم تعلموا، قال: وقومٌ يقولون: بصرتُ،

وَأَبْصَرْتُ سِراءً، بمنزلة أَسْرَعْتُ، وسَرَعْتُ^(٢).

وقال الزجاج: يقال: بَصُرَ الرَّجُلُ يَبْصُرُ: إذا صارَ عَلِيماً بِالشَّيْءِ،

وَأَبْصَرَ يُبْصِرُ: إذا نظَرَ^(٣).

قال المفسرون: فقال له موسى: وما ذاك؟ قال: رأيت جبريلَ على

فرس، فألقي في نفسي: أن أقبضَ من أثرها ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾.

وقرأ أبيُّ بنُ كعبٍ، والحسنُ، ومعاذُ القارِي: «قَبْصَةً» بالصَّادِ^(٤).

وقال الفرَّاءُ: والقَبْصَةُ بالكفِّ كلها، والقَبْصَةُ - بالصَّادِ - بأطرافِ الأصابع^(٥).

(١) السبعة (ص: ٤٢٤)، وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم، وابن عامر «يبصروا» بالياء.

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٢٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٤).

(٤) عن الحسن وجماعة في معاني القرآن (٢/ ١٩٠)، ومختصر ابن خالويه (ص: ٩٢)، وفي التحصيل (٤/ ٣٥٤) وروي عن الحسن «قبصة» بضم القاف.

(٥) معاني القرآن (٢/ ١٩٠).

قال ابن قتيبة: ومثل هذا: الحَضْمُ بالفم كله، والقَضْمُ بأطراف الأسنان، والنَّضْحُ أكثر من النَّضْحِ، الرَّجْزُ: العذاب، الرَّجْسُ: التَّنُّ، والهُلَاسُ في البدن، والسُّلاسُ في العقل، والغَلَطُ في الكلام، والغَلَتُ في الحساب، والحَصِرُ: الذي يَجِدُ البَرْدَ، والحَرِصُ: الذي يجد البرد والجوع، والنَّارُ الحَامِدة: التي قد سكن هَبُّها ولم يُطْفَأْ جَهْرُها، والهَامِدة: التي طَفِئَتْ فذهبت البتَّة، والشُّكْدُ: العطاء ابتداءً، فإن كان جزاء فهو شُكْمٌ، [٥٤١/ب] والمَائِحُ: الذي يدخل البئر فيملاً الدلو، والمَاتِحُ: الذي ينزعها^(١).

قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي: ففقدتها في العجل.

وقرأ أبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف: «فنبذتها» بالإدغام^(٢).

﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: وكما حدثتك ﴿سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾ أي: زينت لي ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿فَأَذْهَبَ﴾ أي: من بيننا ﴿فَإِنَّكَ لَكَ﴾ أي: ما دمت حيًّا ﴿أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ أي: لا أَمْسُ ولا أَمْسُ، فصار السَّامِرِيُّ يهيم في البرية مع الوحش والسَّباع، لا يمس أحداً، ولا يمسه أحدٌ، عاقبه الله بذلك، وألهمه أن يقول: لا مساس، وكان إذا لقي أحداً يقول: لا مساس، أي: لا تقربني، ولا تمسني، وصار ذلك عقوبة لولده، حتَّى إن بقاياهم اليوم، فيما ذكر أهل التَّفْسِيرِ، بأرض الشام يقولون ذلك. وحكي أنَّه إن مَسَّ واحد من غيرهم واحداً منهم، أخذتها الحمى في الحال.

(١) آداب الكاتب (٢٠١-٢٠٢).

(٢) السبعة (ص: ١٢٤)، والتيسير (١/ ٤٤).

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ أي: لعذابك يوم القيامة ﴿لَنْ تُخْلَفَهُ﴾ أي: لن يتأخر عنك، ومن كسر لام «تُخْلِفُهُ» أراد: لن تغيب عنه.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْظِرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ﴾ يعني: العجل ﴿الَّذِي ظَلَمْتَ﴾ قال ابن عباس: معناه: أقمت عليه^(١).

وقال الفراء: معنى ﴿ظَلَمْتَ﴾: فعلته نهاراً^(٢).

وقرأ أبي بن كعب، وأبو الجوزاء، وابنُ يعمر: «ظَلَمْتُ» برفع الظاء^(٣).

وقرأ ابن مسعود، وأبو رجاء، والأعمش، وابنُ أبي عبلة: «ظَلَمْتُ» بكسر الظاء^(٤).

وقال الزجاج: ظَلَمْتُ وَظَلَمْتُ بفتح الظاء، وكسرها، فمن فتح فالأصل فيه: ظَلَلْتُ ولكن اللام حذفت لثقل التضعيف والكسر، وبقيت الظاء على فتحها، ومن قرأ: «ظَلَمْتُ» بالكسر، حوّل كسرة اللام على الظاء^(٥).

ومعنى ﴿عَاكِفًا﴾ مقيماً ﴿لَتُحَرِّقَنَّهُ﴾.

قرأ الجمهور: ﴿لَتُحَرِّقَنَّهُ﴾ بضمّ النون وفتح الحاء وتشديد الراء^(٦).

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٥٤ / ١٦) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

(٢) لغات القرآن (ص: ٩٣).

(٣) عن يحيى بن يعمر «ظَلَمْتُ»، «ظَلَمْتُ» في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٢).

(٤) مختصر ابن خالويه (ص: ٩٢)، والتحصيل (٣٥٤ / ٤) ابن مسعود، وقتادة، والأعمش.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣ / ٣٧٥).

(٦) المبسوط (٢٩٨ / ١).

وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وأبو رَزِينٍ، وابنُ يَعْمَرَ: «لنَحْرِقَنَّ» بفتح النُّونِ وسكونِ الحاءِ ورفعِ الرَّاءِ مخففةً^(١).

وقرأ أبو هريرة، والحسنُ، وقتادة: «لنُحْرِقَنَّ» برفعِ النُّونِ وإسكانِ الحاءِ وكسرِ الرَّاءِ مخففةً^(٢).

قال الزَّجَّاجُ: إذا شَدَّدَ، فالمعنى: نحرقة مرَّةً بعد مرَّةٍ^(٣).
وتأويل «لنحرقَنَّ»: لنبردَنَّه، يقال: حرقت أحرق وأحرق: إذا بردت الشَّيءُ.
والنسف: التذرية.

وجاء في التفسير: أن موسى أخذ العجل فذبحه. فسأل منه دمًا؛ لأنَّه كان قد صار لحمًا ودمًا، ثم أحرقه بالنَّارِ، ثم ذَرَّاهُ في البحرِ، ثم أخبرهم موسى عن إلههم، فقال: ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: هو الذي يستحقُّ العبادة، لا العجل، ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع علمه كلَّ شيءٍ.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۖ مَن أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ۖ﴾ ﴿١٠٠﴾ ﴿خَلِيدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا﴾ ﴿١٠١﴾ ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ ﴿١٠٢﴾ ﴿يَتَخَفَتُونَ

(١) عن علي بن أبي طالب، وأبي جعفر في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٢)، وزاد في التحصيل (٣٥٤/٤) ابن عباس.

(٢) عن الكلبي، والحسن في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٢)، وزاد في التحصيل (٣٥٤/٤) الباهلي، عن ابن القعقاع.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٧٥).

يَنْتَهُمْ إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٧٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٧٤﴾ ﴿طه: ٩٩-١٠٤﴾.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ أي: كما قصصنا عليك يا محمد من نبأ موسى وقومه، نقص عليك ﴿مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾ أي: من أخبار مَنْ مَضَى، والذكر هاهنا: القرآن ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن، ولم يعمل بما فيه ﴿فَإِنَّهُ يَخِمْهُ يَوْمَ أَكْفِىْمَهُ وَزُرًا﴾ أي: إثماً ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ أي: في عذاب ذلك الوزر ﴿وَسَاءَ لَهُمْ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى وساء الوزر لهم يومَ القيامة ﴿حِمْلًا﴾، وحملًا منصوبٌ على التَّمْيِيز^(١).

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾.
قرأ أبو عمرو: «تَنْفُخُ» بالنون.

وقرأ الباقرُ من السَّبعة: ﴿يُنْفَخُ﴾ بالياء على ما لم يسمَّ فاعله^(٢). [٥٤٢/أ]
وقرأ أبو عمرانَ الجوني: «يومَ يَنْفُخُ» بياء مفتوحة ورفع الفاء، وقد سبق بيانه^(٣).

﴿وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

وقرأ أبيُّ بنُ كعبٍ، وأبو الجوزاء، وطلحةُ بنُ مصرف: «ويَحْشُرُ» بياء مفتوحة ورفع الشَّين^(٤).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٧٦).

(٢) السبعة (ص: ٤٢٤)، والحجة (١/٢٤٧)، والمبسوط (١/٢٩٨).

(٣) عن ابن هرmez في التحصيل (٤/٣٥٥).

(٤) عن الحسن في البحر المحيط (٦/٢٧٨).

وقرأ ابنُ مسعودٍ، والحسنُ، وأبو عمران: «ويُخَشَّرُ بياضُ مرفوعةٍ وفتح الشَّين، «المجرمون» بالواو^(١).

قال المفسِّرون: والمراد بالمجرمين: المشركون^(٢).

﴿يَوْمَ يَذِرُكَ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: عمياً، رواه أبو صالح عن ابنِ عباسٍ.

وقال ابنُ قُتيبة: بيضُ العيون من العمى، قد ذهب السَّوَادُ والنَّاطِرُ^(٣).

والثاني: زرق العيون من شدة العطش، قاله الزُّهريُّ.

والمراد: أنَّه يشوه خلقهم بسوادِ الوجوه، وزرق العيون.

قوله تعالى: ﴿يَتَخَفَتُونَ يَتَنَهُمُ﴾ أي: يسارُ بعضهم بعضاً ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ﴾

أي: ما لبثتم إلَّا عشرَ ليالٍ، وهذا على طريق التَّقليل، لا على وجه التَّحديد.

وفي مرادهم بمكان هذا اللَّبث قولان:

أحدهما: القبورُ.

ثم فيه قولان:

أحدهما: أنَّهم عنوا طول ما لبثوا فيها.

روى أبو صالح عن ابنِ عباسٍ: إن لبثتم بعد الموتِ إلَّا عشرًا.

والثاني: ما بين النفختين، وهو أربعون سنة، فإنَّه يخفَّف عنهم العذابُ حينئذٍ،

فيستقلون مدَّة لبثهم لهول ما يعاينون، حكاه عليُّ بن أحمد النِّسابوري^(٤).

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٢) عن الحسن، وفي التحصيل (٤/ ٣٥٥) عن طلحة بن مُصرِّف.

(٢) في الأصل و(ر): (المشركين)، والمثبت من (س).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٨٢).

(٤) هو الواحدي، وانظر: تفسيره الوسيط (٣/ ٢٢١).

والقول الثاني: أنهم عنوا لبثهم في الدنيا، قاله الحسن، وقتادة.
 قوله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ امْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِمْ لَا يَأْكُلُوا﴾ أي: أكلهم، وأعد لهم قولا
 ﴿إِنْ لَيْسَ لَهُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ثَمَرِهِمْ﴾ فبني القوم مقدار لبثهم لهول ما عاينوا.
 قوله تعالى: ﴿وَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا
 صَفْصَفًا ۖ (١٠٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۖ (١٠٧) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ
 وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ۖ (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ
 لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ ۖ قَوْلًا ۖ (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ ۖ (١١٠)
 ۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۖ (١١١) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ
 وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۖ (١١٢) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ
 الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۖ (١١٣) فَتَعَلَّى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۖ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۖ (١١٤)﴾ [طه: ١٠٥ - ١١٤].
 قوله تعالى: ﴿وَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾.

سبب نزولها: أن رجلاً من ثقيف أتوا رسول الله ﷺ، فقالوا يا
 محمد: كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح
 عن ابن عباس^(١).

قوله تعالى: ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ قال المفسرون: النسف: التذرية.
 والمعنى: يصيرها رملاً تسيل سيلاً، ثم يصيرها كالصوف المنفوش، تطيرها
 الرياح فتستأصلها ﴿فَيَذَرُهَا﴾ أي: يدع أماكنها من الأرض إذا نسفها ﴿قَاعًا﴾.

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢١)، وروى ابن المنذر في تفسيره كما في الدر
 المنثور (٥/ ٥٩٨) عن ابن جريج قال: «قَالَتْ قُرَيْشٌ: يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ يَفْعَلُ رَبُّكَ بِهِذِهِ
 الْجِبَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَنَزَلَتْ الْآيَةُ».

قال ابن قُتيبة: القاعُ من الأرض المستوي: الذي يعلوه الماء،
والصَّفْصَفُ: المستوي أيضًا، يريد: أنه لا نبت فيها^(١).

قوله تعالى: ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ في ذلك ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المراد بالعوج: الأودية، وبالأمت: الرَوابي، رواه ابن أبي
طلحة عن ابن عباس.

وكذلك قال مجاهد: العوج: الانخفاض، والأمت: الارتفاع^(٢)،
وهذا مذهب الحسن.

وقال ابن قُتيبة: الأمت: النَّبْتُ^(٣).

والثاني: أن العوج: الميل، والأمت: الأثر مثل الشراك، رواه العوفي
عن ابن عباس.

والثالث: أن العوج: الصدع، والأمت: الأكمة.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾.

قال الفراء: أي: يتبعون صوت الداعي للحشر، لا عوج لهم عن
دعائه: لا يقدر أن لا يتبعوا^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ﴾ أي: سكنت وخفيت ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا

هَمْسًا﴾ [ب/٥٤٢] وفيه ثلاثة أقوال:

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٢).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦٥ / ١٦) من طريق ابن أبي نجيح، به.

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٨٢)، و«النباك»، وهي التلال الصغار، واحدها نبك. لسان العرب (٥ / ٢).

(٤) معاني القرآن (١٩٢ / ٢).

أحدها: وطء الأقدام، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد في رواية، واختاره الفراء، والزجاج^(١).
والثاني: تحريك الشفاه بغير نطق، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس.

والثالث: الكلام الخفي، روي عن مجاهد.

وقال أبو عبيدة: الصوت الخفي^(٢).

قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ﴾ يعني: لا تنفع أحداً ﴿إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ أي: إلا شفاعته من أذن له الرحمن، أي: أذن أن يشفع له، ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ أي: ورضي للمشفوع فيه قولاً، وهو الذي كان في الدنيا من أهل لا إله إلا الله.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ الكناية راجعة إلى الذين يتبعون الداعي.

وقد شرحنا هذه الآية في سورة البقرة^(٣).

وفي هاء ﴿بِهِ﴾ قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى الله تعالى، قاله مقاتل^(٤).

والثاني: إلى ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ﴾.

(١) معاني القرآن (٢/ ١٩٢)، ومعاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٧).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٣٠).

(٣) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٥٥).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٢).

قال الزَّجَّاجُ: عنت في اللغة: خَضَعَتْ، يُقال: عَنَّا يَغْنُو: إذا خَضَعَ، ومنه قيل: أُخِذَتِ البلادُ عَنْوَةً: إذا أُخِذَتْ غَلَبَةً، وَأُخِذَتْ بِخُضُوعٍ من أهلها^(١). والمفسِّرون: على أنَّ هذا في يوم القيامة، إلَّا ما روي عن طلق بن حبيب: هو وضع الجبهة والأنف والكفين والرُّكبتين وأطراف القدمين على الأرض للسُّجود^(٢).

وقد شرحنا في آية الكرسي معنى ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾.

قال ابنُ عَبَّاسٍ: خسر من أشرك بالله^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ «من» هاهنا للجنس، وإنَّما شرط الإيمان، لأنَّ غير المؤمن لا يقبل عمله، ولا يكون صالحاً، ﴿فَلَا يَخَافُ﴾ أي: فهو لا يخاف.

وقرأ ابنُ كثير: «فلا يخف» على النَّهي^(٤).

قوله تعالى: ﴿ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: لا يخاف أن يُظلم فيزاد في سيئاته، ولا أن يُهضم من حسناته، رواه ابنُ أبي طلحة عن ابنِ عَبَّاسٍ.

والثاني: لا يخاف أن يُظلم فيزاد من ذنب غيره، ولا أن يُهضم من

حسناته، قاله قتادة.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٧٧).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/١٧٤) من طريق عمرو بن مرة، به.

(٣) أورده الواحدي في تفسيره (٣/٢٢٢).

(٤) السبعة (ص: ٤٢٤)، والحجة (٥/٢٥١).

والثالث: أن لا يخاف أن يؤاخذ بما لم يعمل، ولا يُنتقص من عمله الصالح، ناله الضحاك.

والرابع: لا يخاف أن لا يُجزى بعمله، ولا أن يُنقص من حقه، قاله ابن زيد.

قال اللغويون: الهضم: النقص، تقول العرب: هضمت لك من حقي، أي: حططت، ومنه: فلان هضم الكشحين، أي: ضامر الجنبين، ويقال: هذا شيء يهضم الطعام، أي: ينقص ثقله.

وفرق بعض المفسرين بين الظلم والهضم، فقال: الظلم منع الحق كله، والهضم منع البعض، وإن كان ظلمًا أيضًا.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: وكما بينا في هذه السورة، أنزلناه أي: أنزلنا هذا الكتاب ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ أي: بينا فيه ضروب الوعيد.

قال فتادة: يعني: وقائعه في الأمم المكذبة^(١).

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي: ليكون سببًا لانتقائهم الشرك بالتعاض بمن قبلهم ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ﴾ أي: يجدد لهم القرآن، وقيل: الوعيد ﴿ذِكْرًا﴾ أي: اعتبارًا، فيتذكروا به عقاب الأمم فيعتبروا.

وقرأ ابن مسعود، وعاصم الجحدري: «أَوْ نُحْدِثُ» بنون مرفوعة^(٢). [٥٤٣/أ]

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/١٧٩) من طريق سعيد بن أبي عروبة، بلفظ: «مَا حُدِّثُوا بِهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ، وَوَقَائِعِهِ بِالْأُمَمِ قَبْلَهُمْ».

(٢) في التحصيل (٤/٣٥٥) عن الحسن، وهي في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٢) بالياء، وكذا في المحاسب (٢/٥٩)، وفي البحر المحيط (٦/٢٨١) عن ابن مسعود، ومجاهد، وأبي=

قوله تعالى: ﴿فَنَعْلَى اللَّهِ﴾ أي: جلَّ عن إلحاد الملحدين وقول
المشركين في صفاته، ﴿الْمَلِكُ﴾ الذي بيده كل شيء، ﴿الْحَقُّ﴾ وقد ذكرناه
في يونس^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ في سبب نزولها قولان:
أحدهما: أن جبريل كان يأتي النبي ﷺ بالسورة والآي فيتلوها عليه،
فلا يفرغ جبريل من آخرها حتى يتكلم رسول الله ﷺ بأولها مخافة أن
ينساها، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس^(٢).
والثاني: أن رجلاً لطم امرأته، فجاءت إلى رسول الله ﷺ تطلب
القصاص، فجعل رسول الله ﷺ بينهما القصاص، فنزلت هذه الآية،
فوقف رسول الله ﷺ حتى نزل قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾
[النساء ٣٤] قاله الحسن البصري^(٣).

قوله تعالى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾.
وقرأ ابن مسعود، والحسن، ويعقوب: «نَقْضِي» بالنون وكسر الضاد
وفتح الياء، «وَوَحْيُهُ» بنصب الياء^(٤).

=حياة، والحسن في رواية الجحدري.

(١) انظر: تفسير سورة يونس الآية رقم (٣٢).

(٢) انظر: الدر المنثور (٨/ ٤٨٣).

(٣) رواه عبد بن حميد في تفسيره كما في الدر المنثور (٢/ ٥١٢).

(٤) في التحصيل (٤/ ٣٥٥) عن ابن مسعود وغيره.

وفي معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبريل من تلاوته تخاف نسيانه، هذا على القول الأول.

والثاني: لا تقرأ أصحابك حتى نبين لك معانيه، قاله مجاهد، وقتادة.

والثالث: لا تسأل إنزاله قبل أن يأتيك الوحي، ذكره الماوردي^(١).

قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: زدني قرآنًا، قاله مقاتل^(٢).

والثاني: فهمًا.

والثالث: حفظًا، ذكرهما الثعلبي^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ (١١٥) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (١١٦) فَقُلْنَا يَنْتَهِمْ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِزْقِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (١١٩) فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَنْتَهِمْ هَلْ أَذُنْكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبُلَىٰ (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوءٌ نُهُمَا وَطَافَا بِخِصْفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْنَبْهُ رَبُّهُ فَقَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ

(١) النكت والعيون (٣/ ٤٢٩).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٣).

(٣) الكشف والبيان (٦/ ٢٦٢).

مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ، يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأُنْفَى ﴿طه: ١١٥-١٢٧﴾.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ﴾ أي: أمرناه وأوصيناه أن لا يأكل من الشجرة ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الإيمان بي، وهم الذين ذكرهم في قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾، والمعنى: أنهم إن نقضوا العهد، فإن آدم قد عهدنا إليه ﴿فَنَسَى﴾.

وفي هذا النسيان قولان:

أحدهما: أنه التَّرك، قاله ابن عباس، ومجاهد، والمعنى: ترك ما أمر به.

والثاني: أنه من النسيان الذي يخالف الذكر، حكاه الماوردي^(١).

وقرأ معاذ القارئ وعاصم الجحدري، وابن السَّمِيع: «فَنُسِي» برفع النون وتشديد السين^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ العزم في اللغة: توطين النفس على الفعل.

وفي المعنى أربعة أقوال:

أحدها: لم نجد له حفظًا، رواه العوفي عن ابن عباس، والمعنى: لم يحفظ ما أمر به.

والثاني: صبرًا، قاله قتادة، ومقاتل^(٣)، والمعنى: لم يصبر عما نهى عنه.

والثالث: حزمًا، قاله ابن السائب.

(١) النكت والعيون (٣/ ٤٣٠).

(٢) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٣) عن البيهقي، وفي البحر المحيط (٦/ ٢٨٤) عن الأعمش.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٣).

قال ابن الأنباري: وهذا لا يخرج آدم من أولي العزم، وإنما لم يكن له عزمٌ في الأكلِ فحسب.

والرابع: عزمًا في العودِ إلى الذنب، ذكره الماوردي^(١).

وما بعد هذا قد تقدّم تفسيره^(٢) إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ قال المفسرون: المرادُ به نَصَبُ الدنيا وتعبها من تكلف الحرثِ والزَّرع والعجنِ والخبز، وغير ذلك.

قال سعيدُ بنُ جبير: أهبط إلى آدم ثور أحمر، فكان يعمل عليه ويمسح العرق عن جبينه، فذلك شقاؤه^(٣).

[٥٤٣/ب]

قال العلماء: والمعنى: فتشقى؛ وإنما لم يقل: فتشقى، لوجهين:

أحدهما: أن آدمَ هو المخاطب، فاكتفى به، ومثله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧]، قاله الفراء^(٤).

والثاني: أنه لما كان آدم هو الكاسبُ، كان التعبُ في حقِّه أكثر، ذكره الماوردي^(٥).

قوله تعالى: ﴿أَلَّا يَجْمَعَهَا﴾.

قرأ أبيُّ بنُ كعبٍ: «لا تُجمَع ولا تُعرى» بالتاءِ المضمومةِ والألفِ^(٦).

(١) النكت والعيون (٣/ ٤٣٠).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٣٤).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ١٨٦).

(٤) معاني القرآن (٢/ ١٩٣).

(٥) النكت والعيون (٣/ ٤٣٠).

(٦) انظر: إعراب القراءات الشواذ (٢/ ٩٥).

﴿وَأَنْتَ لَا تَظْمَأُ﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، وأبو عمرو، وابنُ عامرٍ، وحمزة، والكسائي، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿وَأَنْتَ﴾ مفتوحة الألف.

وقرأ نافعٌ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ: «وَأَنْتَ» بكسر الألف^(١).

قال أبو عليٍّ: من فتح حمله على أن لك أن لا تجوع، وأن لك أن لا تظماً، ومن كسر استأنف^(٢).

قوله تعالى: ﴿لَا تَظْمَأُ فِيهَا﴾ أي: لا تعطش. يقال: ظمئ الرجل يظمأ ظمأً، فهو ظمآن، أي: عطشان. ومعنى ﴿وَلَا تَضْحَى﴾ لا تبرز للشمس فيصيبك حرُّها، لأنَّه ليس في الجنة شمسٌ.

قوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ أي: على شجرة من أكل منها لم يمت ﴿وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ جديده ولا يفنى، وما بعد هذا مفسَّرٌ في الأعراف^(٣). وفي قوله تعالى: ﴿فَفَوَّيْ﴾ قولان:

أحدهما: ضلَّ طريق الخلود حيث أَرَادَهُ من قبل المعصية.

والثاني: فسَدَ عليه عيشه، لأنَّ معنى الغي: الفساد.

قال ابنُ الأنباريِّ: وقد غلط بعضُ المفسِّرين، فقال: معنى غوى: أكثر ممَّا أكل من الشَّجرة حتَّى بَشِمَ^(٤)، كما يُقال: غوى الفصيل: إذا أكثر من لبسٍ أمَّه فَبَشِمَ فكاد يهلك، وهذا خطأ من وجهين:

(١) السبعة (ص: ٤٢٤)، والحجة (٥/ ٢٥١).

(٢) الحجة (٥/ ٥٥٢).

(٣) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٢٢).

(٤) البَشِمَ: تُحَمِّمُ عَلَى الدَّسَمِ. انظر: لسان العرب (١٢/ ٥٠).

أحدهما: أَنَّهُ لَا يُقَالُ مِنَ الْبَشَرِ: غَوَى يَغْوِي، وَإِنَّمَا يُقَالُ: غَوَى يَغْوِي.
والثاني: أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ [الأعراف: ٢٢] يَدُلُّ عَلَى
أَنَّهُمَا لَمْ يَكْثُرَا، وَلَمْ تَتَأَخَّرْ عَنْهُمَا الْعُقُوبَةُ حَتَّى يَصِلَا إِلَى الْإِكْثَارِ.
قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: فَنَحْنُ نَقُولُ فِي حَقِّ آدَمَ: عَصَى وَغَوَى كَمَا قَالَ اللَّهُ
ﷻ، وَلَا نَقُولُ: آدَمُ عَاصٍ وَغَاوٍ، كَمَا تَقُولُ لِرَجُلٍ قَطَعَ ثَوْبَهُ وَخَاطَهُ: قَدْ
قَطَعَهُ وَخَاطَهُ، وَلَا تَقُولُ: هَذَا خِيَاطٌ، حَتَّى يَكُونَ مُعَاوِدًا لِذَلِكَ الْفِعْلِ،
مَعْرُوفًا بِهِ^(١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ﴾ قَدْ بَيَّنَّا الْاجْتِبَاءَ فِي الْأَنْعَامِ^(٢).
﴿فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ أَي: هَدَاهُ لِلتَّوْبَةِ.
﴿قَالَ أَهْبِطَا﴾ فِي الْمَشَارِ إِلَيْهِمَا قَوْلَانِ:
أَحَدُهُمَا: آدَمُ وَابْلِيسُ، قَالَهُ مُقَاتِلٌ^(٣).
وَالثَّانِي: آدَمُ وَحَوَاءُ، قَالَهُ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّمَشَقِيُّ.
وَمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ آدَمُ وَذُرِّيَّتُهُ، وَابْلِيسُ
وَذُرِّيَّتُهُ، وَالْحَيَّةُ أَيْضًا؛ وَقَدْ شَرَحْنَا هَذَا فِي الْبَقَرَةِ^(٤).
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ﴾ أَي: رَسُولِي وَكِتَابِي ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا
يَشْقَى﴾.

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٣٠).

(٢) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٨٧).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٤٤).

(٤) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٣٦).

قال ابنُ عباسٍ: مَنْ قرأ القرآنَ واتَّبَعَ ما فيه، هداه الله من الضَّلالة، ووقاه سوء الحساب، ولقد ضمن الله لمن اتَّبَعَ القرآنَ أن لا يضلَّ في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية^(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾.

قال عطاء: عن موعظتي^(٢).

وقال ابنُ السائب: عن القرآن ولم يؤمن به ولم يتَّبعه^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾.

قال أبو عبيدة: معناه: معيشة ضيقة، والضنك يوصف به الأثنى [٥٤٤/أ] والذكر بغير هاء، وكل عيش أو مكان أو منزل ضيق، فهو ضنك، وأنشد [من الكامل]^(٤):

..... وَإِنْ تَزَلُّوا بِضَنْكِ فَاَنْزِلْ

وقال الزَّجَّاجُ: الضنك أصله في اللغة: الضيق والشدة^(٥).

وللمفسرين في المراد بهذه المعيشة خمسة أقوال:

أحدها: أنَّها عذابُ القبر، روى أبو هريرة عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «تَذَرُونَ مَا الْمَعِيشَةُ الضَّنْكَ؟»، قالوا: الله ورَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ:

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٧٨١)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/١٩١).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/٢٢٥).

(٣) انظر: المصدر السابق.

(٤) البيت لعنترة في ديوانه (ص: ٦٥)، ومجاز القرآن (٢/٣٢)، وتفسير ابن جرير (١٦/١٩٢)، والدر الفريد (١/١٩٤) وصدره: «إِنْ يَلْحَقُوا أَكْثَرُ وَإِنْ يَسْتَلْجِمُوا».

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٧٨).

«عَذَابُ الْكَافِرِ فِي قَبْرِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَيَسْلُطُ عَلَيْهِمْ تِسْعَةً وَتِسْعُونَ نَبِيًّا، يَنْفُخُونَ فِي جِسْمِهِ وَيَلْسَعُونَهُ، وَيَخْدُشُونَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).
ومن ذهب إلى أنه عذاب القبر: ابن مسعود، وأبو سعيد الخدري، والسُّدِّي.

والثاني: أنه ضغطة القبر حتى تختلف أضلأه فيه، رواه عطاء عن ابن عباس.

والثالث: شدة عيشه في النار، رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة، وابن زيد.

قال ابن السائب: وتلك المعيشة من الضريع والزقوم.

والرابع: أن المعيشة الضنك: كسب الحرام.

روى الضحاك عن ابن عباس قال: المعيشة الضنك: أن تضيق عليه أبواب الخير فلا يهتدي لشيء منها، وله معيشة حرام يركض فيها^(٢).

قال الضحاك: فهذه المعيشة هي الكسب الخبيث^(٣)، وبه قال عكرمة.

والخامس: أن المعيشة الضنك: المال الذي لا يتقي الله صاحبه فيه، رواه العوفي عن ابن عباس.

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٦٦٤٤)، وابن حبان في صحيحه (٣١٢٢)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٩٨/١٦) من طريق ابن وهب، عن عمرو بن الحارث، عن أبي السمح، عن ابن حجر، به، بنحوه، وإسناده حسن.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٣) رواه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم في تفسيرهما كما في الدر المنثور (٦٠٩/٥) بلفظ: «العَمَل السيء والرزق الخبيث».

فخرج في مكان المعيشة ثلاثة أقوال:

أحدها: القبر.

والثاني: الدنيا.

والثالث: جهنم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم:

﴿أَعْمَى﴾، ﴿حَشَرْتَنِي أَعْمَى﴾ بفتح الميمين.

وقرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم بكسرهما.

وقرأ نافع بين الكسر والفتح^(١).

ثم في هذا العمى للمفسرين قولان:

أحدهما: أعمى البصر.

روى أبو صالح عن ابن عباس قال: إذا أخرج من القبر خرج

بصيراً، فإذا سيق إلى المحشر عمي.

والثاني: أعمى عن الحجّة، قاله مجاهد، وأبو صالح.

قال الزجاج: معناه: فلا حجّة له يهتدي بها، لأنه ليس للناس

على الله حجّة بعد الرّسل^(٢).

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر كذلك كما ترى ﴿أَنْتَكَ ءَايَتُنَا

فَنَسِينَا﴾ أي: فتركناها ولم تؤمن بها؛ وكما تركتها في الدنيا ترك اليوم في

(١) السبعة (ص: ٤٢٥)، والحجة (٥/ ٢٥٠)، والتيسير (ص: ١٥٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٧٩).

النَّارِ. ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: وكما ذكرناه ﴿نَجْزِي مَنْ أَشْرَفَ﴾ أي: أشرك ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ﴾ من عذاب الدنيا ومن عذاب القبر ﴿وَأَبْقَى﴾ لأنه يدوم.
 قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِينَهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ (١٢٨) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ [طه: ١٢٨ - ١٣٠].

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ أي: أفلم يتبين لكفار مكّة إذا نظروا آثار من أهلكنا من الأمم؛ وكانت قريش تتجر وتري مساكن عاد وثمود وفيها علامات الهلاك، فذلك قوله تعالى: ﴿يَمْشُونَ فِي مَسْكِينَهُمْ﴾. وروى زيد، عن يعقوب: «أفلم تهّد بالنون»^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ في تأخير العذاب عن هؤلاء الكفار إلى يوم القيامة، وقيل: إلى يوم بدر، وقيل: إلى انقضاء آجالهم ﴿لَكَانَ لِرَامًا﴾ أي: لكان العذاب لازماً أي: لازماً لهم، والّلزام: مصدر وصف به العذاب.

[٥٤٤/ب]

قال الفراء، وابن قتيبة: في هذه الآية تقديم وتأخير، والمعنى: ولولا كلمة وأجل مسمّى لكان لازماً^(٢).

(١) عن ابن عباس، والسلمي في التحصيل (٣٥٦/٤).

(٢) معاني القرآن (١٩٥/٢)، ولم أفق على كلام ابن قتيبة.

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أمر الله تعالى نبيه بالصبر على ما يسمع من أذاهم إلى أن يحكم الله فيهم، ثم حكم فيهم بالقتل، فنسخت آية السيف إطلاق الصبر.

قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: صلّ له بالحمد له والثناء عليه ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ يريد: الفجر ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ يعني: العصر ﴿وَمِنْ أُنَايَ اللَّيْلِ﴾ الآناء: الساعات، وقد بيناها في آل عمران^(١) ﴿فَسَبِّحْ﴾ أي: فصلّ.

وفي المراد بهذه الصلاة أربعة أقوال:

أحدها: المغرب والعشاء، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال قتادة.

والثاني: جوف الليل، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثالث: العشاء، قاله مجاهد، وابن زيد.

والرابع: أوّل الليل وأوسطه وآخره، قاله الحسن.

قوله تعالى: ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ المعنى: وسبّح أطراف النهار.

قال الفراء: إنما هم طرفان، فخرجا مخرج الجمع، كقوله تعالى:

﴿إِنْ نُنَوِّبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحریم: ٤]^(٢).

وللمفسرين في المراد بهذه الصلاة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الظهر، قاله قتادة، فعلى هذا، إنما قيل لصلاة الظهر:

أطراف النهار، لأن وقتها عند الزوال، فهو طرف النصف الأول، وطرف

(١) انظر: تفسير سورة آل عمران الآية رقم (١١٣).

(٢) معاني القرآن (٢/ ١٩٥).

النَّصَفِ الثَّانِي.

والثاني: أنَّهَا صَلَاةُ الْمَغْرِبِ وَصَلَاةُ الصُّبْحِ، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ وَهَذَا عَلَى أَنَّ الْفَجْرَ فِي ابْتِدَاءِ الطَّرْفِ الْأَوَّلِ، وَالْمَغْرِبُ عِنْدَ انْتِهَاءِ الطَّرْفِ الثَّانِي.
والثالث: أَنَّهَا الْفَجْرُ وَالظُّهْرُ وَالْعَصْرُ، فَعَلَى هَذَا يَكُونُ الْفَجْرُ مِنَ الطَّرْفِ الْأَوَّلِ، وَالظُّهْرُ وَالْعَصْرُ مِنَ الطَّرْفِ الثَّانِي، حَكَاهُ الْفَرَّاءُ^(١).
قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾.

قرأ ابنُ كثيرٍ، ونافعٌ، وأبو عمرو، وابنُ عامرٍ، وحمزةٌ، وحفصٌ عن عاصمٍ: ﴿تَرْضَى﴾ بفتح التاء.
وقرأ الكسائيُّ، وأبو بكرٍ عن عاصمٍ بضمِّها^(٢).
فمن فتح، فالمعنى: لَعَلَّكَ تَرْضَى ثَوَابَ اللَّهِ الَّذِي يُعْطِيكَ.
وَمَنْ ضَمَّهَا، ففيه وجهان:
أحدهما: لَعَلَّكَ تَرْضَى بِمَا تُعْطَى.
والثاني: لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْضَاكَ.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (١٣١) وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣١ - ١٣٢].
قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾.

سببُ نزولها: ما روى أبو رافعٍ مولى رسول الله ﷺ، قال: نزل

(١) معاني القرآن (٢/ ١٩٥).

(٢) انظر: السبعة (ص: ٤٢٥)، والحجة (٥/ ٢٥٢)، والمبسوط (ص: ٢٩٨)، والتيسير (ص: ١٥٨).

صَيَّفَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فدعاني فأرسلني إلى رجلٍ من اليهودِ يبيع طعامًا فقال: قُلْ لَهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: بَغْيِي كَذَا وَكَذَا مِنْ الدَّقِيقِ وَأُسْلِفَنِي إِلَى هَلَالٍ رَجَبٍ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَاللَّهِ لَا أَبِيعُهُ وَلَا أُسْلِفُهُ إِلَّا بِرَهْنٍ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «وَاللَّهِ لَوْ بَاعَنِي أَوْ أُسْلِفَنِي لَقَضَيْتُهُ، وَإِنِّي لَأَمِينٌ فِي السَّمَاءِ أَمِينٌ فِي الْأَرْضِ، اذْهَبْ بِدِرْعِي الْحَدِيدِ إِلَيْهِ». قَالَ: فَتَزَلْتُ تَغْزِيَةً عَنِ الدُّنْيَا^(١).

قال أبيُّ بنُ كعبٍ: مَنْ لَمْ يَتَعَزَّ بِعِزَاءِ اللَّهِ تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ حَسَرَاتٍ عَلَى الدُّنْيَا^(٢).
وقد مضى تفسير هذه الآية في آخر الحجر^(٣).

قوله تعالى: ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

[٥٤٥/أ] وقرأ ابنُ مسعودٍ، والحسنُ، والزُّهريُّ، ويعقوبُ: «زَهْرَةَ» بفتح الهاء^(٤).

قال الزَّجَّاجُ: وهو منصوبٌ بمعنى متعنا، لأنَّ معنى متعنا: جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة ﴿لِيَفْتَنَهُمْ فِيهَا﴾ أي: لنجعل ذلك فتنة لهم^(٥).

(١) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده، وابن أبي شيبة في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٣/٣٤٦-٢٤٥)، والرويان في مسنده (٦٩٥) من طريق موسى بن عبيدة الربذي، عن يزيد بن قُسيط، عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ بنحوه. وموسى بن عبيدة الربذي ضعيف.

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/٢٢٧).

(٣) انظر: تفسير سورة الحجر الآية رقم (٨٨).

(٤) عن عيسى، وأبي البرهسم، والحسن في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٣)، وفي التحصيل (٣٥٦/٤) داود بن عبد الرحمن، عن ابن كثير، والحسن، وسلام، ويعقوب، وغيرهم.

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٨٠).

وقال ابنُ قُتَيْبَةَ: لَنُخْتَبِرَهُمْ^(١).

قال المفسِّرون: زهرة الدُّنيا: بهجتها وغيضارتها وما يروق الناظرُ منها عند رؤيته، وهو من زهرة النَّبات وحسِّنه.

قوله تعالى: ﴿وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنَّه ثوابه في الآخرة.

والثاني: القناعةُ.

قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ قال المفسِّرون: المراد بأهله: قومه ومن كان على دينه: ويدخل في هذا أهل بيته.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْطِرْ عَلَيْهَا﴾ أي: واصبر على الصَّلَاةِ ﴿لَا تَشْغُلْكَ رِزْقًا﴾ لا تكلفك رزقاً لنفسك ولا لخلقنا، إنَّما نأمرُك بالعبادة ورزقك علينا، ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ أي: وحسن العاقبة لأهل التقوى.

وكان بكرُ بنُ عبدِ الله المزني إذا أصاب أهله خصاصة قال: قوموا فصلُّوا، ثمَّ يقول: بهذا أمر الله تعالى ورسوله، ويتلو هذه الآية.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصَّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنِ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿طه: ١٣٣ - ١٣٥﴾.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا﴾ يعني: المشركين ﴿لَوْلَا﴾ أي: هَلَا ﴿يَأْتِينَا﴾ مُحَمَّدٌ ﴿بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ أي: كآيات الأنبياء، نحو الناقة والعصا، ﴿أَوْلَمْ تَأْتِهِمْ﴾.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٣).

قرأ نافع، وأبو عمرو، وحفص عن عاصم: ﴿تَأْتِيهِمْ﴾ بالتاء.
وقرأ ابن كثير، وابن عامر، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن
عاصم: «يَأْتِيهِمْ» بالياء^(١).

قوله تعالى: ﴿يَبَيِّنُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ أي: أولم يأتهم في القرآن بيان
ما في الكتب من أخبار الأمم التي أهلكناها لما سألوا الآيات ثم كفروا
بها، فما يؤمنهم أن تكون حالهم في سؤال الآيات كحال أولئك؟
﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ يعني مشركي مكة ﴿بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ﴾ في الهاء
قولان:

أحدهما: أنها ترجع إلى الكتاب، قاله مقاتل^(٢).

والثاني: إلى الرسول، قاله الفراء^(٣).

قوله تعالى: ﴿لَقَالُوا﴾ يوم القيامة ﴿رَبَّنَا لَوْلَا﴾ أي: هلاً ﴿أَرْسَلْتَ
إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ يدعونا إلى طاعتك ﴿فَنَنْتَعِ بِإِذْنِكَ﴾ أي: نعمل بمقتضاها
﴿مِن قَبْلِ أَنْ نُنْذَلَ﴾ بالعذاب ﴿وَنُخْزَى﴾ في جهنم.
وقرأ ابن عباس، وابن السَّمِيع، وأبو حاتم عن يعقوب: «نُذَلَ»
و«نُخْزَى» برفع النون فيهما، وفتح الذال^(٤).

(١) السبعة (ص: ٢٧٤)، والحجة (٣/٤٣٧)، والمبسوط (١/٢٠٥).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/٤٧).

(٣) معاني القرآن (٢/١٩٧).

(٤) عن ابن عباس، ومحمد بن الحنفية في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٣)، وزاد في البحر
المحيط (٧/٣٠٢) زيد بن علي، والحسن في رواية عباد، والعمرى، وداود، والفزاري،
وأبو حاتم، ويعقوب.

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿كُلُّ﴾ مِنَّا وَمِنْكُمْ ﴿مُتَرَيِّضٌ﴾ أَي: نحن
نترَبِّصُ بكم العذاب في الدنيا، وأنتم تترَبِّصون بنا الدوائر ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ أَي:
فانتظروا ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ إذا جاء أمرُ الله ﴿مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ أَي:
الذين المستقيم ﴿وَمِنْ أَهْتَدَى﴾ من الضلالة، نحن، أم أنتم؟
وقيل: هذه الآية منسوخة بآية السَّيْفِ، وليس بشيء.



سورة الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (١) مَا يَأْنِيهِمْ
 مِنْ ذِكْرِ مَنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا
 النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ
 (٣) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤) بَلْ قَالُوا
 أَضْغَثُ أَحْلَمٍ بَلْ أَفْتَرْتَهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِسْنَا بِشَايِعٍ كَمَا أَرْسَلْنَا الْأَوَّلُونَ (٥) مَا
 ءَامَنْتُ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرَيْبٍ أَهْلَكْتَهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٦) وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي
 إِلَيْهِمْ فَتَتْلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ
 الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (٨) ثُمَّ صَدَقْتَهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا
 الْمُسْرِفِينَ (٩) لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿[الأنبياء: ١ - ١٠].

وهي مكِّيَّة بإجماعهم من غير خلاف نعلمه.

قوله ﷻ: ﴿أَقْتَرَبَ﴾ افتعل، من القرب، يقال: قرب الشيء وأقرب.

وهذه الآية نزلت في كفار مكة^(١).

وقال الزجاج: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾ وقت حسابهم^(٢).

وقيل: اللام في قوله: ﴿لِلنَّاسِ﴾ بمعنى: من والمراد بالحساب:

محاسبة الله لهم على أعمالهم.

(١) قاله مقاتل ابن سليمان (٣/ ٦٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٨٣).

[٥٤٥/ب] وفي معنى قربه قولان:

أحدهما: أنه آت، وكل آت قريب.

والثاني: لأن الزمان لكثرة ما مضى وقلة ما بقي قريب.

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ أي: عما يفعل الله بهم ذلك اليوم ﴿مُعْرِضُونَ﴾ عن التأهب له، وقيل: اقرب للناس عامًّا، والغفلة والإعراض خاصٌّ في الكفار، بدلالة قوله تعالى: ﴿مَا يَأْنِيهِمْ مِّن ذِكْرِ مَن رَّبِّهِمْ يُخَذِّبُ﴾.

وفي هذا الذكر ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه القرآن، قاله ابن عباس؛ فعلى هذا تكون الإشارة بقوله: ﴿يُخَذِّبُ﴾ إلى إنزاله له، لأنه أنزل شيئًا بعد شيء.

والثاني: أنه ذكر من الأذكار، وليس بالقرآن، حكاه أبو سليمان الدمشقي.

وقال النقاش: هو ذكر من رسول الله وليس بالقرآن.

والثالث: أنه رسول الله، بدليل قوله في سياق الآية: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، قاله الحسن بن الفضل.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَسْمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

قال ابن عباس: يستمعون القرآن مستهزئين^(١).

قوله تعالى: ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: غافلة عما يراد بهم.

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٢٩).

قال الزجاج: المعنى: ﴿إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ﴾ لا عيبين ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ ويجوز أن يكون منصوباً بقوله: ﴿يَلْعَبُونَ﴾^(١).

وقرأ عكرمة، وسعيد بن جبير، وابن أبي عبة: «لا هيئة قلوبهم» بالرفع^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ أي: تناجوا فيما بينهم، يعني المشركين، ثم بيّن من هم فقال: ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا بالله، و﴿الَّذِينَ﴾ في موضع رفع على البدل من الضمير في ﴿وَأَسْرُوا﴾.

ثم بيّن سرّهم الذي تناجوا به فقال: ﴿هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي: آدمي، فليس بملك؛ وهذا إنكارٌ لنبوّته.

وبعضهم يقول: أسروا هاهنا بمعنى: أظهروا، لأنّه من الأضداد.

قوله تعالى: ﴿أَفَتَأْتُونَكَ السَّحَرَ﴾ أي: أفتقبلون السحر وأنتم تعلمون أنّه سحر؟ يعنون أنّ متابعة محمد ﷺ متابعة السحر.

﴿قَالَ رَبِّي﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «قل ربي»^(٣).

وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿قَالَ رَبِّي﴾، وكذلك هي في مصاحف الكوفيين، وهذا على الخبر عن النبي ﷺ أنّه قال: يعلم

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٨٣).

(٢) عن عيسى في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٣)، وفي البحر المحيط (٧/ ٤٠٧) عن ابن أبي عبة.

(٣) السبعة (ص: ٤٢٨)، والحجة (٥/ ٢٥٤)، والمبسوط (١/ ٣٠٣).

القول، أي: لا يخفى عليه شيء يقال في السماء والأرض، فهو عالمٌ بما أسررتهم.

﴿بَلْ قَالُوا﴾ قال الفراء: ردَّب ﴿بَلْ﴾ على معنى تكذيبهم، وإن لم يظهر قبله الكلام بجحودهم، لأنَّ معناه الإخبار عن الجاحدين^(١).

وأعلم أنَّ المشركين كانوا قد تحيروا في أمر رسول الله ﷺ، فاختلفت أقوالهم فيه، فبعضهم يقول: هذا الذي يأتي به سحر، وبعضهم يقول: أضغاث أحلام، وهي الأشياء المختلطة ترى في المنام؛ وقد شرحناها في يوسف^(٢)، وبعضهم يقول: افتراه، أي: اختلقه، وبعضهم يقول: هو شاعرٌ فليأتنا بآية كالناقة والعصا، فاقترحوا الآيات التي لا إهمال بعدها.

قوله تعالى: ﴿مَاءَ أَمْنَتَ قَبْلَهُمْ﴾ يعني: مشركي مكة ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ وصف القرية، والمراد أهلها، والمعنى: أنَّ الأمم التي أهلكت بتكذيب الآيات، لم يؤمنوا بالآيات لما أتتهم، فكيف يؤمن هؤلاء؟ وهذه إشارة [٥٤٦/أ] إلى أنَّ الآية لا تكون سبباً للإيمان، إلَّا أن يشاء الله.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ هذا جواب قولهم: ﴿هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.

قوله تعالى: ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾.

قرأ الأكثرون: «يُوحِي» بالياء.

(١) معاني القرآن (٢/١٩٩).

(٢) انظر: تفسير سورة يوسف الآية رقم (٤٤).

وروى حفص عن عاصم: ﴿نُوحِي﴾ بالنون^(١).

وقد شرحنا هذه الآية في النحل^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ يعني الرُّسل ﴿جَسَدًا﴾.

قال الفراء: لم يقل: أجسادًا، لأنه اسم الجنس^(٣).

قال مجاهد: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا﴾ ليس فيهم روح.

قال ابن قتيبة: ما جعلنا الأنبياء قبله أجسادًا لا تأكل الطعام ولا تموت فنجعله كذلك^(٤).

قال المبرّد وثعلب جميعًا: العرب إذا جاءت بين الكلام بجحدين، كان الكلام إخبارًا، فمعنى الآية: إِنَّمَا ﴿جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا﴾ ليأكلوا الطعام.

قال قتادة: المعنى: ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا﴾ إِلَّا ليأكلوا الطعام^(٥).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْتَهُمُ الْوَعْدَ﴾ يعني: الأنبياء أنجزنا وعدهم الذي وعدناهم بإنجائهم وإهلاك مكذبيهم ﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَّشَاءُ﴾ وهم الذين صدقوهم ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ يعني: أهل الشرك، وهذا تخويف لأهل مكة، ثم ذكر مته عليهم بالقرآن فقال: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ

(١) السبعة (ص: ٤٢٨)، والحجة (٥/ ٢٥٤)، والتيسير (١/ ١٣٠).

(٢) انظر: تفسير سورة النحل الآية رقم (٤٣).

(٣) معاني القرآن (٢/ ١٩٩).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٣٤).

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٢٢٩) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

كِتَابِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴿١٠﴾، وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: فيه شرفكم، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: فيه دينكم، قاله الحسن، يعني: فيه ما تحتاجون إليه من أمر دينكم.

والثالث: فيه تذكرة لكم لما تلقونه من رجعة أو عذاب، قاله الزجاج^(١).

قوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ما فضلتكم به على غيركم.

قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَبْرٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (١١) ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ (١٢) ﴿لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٣) ﴿قَالُوا يَتَوَلَّوْنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ (١٤) ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَتُهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ﴾ (الأنبياء: ١١ - ١٥).

ثمَّ خَوَّفَهُمْ فَقَالَ: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ قال المفسرون واللغويون: معناه: وكم أهلكنا، وأصل القصم: الكسر.

وقوله: ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾، أي: كافرة، والمراد: أهلها. ﴿فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا﴾ أي: رأوا عذابنا بحاسة البصر ﴿إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ أي: يعدون، وأصل الركض: تحريك الرجلين، يقال: ركضت الفرس: إذا أعديته بتحريك رجليك فعدا.

قوله تعالى: ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾ قال المفسرون: هذا قول الملائكة لهم: ﴿وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾ أي: إلى نعمكم التي أترفتمكم، وهذا توبيخ لهم.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٨٥).

وفي قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ﴾ قولان:

أحدهما: تسألون من دنياكم شيئاً، استهزاء بهم، قاله قتادة.

والثاني: تسألون عن قتل نبيكم، قاله ابن السائب.

فلما أيقنوا بالعذاب ﴿قَالُوا يَنْوَلِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بكفرنا، وقيل: بتكذيب نبينا.

﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾ أي: ما زالت تلك الكلمة التي هي ﴿يَنْوَلِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ قولهم يرددونها ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ بالعذاب، وقيل: بالسيف ﴿خَمِيدِينَ﴾ أي: ميتين كخمود النار إذا طفت.

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ (١٦) ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْتُهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ﴾ (١٧) ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ (١٨) ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ، وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ (١٩) ﴿يُسَبِّحُونَ أَثِيلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ (٢٠) ﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ (٢١) ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٢٢) ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (٢٣) ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١٦ - ٢٤].

قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ أي: لم نخلق ذلك عبثاً، إنما خلقناها دلالة على قدرتنا ووحدايتنا ليعتبر الناس بخلقهم، فيعلموا أن العباداة لا تصلح إلا لخالقهم، لنجازي أوليائنا، ونعذب أعداءنا.

قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا﴾ في سبب نزولها قولان:

[٥٤٦/ب] أحدها: أن المشركين لما قالوا: الملائكة بناتُ الله والآلهة بناته، نزلت هذه الآية، قاله أبو صالح عن ابن عباسٍ.

والثاني: أن نصارى نجران قالوا: إنَّ عيسى ابن الله، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل^(١).

وفي المراد باللَّه ثلاثة أقوال:

أحدهما: الولد، رواه أبو صالح، عن ابن عباسٍ، وبه قال السُّدِّيُّ.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: لو أردنا أن نتخذ ولدًا ذا لهو نلهي به^(٢).

والثاني: المرأة، رواه عطاءٌ عن ابن عباسٍ، وبه قال الحسنُ، وقتادةٌ.

والثالث: اللَّعب، رواه ابنُ أبي طلحة عن ابن عباسٍ.

قوله تعالى: ﴿لَا نَتَّخِذُهُ مِنْ لَدُنَّا﴾.

قال ابنُ جريج: لا نتخذنا نساء وولدًا من أهل السماء، لا من أهل الأرض^(٣).

قال ابنُ قُتَيْبَةَ: وأصل اللّهُو: الجماع، فكني عنه باللّهُو، كما كني عنه بالسّرّ، والمعنى: لو فعلنا ذلك لا نتخذناه من عندنا، لأنكم تعلمون أنَّ ولد الرَّجل وزوجته يكونان عنده، لا عند غيره^(٤).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٨٦).

(٣) لم أقف عليه في المصادر.

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٨٥).

وفي قوله ﴿إِنْ كُنَّا فَعَلِينَ﴾ قولان:

أحدهما: أن «إِنْ» بمعنى «مَا»، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة.

والثاني: أنها بمعنى الشرط.

قال الزجاج: والمعنى: إِنْ كُنَّا نفعل ذلك، ولسنا ممن يفعله؛ قال: والقول الأول قول المفسرين، والثاني قول النحويين، وهم يستجدون القول الأول أيضًا، لأن إِنْ تكون في موضع النفي، إِلَّا أن أكثر ما تأتي مع اللام، تقول: إِنْ كُنْتَ لصالحًا، معناه: ما كنت إِلَّا صالحًا^(١).

قوله تعالى: ﴿بَلْ﴾ أي: دع ذاك الذي قالوا، فَإِنَّهُ باطلٌ ﴿نَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ أي: نسلط الحق وهو القرآن ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾ وهو كذبهم ﴿فَيَذْمُغُهُ﴾.

قال ابن قتيبة: أي: يكسره، وأصل هذا إصابة الدماغ بالضرب، وهو مَقْتُلٌ ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ أي: زائلٌ ذاهبٌ^(٢).

قال المفسرون: والمعنى: إِنَّا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يضمحل، ﴿وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ أي: من وصفكم الله بما لا يجوز ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: هم عبيده وملكه ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ﴾ يعني الملائكة.

وفي قوله: ﴿وَلَا يَسْتَخِيرُونَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: لا يرجعون، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

والثاني: لا ينقطعون، قاله مجاهد.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٨٧).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٨٥).

وقال ابن قتيبة: لا يعيون، والحسير: المنقطع الواقف إعياء وكلاً^(١).

والثالث: لا يملون، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿لَا يَفْقَرُونَ﴾.

قال قتادة: لا^(٢) يسأمون^(٣).

وسئل كعب: أما يشغلهم شأن؟ أما تشغلهم حاجة؟ فقال للسائل: يا ابن أخي، جعل لهم التسييح كما جعل لكم النفس، ألسنت تأكل وتشرب وتقوم وتجلس وتجيء وتذهب وتكلم وأنت تتنفس؟ فكذلك جعل لهم التسييح^(٤).

ثم إن الله تعالى عاد إلى توبيخ المشركين فقال: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ﴾ لأن أصنامهم من الأرض هي^(٥) سواء كانت من ذهب أو فضة أو خشب أو حجارة ﴿هُمْ﴾ يعني: الآلهة ﴿يُنْشَرُونَ﴾ أي: يحيون الموتى. وقرأ الحسن: «يُنْشَرُونَ» بفتح الياء وضم الشين^(٦).

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٥).

(٢) ليست في (س).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٤٥/١٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، بلفظ: «الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْأَمُونَ فِيهَا».

(٤) رواه ابن جرير الطبري (٢٤٤/١٦)، وابن أبي حاتم (١٣٦٣٠) في تفسيرهما عند عبد الله بن الحار، به.

(٥) ليست في (س).

(٦) عن الحسن في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤)، والتحصيل (٣٧٧/٤).

وهذا استفهامٌ بمعنى الجحد، والمعنى: ما اتَّخذوا آلهة تنشر ميتًا.

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾ يعني: السَّماء والأرض ﴿آِلَهُةٌ﴾ يعني: معبودين ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾.

[٥٤٧/أ]

قال القرَّاء: سوى الله^(١).

وقال الزَّجَّاجُ: غير الله^(٢).

قوله تعالى: ﴿لَفَسَدَتَا﴾ أي: لخربتا وبطلتا وهلك من فيهما، لوجود التَّمانع بين الآلهة، فلا يجري أمرُ العالم على النَّظام، لأنَّ كلَّ أمرٍ صدر عن اثنين فصاعدًا لم يسلم من الخلاف.

قوله تعالى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَقَعُلُ﴾ أي: عَمَّا يحكم في عباده من هدى وإضلال، وإعزاز وإذلال، لأنَّه المالكُ للخلق، والخلق يسألون عن أعمالهم؛ لأنَّهم عبيدٌ يجبُ عليهم امتثالُ أمر مولاهم، ولما أبطل ﷻ أن يكونَ إله سواه من حيث العقل بقوله: ﴿لَفَسَدَتَا﴾ أبطل ذلك من حيث الأمر فقال: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آِلَهُةٌ﴾ وهذا استفهامٌ إنكارٍ وتوبيخٍ ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على ما تقولون، ﴿هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ﴾ يعني القرآن خبر من معي على ديني ممَّن يتَّبِعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثَّوابِ على الطَّاعة والعقابِ على المعصية ﴿وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي﴾ يعني: الكتب المنزلة، والمعنى: هذا القرآن، وهذه الكتبُ التي أنزلت قبله، فانظروا هل في واحدٍ منها أن

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٠٠).

(٢) معاني القرآن وإعراجه (٣/ ٣٨٨).

الله أمر باتخاذ إليه سواه؟ فبطل بهذا البيان جواز اتخاذ معبود غيره من حيث الأمر به.

قال الزجاج: قيل لهم: ﴿هَاتُوا بُرْهَنَكُمْ﴾ بأن رسولاً من الرسل أخبر أمته بأن لهم إلهاً غير الله^(١).

قوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعني: كفار مكة.

﴿لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنه القرآن، قاله ابن عباس.

والثاني: التوحيد، قاله مقاتل^(٢).

﴿فَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ عن التفكير والتأمل وما يجب عليهم من الإيمان.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٥٥) وقالوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ، بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٥٦) لَا يَسْئِقُونَهُ، بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٥٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٥٨) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلْيَنْجَزِ بِهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٥٩) [الأنبياء: ٢٥-٢٩].

قوله تعالى: ﴿مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ﴾ قرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿إِلَّا نُوحِيَ﴾ بالنون؛ والباقون بالياء^(٣).

(١) المصدر السابق.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٧٦).

(٣) السبعة (ص: ٤٢٨)، والحجة (٥/ ٢٥٤)، والمبسوط (١/ ٢٤٨).

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ في القائلين لهذا قولان:

أحدهما: أنهم مشركو قريش، قاله ابن عباس.

وقال ابن إسحاق: القائل لهذا النضر بن الحارث.

والثاني: أنهم اليهود، قالوا: إن الله صاهر الجن فكانت منهم الملائكة، قاله قتادة.

فعلى القولين، المراد بالولد الملائكة، وكذلك المراد بقوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ والمعنى: بل عبادٌ أكرمهم الله واصطفاهم، ﴿لَا يَسْئُرُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾، أي: لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به.

وقال ابن قتيبة: لا يقولون حتى يقول، ثم يقولون عنه، ولا يعملون حتى يأمرهم^(١).

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ما قدموا من الأعمال ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما هم عاملون، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ﴾ يوم القيامة، وقيل: لا يستغفرون في الدنيا ﴿إِلَّا لِمَن أَرْضَى﴾ أي: لمن رضي عنه، ﴿وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ﴾ أي: من خشيتهم منه، فأضيف المصدر إلى المفعول، ﴿مُشْفِقُونَ﴾ أي: خائفون.

وقال الحسن: يرتعدون.

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ أي: من الملائكة.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٥).

قال الضَّحَّاكُ في آخِرِينَ: هذه خاصَّةٌ لِإِبْلِيسَ، لم يدع أحدٌ من الملائكة إلى عبادة نفسه سواه^(١).

قال أبو سليمان الدَّمَشَقِيُّ: وهذا قول مَنْ قال: إنَّه من الملائكة، فإنَّ إبليسَ قال ذلك للملائكة الذين هبطوا معه إلى الأرض، ومَنْ قال: إنَّه ليس من الملائكة، قال: هذا على وجه التَّهْدِيدِ، وما قال أحدٌ من الملائكة ذلك.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء: ٣٠-٣٣].

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أولم يعلموا. وقرأ ابنُ كثيرٍ: «ألم ير الذين كفروا» بغير واو بين الألف واللام، وكذلك هي في مصاحف أهلِ مَكَّةَ^(٢).

﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾.

قال أبو عُبَيْدَةَ: السَّمَوَاتُ جمعٌ، والأرضُ واحدةٌ، فخرجت صفة

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٦٣٦) بلفظ: «ولم يقل ذلك أحد من الملائكة إلا إبليس، دعا إلى عبادة نفسه وشرع الكُفْرَ».

(٢) السبعة (ص: ٤٢٨)، والحجة (٥/ ٢٥٥)، والمبسوط (١/ ٣٠١).

لفظ الجمع على لفظ صفة الواحد، والعربُ تفعل هذا إذا أشركوا بين جمع وبين واحد، والرَّتق مصدرٌ يوصفُ به الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمؤنث سواء، ومعنى الرَّتق: الذي ليس فيه ثقب^(١).

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: كانتا ذواتي رتقي، فجعلتهما ذوات فتقي، وإنَّهما لم يُقْل: رتقين لأنَّ الرَّتق مصدر^(٢).

وللمفسرين في المراد به ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّ السَّمَوَاتِ كانت رتقا لا تمطر، وكانت الأرض رتقا لا تنبت، ففتق هذه بالمطر، وهذه بالنبات، رواه عبد الله بن دينار عن ابن عباس^(٣)، وبه قال عطاء، وعكرمة، ومجاهد في رواية، والضَّحَّاك في آخرين.

والثاني: أنَّ السَّمَوَاتِ والأرض كانتا ملتصقتين، ففتقهما الله تعالى، رواه العوفي عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة.

(١) مجاز القرآن (٢/ ٣٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٠).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٦٣٩) عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر: أنَّ رجلاً أتاه يسأله عن ﴿أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾؟ قَالَ: اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله، ثُمَّ تَعَال فَأخبرني مَا قَالَ لك. قَالَ: فذهب إلى ابن عباس فسأله، فقال ابن عباس: نعم، كَانَتِ السَّمَاوَاتُ رَتْقًا لَا تَمْطُرُ، وَكَانَتِ الْأَرْضُ رَتْقًا لَا تَنْبِتُ، فَلَمَّا خَلَقَ الْأَرْضَ أَهْلًا فَتَقَ هَذِهِ بِالْمَطَرِ، وَفَتَقَ هَذِهِ بِالنَّبَاتِ فَرَجَعَ الرَّجُلُ إِلَى ابْنِ عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: الْآنَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَدْ أُوتِيَ فِي الْقُرْآنِ عِلْمًا صَدَقَ - هَكَذَا كَانَتْ: قَالَ ابْنُ عُمَرَ قَدْ كُنْتُ أَقُولُ: مَا يَعْجِبُنِي جَرَاءُ ابْنِ عَبَّاسٍ عَلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، فَالْآنَ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ أُوتِيَ فِي الْقُرْآنِ عِلْمًا.

والثالث: أَنَّهُ فَتَقَ مِنَ الْأَرْضِ سِتَّ أَرْضِينَ فَصَارَتْ سَبْعًا، وَمِنَ السَّمَاءِ سِتَّ سَمَوَاتٍ فَصَارَتْ سَبْعًا، رَوَاهُ السُّدِّيُّ عَنْ أَشْيَاخِهِ، وَابْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾.

قرأ معاذُ القارِي، وابنُ أبي عبلة، وحميدُ بن قيس: «كل شيء حيًّا» بالنَّصب^(١). وفي هذا ﴿الْمَاءِ﴾ قولان:

أحدهما: أَنَّهُ الْمَاءُ الْمَعْرُوفُ، والمعنى: جعلنا الماء سببًا لحياة كُلِّ حَيٍّ، قاله الأكثرون.

والثاني: أَنَّهُ النُّطْفَةُ، قاله أبو العالية.

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي﴾ قد فُسِّرَ ناه في النحل^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ أي: في الرِّوَاسِي ﴿فَجَاجًا﴾.

قال أبو عبيدة: هي المسالك^(٣).

قال الزَّجَّاجُ: الفجاج جمع فَجٍّ، وهو كُلُّ منخَرِقٍ بَيْنَ جَبَلَيْنِ، ومعنى ﴿سُبُلًا﴾ طُرُقًا^(٤).

(١) عن حميد في البحر المحيط (٧/ ٤٢٥).

(٢) انظر: تفسير سورة النحل الآية رقم (١٥).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٣٧).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٠).

قال ابن عباس: جعلنا من الجبال طرقاً كي تهتدوا إلى مقاصدكم في الأسفار^(١).
قال المفسرون: وقوله: سبلاً تفسير للفجاج، وبيان أن تلك الفجاج نافذة مسلوكة، فقد يكون الفجُّ غير نافذ.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا﴾ أي: هي للأرض كالسقف.

وفي معنى ﴿مَحْفُوظًا﴾ قولان:

أحدهما: بالنجوم من الشياطين، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: ﴿مَحْفُوظًا﴾ من الوقوع إلا بإذن الله، قاله الزجاج^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَهُمْ﴾ يعني: كفار مكة، ﴿عَن آيَتِهَا﴾ أي: شمسها وقمرها ونجومها.

قال الفراء: وقرأ مجاهد: «عن آيتها» فوَحَّده، فجعل السماء بما فيها آية، وكلُّ صواب^(٣).

قوله تعالى: ﴿كُلُّ﴾ يعني: الطوالع ﴿فِي فَلَكٍ﴾.

قال ابن قتيبة: الفلك: مدار النجوم الذي يضمُّها، وسماها فلَكًا،

لاستدارته، ومنه قيل: فَلَكَةُ الْمِغْزَلِ، وقد فَلَكَ ثُدْيَ الْمَرْأَةِ^(٤). [٥٤٨/أ]

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/٢٣٦).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٩٠).

(٣) معاني القرآن (٢/٢٠٢).

(٤) أدب الكاتب (ص: ٨٥).

قال أبو سليمان: وقيل: إنَّ - الفلك كهيئة السَّاقِيَةِ من ماء - مستديرة دون السَّماء وتحت الأرض، فالأرض وسطها، والشَّمْسُ والقمرُ والنُّجُومُ والليَّل والنَّهارُ يجرون في الفلك، وليس الفلك يديرها.

ومعنى ﴿يَسْبَحُونَ﴾: يجرون.

قال الفراء: لما كانت السَّباحَةُ من أفعالِ الآدميين، ذكرت بالنون، كقوله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] لأنَّ السُّجُودَ من أفعالِ الآدميين^(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّنْ فَهْمٍ فَهُمْ لَنُخْلِدُونَهُ﴾ (٣٤) ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٣٥) وَإِذَا رَمَاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرِ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤-٣٦].

قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾.

سبب نزولها: أن ناسًا قالوا: إنَّ مُحَمَّدًا لا يموت، فنزلت هذه الآية، قاله مقاتل^(٢).

ومعنى الآية: ما خلَّدنا قبلك أحدًا من بني آدم؛ والخلد: البقاء الدائم.

﴿أَفَإِن مِّنْ فَهْمٍ فَهُمْ لَنُخْلِدُونَهُ﴾ يعني: مشركي مَكَّةَ، لأنَّهم قالوا: ﴿نَنْزِلُكَ بِهِ رَبِّكَ إِلَيْنَا﴾ [الأنبياء: ٣٠].

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٠١).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٧).

قوله تعالى: ﴿وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾.

قال ابن زيد: نختبركم بما تحبون لننظر كيف شكركم، وبما تكرهون لننظر كيف صبركم^(١).

قوله تعالى: ﴿وَالَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

قرأ ابن عامر: «تُرْجَعُونَ» بقاء مفتوحة.

وروى ابن عباس، عن أبي عمرو: «يُرْجَعُونَ» بياء مضمومة.

وقرأ الباقر بقاء مضمومة^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قال ابن عباس: يعني المستهزئين^(٣).

وقال السدي: نزلت في أبي جهل، مرّ به رسول الله ﷺ فضحك،

وقال: هذا نبي بني عبد مناف^(٤).

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٢٦٩/١٦) بلفظ: «تَبْلُوكُم بِمَا يُحِبُّونَ وَبِمَا يَكْرَهُونَ نَخْتَبِرُهُمْ بِذَلِكَ لَنُنْظَرَ كَيْفَ شُكْرُهُمْ فِيمَا يُحِبُّونَ، وَكَيْفَ صَبْرُهُمْ فِيمَا يَكْرَهُونَ».

(٢) السبعة (ص: ٤٢٩)، والحجة (٥/٢٧٥).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/٢٣٧).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٦٥٥) بلفظ: «مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَبِي سَفْيَانَ وَأَبِي جَهْلٍ وَهُمَا يَتَحَدَّثَانِ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو جَهْلٍ ضَحِكَ وَقَالَ لِأَبِي سَفْيَانَ: هَذَا نَبِيُّ بَنِي عَبْدِ مَنْفَافٍ، فَغَضِبَ أَبُو سَفْيَانَ فَقَالَ: مَا تَنْكُرُونَ أَنْ يَكُونَ لِبَنِي عَبْدِ مَنْفَافٍ نَبِيٌّ، فَسَمِعَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَرَجَعَ إِلَى أَبِي جَهْلٍ فَوَقَعَ بِهِ وَخَوْفَهُ وَقَالَ: مَا أَرَاكَ مَتَهِيًّا حَتَّى يَصِيْبَكَ مَا أَصَابَ عَمَّكَ وَقَالَ لِأَبِي سَفْيَانَ: أَمَا إِنَّكَ لَمْ تَقُلْ مَا قُلْتَ إِلَّا حِيَةً فَتَزَلْتَ هَذِهِ الْآيَةَ».

و﴿إِن﴾ بمعنى ما ومعنى ﴿هَزُوا﴾ مهزوءاً به ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ إِلَهُتَكُمْ﴾ أي: يعيب أصنامكم، وفيه إضمارٌ يقولون، ﴿وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَفَرُوا﴾ وذلك أنهم قالوا: ما نعرف الرحمن، فكفروا بالرحمن.

قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُتُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَأُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ [الأنبياء: ٣٧-٤١].

قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾.

وقرأ أبو رزین العقيلي، ومجاهد، والضحاك: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ» بفتح الحاء واللام ونصب النون من الإنسان^(١).

وهذه الآية نزلت حين استعجلت قريش بالعذاب.

وفي المراد بـ﴿الْإِنْسَانُ﴾ هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: النَّصْر بنُ الحارث، وهو الذي قال: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ الْآيَةَ [الأنفال: ٣٢]، رواه عطاء عن ابن عباس.
والثاني: آدم عليه السلام، قاله سعيد بن جبير، والسُّدِّي في آخرين.

(١) عن مجاهد، ومحمد بن قيس في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤)، والتحصيل (٤/ ٣٧٨).



والثالث: أنه اسمُ جنسٍ، قاله عليُّ بنُ أحمدَ النَّيسابوري^(١).

فعلى هذا يدخلُ النَّضْرُ بنُ الحارثِ وغيره في هذا، وإن كانت الآية نزلت فيه.

فأما مَنْ قال: أريد به آدم، ففي معنى الكلام قولان:

أحدهما: أنه خلق عَجُولًا، قاله الأكثرون.

فعلى هذا يقول: لما طبع آدم على هذا المعنى، وجد في أولاده، وأورثهم العجل.

والثاني: خلق بعجل، استعجلَ بخلقه قبل غروبِ الشَّمسِ من يوم الجمعة، وهو آخر الأيامِ السَّتَّةِ، قاله مجاهدٌ.

فأما مَنْ قال: هو اسم جنسٍ، ففي معنى الكلام قولان:

أحدهما: خلق عَجُولًا.

قال الزَّجَّاجُ: خوطبت العربُ بما تعقل، والعربُ تقول للذي يكثُر منه اللَّعب: إِنَّمَا خُلِقْتَ من لعبٍ، يريدون المبالغة في وصفه بذلك^(٢).

والثاني: أنَّ في الكلام تقديماً وتأخيراً، والمعنى: خلقت العجلة في

الإنسان، قاله ابنُ قُتَيْبَةَ^(٣).

[٥٤٨/ب]

(١) تفسيره الوسيط (٣/٢٣٧).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٩٢).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٨٦).

قوله تعالى: ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾ فيه قولان:

أحدهما: ما أصاب الأمم المتقدمة؛ والمعنى: إنكم تسافرون فترون آثارَ الهلاكِ في الماضين، قاله ابنُ السائبِ.
والثاني: أنها القتل بيدرٍ، قاله مقاتل^(١).

قوله تعالى: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوا﴾ أثبت الياء في الحاليين يعقوبُ.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُوا مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ يعنون: القيامة.

﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ جوابه محذوفٌ، والمعنى: لو علموا صدق الوعد ما استعجلوا، ﴿حِينَ لَا يَكْفُوتُ﴾ أي: لا يدفعون ﴿عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ﴾ إذا دخلوا ﴿وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾ لإحاطتها بهم ﴿وَلَا هُمْ يُصْرُونَ﴾ أي: يمنعون مما نزلَ بهم، ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾ يعني الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿فَتَبْهَتُهُمْ﴾ تحيرهم؛ وقد شرحنا هذا عند قوله: ﴿فَبْهَتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ أي: صرفها عنهم، ولا هم يمهلون لتوبة أو معذرة.

ثم عزى نبيّه، فقال: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ أي: كما فعل بك قومك ﴿فَحَاقَ﴾ أي: نزل ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾ أي: من الرُّسل ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ يعني: العذاب الذي كانوا استهزؤوا به.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٠).

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ (٤٢) ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾ (٤٣) ﴿بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْفُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (٤٤) ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ (٤٥)

[الأنبياء: ٤٢-٤٥].

قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ﴾ المعنى: قل لهؤلاء المستعجلين بالعذاب: مَنْ يحفظكم من بأسِ الرَّحْمَنِ إن أراد إنزاله بكم؟ وهذا استفهام إنكار، أي: لا أحد يفعل ذلك، ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: عن كلامه ومواعظه ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يتفكرون ولا يعتبرون.

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ فيه تقديم وتأخير، وتقديره: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ من دوننا تمنعهم؟ وهانئنا تم الكلام.

ثم وصف آلهتهم بالضعف، فقال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾ والمعنى: مَنْ لا يقدر على نصر نفسه عما يراد به، فكيف ينصر غيره؟

قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ﴾ في المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنهم الكفار وهو قول ابن عباس.

والثاني: أنهم الأصنام، قاله قتادة.

وفي معنى ﴿يُصْحَبُونَ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: يجارون، رواه العوفي عن ابن عباس.

قال ابن قتيبة: والمعنى: لا يجيرُهم منَّا أحد؛ لأنَّ المُجِيرَ صاحبُ لجاره^(١).

والثاني: يمنعون، رواه ابنُ أبي طلحة عن ابنِ عباس.

والثالث: ينصرون، قاله مجاهد.

والرابع: لا يصحبون بخير، قاله قتادة.

ثمَّ بيَّن اغترارهم بالإمهال، فقال: ﴿بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ﴾ يعني: أهل مكة ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ فاغترُّوا بذلك، ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ قد شرحناه في الرَّعْد^(٢)، ﴿أَفَهُمْ أَغْلِبُونَ﴾ أي: مع هذه الحال، وهو نقصُ الأرض، والمعنى: ليسوا بغالبين، ولكنَّهم المغلوبون.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ﴾ أي: أخوفكم ﴿بِالْوَحْيِ﴾ أي: بالقرآن، والمعنى: إنني ما جئت به من تلقاء نفسي، إنما أمرت فبلغت، ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾.

وقرأ ابنُ عامرٍ: «وَلَا تُسْمِعُ» بالنَّاءِ مضمومة «الصُّمُّ» نصباً^(٣).

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٦).

(٢) انظر: تفسير سورة الرعد الآية رقم (٤١).

(٣) السبعة (ص: ٤٢٩)، والحجة (٥/ ٢٥٥).

وقرأ ابنُ يعمرَ، والحسنُ: «ولا يُسْمَعُ» بضمِّ الياءِ وفتح الميمِ،
«الصَّمُّ» بضمِّ الميمِ^(١).

شَبَّهَ الكُفَّارَ بالصَّمِّ الذين لا يسمعون نداء مناديهم؛ ووجه التشبيه
أن هؤلاء لم ينتفعوا بما سمعوا، كالصَّمِّ لا يفيدهم صوت مناديهم. [٥٤٩/أ]
﴿وَلَيْنَ مَسْتَهْمٌ﴾ أي: أصابتهم ﴿نَفْحَةٌ﴾.

قال ابنُ عباسٍ: طرف^(٢).

وقال الزَّجَّاجُ: المراد أدنى شيءٍ من العذابِ، ﴿لَيَقُولُنَّ يَنْوَلِنَا﴾
والويل ينادي به كل من وقع في هلكة^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ مَسْتَهْمٌ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَنْوَلِنَا إِنَّا كُنَّا
ظَالِمِينَ﴾^(٤) وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿١٧﴾ [الأنبياء: ٤٦ - ٤٧].

قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: ونضع الموازين ذوات القسطِ، والقسط: العدل،
وهو مصدرٌ يوصف به، يقال: ميزان قسطٍ، وميزانان قسط، وموازين قسط^(٤).

(١) عن الحسن في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤)، والتحصيل (٤/٣٧٨).

(٢) أورده الواحدي في الوسيط (٣/٢٣٩).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٩٣).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٩٣).

قال الفراء: ﴿الْقِسْطُ﴾ من صفة الموازين وإن كان موحدًا، كما تقول: أنت عدلٌ، وأنتم رضى^(١).

وقوله: ﴿لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ وفي يوم القيامة سواء.

وقد ذكرنا الكلام في الميزان في أول الأعراف^(٢).

فإن قيل: إذا كان الميزان واحدًا، فما المعنى بذكر الموازين؟

فالجواب: أنه لما كانت أعمال الخلائق توزنُ وزنة بعد وزنة، سميت موازين.

قوله تعالى: ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ أي: لا ينقص محسنٌ من إحسانه، ولا يزداد مسيءٌ على إساءته ﴿وَلِنْ كَانَتْ مُثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ أي: وزن حبة.

وقرأ نافع: «مثقّل» برفع اللام^(٣).

قال الزجاج: ونصب ﴿مُثْقَالٌ﴾ على معنى: وإن كان العمل مثقال حبة^(٤).

وقال أبو علي الفارسي: وإن كان الظلامة مثقال حبة، لقوله تعالى:

﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ قال: ومن رفع، أسند الفعل إلى المثقال، كما أسند

في قوله تعالى: ﴿وَلِنْ كَانَتْ ذُو عُشْرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]^(٥).

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٠٥).

(٢) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (٨).

(٣) السبعة (ص: ٤٢٩)، والحجة (٥/ ٢٥٦)، والتيسير (ص: ١٥٥).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٤).

(٥) الحجة (٥/ ٢٥٦).

قوله تعالى: ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ أي: جئنا بها.

وقرأ ابن عباس، ومجاهد، وحيد: «أتينا» ممدودة، أي: جازينا بها^(١).

قوله تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾.

قال الزجاج: هو منصوبٌ على وجهين:

أحدهما: التمييز.

والثاني: الحال^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِلْمُنْفِقِينَ

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٨-٥٠].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه التَّوَارَةُ التي فرَّق بها بين الحلال والحرام، قاله مجاهدٌ وقتادة.

والثاني: البرهان الذي فرَّق به بين حق موسى وباطل فرعون، قاله ابن زيد.

والثالث: النَّصْرُ والنَّجاةُ لموسى، وإهلاك فرعون، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿وَضِيَاءَ﴾.

روى عكرمة، عن ابن عباسٍ أنه كان يرى الواو زائدة.

(١) ابن عباس، ومجاهد في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤)، والمحاسب (٢/ ٦٣)، والتحصيل (٤/ ٣٧٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٤).

قال الزَّجَّاجُ: وكذلك قال بعضُ التَّحْوِينِ أَنَّ المعنى: الفرقان ضياء، وعند البصريين: أَنَّ الواو لا تزداد ولا تأتي إِلَّا بمعنى العطف، فهي هاهنا مثل قوله تعالى: ﴿فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤] قال المفسِّرون: والمعنى: أَنَّهُمْ استضاءوا بالتَّوراةِ حتَّى اهتدوا بها في دينهم^(١).

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَذَكَرَ الْمُتَّقِينَ﴾ أَنَّهُمْ يذكرونه ويعملون بها فيه.

﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: يخافونه ولم يروه، قاله الجمهور.

والثاني: ﴿يَخْشَوْنَ﴾ عذابه ولم يروه، قاله مقاتل^(٢).

والثالث: يخافونه من حيث لا يراهم أحد، قاله الزَّجَّاجُ.

والرَّابع: يخافونه إذا غابوا عن أعينِ النَّاسِ كخوفهم إذا كانوا بين النَّاسِ، قاله أبو سليمان الدَّمَشَقِيُّ.

ثم عاد إلى ذكر القرآن، فقال: ﴿وَهَذَا﴾ يعني: القرآن ﴿ذَكَرٌ﴾ لمن

[٥٤٩/ب] تذكَّره، وعظة لمن اتَّعظ ﴿مُبَارَكٌ﴾ أي: كثير الخير ﴿أَفَأَنْتُمْ﴾ يا أهل

مَكَّةَ ﴿لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ أي: جاحدون؟ وهذا استفهامٌ توبيخ.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٤).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٢).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْرِبِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ [الأنبياء: ٥١-٥٨].

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ ﴿٥١﴾ أي: هداه.

﴿مِنْ قَبْلُ﴾ وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: من قبل بلوغه، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: آتيه ذلك في العلم السابق، قاله الضحاك عن ابن عباس.

والثالث: من قبل موسى وهارون، قاله الضحاك.

وقد أشرنا إلى قصة إبراهيم في الأنعام^(١).

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ ﴿٥١﴾ أي: علمنا أنه موضع لإتياء الرشد.

ثم بيّن متى آتاه فقال: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ يعني: الأصنام.

والتّمثال: اسمٌ للشيء المصنوع مشبّهًا بخلقٍ من خلق الله تعالى، وأصله من مثّل الشيء بالشيء: إذا شبّهته به.

(١) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (٧٥).

وقوله: ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا﴾ أي: على عبادتها ﴿عَكُفُونَ﴾ أي: مقيمون، فأجابوه أنهم رأوا آباءهم يعبدونها فاقصدوا بهم، فأجابهم بأنهم فيما فعلوا وآباءهم في ضلالٍ مبين، ﴿قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾ يعنون: أجاد أنت، أم لاعب؟

قوله تعالى: ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ الكيد: احتيال الكائد في ضرر المكيد. والمفسرون يقولون: لأكيدنها بالكسر ﴿بَعْدَ أَنْ تُولُوا﴾ أي: تذهبوا عنها، وكان لهم عيدٌ في كلِّ سنةٍ يخرجون إليه ولا يخلفون بالمدينة أحداً، فقالوا لإبراهيم: لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا، فخرج معهم، فلمَّا كان ببعض الطريق، قال: إني سقيم، وألقى نفسه، وقال سراً منهم: وتالله لأكيدَنَّ أصنامكم، فسمعه رجلٌ منهم، فأفشاه عليه، فرجع إلى بيتِ الأصنام، وكانت - فيما ذكره مقاتل بن سليمان - اثنين وسبعين صنماً من ذهبٍ وفضةٍ ونحاسٍ وحديدٍ وخشبٍ، فكسرها، ثمَّ وضعَ الفأسَ في عنق الصنم الكبير، فذلك قوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾.

قرأ الأكثرون: ﴿جُذَاذًا﴾ بضمِّ الجيم^(١).

وقرأ أبو بكر الصديق، وابنُ مسعود، وأبو رزين، وقتادة، وابنُ محيصن، والأعمش، والكسائي: «جِذَاذًا» بكسرِ الجيم^(٢).

(١) السبعة (ص: ٤٢٩)، والحجة (٥/ ٢٥٧)، والتيسر (ص: ١٥٥).

(٢) عن ابن عباس، وأبو نهيك في التحصيل (٤/ ٣٩٠).

وقرأ أبو رجاء العطاردي، وأيوب السخيتاني، وعاصم الجحدري: «جَذَا» بفتح الجيم^(١).

وقرأ الضحاك، وابنُ يعمر: «جَذَا» بفتح الجيم من غير ألف.

وقرأ معاذ القاري، وأبو حيوة، وابنُ وثاب: «جَذَا» بضم الجيم من غير ألف^(٢).

قال أبو عبيدة: أي: مستأصلين، قال جرير^(٣) [من البسيط]:

بُنُو الْمُهَلَّبِ جَذَّ اللَّهُ دَابِرَهُمْ أَمْسَوْا رَمَادًا فَلَا أَصْلَ وَلَا طَرَفُ

أي: لم يبقَ منهم شيء، ولفظ جذاذ يقع على الواحدِ والاثنين والجميع من المذكر والمؤنث.

وقال ابنُ قُتَيْبَةَ: ﴿جَذَا﴾ أي: فُتَاتًا، وكل شيء كسرتَه فقد جَذَذَتْهُ، ومنه قيل للسَّوِيق: الْجَذِيدُ^(٤).

وقرأ الكسائي: «جَذَا» بكسر الجيم على أنه جمع جذيد، مثل ثَقِيلٍ وَثَقَالَ، وخَفِيفٍ وَخَفَافٍ^(٥).

(١) عن أبي نبيك، وأبو السمال في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤)، وعن أبي السَّمال في التحصيل (٣٩٠ / ٤).

(٢) عن يحيى بن وثاب في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤).

(٣) ديوانه (ص: ١٧٦)، ومجاز القرآن (٢ / ٤٠)، ولسان العرب (٢ / ٦٠٠)، ومجمع الأمثال (١٧٦ / ١).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٨٦).

(٥) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (١٦ / ٢٩٣)، والمحزر الوجيز (٤ / ٨٦).

والجذيد بمعنى: المجذوذ، وهو المكسور.

﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ أي: كسر الأصنام إلا أكبرها.

[٥٥٠/أ] قال الزَّجَّاجُ: جائزٌ أن يكون أكبرها في ذاتِهِ، وجائزٌ أن يكون أكبرها عندهم في تعظيمهم إيَّاه^(١).

﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾، في هاء الكناية قولان:

أحدهما: أنَّها ترجع الى الصَّنمِ.

ثم فيه قولان:

أحدهما: لَعَلَّهُمْ يرجعون إليه فيشاهدونه، هذا قول مقاتل^(٢).

والثاني: لَعَلَّهُمْ يرجعون إليه بالتَّهَمَةِ، حكاه أبو سليمان الدَّمَشْقِيُّ.

والثاني: أنَّها ترجع إلى إبراهيمَ، والمعنى: لَعَلَّهُمْ يرجعون إلى دينِ

إبراهيم بوجوب الحجَّةِ عليهم، قاله الزَّجَّاجُ^(٣).

قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ٨٨ ﴿قَالُوا

سَمِعْنَا فَنَقُولُ لَكَ عِبْرَةٌ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَلْآفَافُ﴾ ٨٩ ﴿قَالُوا فَاذْهَبْ عَنْ آلِهَتِنَا يَا أَهْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ٩٠ ﴿قَالُوا فَاذْهَبْ عَنْ آلِهَتِنَا يَا أَهْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ٩١ ﴿قَالُوا فَاذْهَبْ عَنْ آلِهَتِنَا يَا أَهْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ٩٢ ﴿قَالُوا فَاذْهَبْ عَنْ آلِهَتِنَا يَا أَهْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ٩٣ ﴿قَالُوا فَاذْهَبْ عَنْ آلِهَتِنَا يَا أَهْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ٩٤ ﴿قَالُوا فَاذْهَبْ عَنْ آلِهَتِنَا يَا أَهْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ٩٥ ﴿قَالُوا فَاذْهَبْ عَنْ آلِهَتِنَا يَا أَهْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ٩٦ ﴿قَالُوا فَاذْهَبْ عَنْ آلِهَتِنَا يَا أَهْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ٩٧ ﴿قَالُوا فَاذْهَبْ عَنْ آلِهَتِنَا يَا أَهْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ٩٨ ﴿قَالُوا فَاذْهَبْ عَنْ آلِهَتِنَا يَا أَهْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ٩٩ ﴿قَالُوا فَاذْهَبْ عَنْ آلِهَتِنَا يَا أَهْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ١٠٠

سَمِعْنَا فَنَقُولُ لَكَ عِبْرَةٌ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَلْآفَافُ﴾ ٨٩ ﴿قَالُوا فَاذْهَبْ عَنْ آلِهَتِنَا يَا أَهْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ٩٠ ﴿قَالُوا فَاذْهَبْ عَنْ آلِهَتِنَا يَا أَهْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ٩١ ﴿قَالُوا فَاذْهَبْ عَنْ آلِهَتِنَا يَا أَهْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ٩٢ ﴿قَالُوا فَاذْهَبْ عَنْ آلِهَتِنَا يَا أَهْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ٩٣ ﴿قَالُوا فَاذْهَبْ عَنْ آلِهَتِنَا يَا أَهْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ٩٤ ﴿قَالُوا فَاذْهَبْ عَنْ آلِهَتِنَا يَا أَهْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ٩٥ ﴿قَالُوا فَاذْهَبْ عَنْ آلِهَتِنَا يَا أَهْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ٩٦ ﴿قَالُوا فَاذْهَبْ عَنْ آلِهَتِنَا يَا أَهْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ٩٧ ﴿قَالُوا فَاذْهَبْ عَنْ آلِهَتِنَا يَا أَهْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ٩٨ ﴿قَالُوا فَاذْهَبْ عَنْ آلِهَتِنَا يَا أَهْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ٩٩ ﴿قَالُوا فَاذْهَبْ عَنْ آلِهَتِنَا يَا أَهْلَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ١٠٠

فَشَلُّوهُمْ إِن كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٩-٦٣].

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٩٦).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/٨٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٩٦).

فَلَمَّا رَجَعُوا مِنْ عَيْدِهِمْ وَنَظَرُوا إِلَى آلِهِمْ ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: قد فعل ما لم يكن له فعله، فقال الذي سمع إبراهيم يقول: لَا كَيْدَنَّا أَصْنَامَكُمْ: ﴿سَمِعْنَا فَنَقُولُ بِذِكْرِهِمْ﴾.

قال القراء: أي: يعيبيهم؛ نقول للرجل: لئن ذكّرني لتندمن، تريد: بسوء^(١). قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُهُمْ عَلَىٰ آعِينَ النَّاسِ﴾ أي: بمرأى منهم، لا تأتوا به خفية. قال أبو عبيدة: تقول العرب إذا أظهر الأمر واشتهر: كان ذلك على أعين الناس^(٢).

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: يشهدون أنه قال لآلهتنا ما قال، رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة.

والثاني: يشهدون أنه فعل ذلك، قاله السدي.

والثالث: يشهدون عقابه وما يصنع به، قاله محمد بن إسحاق.

قال المفسرون: فانطلقوا به إلى نمرود، فقال له: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا ابْنِ الْكُفْرِ؟﴾ ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ غضب أن تُعبد^(٣) معه الصغار، فكسرها، ﴿فَسَنَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ من فعله بهم؟ وهذا إلزامٌ للحجة عليهم بأنهم جهاد لا يقدرّون على النطق.

(١) معاني القرآن (٢/٢٠٦).

(٢) مجاز القرآن (٢/٤٠).

(٣) في (س): (يُعبد).

واختلف العلماء في وجه هذا القول من إبراهيم عليه السلام على قولين:

أحدهما: أنه وإن كان في صورة الكذب، إلا أن المراد به التنبيه على أن من لا قدرة له، لا يصلح أن يكون إلهًا، ومثله قول الملكين لداود: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ ولم يكن أخاه ﴿لَهُ يَسَّعُ وَيَسْعُونَ نَجَّةً﴾ [ص: ٢٣]، ولم يكن له شيء، فيجري هذا مجرى التنبيه لداود على ما فعل، وأنه هو المراد بالفعل والمثل المضروب؛ ومثل هذا لا تسميه العرب كذبًا.

والثاني: أنه من معارضض الكلام؛ فروي عن الكسائي أنه كان يقف عند قوله تعالى: ﴿بَلْ فَعَلَهُ﴾ ويقول معناه: فعله من فعله، ثم يبتدىء ﴿كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾^(١).

قال الفراء: وقرأ بعضهم: «بل فعله» بتشديد اللام، يريد: فلعله كبيرهم هذا^(٢).

وقال ابن قتيبة: هذا من المعارضض، ومعناه: إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم، وكذلك قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩] أي: سأسقم ومثله ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ [الزمر: ٣٠] أي: ستموت، وقوله: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف: ٧٤].

قال ابن عباس: لم ينس، ولكنه من معارضض الكلام، والمعنى: لا تؤاخذني بنسياني، ومن هذا قصة الخصمين ﴿إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢١]،

(١) الكشف والبيان (٦/ ٢٨٠).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٠٦)، والبحر المحيط (٧/ ٤٤٩).

ومثله ﴿وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَّيْ هُدًى﴾ [سبأ: ٢٤]، والعرب تستعمل التعريض في كلامها كثيراً، فتبلغ إرادتها بوجه هو اللفظ من الكشف وأحسن من [٥٥٠/ب] التصريح.

وروي أن قوماً من الأعراب خرجوا يمتارون، فلما صدروا، خالف رجل في بعض الليل إلى عكم^(١) صاحبه، فأخذ منه برّاً وجعله في عكمه، فلما أراد الرحلة وقاما يتعاكمان، رأى عكمه يشول، وعكم صاحبه يثقل، فأنشأ يقول: (٢)

عِمْ تَغْشَى بَعْضَ أَعْكَامِ الْقَوْمِ لَمْ أَرْ عِمْ سَارِقاً قَبْلَ الْيَوْمِ
فخون صاحبه بوجه هو اللفظ من التصريح.

قال ابن الأنباري: كلام إبراهيم كان صدقاً عند البحث، ومعنى قول النبي ﷺ: «كَذَبَ إِبْرَاهِيمُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ» (٣): قولاً يشبه الكذب في الظاهر، وليس بكذب.

قال الشيخ (٤): قلت: وقد ذهب جماعة من العلماء إلى هذا الوجه، وأنه من المعارض، والمعارض لا تدم، خصوصاً إذا احتيج إليها.

(١) العِمْ: العِدْلُ مَا دَامَ فِيهِ الْمَتَاعُ. انظر: لسان العرب (١٢/٤١٥).

(٢) البيت في تأويل مشكل القرآن (١/١٦٤) بلا نسبة.

(٣) رواه البخاري (٣٣٥٨)، ومسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة بلفظ مطول.

(٤) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (س).

روى عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ فِي الْمَعَارِضِ لَمَذُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ»^(١).

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ما يسرني أن لي بما أعلم من معارض القول مثل أهلي ومالي^(٢).

وقال النخعي: لهم كلام يتكلمون به إذا خشوا من شيء يدرؤون به عن أنفسهم^(٣).

وقال ابن سيرين: الكلام أوسع من أن يكذب ظريف^(٤).

وقد قال رسول الله ﷺ لعجوز: «إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا الْعَجَائِزُ»، أراد قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً﴾ [الواقعة: ٣٥]^(٥).

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٠٩٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٨٥٧)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣٧٠ / ٧)، والطبراني في الكبير (٢٠١)، والبيهقي في الكبرى (٥٦ / ٢١) موقوفاً على عمران بن حصين، وهو الصواب، والمرفوع قد أعل بالوقوف. وانظر: الكامل (١٠٨ / ١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٠٩٤) من طريق معاوية بن قره، به.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٦٠٩٨) عن منصور، به.

(٤) رواه ابن عدي في الكامل (١٠٩ / ١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥١٥ / ٦)، وابن الأعرابي في معجمه (٩٨٨ / ٣) من طريق شبيب بن شيبة، به.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٢٩ / ١٦) من طريق ليث، عن مجاهد، عن عائشة، في قصة.

ومجاهد بن جبر لم يسمع من عائشة كما قاله يحيى القطان، وشعبة، وليث بن أبي سليم ضعيف.

ورواه الطبراني في الأوسط (٥٥٤٥) من طريق مسعدة بن اليسع، عن سعيد بن أبي=

وروي عنه ﷺ أنه كان يمازح بلالاً، فيقول: «مَا أُخْتُ خَالِكَ مِنْكَ»^(١)؟.

وقال لامرأة: من زوجك؟ فسَمَّته له، فقال: «الَّذِي فِي عَيْنَيْهِ بَيَاضٌ»^(٢).

وقال لرجل: «إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَلَدٍ نَاقَةٍ»^(٣).

وقال له العباس: ما ترجو لأبي طالب؟ فقال: «كُلُّ خَيْرٍ أَزْجُو مِنْ رَبِّي»^(٤).

وكان أبو بكر ﷺ حين خرج من الغار مع رسول الله ﷺ إذا سألته أحد: من هذا بين يديك؟ يقول: هادٍ يهديني^(٥).

=عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن عائشة، بنحوه.

ومسعدة بن اليسع الباهلي ضعيف جداً، وانظر: ميزان الاعتدال (٩٨/٤).

ورواه الترمذي في الشئانل (٢٤٦)، و البغوي في التفسير (٨ / ١٤)، والبيهقي في البعث والنشور (٣٨٢) عن الحسن البصري، مرسلًا.

(١) لم نقف عليه.

(٢) رواه الزبير بن بكار في كتاب الفكاهة والمزاح، وابن أبي الدنيا من حديث عبيدة بن سهم الفهري، وانظر: المغني عن حمل الأسفار للعراقي (١٠١٩/١).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢٦٧/٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٦٨)، وأبو داود (٤٩٩٨)، والترمذي (١٩٩١)، وفي الشئانل (٢٣٨)، وأبو يعلى في مسنده (٣٧٧٦) من طرق عن خالد بن عبد الله الواسطي، عن حميد الطويل، عن أنس أن رجلاً اشْتَحَمَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «إِنِّي حَامِلُكَ عَلَى وَلَدٍ النَّاقَةِ»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَضْنَعُ بِوَلَدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النُّوقَ».

(٤) رواه ابن سعد في الطبقات (١٠٠/١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٣٦/٦٦) من طريق إسحاق بن عبد الله بن الحارث، عن العباس، به، وهو مرسل للانقطاع بين إسحاق، والعباس.

(٥) رواه أحمد (٢٦٤/١٩)، وفي فضائل الصحابة (٦٠٥) مختصراً، وأبو يعلى في مسنده=

وكانت امرأة ابن رواحة قد رأتَه مع جارية له، فقالت له: وعلى فراشي أيضًا؟ فجحد، فقالت له: فاقرأ القرآن، فقال [من الطويل]:

وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ إِذَا انْشَقَّ مَشْهُورٌ مِنَ الصُّبْحِ طَالِعُ
يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَقَلَّتْ بِالْكَافِرِينَ الْمَضَاجِعُ

فقالت: آمنت بالله، وكذبت بصري، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره، فضحك وأعجبه ما صنع^(١).

وعرض شريح ناقة لبيعها فقال له المشتري: كيف لبنها؟ قال: احلب في أي إناء شئت، قال: كيف الوطاء؟ قال: افرش ونم، قال: كيف نجاؤها؟ قال: إذا رأيتها في الإبل عرفت مكانها، علّق سوطك وسِرْ، قال: كيف قوتها؟ قال: احمل على الحائط ما شئت، فاشتراها فلم ير شيئًا مما وصف، فرجع إليه، فقال: لم أر فيها شيئًا مما وصفتها به، قال: [٥٥١/أ] ما كذبتك، قال: أقلني، قال: نعم.

وخرج شريح من عند زياد وهو مريضٌ، ف قيل له: كيف وجدت الأمير؟ قال: تركته يأمر وينهى، ف قيل له: ما معنى يأمر وينهى؟ قال: يأمر بالوصية، وينهى عن النّوح.

وأخذ محمد بن يوسف حجرًا المداري فقال: العن عليًا، فقال: إن الأمير أمرني أن ألعن عليًا محمد بن يوسف، فالعنوه، لعنه الله.

= (٣٤٨٦)، والحاكم في المستدرک (١٢/٣-٥٧).

(١) رواه الدارقطني في السنن (٤٣٢) من طريق سلمة بن وهران، عن عكرمة، به، بنحوه.

وأمر بعض الأمراء صعصعة بن صوحان بلعن عليّ، فقال: لعن الله من لعن الله ولعن علي، ثمّ قال: إنّ هذا الأمير قد أبى إلّا أن ألعن عليّاً، فآلعه، لعنه الله.

وامتحننت الخوارج رجلاً من الشّيعيّة، فجعل يقول: أنا من علي ومن عثمان بريء.

وخطب رجل امرأة وتحتّه أخرى، فقالوا: لا نزوّجك حتّى تطلق امرأتك، فقال: اشهدوا أنّي قد طلقت ثلاثاً، فزوّجوه، فأقام مع المرأة الأولى، فادعوا أنّه قد طلق، فقال: أما تعلمون أنّه كان تحتّي فلانة فطلّقتها، ثم فلانة فطلّقتها، ثم فلانة فطلّقتها؟ قالوا: بلى، قال: فقد طلّقت ثلاثاً.

وحكي أن رجلاً عثر به الطائف ليلة، فقال له: من أنت؟ فقال [من الطويل] ^(١):

أَنَا ابْنُ الَّذِي لَا تَنْزِلُ الدَّهْرَ قِدْرُهُ وَإِنْ نَزَلَتْ يَوْمًا فَسَوْفَ تَعُودُ
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجًا إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ فَمِنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا وَقُعُودُ
فَظَنَّ الطَّائِفَ أَنَّهُ ابْنُ بَعْضِ الْأَشْرَافِ بِالْبَصْرَةِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ سَأَلَ
عَنْهُ، فَيَا ذَا هُوَ ابْنُ بَاقْلَائِي، وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ

(١) البيت بلا نسبة في عيون الأخبار (٢/ ٢١٩)، والعقد الفريد (٢/ ٢٩٨)، والتذكرة الحمدونية (٢/ ٢٨٦)، وخزانة الأدب (٢/ ٣٥٩).

قوله تعالى: ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (١٦) ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (١٧) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (١٨) أَفِي لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿[الأنبياء: ٦٤-٦٧].

قوله تعالى: ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ فيه قولان:

أحدهما: رجع بعضهم إلى بعض.

والثاني: رجع كل منهم إلى نفسه متفكرًا.

قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ فيه خمسة أقوال:

أحدها: حين عبدتم من لا يتكلم، قاله ابن عباس.

والثاني: حين تتركون آلهتكم وحدها، وتذهبون، قاله وهب بن منبه.

والثالث: في عبادة هذه الأصاغر مع هذا الكبير، روي عن وهب أيضًا.

والرابع: لإبراهيم حين اتهمتموه والفأس في يد كبير الأصنام، قاله ابن إسحاق، ومقاتل^(١).

والخامس: أنتم ظالمون لإبراهيم حين سألتموه، وهذه أصنامكم حاضرة، فاسألوها، ذكره ابن جرير^(٢).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٥).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (١٦/ ٣٠١).

وقرأ أبو رزِين العُقَيْلِيُّ، وابنُ أبي عَبلَةَ، وأبو حَيوة: «نُكْسُوا» برفع النُّونِ وكسر الكافِ مشدَّدة^(١).

وقرأ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ، وابنُ يَعْمَرَ، وعاصِمُ الجَحْدَرِيُّ: «نَكْسُوا» بفتح النُّونِ والكافِ مخفَّفة^(٢).

قال أبو عُبَيْدَةَ: ﴿نُكْسُوا﴾ قلبوا، تقول: نكست فلاناً على رأسه: إذا قهرته وعلوته^(٣).

ثمَّ في المراد بهذا الانقلاب ثلاثة أقوال:

أحدها: أدركتهم حيرة، فقالوا: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ قاله قتادة.

والثاني: رجعوا إلى أول ما كانوا يعرفونها به من أنَّها لا تنطق، قاله ابنُ قُتَيْبَةَ^(٤).

والثالث: انقلبوا على إبراهيمَ يَحْتَجُّونَ عليه بعد أن أقرؤا له ولا موا أنفسهم في تهمته، قاله أبو سليمان الدَّمَشْقِيُّ.

(١) عن أبي حَيوة في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤)، والتحصيل (٤/ ٣٩٠) وزاد في البحر المحيط (٧/ ٤٤٩) ابن أبي عَبلَةَ، وابنُ مقسم، وابنُ الجارود، والكبرائي كلاهما عن هشام.

(٢) عن رضوان بن عبد المعبود في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤)، والبحر المحيط (٧/ ٤٤٩).

(٣) مجاز القرآن (٢/ ٤٠).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٨٧).

وفي قوله: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ إضمار «قالوا»، وفي هذا إقرار منهم بعجز ما يعبدونه عن النطق، فحينئذ توجهت لإبراهيم الحجة، فقال موبخاً لهم: ﴿أَفَعَبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ﴾ أي: لا يرزقكم ولا يعطيكم شيئاً ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ إذا لم تعبدوه، وفي هذا حث لهم على عبادة من يملك النفع والضرر، ﴿أَفِ لَكُمْ﴾.

قال الزجاج: معناه: التثني لكم؛ فلما ألزمهم الحجة غضبوا، فقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ﴾^(١).

وذكر في التفسير أن نمرود استشارهم، بأي عذاب أعذبه، فقال رجل: حرقوه، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة. قوله تعالى: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (٦٨) قلنا ينار كوني بزدا وسلمنا على إبراهيم (٦٩) وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين (٧٠) ونجيناه ولو طأ إلى الأرض التي بركنا فيها للعالمين (٧١) وهبنا له إسحق ويعقوب نافلة وكلأ جعلنا صليحين (٧٢) وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عبيدين ﴿[الأنبياء: ٦٨ - ٧٣].

قوله تعالى: ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ أي: بتحريقه، لأنه يعيها ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ أي: ناصرها.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٣٩٨).

الإشارة إلى القصة

ذكر أهل التفسير أنهم حبسوا إبراهيم عليه السلام في بيت ثم بنوا له حيراً طول جداره ستون ذراعاً إلى سفح جبل منيف، ونادى منادي الملك: أيها الناس احتطبوا لإبراهيم، ولا يتخلفن عن ذلك صغير ولا كبير، فمن تخلف ألقى في تلك النار، ففعلوا ذلك أربعين ليلة، حتى إن كانت المرأة تقول: إن ظفرت بكذا لأحتطبنّ لنار إبراهيم، حتى إذا كان الحطب يساوي رأس الجدار سدوا أبواب الحير، وقذفوا فيه النار، فارتفع لهبها، حتى إن كان الطائر ليمرّ بها فيحترق من شدة حرّها، ثم بنوا بنياناً شامخاً، وبنوا فوقه منجنيقاً، ثم رفعوا إبراهيم على رأس البنيان، ورفع إبراهيم رأسه إلى السماء، فقال: اللهم أنت الواحد في السماء، وأنا الواحد في الأرض، ليس في الأرض أحد يعبدك غيري، حسبي الله ونعم الوكيل؛ فقالت السماء والأرض والجبال والملائكة: ربنا إبراهيم يُحرق فيك، فائذن لنا في نصرته؛ فقال: أنا أعلم به، وإن دعاكم فأغيثوه؛ فقفوه في النار، وهو ابن ست عشرة سنة، وقيل: ست وعشرين، فقال: حسبي الله ونعم الوكيل، فاستقبله جبريل، فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال جبريل: فسل ربك، فقال: حسبي من سؤالي علمه بحالي، فقال الله ﷻ: ﴿قُلْنَا نَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ فلم تبق نار على وجه الأرض يومئذٍ إلا طفئت وظنت أنها عانيت.

وزعم السدي: أن جبريل هو الذي ناداها.

وقال ابنُ عَبَّاسٍ: لو لم يُتبع بردها سلاماً لمات إبراهيم من بردها^(١).

قال السُّدِّيُّ: فأخذت الملائكة بضَبْعِي^(٢) إبراهيم فأجلسوه على الأرض، فإذا عين من ماء عذبٍ، وورد أحمر، وnergس^(٣).

قال كعبٌ ووهبٌ: فما أحرقت النار من إبراهيم إلّا وثاقه، وأقام في ذلك الموضع سبعة أيّام، وقال غيرهما أربعين أو خمسين يوماً، فنزل جبريل بقميصٍ من الجنة وطُفُفَسَة^(٤) من الجنة، فألبسه القميص، وأجلسه على الطُّفُفَسَة وقعد معه يحدثه.

وإن أزر أتى نمرود فقال: ائذن لي أن أخرج عظام إبراهيم فأدفنها، [٥٥٢/أ] فانطلق نمرود ومعه الناس، فأمر بالحائط فنقب، فإذا إبراهيم في روضةٍ تهتزُّ وثيابه تندى، وعليه القميص وتحت الطُّفُفَسَة، والملك إلى جنبه، فناداه نمرود: يا إبراهيم، إنّ إلهك الذي بلغت قدرته هذا الكبير، هل تستطيع أن تخرج؟ قال: نعم، فقام إبراهيم يمشي حتّى خرج، فقال: مَنْ الذي رأيت معك؟ قال: ملك أرسله إليّ ربّي ليؤنسني، فقال نمرود: إني مقرب لإلهك قرباناً لما رأيت من قدرته، فقال: إذن لا يقبل الله منك ما كنت

(١) رواه ابن جرير الطبري (٣٠٦/١٦)، وابن أبي حاتم (١٧٢٣٦) في تفسيرهما من طريق السدي، بلفظ مطول.

(٢) الضَّبْعُ، بسكون الباء: وَسَطُ الْعَضِدِ يَلْحَمِهِ يَكُونُ لِلْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ. انظر: لسان العرب (٨/٢١٦).

(٣) الكشف والبيان (٦/٢٨٢).

(٤) الطُّفُفَسَة والطُّفُفَسَة: الثُّمَرَةُ فوق الرَّحْلِ، وجمعها طُنَافِسُ؛ وقيل: هي البساط الَّذِي لَهُ حَمْلٌ رَقِيقٌ، انظر: لسان العرب (٦/١٢٧).

على دينك، فقال: يا إبراهيم، لا أستطيع ترك ملكي، ولكن سوف أذبح له، فذبح القربان وكفَّ عن إبراهيم.

قال المفسِّرون: ومعنى ﴿كُونِي بَرْدًا﴾ أي: ذات برِّدٍ ﴿وَسَلَمًا﴾ أي: سلامة. ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ وهو التَّحْرِيقُ بالنَّارِ ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ﴾ وهو أنَّ الله تعالى سلَّطَ البعوضَ عليهم حتَّى أكل لحومهم وشرب دماءهم، ودخلت واحدةٌ في دماغ نمرود حتَّى أهلكته، والمعنى: أنَّهم كادوه بسوءٍ، فانقلب السُّوء عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ﴾ أي: من نمرود وكيده ﴿وَلُوطًا﴾ وهو ابن أخي إبراهيم، وهو لوط بن هاران بن تارح، وكان قد آمن به، فهاجرا من أرض العراق إلى الشام.

وكانت سارة مع إبراهيم في قول وهب.

وقال السُّدِّيُّ: إنَّما هي ابنة ملك حرَّان، لقيها إبراهيم فتزوَّجها على أن لا يُغيِّرَها، وكانت قد طعنت على قومها في دينهم^(١).

فأمَّا قوله تعالى: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾، ففيها قولان:

أحدهما: أنَّها أرض الشام، وهذا قول الأكثرين.

وبركتها أنَّ الله ﷻ بعث أكثر الأنبياء منها، وأكثر فيها الخُصْب والشَّار والأنهار.

(١) الكشف والبيان (٦/٢٨٣).

والثاني: أنَّها مَكَّة، رواه العوفي عن ابن عباس، والأول أصح.

قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ يعني: إبراهيم ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾، وفي معنى النافلة قولان:

أحدهما: أنَّها بمعنى الزيادة، والمراد بها: يعقوب خاصة، فكأنه سأل واحدا فأعطي اثنين، وهذا مذهب ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، والفراء^(١).
والثاني: أنَّ النافلة بمعنى العطية، والمراد: بها إسحاق ويعقوب، وهذا مذهب مجاهد، وعطاء.

قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ يعني: إبراهيم وإسحاق ويعقوب.
قال أبو عبيدة: كل يقع خبره على لفظ الواحد، لأنَّ لفظه لفظ الواحد ويقع خبره على لفظ الجميع، لأنَّ معناه معنى الجمع^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾ أي: رؤوسا يقتدى بهم في الخير ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ أي: يدعون النَّاسَ إلى ديننا بأمرنا إياهم بذلك ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾.

قال ابن عباس: شرائع النبوة^(٣).

وقال مقاتل: الأعمال الصالحة^(٤).

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٠٧).

(٢) مجاز القرآن (٢/ ٤٠).

(٣) التفسير الوسيط (٣/ ٢٤٥).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٨٦).

﴿وَلِقَامَ الصَّلَاةِ﴾.

قال الزجّاج: حذف الهاء من إقامة الصلاة قليل في اللغة، تقول: أقام إقامة، والحذف جائز، لأن الإضافة عوض من الهاء^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ طَاءَ آيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَبْثِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَسِيقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤-٧٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ طَاءَ آيْنَهُ حُكْمًا﴾.

قال الزجّاج: انتصب لوط بفعل مضمر، لأن قبله فعلاً، فالمعنى: [٥٥٢/ب] وأوحينا إليهم وآتيناهم لوطاً^(٢).

وذكر بعض النحويين: أنه منصوب على (واذكر لوطاً)، وهذا جائز، لأن ذكر إبراهيم قد جرى، فحمل لوط على معنى: واذكر.

قال المفسرون: لما هاجر لوط مع إبراهيم، نزل إبراهيم أرض فلسطين، ونزل لوط بالموثفة على مسيرة يوم وليلة، أو نحو ذلك من إبراهيم فبعثه الله نبياً.

فأما الحكمُ ففيه قولان:

أحدهما: أنه النبوة، قاله ابن عباس.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/٣٩٨).

(٢) المصدر السابق.

والثاني: الفهم والعقل، قاله مقاتل^(١).

وقد ذكرنا فيه أقوالاً في سورة يوسف^(٢)، وأمّا القرية هاهنا، فهي سدوم، والمراد أهلها، والخبائث أفعالهم المنكرة، فمنها إتيان الذكور وقطع السبيل، إلى غير ذلك مما قد ذكره الله ﷻ عنهم في مواضع^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ أي: بإنجائه من بينهم.

قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾^(٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٦-٧٧].

قوله تعالى: ﴿وَنُوحًا﴾ المعنى: (واذكر نوحًا)، وكذلك ما يأتيك من ذكر الأنبياء ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ أي: دعا على قومه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل إبراهيم ولوط.

فأمّا الكرب العظيم، فقال ابن عباس: هو الغرق وتكذيب قومه^(٤).

قوله تعالى: ﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ﴾ أي: منعناه منهم أن يصلوا إليه بسوء.

وقيل: ﴿مِنْ﴾ بمعنى (على).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٨٧/٣).

(٢) انظر: تفسير سورة يوسف الآية رقم (٢٢).

(٣) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٧٨)، وسورة الحجر الآية رقم (٦٩).

(٤) الوسيط (٢٤٥/٣).

قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ [الأنبياء: ٧٨-٨٢].

قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ وفيه قولان:

أحدهما: أنه كان عنبًا، قاله ابن مسعود، ومسروق، وشريح.

والثاني: كان زرعًا، قاله قتادة.

﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾.

قال ابن قتيبة: أي: رَعَتْ لَيْلًا، يقال: نفشت الغنم بالليل، وهي إِبْلُ نَفْسٍ وَنَفْسٌ وَنَفَّاشٌ، والواحد: نَافِشٌ، وَسَرَحَتْ، وَسَرَبَتْ بِالنَّهَارِ^(١).

قال قتادة: النَّفْسُ بِاللَّيْلِ، وَالْهَمْلُ بِالنَّهَارِ^(٢).

وقال ابن السكيت: النفس: أن تنتشر الغنم بالليل ترعى بلا راع^(٣).

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٧).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٢٥ / ١٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، به.

(٣) إصلاح المتن (ص: ٣٨).

الإشارة إلى القصة

ذكر أهل التفسير أنَّ رجلين كانا على عهد داود عليه السلام، أحدهما صاحب حرث، والآخر صاحب غنم، فتفلَّت الغنم، فوقعَت في الحرث فلم تبق منه شيئاً، فاختصما إلى داود، فقال لصاحب الحرث: لك رقاب الغنم، فقال سليمان: أو غير ذلك؟ قال: ما هو؟ قال: ينطلق أصحاب الحرث بالغنم فيصيرون من ألبانها ومنافعها، ويقبل أصحاب الغنم على الكرم، حتَّى إذا كان كليلة نفشت فيه الغنم، دفع هؤلاء إلى هؤلاء غنمهم، ودفع هؤلاء إلى هؤلاء كرمهم، فقال داود: قد أصبت القضاء، ثمَّ حكم بذلك، فذلك قوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾^(١).

وفي المشار إليهم قولان:

أحدهما: داود وسليمان، فذكرهما بلفظ الجمع، لأنَّ الاثنين جمع، هذا قول الفراء^(٢).

والثاني: أنَّهم داود وسليمان والخصوم، قاله أبو سليمان الدمشقي.

وقرأ ابن مسعود، وابن عباس، وابن أبي عبلَة: «وكنا لحكمهما» على التثنية^(٣).

ومعنى شاهدين: أنه لم يرغب عنا من أمرهم شيء. [٥٥٣/أ]

(١) رواه ابن جرير الطبري (٣٢٢/١٦)، والحاكم في المستدرک (٦٤٣/٢) ومن طريقه البيهقي في الكبرى (٢٠٢/١٠) من طريق أبي إسحاق، عن مرة، عن ابن مسعود، بنحوه.

(٢) معاني القرآن (٢٠٨/٢).

(٣) في معاني القرآن (٢٠٨/٢) بلا نسبة.

﴿فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ﴾ يعني: القضية والحكومة.

وإنما كنَى عنها، لأنه قد سبق ما يدل عليها من ذكر الحكم،
﴿وَكَلًّا﴾ أي: منها ﴿ءَاتَيْنَا حُكْمًا﴾ وقد سبق بيانه.

قال الحسن: لولا هذه الآية لرأيت أن القضية قد هلكوا، ولكنه
أثنى على سليمان لصوابه، وعذر داود باجتهاده^(١).

فصل

قال أبو سليمان الدمشقي: كان قضاء داود وسليمان جميعاً من طريق
الاجتهاد، ولم يكن نصّاً، إذ لو كان نصّاً ما اختلفا.

قال القاضي أبو يعلى: وقد اختلف الناس في الغنم إذا نفشت ليلاً
في زرع رجل فأفسدته، فمذهب أصحابنا أن عليه الضمان، وهو قول
الشافعي، وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا ضمان عليه ليلاً أو نهاراً، إلا أن
يكون صاحبها هو الذي أرسلها، فظاهر الآية يدل على قول أصحابنا،
لأن داود حكم بالضمان، وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يثبت نسخه.

فإن قيل: فقد ثبت نسخ هذا الحكم، لأن داود حكم بدفع الغنم
إلى صاحب الحرث، وحكم سليمان له بأولادها وأصوافها، ولا خلاف
أنه لا يجب على من نفشت غنمه في حرث رجل شيء من ذلك؛ قيل:
الآية تضمنت أحكاماً، منها وجوب الضمان وكيفيته، فالتسخ حصل على
كيفيته، ولم يحصل على أصله، فوجب التعلق به.

(١) رواه ابن عبد البر في بيان العلم وفضله (١٦٦١)، والحافظ في تغليق التعليق (٢٩٢/٥).

وقد روى حرام بنُ محيصة عن أبيه: أن ناقةً للبراء دخلت حائط رجلٍ فأفسدت، ف قضى رسولُ الله ﷺ على أهل الأموال حفظها بالنهار، وعلى أهل المواشي حفظها بالليل^(١).

قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ تقدير الكلام: وسَخَّرْنَا الجبال يسبِّحن مع داود.

قال أبو هريرة: كان إذا سَبَّحَ أجابته الجبال والطير بالتسبيح والذكر^(٢). وقال غيره: كان إذا وجد فترةً، أمر الجبال فسبَّحت حتى يشتاق هو فيسبِّح. قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي: لذلك.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: وكُنَّا نقدر على ما نريده^(٣).

قوله تعالى: ﴿وَعَلَّنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ في المراد باللُّبوس قولان: أحدهما: الدُّروع، وكانت قبل ذلك صفائح، وكان داودُ أوَّل من صنع هذه الخلق وسَرَدَ، قاله قتادة.

والثاني: أن اللُّبوس: السلاح كله من درعٍ إلى رمح، قاله أبو عبيدة^(٤).

(١) رواه أبو داود (٣٥٦٩)، والنسائي في الكبرى (٥٧٥٤)، وابن حبان (٦٠٠٨) من طرق عن الزُّهري، عن حَرَامِ بْنِ مُحِيصَةَ، عن أبيه، به، بلفظ: أَنَّ نَاقَةً لِلْبَرَاءِ دَخَلَتْ حَائِطَ رَجُلٍ فَأَفْسَدَتْ، فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَهْلِ الْأَمْوَالِ حِفْظُهَا بِالنَّهَارِ وَعَلَى أَهْلِ الْمَوَاشِي حِفْظُهَا بِاللَّيْلِ. انظر: التمهيد لابن عبد البر (١١ / ٨١).

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٤٥ / ٢٠).

(٣) معاني القرآن وإعراجه (٤٠٠ / ٣).

(٤) مجاز القرآن (٤١ / ٢).

وقرأ أبو المتوكل، وابنُ السَّمِيفَع: «لُبُوس» بضم اللّام^(١).

قوله تعالى: ﴿لِنُحْصِنَكُمْ﴾.

قرأ ابنُ كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «لِنُحْصِنَكُمْ» بالياء.

وقرأ ابنُ عامر، وحفصُ عن عاصم: ﴿لِنُحْصِنَكُمْ﴾ بالتاء.

وروى أبو بكرٍ عن عاصم: «لنحصنكم» بالنون خفيفة^(٢).

وقرأ أبو الدرداء، وأبو عمران الجوني، وأبو حيوة: «لَتَحْصِنَكُمْ» بتاء مرفوعة وفتح الحاء وتشديد الصاد.

وقرأ ابنُ مسعود، وأبو الجوزاء، وحميدُ بن قيس: «لَتَحْصِنَكُمْ» بتاء مفتوحة مع فتح الحاء وتشديد الصاد مع ضمّها.

وقرأ أبو رزين العقيلي، وأبو المتوكل، ومجاهد: «لِنُحْصِنَكُمْ» بنون مرفوعة وفتح الحاء وكسر الصاد مع تشديدها^(٣).

[٥٥٣/ب]

وقرأ معاذُ القاري، وعكرمة، وابنُ يعمر، وعاصمُ الجحدري، وابنُ السَّمِيفَع: «لِنُحْصِنَكُمْ» بياء مرفوعة وسكون الحاء وكسر الصاد مشددة النون^(٤).

(١) بدون نسبة في البحر المحيط (٤٥٦/٧).

(٢) السبعة (ص: ٤٣٠)، والحجة (٢٨٥/٥)، والتيسير (ص: ١٥٥).

(٣) انظر: الكامل (٦٠١/١)، والبحر المحيط (٤٥٧/٧)، وإعراب القراءات الشواذ (١١٢).

(٤) عن الفقيمي، عن أبي عمرو في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤)، وعن ابن مقسم في الكامل (٦٠١/١).

فمن قرأ بالياء ففيه أربعة أوجه:

قال أبو علي الفارسي: أن يكون الفاعل اسم الله، لتقدم معناه، ويجوز أن يكون اللباس، لأنَّ اللبوس بمعنى اللباس من حيث كان ضرباً منه، ويجوز أن يكون داود، ويجوز أن يكون التعلیم، وقد دلَّ عليه: «علمناه».

ومن قرأ بالتاء، حملة على المعنى، لأنَّه الدرُّ.

ومن قرأ بالنون، فلتقدم قوله: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾^(١).

ومعنى لتحصنكم: لتحركم وتمنعكم ﴿مَنْ بِأَسْكُمُ﴾ يعني: الحرب.

قوله تعالى: ﴿وَلَسَلَيَمَنَّ الرِّيحُ﴾.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي، وأبو عمران الجوني، وأبو حيوة الحضرمي: «الرَّيَّاحُ» بآلف مع رفع الحاء^(٢).

وقرأ الحسن، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء: بالآلف ونصب الحاء^(٣)، والمعنى: وسخرنا لسليمان الرِّيح ﴿عَاصِفَةً﴾ أي: شديدة الهبوب ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ يعني: بأمر سليمان ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي أرض الشام، وقد مرَّ بيان بركتها في هذه السُّورة^(٤)، والمعنى: أنَّها كانت تسيرُ به إلى حيث شاء، ثم تعود به إلى منزله بالشَّام.

(١) الحجة (٥/ ٢٨٥).

(٢) عن أبي حيوة في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤).

(٣) عن الحسن، وأبي رجاء في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٤).

(٤) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٧٢).

قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ علمنا أن ما نعطي سليمان يدعوه إلى الخضوع لربه.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ﴾.

قال أبو عبيدة: «من» تقع على الواحد والاثنين والجميع من المذكر والمؤنث^(١).

قال المفسرون: كانوا يغوصون في البحر، فيستخرجون الجواهر ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾.

قال الزجاج: معناه: سوى ذلك، ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ﴾ أن يفسدوا ما عملوا^(٢).

وقال غيره: أن يخرجوا عن أمره.

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ، وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرْنَاهُ لِلْعَالَمِينَ^(٨٤) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ^(٨٥) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿[الأنبياء: ٨٣-٨٦].

قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾ أي: دعا ربه ﴿أَنِّي﴾.

وقرأ أبو عمران الجوني: «إني» بكسر الهمزة.

﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾.

(١) مجاز القرآن (٢/ ٤١).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠١).

وقرأ حمزة: «مسنى» بتسكين الياء^(١)، أي: أصابني الجهد.

﴿وَأَنْتَ أَزْهَمُ الرَّجِمِينَ﴾ أي: أكثرهم رحمة، وهذا تعريض منه بسؤال الرّحمة إذ أثنى عليه بأنّه الأرحم، وسكت.

الإشارة إلى قصّته

ذكر أهل التّفسير أنّ أيوب عليه السلام كان أغنى أهل زمانه، وكان كثير الإحسان، فقال إبليس: يا رب سلّطني على ماله وولده - وكان له ثلاثة عشر ولدًا - فإن فعلت رأيتك كيف يطيعني ويعصيك، فقيل له: قد سلّطتك على ماله وولده، فرجع إبليس فجمع شياطينه ومردته، فبعث بعضهم إلى دوابّه ورعاته، فاحتملوها حتّى قذفوها في البحر، وجاء إبليس في صورة قيّمه، فقال: يا أيوب ألا أراك تصلي وقد أقبلت ريحٌ عاصفٌ فاحتملت دوابّك ورعاتها حتّى قذفتها في البحر؟ فلم يردّ عليه شيئاً حتّى فرغ من صلاته، ثم قال: الحمد لله الذي رزقني ثمّ قبله مني، فأنصرف خائباً، ثمّ أرسل بعض الشّياطين إلى جنانه وزروعه، فأحرقوها، وجاء فأخبره، فقال مثل ذلك، فأرسل بعض الشّياطين فزلزلوا منازل أيوب وفيها ولده وخدمه، فأهلكوهم، وجاء فأخبره، فحمد الله، وقال لإبليس وهو يظنّه قيّمه في ماله: لو كان فيك خير لقبضك معهم، فأنصرف خائباً، فقيل له: كيف رأيت عبدي أيوب؟ قال: يا رب سلّطني على جسده فسوف ترى، قيل له: قد سلّطتك على جسده، فجاء فنفخ في إبهام قدميه، فاشتعل فيه

(١) عن عيسى بن عمر في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٥)، والبحر المحيط (٧/ ٤٦٠).

مثل النار، ولم يكن في زمانه أكثر بكاء منه خوفاً من الله تعالى، فلما نزل به البلاء لم يبكِ مخافة الجزع، وبقي لسانه للذكر، وقلبه للمعرفة والشكر، وكان يرى أمعاءه وعروقه وعظامه، وكان مرضه أنه خرج في جميع جسده ثآليل كآليات الغنم، ووقعت به حكة لا يملكها، فحك بأظفاره حتى سقطت، ثم بالمسوح، ثم بالحجارة، فأتت جسده وتقطع، وأخرجه أهل القرية فجعلوا له عريشاً على كناسة، ورفضه الخلق سوى زوجته، واسمها رحمة بنت إفرائيم بن يوسف بن يعقوب، فكانت تختلف إليه بما يصلحه.

وروى أبو بكر القرشي عن الليث بن سعد، قال: كان ملك يظلم الناس، فكلمه في ذلك جماعة من الأنبياء، وسكت عنه أيوب لأجل خيل كانت له في سلطانه، فأوحى الله إليه: تركت كلامه من أجل خيلك؟ لأطيلن بلاءك.

واختلفوا في مدة لبثه في البلاء على أربعة أقوال:

أحدها: ثماني عشرة سنة، رواه أنس بن مالك عن النبي ﷺ^(١).

والثاني: سبع سنين، قاله ابن عباس، وكعب، ويحيى بن أبي كثير.

والثالث: سبع سنين وأشهر، قاله الحسن.

والرابع: ثلاث سنين، قاله وهب.

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٣٦١٧)، والبزار (٦٣٣٣)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٥٩٣)، وابن حبان في صحيحه (٢٨٩٨)، والحاكم في المستدرک (٦٣٥ / ٢) وغيرهم.

وفي سبب سؤاله العافية ستة أقوال:

أحدها: أنه اشتهى إداماً، فلم تصبه امرأته حتى باعت قرناً من شعرها، فلما علم ذلك، قال: «مسنى الضر»، رواه الضحاك عن ابن عباس.

والثاني: أن الله تعالى أنساه الدعاء مع كثرة ذكره الله، فلما انتهى أجل البلاء، يسر له الدعاء، فاستجاب له، رواه العوفي عن ابن عباس.

والثالث: أن نفرًا من بني إسرائيل مروا به، فقال بعضهم لبعض: ما أصابه هذا إلا بذنبٍ عظيم، فعند ذلك قال: «مسنى الضر»، قاله نوف البكالي.

وقال عبد الله بن عبيد بن عمير: كان له أخوان، فأتياه يوماً فوجدا ریحاً، فقالا: لو كان الله علم منه خيراً ما بلغ به كل هذا، فما سمع شيئاً أشد عليه من ذلك، فقال: اللهم إن كنت تعلم أنني لم أبت ليلة شعبان وأنا أعلم مكان جائع فصدّقني، فصدّق وهما يسمعان، ثم قال: اللهم إن كنت تعلم أنني لم ألبس قميصاً وأنا أعلم مكان عار فصدّقني، فصدّق وهما يسمعان، فخرّ ساجداً، ثم قال: اللهم لا أرفع رأسي حتى تكشف ما بي، فكشف الله عنه ما به^(١).

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/٣٦٣).

والرابع: أن إبليس جاء إلى زوجته بسخلة، فقال: ليدبح أيوب هذه لي وقد برأ، فجاءت فأخبرته، فقال: إن شفاني الله لأجلدتك مائة جلدة، أمرتني أن أذبح لغير الله؟ ثم طردها عنه، فذهبت، فلما رأى أنه لا طعام [٥٥٤/ب] له ولا شراب ولا صديق، خرَّ ساجدًا وقال: «مسنى الضر»، قاله الحسن.
والخامس: أن الله تعالى أوحى إليه وهو في عنقوانٍ شبابه: إني مبتليك، قال: يا رب، وأين يكون قلبي؟ قال: عندي، فصبَّ عليه من البلاء ما سمعتم حتَّى إذا بلغ البلاء منتهاه، أوحى إليه أني معافيك، قال: يا رب، وأين يكون قلبي؟ قال: عندك، قال: مسنى الضر، قاله إبراهيم بن شيبان القرميسي فيما حدَّثنا به عنه.

والسادس: أن الوحي انقطع عنه أربعين يوماً، فخاف هجران ربِّه، فقال: «مسنى الضر»، ذكره الماوردي^(١).

فإن قيل: أين الصبر، وهذا لفظ الشكوى؟

فالجواب: أن الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر، وإنَّما المذموم الشكوى إلى الخلق، ألم تسمع قول يعقوب: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦].

(١) النكت والعيون (٣/٤٦٣).

قال سفيان بن عُيينة: وكذلك من شكا إلى الناس، وهو في شكواه راضٍ بقضاء الله، لم يكن ذلك جزعاً، ألم تسمع قول رسول الله ﷺ لجبريل في مرضه: «أَجِدُنِي مَغْمُومًا، وَأَجِدُنِي مَكْرُوبًا»^(١)، وقوله: «بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهُ»^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَهُ أَهْلَهُ﴾ يعني: أولاده ﴿وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: أن الله تعالى أحيا له أهله بأعيانهم، وآتاه مثلهم معهم في الدنيا، قاله ابن مسعود، والحسن، وقتادة.

وروى أبو صالح، عن ابن عباس: كانت امرأته ولدت له سبعة بنين وسبع بنات، فنُشروا له؛ وولدت له امرأته سبعة بنين وسبع بنات.

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (١٩٨-١٩٩)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٦٧-٢٦٨) من طريقين عن جعفر بن محمد عن أبيه وفي إسناده ابن سعد من لم يسم. ورواه البيهقي في الدلائل (٢١٠-٢١١) من طريق الحسن بن علي، عن محمد بن علي مرسلًا.

ورواه الطبراني في الكبير (٢٨٩٠) من طريق علي بن الحسين، عن أبيه. وذكره الهيثمي في المجمع (٣٤/٩) وقال: وفيه عبد الله بن ميمون القدّاح، وهو ذاهب الحديث.

(٢) رواه البخاري (٥٦٦٦) قَالَتْ عَائِشَةُ: وَارَأْسَاهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ذَلِكَ لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيًّا فَاسْتَغْفِرَ لَكَ وَأَدْعَوْ لَكَ» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: وَأُكْلِيَاهُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَطْنُكَ نَحْبَ مَوْتِي، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ، لَطَلَلْتُ آخِرَ يَوْمِكَ مُعَرَّسًا بِبَعْضِ أَزْوَاجِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهُ، لَقَدْ هَمَمْتُ - أَوْ أَرَدْتُ - أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ وَأَعْهَدَ: أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ - أَوْ يَتَمَنَّى الْمُتَمَنِّونَ - ثُمَّ قُلْتُ: يَا بَنَى اللَّهِ وَيَدْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ، أَوْ يَدْفَعُ اللَّهُ وَيَأْبَى الْمُؤْمِنُونَ».

والثاني: أنَّهم كانوا قد غيبوا عنه ولم يموتوا، فاتاه إياهم في الدنيا ومثلهم معهم في الآخرة، رواه هشام عن الحسن.

والثالث: آتاه الله أجور أهله في الآخرة، وآتاه مثلهم في الدنيا، قاله نوف، ومجاهد.

والرابع: آتاه أهله ومثلهم معهم في الآخرة، حكاه الزجاج^(١).

قوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ أي: فعلنا ذلك به رحمة من عندنا، ﴿وَذِكْرَىٰ﴾ أي: عظة ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾.

قال محمد بن كعب: من أصابه بلاء فليذكر ما أصاب أيوب، فليقل: إنه قد أصاب من هو خير مني.

قوله تعالى: ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ اختلفوا هل كان نبياً، أم لا؟ على قولين:

أحدهما: أنه لم يكن نبياً، ولكنه كان عبداً صالحاً، قاله أبو موسى الأشعري، ومجاهد، ثم اختلف أرباب هذا القول في علّة تسميته بذي الكفل على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن رجلاً كان يصلي كل يوم مائة صلاة فتوفي، فكفل بصلاته، فسُمي: ذا الكفل، قاله أبو موسى الأشعري.

والثاني: أنه تكفل للنبي بقومه أن يكفيه أمرهم وقيمته ويقضي بينهم بالعدل، ففعل، فسُمي: ذا الكفل، قاله مجاهد.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠١).

والثالث: أن ملكاً قتل في يوم ثلاثمائة نبي، وفر منه مائة نبي، فكفلهم ذو الكفل، يطعمهم ويسقيهم حتى أفلتوا، فسمي ذا الكفل، قاله ابن السائب.

والقول الثاني: أنه كان نبياً، قاله الحسن، وعطاء.

[٥٥٦/أ] قال عطاء: أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء: إني أريد قبض روحك، فاعرض ملكك على بني إسرائيل، فمن تكفل لك بأنه يصلي الليل لا يفتر، ويصوم النهار لا يفطر، ويقضي بين الناس ولا يغضب، فادفع ملكك إليه، ففعل ذلك، فقام شاب فقال: أنا أتكفل لك بهذا، فتكفل به، فوفى، فشكر الله له ذلك، ونبأه، وسمي: ذا الكفل^(١).

وقد ذكر الثعلبي حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ في الكفل: أنه كان رجلاً لا ينزع عن ذنب، وأنه خلا بامرأة ليفجر بها، فبكت، وقالت: ما فعلت هذا قط، فقام عنها تائباً، ومات من ليلته، فأصبح مكتوباً على بابه: قد غفر الله للكفل؛ والحديث معروف، وقد ذكرته في الحقائق^(٢).

(١) انظر: معالم التنزيل (٣/٣١٢).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢/٢٣)، والترمذي (٢٤٩٦)، والبزار في مسنده (٥٣٨٨)، وأبو يعلى في مسنده (٥٧٢٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩/٣١٨) بلفظ: «كَانَ الْكَفْلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يَتَوَرَّعُ مِنْ ذَنْبِ عَمَلِهِ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَأَعْطَاهَا سِتْرَيْنِ دِينَارًا عَلَى أَنْ يَطَّأَهَا، فَلَمَّا قَعَدَ مِنْهَا مَقْعَدَ الرَّجُلِ مِنْ امْرَأَتِهِ أَرْعَدَتْ وَبَكَتْ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ أَكْرَهْتِكِ؟ قَالَتْ: لَا وَلَكِنَّهُ عَمَلٌ مَا عَمِلْتُهُ قَطُّ، وَمَا حَمَلَنِي عَلَيْهِ إِلَّا الْحَاجَةُ، فَقَالَ: تَفْعَلِينَ أُنْتِ هَذَا وَمَا فَعَلْتِهِ؟ أَذْهَبِي فَهِيَ لَكَ، وَقَالَ: لَا وَاللَّهِ لَا أَغْصِي اللَّهَ بَعْدَهَا أَبَدًا، فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ فَأُصْبِحَ مَكْتُوبًا عَلَى بَابِهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لِلْكَفْلِ».

فجعله الثعلبيُّ أحد الوجوه في بيان ذي الكفل، وهذا غلط، لأنَّ ذلك اسمه الكفل، والمذكور في القرآن يقال له: ذو الكفل، ولأنَّ الكفل مات في ليلته التي تاب فيها، فلم يمض عليه زمانٌ طويلٌ يعالج فيه الصبر عن الخطايا، وإذا قلنا: إنَّه نبيٌّ، فإنَّ الأنبياء معصومون عن مثل هذا الحال. وذكرت هذا لشيخنا أبي الفضل بن ناصر رحمه الله تعالى، فوافقني، وقال: ليس هذا بذاك.

قوله تعالى: ﴿كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: على طاعة الله وترك معصيته.

﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا﴾ في هذه الرَّحمة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنَّها الجنَّة، قاله ابنُ عباسٍ.

والثاني: النبوة، قاله مقاتل^(١).

والثالث: النعمة والموالة، حكاها أبو سليمان الدمشقيُّ.

قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْنَضًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَوِّجُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ﴾ يعني: يونس بن متى.

والنُّون: السمكة؛ أضيف إليها لابتلاعها إياه.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٩٠).

قوله تعالى: ﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَضَّبًا﴾.

قال ابنُ قتيبة: المغاضبة: مفاعلة، وأكثر المفاعلة من اثنين، كالمناظرة والمجادلة والمخاصمة، وربّما تكون من واحد، كقولك: سافرت، وشارفت الأمر، وهي هاهنا من هذا الباب^(١).

وقرأ أبو المتوكّل، وأبو الجوزاء، وعاصمُ الجحدري، وابنُ السّميفع: «مَغْضَبٌ» بإسكان الغين وفتح الضّاد من غير ألف^(٢).

واختلفوا في مغاضبته لمن كانت؟ على قولين:

أحدهما: أنّه غضب على قومه، قاله ابنُ عبّاسٍ، والضّحّاكُ.

وفي غضبه عليهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّ الله تعالى أوحى إلى نبيّ يقال له: شعيا: أن ائت فلان الملك، فقل له: يبعث نبيّاً أميناً إلى بني إسرائيل، وكان قد غزا بني إسرائيل ملك، وسبا منهم الكثير، فأراد النّبيُّ والملك أن يبعثا يونس إلى ذلك الملك ليكلّمه حتّى يرسلهم، فقال يونس لشعيا: هل أمرك الله بإخراجي؟ قال: لا، قال: فهل سماني لك؟ قال: لا، قال: فهاهنا غيري من الأنبياء، فألحوا عليه، فخرج مغاضباً للنّبيّ والملك ولقومه، هذا مروى عن ابن عبّاسٍ وقد زدناه شرحاً في يونس^(٣).

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٣٢).

(٢) لم أقف عليها في المصادر.

(٣) انظر: تفسير سورة يونس الآية رقم (٩٨).

والثاني: أنه عانى من قومه أمراً صعباً من الأذى والتكذيب، فخرج عنهم قبل أن يؤمنوا ضجرًا، وما ظنَّ أنَّ هذا الفعل يوجب عليه ما [٥٥٦/ب] جرى من العقوبة، ذكره ابنُ الأنباري.

وقد روي عن وهب بن منبه، قال: لما حملت عليه أثقال النبوة، ضاق بها ذرعاً ولم يصبر، فقفها من يده وخرج هارباً^(١).

والثالث: أنه لما أوعدهم العذاب، فتابوا ورفع عنهم، قيل له: ارجع إليهم، فقال: كيف أرجع فيجدوني كاذباً؟ فانصرف مغاضباً لقومه، عاتباً على ربه.

وقد ذكرنا هذا في يونس^(٢).

والثاني: أنه خرج مغاضباً لربه، قاله الحسن، وسعيد بن جبير، والشَّعبي، وعروة.

وقال أبو بكر النقاش: المعنى مغاضباً من أجل ربه، وإنَّما غضب لأجل تمردهم وعصيانهم.

وقال ابنُ قُتيبة: كان مغيضاً عليهم لطول ما عاناه من تكذيبهم، مشتتياً أن ينزل العذاب بهم، فعاقبه الله على كراهيته العفو عن قومه^(٣).

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٧٦/١٦).

(٢) انظر: تفسير سورة يونس الآية رقم (٩٨).

(٣) تأويل مشكل القرآن (ص: ٢٣٣).

قوله تعالى: ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾.

وقرأ يعقوبُ: «يُقَدَّر» بضم الياء وتشديد الدال وفتحها^(١).

وقرأ سعيدُ بنُ جبير، وأبو الجوزاء، وابنُ أبي ليلى: «يُقَدَّر» بياء مرفوعة مع سكون القاف وتخفيف الدال وفتحها^(٢).

وقرأ أبو عمران الجونيُّ: «يَقْدِر» بياء مفتوحة وسكون القاف وكسر الدال خفيفة^(٣).

وقرأ الزُّهريُّ، وابنُ يعمر، وحيدُ بنُ قيسٍ: «نُقَدَّر»: بنون مرفوعة وفتح القاف وكسر الدال وتشديدها^(٤).

ثم فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن لن نقضي عليه بالعقوبة، رواه العوفيُّ عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مجاهدٌ، وقتادةٌ، والضَّحَّاكُ.

قال الفَرَّاءُ: ^(٥) معنى الآية: فظنَّ أن لن نقدر عليه ما قدرنا من العقوبة، والعربُ تقول: قَدَر، بمعنى: قَدَّر، قال أبو صخر^(٦):

(١) الكامل (١/٦٠١).

(٢) عن ابنِ عباسٍ والحسن في التحصيل (٤/٤٠٥)، وهي قراءة يعقوب من العشرة، كما في المبسوط (ص: ٣٠٣/١).

(٣) عن الحسن في التحصيل (٤/٤٠٥)، والمحزر (٤/٩٧)، والبحر المحيط (٧/٤٦١).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٥)، والتحصيل (٤/٤٠٥)، والمحزر (٤/٩٧).

(٥) معاني القرآن (٢/٢٠٩).

(٦) ابن الأنباري في الوقف والابتداء (٢/٧٧٧).

وَلَا عَائِدًا ذَاكَ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى تَبَارَكْتَ مَا تَقْدِرُ يَكُنْ وَلَكَ الشُّكْرُ
أراد: ما تقدر، وهذا مذهب الزجاج^(١).

الثاني: فظن أن لن يضيق عليه، قاله عطاء.

قال ابن قتيبة: يقال: فلان مُقَدَّرٌ عليه، ومُقَتَّرٌ عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [الفجر: ١٦] أي: ضيق عليه فيه^(٢).

قال النقاش: والمعنى: فظن أن لن يضيق عليه الخروج، فكأنه ظن أن الله قد وسع له، إن شاء أن يقيم، وإن شاء أن يخرج، ولم يؤذن له في الخروج. والثالث: أن المعنى: فظن أنه يعجز ربه، فلا يقدر عليه، رواه عوف عن الحسن.

وقال ابن زيد، وسليمان التيمي: المعنى: أظن أن لن نقدر عليه؛ فعلى هذا الوجه يكون استفهاماً قد حذفت ألفه؛ وهذا الوجه يدل على أنه من القدرة، ولا يتصور إلا مع تقدير الاستفهام، ولا أعلم له وجهاً إلا أن يكون استفهام إنكار، تقديره: ما ظن عجزنا، فأين يهرب منا؟

قوله تعالى: ﴿فَنَكَدَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ فيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، وظلمة الليل، قاله سعيد بن جبير، وقتادة، والأكثر.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٢).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٨٧).

والثاني: أنَّ حوتاً جاء فابتلع الحوتَ الذي هو في بطنه، فنادى في [٥٥٧/أ] ظلمة حوت، [ثمَّ في ظلمة حوت] ^(١)، ثمَّ في ظلمة البحر، قاله سالمُ بنُ أبي الجعدِ.

والثالث: أنَّها ظلمةُ الماء، وظلمةُ معى السمكة، وظلمة بطنها، قاله ابنُ السائبِ.

وقد روى سعدُ بنُ أبي وقاصٍ عن رسولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا مَكْرُوبٌ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ، كَلِمَةٌ أَخِي يُونُسَ: ﴿فَكَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾» ^(٢).
قال الحسنُ: وهذا اعترافٌ من يونسَ بذنبه وتوبة من خطيئته.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ أي: أجبناه ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ أي: من الظلماتِ ﴿وَكَذَلِكَ نُجَيِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إذا دعونا.

وروى أبو بكرٍ عن عاصمٍ أَنَّهُ قَرَأَ: «نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ» بنونٍ واحدةٍ مشددة الجيم ^(٣).

قال الزَّجَّاجُ: وهذا لحن لا وجه له ^(٤).

(١) ما بين المعكوفين زيادة من (س).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١/ ١٧٠)، والترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٦٥٥).

(٣) السبعة (ص: ٤٣٠)، والحجة (٥/ ٢٥٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٣).

وقال أبو عليّ الفارسيّ: غلط الراوي عن عاصم، ويدلّ على هذا إسكانه الياء من نُجِّي، ونصب المؤمنين، ولو كان على ما لم يسمّ فاعله ما سكن الياء، ولرفع المؤمنين^(١).

قوله تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (٨٩) ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ، يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْأَخْيَارِ وَيَدْعُونَكَ رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ زَوْجِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ [الأنبياء: ٨٩-٩٢].

قوله تعالى: ﴿لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ أي: وحيداً بلا وليٍّ ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ أي: أفضل من بقي حياً بعد ميت.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ، زَوْجَهُ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أصلحت للولد بعد أن كانت عقيماً، قاله ابنُ عباس، وسعيدُ بنُ جبير، وقتادة.

والثاني: أنه كان في لسانها طول، وهو البذاء فأصلحت، قاله عطاء.

وقال السّديّ: كانت سليطة فكف عنه لسانها.

والثالث: أنه كان خلقها سيئاً، قاله محمّد بنُ كعب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ أي: يسادرون في طاعة الله.

وفي المشار إليهم قولان:

أحدهما: زكريا، وامرأته، ويحيى.

والثاني: جميع الأنبياء المذكورون في هذه السورة.

قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا﴾

وقرأ ابن مسعود، وابنُ مُحَيِّصٍ: «وَيَدْعُونَا» بنونٍ واحدة^(١).

قوله تعالى: ﴿رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ أي: رغبا فيما عندنا، ورهبا منا.

وقرأ الأعمش: «رُغْبًا وَرُهْبًا» بضمِّ الرَّاءَيْنِ وجزم الغين والهاء^(٢)، وهما لغتان مثل النُّحْل، والنَّحْل^(٣)، والسَّقَم، والسَّقَم.

﴿وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ أي: متواضعين.

قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه مخرج الولد، والمعنى: منعتة مما لا يحلُّ، وإنها وصفت بالعفاف لأنَّها قذفت بالزَّنا.

(١) عن طلحة بن مُصْرَفٍ في التحصيل (٤/٤٠٥).

(٢) في البحر المحيط (٧/٤٦٣) عن الأعمش، وانظر: المحرر (٤/٩٨)، وإعراب القراءات الشواذ (٢/١١٥).

(٣) في (س): (البُّحْل، والبَّحْل).

والثاني: أنه جيب درعها، ومعنى الفرج في اللغة: كل فرجة بين شيئين، وموضع جيب درع المرأة مشقوق، فهو يسمّى فرجاً، وهذا أبلغ في الثناء عليها، لأنها إذا منعت جيب درعها، فهي لنفسها أمنع.

قوله تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ أي: أمرنا جبريل، فنفخ في درعها، فأجرينا فيها روح عيسى كما تجري الريح بالنفخ، وأضاف الروح إليه إضافة الملك، للتشريف والتخصيص.

﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً﴾.

قال الزجاج: لما كان شأنهما واحداً، كانت الآية فيهما آية واحدة، وهي ولادة من غير فعل^(١).

[٥٥٧/ب]

وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبلّة: «آيتين» على التثنية^(٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ﴾.

قال ابن عباس: المراد بالأمّة هاهنا: الدين^(٣).

وفي المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنهم أمّة محمد ﷺ، وهو معنى قول مقاتل^(٤).

والثاني: أنهم الأنبياء، قاله أبو سليمان الدمشقي.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٤).

(٢) لم أقف عليها في المصادر.

(٣) رواه ابن جرير الطبري (١٦/ ٣٩٢)، وابن أبي حاتم (١٣٧٢٢) في تفسيرهما.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٩٢).

ثم ذكر أهل الكتاب، فذمهم بالاختلاف، فقال تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي: اختلفوا في الدين، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ أي: شيئاً من الفرائض وأعمال البر ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ أي: لا نجحاً ما عمل، قاله ابن قتيبة^(١).

والمعنى: أنه يقبل منه، ويثاب عليه ﴿وَلِئَلَّا لَهُ كَفِيتٌ﴾ ذلك، نأمر الحفظة أن يكتبوه لنجازيه به.

قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْ عَلَى قَرَبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (١٥) حَقَّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (١٦) وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا تَوَلَّيْنَا قَدَكُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (١٧) إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ (١٨) لَوْ كَانَتْ هَتُولَاءَ إِلَهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (١٩) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (٢٠) ﴿[الأنبياء: ٩٥-١٠٠].

قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْ عَلَى قَرَبَةٍ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وحفص عن عاصم: ﴿وَحَرَّمْ﴾ بالفتح.

وقرأ حمزة، والكسائي: وأبو بكر عن عاصم: «وَحَرَّمَ» بكسر الحاء من غير ألف، وهما لغتان. يقال: حَرَّمَ وَحَرَّمَ^(٢).

(١) انظر: غريب القرآن (ص: ٢٨٨).

(٢) السبعة (ص: ٤٣١)، والحجة (٥/ ٢٦١)، والمبسوط (١/ ٣٠٣).

وقرأ معاذُ القاري، وأبو المتوكل، وأبو عمران الجوني: «حَرُمَ» بفتح الحاء وسكون الرَّاء من غير ألفٍ والميم مرفوعة منوَّنة^(١).

وقرأ سعيدُ بنُ جبير: «وَحَرُمَ» بفتح الحاء وسكون الرَّاء ونصب الميم من غير تنوينٍ ولا ألفٍ^(٢).

وقرأ أبو الجوزاء، وعكرمة، والضحاك: «وَحَرِمَ» بفتح الحاء والميم وكسر الرَّاء من غير تنوينٍ ولا ألفٍ^(٣).

وقرأ سعيدُ بنُ المسيب، وأبو مجليز، وأبو رجاء: «وَحَرُمَ» بفتح الحاء وضمَّ الرَّاء ونصب الميم من غير ألفٍ^(٤).

وفي معنى قوله تعالى: ﴿وَحَرُمَ﴾ قولان:

أحدهما: واجب، قاله ابنُ عباس، وأنشدوا في معناه [من الطويل]^(٥):

فإنَّ حَرَامًا لَا أَرَى الدَّهْرَ بَاكِيًا عَلَى شَجْوَةٍ إِلَّا بَكَيْتُ عَلَى عَمْرٍو
أي: واجب.

والثاني: أنَّه بمعنى العزم، قاله سعيدُ بنُ جبير.

(١) عن قتادة، ومطر الوراق في التحصيل (٤/٤٠٦)، وفي المحتسب (٢/٦٦) عن ابن عباس .

(٢) المحتسب (٢/٦٥)، والتحصيل (٤/٤٠٦)، والبحر المحيط (٧/٤٦٥).

(٣) المحتسب (٢/٦٥)، والبحر المحيط (٧/٤٦٥).

(٤) المحتسب (٢/٦٥)، والتحصيل (٤/٤٠٦)، والبحر المحيط (٧/٤٦٥).

(٥) البيت لعبد الرحمن بن جمانة المحاربي في غريب القرآن (ص: ٢٨٨)، ولسان العرب (١٢٧/١٢٢)، وتاج العروس (حرم)

وقال عطاء: حتم من الله، والمراد بالقرية: أهلها.

ثم في معنى الآية أربعة أقوال:

أحدها: واجبٌ على قريةٍ أهلكناها أنَّهُم لا يتوبون، رواه عكرمة، عن ابن عباسٍ.

والثاني: واجبٌ عليها أنْها إذا أهلكت لا ترجع إلى دنياها، هذا قول قتادة؛ وقد روي عن ابن عباسٍ نحوه.

والثالث: أن «لا» زائدة؛ والمعنى: حرامٌ على قريةٍ مهلكة أنَّهُم يرجعون إلى الدنيا، قاله ابن جريج، وابن قتيبة في آخرين^(١).

والرابع: أن الكلامَ متعلِّقٌ بما قبله، لأنَّه لما قال: فلا كفرانَ لسعيه أعلمنا أنَّه قد حرم قبولُ أعمالِ الكفار؛ فمعنى الآية: وحرامٌ على قريةٍ أهلكناها أن يتقبَّلَ منهم عمل، لأنَّهُم لا يتوبون، هذا قولُ الزَّجاج^(٢).

فإن قيل: كيف يصحُّ أن يحرم على الإنسان ما ليس من فعله، ورجوعهم بعد الموت ليس إليهم؟

فالجواب: أن المعنى: منعوا من ذلك، كما يمنع الإنسان من الحرام وإن قدر عليه، فكان التشبيه بالتحريم للحالتين من حيث المنع.

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُشِّتِ يَاجُوجُ وَمَاجُوجُ﴾.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٨).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤٠٤/٣).

وقرأ ابنُ عامر: «فُتِّحَتْ» بالتَّشديد^(١)، والمعنى: فتح الردم عنهم.

﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾.

قال ابنُ قُتيبة: من كلِّ نَشِيزٍ من الأرضِ وأَكْمَةٍ ﴿يَنْسِلُونَ﴾ [٥٥٨/أ] من النَّسْلان: وهو مقاربةُ الخطو مع الإسراع، كمشي الذئبِ إذا بادر، والعَسَلان مثله^(٢).

وقال الزَّجَّاجُ: الحدب: كل أكمة، و﴿يَنْسِلُونَ﴾: يُسْرِعُونَ^(٣).

وقرأ أبو رجاء العطاردي، وعاصمُ الجحدري: «يَنْسِلُونَ» بضمِّ السَّينِ^(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ﴾ قولان:

أحدهما: أنه إشارةٌ إلى يأجوج ومأجوج، قاله الجمهورُ.

والثاني: إلى جميع النَّاسِ؛ فالمعنى: وهم يحشرون إلى الموقفِ، قاله مجاهدٌ، والأوَّلُ أصحُّ.

فإن قيل: أين جواب حتَّى؟ ففيه قولان:

أحدهما: أنه قوله تعالى: ﴿وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ والواو في قوله تعالى: ﴿وَأَقْتَرَبَ﴾ زائدةٌ، قاله الفَرَّاءُ. قال: ومثله ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ وَهَا

(١) السبعة (ص: ٤٣١)، والمبسوط (١/٣٠٣).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٨٨).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/٤٠٥).

(٤) عن ابن أبي إسحاق في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٥)، والتحصيل (٤/٤٠٧)، وفي الكامل (ص: ٦٠٢) عن أبي السَّيَّال.

وَفَتَحَتْ أَبْوْبَهَا ﴿[الزمر: ٧٣] ، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَتَلَمَّا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ (١٣) وَتَدَيَّنَتْهُ ﴿[الصفات: ١٠٣-١٠٤]، المعنى: نادينه^(١).

وقال عبد الله بن مسعود: السَّاعَةُ مِنَ النَّاسِ بَعْدَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، كَالْحَامِلِ الْمَتَمِّ، لَا يَدْرِي أَهْلُهَا مَتَى تَفْجُؤُهُمْ بَوْلُهَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا^(٢).

والثاني: أَنَّهُ قَوْلٌ مَحْذُوفٌ فِي قَوْلِهِ: ﴿يَتَوَلَّنَا﴾ ﴿فَالْمَعْنَى: [حَتَّى] (٣) إِذَا فَتَحَتْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ، قَالُوا: يَا وَلِنَا.

قال الرَّجَّاجُ: هَذَا قَوْلُ الْبَصْرِيِّينَ^(٤).

فَأَمَّا ﴿الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ فَهُوَ الْقِيَامَةُ.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ في «هي» أربعة أقوال:

أحدها: أَنَّ هِيَ كُنَايَةٌ عَنِ الْأَبْصَارِ، وَالْأَبْصَارُ تَفْسِيرُ لَهَا، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ [مِنَ الطَّوِيلِ] (٥):

لَعَمْرُو أَبِيهَا لَا تَقُولُ ظَعِينَتِي أَلَا فَرَّ عَنِّي مَالِكُ بْنُ أَبِي كَعْبٍ
فَذَكَرَ الظَّعِينَةَ، وَقَدْ كُنِيَ عَنْهَا فِي «لَعَمْرُو أَبِيهَا».

(١) معاني القرآن (٢/ ٢١١).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٦/ ٢٠)، وابن ماجه (٤٠٨١)، وأبو يعلى (٥٢٩٤)، والحاكم في المستدرک (٤/ ٤٨٨-٤٨٩) وغيرهم عن ابن مسعود مرفوعاً، في حديث طويل.

(٣) زيادة من (س).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٠٥).

(٥) البيت في تفسير ابن جرير الطبري (١٦/ ٣٠٩)، وحامسة الخالدين (١/ ٢١).

والثاني: أن «هي» عمادٌ، ويصلح في موضعها هو، ومثله قول: ﴿أَنَا اللَّهُ﴾ [النمل: ٩]، وقوله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ [الحج: ٤٦] وأنشدوا [من الطويل] ^(١):

بِثُوبٍ وَدِينَارٍ وَشَاةٍ وَدِرْهَمٍ فَهَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ بِمَا هَهُنَا رَأْسُ
ذكرهما الفراء ^(٢).

والثالث: أن يكون تمام الكلام عند قوله: «هي» على معنى: فإذا هي بارزة واقفة، يعني: من قربها، كأنها آتية حاضرة، ثم ابتداء فقال: ﴿شَخْصَةً﴾، ذكره الثعلبي ^(٣).

والرابع: أن «هي» كناية عن القصة، والمعنى: القصة أن أبصارهم شاخصة في ذلك اليوم، ذكره علي بن أحمد النيسابوري ^(٤).

قال المفسرون: تشخص أبصار الكفار من هول يوم القيامة، ويقولون: ﴿يَتَوَلَّنَا﴾ أي: في الدنيا ﴿قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ أي: عن هذا ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أنفسنا بكفرنا ومعاصينا.

ثم خاطب أهل مكة، فقال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأصنام ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾.

(١) بلا نسبة في الدرر (٥/ ٢٨٤-٢٨٧)، وشرح التصريح (٢/ ٧٢)، وجمع الهوامع (٢/ ٩٩).

(٢) انظر: معاني القرآن (٢/ ٢١٢).

(٣) الكشف والبيان (٦/ ٣٠٩).

(٤) تفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٢٥٢).

وقرأ عليُّ بنُ أبي طالبٍ، وأبو العالية، وعمرُ بنُ عبدِ العزيز: «حَطَبٌ» بالطَّاءِ^(١).

وقرأ ابنُ عَبَّاسٍ، وعائشةُ، وابنُ السَّمِيعِ: «خَضَبٌ» بالضَّادِ المعجمة المفتوحة^(٢).

وقرأ عروَةُ، وعكرمةُ، وابنُ يعمرَ، وابنُ أبي عبلَةَ: «حَضَبٌ جهنَّم» بإسكان الضَّادِ المعجمة.

وقرأ أبو المتوكِّل، وأبو حيوةَ، ومعاذُ القارئ: «حِضْبٌ» بكسرِ الحاءِ مع تسكين الضَّادِ المعجمة^(٣).

وقرأ أبو مجلَزٍ، وأبو رجاءٍ، وابنُ محيصنَ: «حَضْبٌ» بفتح الحاءِ وبصاَدٍ غير معجمة ساكنة^(٤).

[٥٥٨/ب] قال الزَّجَّاجُ: من قرأ: ﴿حَضْبٌ جَهَنَّم﴾ فمعناه: كل ما يرمى به فيها، ومن قرأ: «حَطَبٌ» فمعناه: ما توقد به، ومن قرأ بالضَّادِ المعجمة، فمعناه: ما تهيج به النَّار وتذكى به^(٥).

(١) عن علي بن أبي طالب، وعائشة، وابن الزبير في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٥)، والمحاسب (٦٧/٢)، والتحصيل (٤٠٧/٤)، وزاد في المحرر (١٠١/٤) أيًّا.

(٢) مختصر ابن خالويه (ص: ٩٥)، والتحصيل (٤٠٧/٤).

(٣) انظر: المحرر (١٠١/٤).

(٤) عن ابن السميع في التحصيل (٤٠٧/٤)، والمحرر (١٠١/٤).

(٥) معاني القرآن وإعرابه (٤٠٦/٣).

قال ابنُ قُتَيْبَةَ: الحَصْب: ما أُلْقِيَ فيها، وأصلُه من الحَصْبَاء، وهو الحصى، يقال: حَصَبْتُ فلانًا، إذا رميته حَصْبًا — بتسكين الصَّادِ — وما رَمَيْتَ به: فهو حَصَبٌ، بفتح الصَّادِ^(١).

قوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ﴾ يعني: العابدين والمعبودين ﴿لَهَا وَرَدُّونَ﴾ أي: داخلون.

﴿لَوْ كَانَتْ هَتُؤُلَاءِ﴾ يعني: الأصنام ﴿ءَالِهَةً﴾ على الحقيقة ﴿مَا وَرَدُّوهَا﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه إشارة إلى الأصنام، والمعنى: لو كانوا آلهة ما دخلوا النَّارَ.

والثاني: أنه إشارة إلى عابديها، فالمعنى: لو كانت الأصنام آلهة، منعت عابديها دخول النَّارِ.

والثالث: أنه إشارة إلى الآلهة وعابديها، بدليل قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ يعني: العابد والمعبود.

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ قد شرحنا معنى الزَّفِيرِ في هود^(٢)، وفي علَّة كونهم لا يسمعون ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يوضع في مسامعهم مسامير من نارٍ، ثمَّ يقذفون في تواييت من نارٍ مقفلة عليهم، رواه أبو أمامة عن رسول الله ﷺ في حديثٍ طويل^(٣).

(١) غريب القرآن (ص: ٢٨٨).

(٢) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (١٠٦).

(٣) لم نقف على هذا اللفظ.

وقال ابن مسعود: إذا بقي في النار من يخلد فيها، جعلوا في توايت من نار، ثم جعلت تلك التوايت في توايت أخرى، فلا يسمعون شيئاً، ولا يرى أحدهم أن في النار أحداً يعذب غيره^(١).

والثاني: أن السماع أنس، والله لا يحب أن يؤنسهم، قاله عون بن عمار.

والثالث: إنما لم يسمعوا لشدة غليان جهنم، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ (١٠٢) لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ وَنَلَقْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣) يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا أَنَا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٤) وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَاكِدِينَ (١٠٦) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَادَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ (١٠٩) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (١١٠) وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَيَّ حِينَ (١١١) قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (١١٢) ﴿[الأنبياء: ١٠١-١١٢].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾.

سبب نزولها: أنه لما نزلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٥٣).

حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴿ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى قَرِيشٍ، وَقَالُوا: شَتَمَ آلَهُنَا، فَجَاءَ ابْنُ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: مَا لَكُمْ؟ قَالُوا: شَتَمَ آلَهُنَا، قَالَ: وَمَا قَالَ؟ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: ادْعُوهُ لِي، فَلَمَّا دَعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا شَيْءٌ لآلِهِنَا خَاصَّةً، أَوْ لِكُلِّ مَنْ عَبْدَ مَنْ دُونَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ لِكُلِّ مَنْ عَبْدَ مَنْ دُونَ اللَّهِ، فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: خُصِمْتَ وَرَبُّ هَذَا الْبَنِيَّةِ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ عِبَادُ صَالِحِينَ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدٌ صَالِحٌ، وَأَنَّ عَزِيرًا عَبْدٌ صَالِحٌ، فَهَذِهِ بَنُو مَلِيحٍ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ، وَهَذِهِ النَّصَارَى تَعْبُدُ عِيسَى، وَهَذِهِ الْيَهُودُ تَعْبُدُ عَزِيرًا، فَضَجَّ أَهْلُ مَكَّةَ، فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَه ابْنُ عَبَّاسٍ^(١).

وقال الحسين بن الفضل: إِنَّمَا أَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ الأصنام دون غيرها، لِأَنَّهُ لَوْ أَرَادَ الْمَلَائِكَةَ وَالنَّاسَ، لَقَالَ: وَمَنْ، وَقِيلَ: «إِنْ» بِمَعْنَى: إِلَّا، فَتَقْدِيرُهُ: إِلَّا الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مَنَا الْحُسْنَى، وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَأَبِي نَهْلِكَ، فَإِنَّهُمَا قَرَأَا: «إِلَّا الَّذِينَ».

وروي عن علي بن أبي طالب أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ، فَقَالَ: أَنَا مِنْهُمْ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ، وَسَعْدُ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ^(٢). [٥٥٩/أ]

(١) رواه الواحدي في أسباب النزول (٣٠٥ / ١) بإسناد جيد عن ابن عباس.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (٦٨١ / ٥) من طريق أصبغ، به.

ورواه ابن عدي في الكامل (٢٤ / ٤) من طريق ذواد الحارثي، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٧٤٨) عن محمد بن الحسين الهمداني، كلاهما (محمد الهمداني، وذواد الحارثي) عن ليث بن أبي سليم، عن عم النعمان بن بشير، عن النعمان بن بشير، عن علي، به. وذواد الحارثي ضعيف، وكذا ليث بن أبي سليم.

وفي المراد بـ ﴿الْحُسْنَى﴾ قولان:

أحدهما: الجنة، قاله ابنُ عباسٍ، وعكرمةُ.

والثاني: السَّعادةُ، قاله ابنُ زيدٍ.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَنْهَا﴾ أي: عن جهنم، وقد تقدّم ذكرها ﴿مُبْعَدُونَ﴾ والبعد: طول المسافة، والحسيس: الصَّوتُ تسمعه من الشيء إذا مرَّ قريباً منك.

قال ابنُ عباسٍ: لا يسمع أهل الجنة حسيس أهل النار إذا نزلوا منازلهم من الجنة^(١).

قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾.

وقرأ أبو رزين، وقتادة، وابنُ أبي عبلّة، وابنُ مُحيصنٍ، وأبو جعفرٍ والشيزري عن الكسائي: «لَا يُحْزِنُهُمْ» بضمّ الياء وكسر الزاي^(٢).

وفي ﴿الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنّه النَّفخةُ الآخرةُ، رواه العوفي عن ابنِ عباسٍ؛ وبهذه النَّفخة يقوم النَّاسُ من قبورهم، ويدلُّ على صحّة هذا الوجه قوله تعالى: ﴿وَنُلْقِيَهُمُ الْمَلَكَةَ﴾.

والثاني: أنّه إطباقُ النارِ على أهلها، رواه سعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ، وبه قال الضَّحَّاكُ.

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٢١/١٦) من طريق عطية العوفي، به.

(٢) انظر: المبسوط (١٧١/١).

والثالث: أنه ذبح الموت بين الجنة والنار، وهو مروى عن ابن عباس أيضاً، وبه قال ابن جريج.

والرابع: أنه حين يؤمر بالعبء إلى النار، قاله الحسن البصري.

وفي مكان تلقى الملائكة لهم قولان:

أحدهما: إذا قاموا من قبورهم، قاله مقاتل^(١).

والثاني: على أبواب الجنة، قاله ابن السائب.

قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ﴾ فيه إضمار: يقولون هذا يومكم ﴿الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فيه الجنة.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾.

وقرأ أبو العالية، وابن أبي عتبة، وأبو جعفر: «تُطَوَّى» بقاء مضمومة «السَّاءُ» بالرفع^(٢)؛ وذلك بمحو رسومها، وتكدير نجومها، وتكوير شمسها، ﴿كَطَيِّ السَّجِلِ لِلْكِتَابِ﴾.

قرأ الجمهور: ﴿السَّجِلِ﴾ بكسر السين والجيم وتشديد اللام.

وقرأ الحسن، وأبو المتوكل، وأبو الجوزاء، ومحبوب عن أبي عمرو: «السَّجَلِ» بكسر السين وإسكان الجيم خفيفة^(٣).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٩٤).

(٢) عن أبي جعفر المدني في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٥)، وفي التحصيل (٤/ ٤٠٧).

(٣) عن أبي زيد، وهارون، عن أبي عمرو، والحسن في التحصيل (٤/ ٤٠٨)، والمحرر (٤/ ١٠٢)، وزاد في البحر المحيط (٧/ ٤٧١) عيسى.

وقرأ أبو السماك كذلك، إلا أنه فتح الجيم^(١).

قوله تعالى: ﴿لِّلْكُتُبِ﴾.

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر: «لِلْكِتَابِ».

وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم: ﴿لِّلْكُتُبِ﴾ على الجمع^(٢).

وفي ﴿السَّجِلِ﴾ أربعة أقوال:

أحدها: أنه ملك، قاله علي بن أبي طالب، وابن عمر، والسدي.

والثاني: أنه كاتب كان لرسول الله ﷺ، رواه أبو الجوزاء، عن ابن عباس.

والثالث: أن السَّجَلَ بمعنى: الرَّجُل، رواه أبو الجوزاء أيضاً عن ابن

عبّاس، قال: السجل: هو الرَّجُل^(٣).

قال الشيخ^(٤): قال شيخنا أبو منصور اللغوي: وقد قيل: السَّجْلُ

بلغه الحبشة: الرَّجُل^(٥).

والرابع: أنه الصَّحيفة، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس^(٦)، وبه

(١) «السَّجْلُ» عن أبي السَّمال في التحصيل (٤/٤٠٨)، والمحزر (٤/١٠٢)، وفي البحر المحيط (٧/٤٧١) زاد الأعمش، وطلحة.

(٢) السبعة (ص: ٤٣١)، والحجة (٥/٢٦٢-٢٦٣)، والتيسير (ص: ١٥٥).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/٤٢٤).

(٤) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (س).

(٥) المعرب (ص: ٣٨٤).

(٦) رواه ابن جرير في تفسيره (١٦/٤٢٤) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

قال مجاهدٌ، والفرَّاءُ، وابنُ قُتَيْبَةَ^(١).

قال الشَّيْخُ^(٢): «وقرأتُ على شيخنا أبي منصورٍ، قال: قال أبو بكرٍ، يعني - ابن دريدٍ: السَّجَلُ: الكتابُ، والله أعلم؛ ولا ألفتُ إلى قولهم: إنَّه فارسيٌّ معرَّبٌ، والمعنى: كما يطوى السَّجَلُ على ما فيه من كتاب، واللامُ بمعنى على^(٣)».

وقال بعضُ العلماء: المراد بالكتابِ: المكتوبُ، فلمَّا كان المكتوبُ ينطوي بانطواء الصَّحِيفَةِ، جعل السَّجَلُ كأنَّه يطوي الكتابُ. [٥٥٩/ب]

ثمَّ استأنف، فقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ الخلق هاهنا مصدرٌ، وليس بمعنى المخلوق.

وفي معنى الكلام أربعة أقوال:

أحدها: كما بدأناهم في بطونِ أمَّهاتهم حفاةَ عِراءَ غُرَلا، كذلك نعيدهم يوم القيامة؛ روي عن ابنِ عَبَّاسٍ، عن رسولِ الله ﷺ أَنَّهُ قال: «يُخَشِّرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاءَ حُفَاةَ غُرَلا كَمَا خُلِقُوا»، ثمَّ قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾^(٤)، وإلى هذا المعنى ذهب مجاهدٌ.

والثاني: أنَّ المعنى: إِنَّا نهلك كل شيءٍ كما كان أَوَّلَ مرَّةٍ، رواه العوفيُّ عن ابنِ عَبَّاسٍ.

(١) معاني القرآن (٢/٢١٣)، وغريب القرآن (ص: ٢٨٨).

(٢) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (س).

(٣) المعرب (٣٨٤-٣٨٥).

(٤) رواه البخاري (٤٦٢٥)، ومسلم (٢٨٦٠).

والثالث: أَنَّ السَّمَاءَ تَمَطَّرُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا كَمَنِي الرِّجَالِ، فَيَنْبَتُونَ بِالْمَطَرِ فِي قُبُورِهِمْ، كَمَا يَنْبَتُونَ فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ، رَوَاهُ أَبُو صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.
والرابع: أَنَّ الْمَعْنَى: قَدَرْتَنَا عَلَى الْإِعَادَةِ كَقَدَرْتَنَا عَلَى الْإِبْتِدَاءِ، قَالَ الزَّجَّاجُ^(١).
قوله تعالى: ﴿وَعَدًا﴾.

قال الزَّجَّاجُ: هُوَ مَنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ، لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿تُعِيدُهُ﴾ بِمَعْنَى: وَعَدْنَا هَذَا وَعَدًا ﴿إِنَّا كُنَّا فَعْلِيلِينَ﴾ أَي: قَادِرِينَ عَلَى فَعْلِ مَا نَشَاءُ^(٢).
وقال غيره: ﴿إِنَّا كُنَّا فَعْلِيلِينَ﴾ مَا وَعَدْنَا.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ فِيهِ أَرْبَعَةُ أَقْوَالٍ:
أحدها: أَنَّ ﴿الزَّبُورَ﴾ جَمِيعُ الْكُتُبِ الْمُنْزَلَةِ مِنَ السَّمَاءِ، وَ﴿الذِّكْرُ﴾: أَمُّ الْكِتَابِ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ، قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ فِي رِوَايَةٍ، وَمَجَاهِدٌ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ ابْنِ جَبْرِ، فَإِنَّهُ قَالَ: ﴿الزَّبُورُ﴾: التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالْقُرْآنُ، وَ﴿الذِّكْرُ﴾: الَّذِي فِي السَّمَاءِ.
والثاني: أَنَّ ﴿الزَّبُورَ﴾: الْكُتُبُ، وَ﴿الذِّكْرُ﴾: التَّوْرَةُ، رَوَاهُ الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

والثالث: أَنَّ ﴿الزَّبُورَ﴾: الْقُرْآنُ، وَ﴿الذِّكْرُ﴾: التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ، قَالَهُ سَعِيدُ بْنُ جَبْرِ فِي رِوَايَةٍ.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤٠٦/٣).

(٢) المصدر السابق.

والرابع: أَنَّ ﴿الزُّبُرِ﴾: زبور داود، و﴿الذِّكْرِ﴾: ذكر موسى، قاله الشعبي.

وفي ﴿الْأَرْضِ﴾ المذكورة هاهنا ثلاثة أقوال:

أحدها: أَنَّها أرض الجنة، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس، وبه قال الأكثرون.

والثاني: أرض الدنيا، وهو منقول عن ابن عباس أيضًا.

والثالث: الأرض المقدسة، قاله ابن السائب.

وفي قوله تعالى: ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ ثلاثة أقوال:

أحدها: أَنَّهُم أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس.

وفي رواية: تَرِثُ أُمَّةُ مُحَمَّدٍ أرض الدنيا بالفتح.

والثاني: بنو إسرائيل، قاله ابن السائب.

والثالث: أَنَّهُ عامٌّ في كُلِّ صالح، قاله بعض فقهاء المفسرين.

قوله تعالى: ﴿إِنْ فِي هَذَا﴾ يعني: القرآن ﴿لَبَلَاغًا﴾ أي: لكفاية؛

والمعنى: أَنَّ مَنْ اتَّبَعَ القرآن وعمل به، كان القرآن بَلَاغَهُ إلى الجنة.

وقوله تعالى: ﴿لَقَوْمٍ عَكِيدِينَ﴾.

قال كعب: هم أُمَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ الذين يَصَلُّون الصَّلَوات الخمس

ويصومون شهر رمضان^(١).

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٣٨/١٦).

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

قال ابن عباس: هذا عامٌ للبرِّ والفاجر، فمن آمن به تمت له الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن كفر به صُرفت عنه العقوبة إلى الموت والقيامة^(١).

[٥٦٠/أ] وقال ابن زيد: هو رحمة لمن آمن به خاصة^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

قال ابن عباس: فهل أنتم مخلصون له العبادة؟

قال أهل المعاني: هذا استفهامٌ بمعنى الأمر.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أي: أعرضوا ولم يؤمنوا ﴿فَقُلْ أَذْنُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ في معنى الكلام قولان:

أحدهما: نابذتكم وعاديتكم وأعلمتكم ذلك، فصرت أنا وأنتم على سواءٍ قد استويينا في العلم بذلك، وهذا من الكلام المختصر، قاله ابن قتيبة^(٣).
والثاني: أعلمتكم بالوحي إلي لتستووا في الإيذان به، قاله الزجاج^(٤).

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٤٠) من طريق سعيد بن جبير، به، بنحوه.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٤٠-٤٤١).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٨٩).

(٤) معاني القرآن وإعراجه (٣/ ٤٠٨).

قوله تعالى: ﴿وَلِنْ أَدْرِيٓ﴾ أي: وما أدري ﴿أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوْعَدُونَ﴾ بنزول العذاب بكم.

﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾ وهو ما يقولونه للنبي ﷺ: متى هذا الوعد؟ و﴿مَا تَكْتُمُونَ﴾ إسرارهم أن العذاب لا يكون.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُ فِتْنَةً لَّكُمْ﴾ في هاء ﴿لَعَلَّهُ﴾ قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى ما آذنههم به، قاله الزجاج^(١).

والثاني: إلى العذاب؛ فالمعنى: لعل تأخير العذاب عنكم فتنة، قاله ابن جرير^(٢)، وأبو سليمان الدمشقي.

ومعنى الفتنة هاهنا: الاختبار، ﴿وَمَتَّعُ إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: تستمتعون إلى انقضاء آجالكم.

﴿قُلْ رَبِّ﴾ وروى حفص عن عاصم: ﴿قُلْ رَبِّ﴾^(٣)، ﴿أَحْكُمُ﴾ قرأ أبو جعفر: «رَبُّ أَحْكُمُ» بضم الباء^(٤).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤٠٨/٣).

(٢) تفسير ابن جرير الطبري (٤٤٢/١٦).

(٣) السبعة (ص: ٤٢٨)، والتيسير (ص: ١٥٤).

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٦) عن أبي جعفر المدني، ورواية عن ابن كثير.

وروى زيدٌ، عن يعقوبَ: «رَبِّي» بفتح الياءِ «أَحْكَمُ» بقطع الهمزة وفتح الكافِ ورفع الميم^(١).

ومعنى ﴿أَحْكَمُ بِالْحَقِّ﴾ أي: بعذاب كفارِ قومي الذي نزوله حقٌ، فحكم عليهم بالقتل في يوم بدرٍ وفيما بعده من الأيام؛ والمعنى على هذا: افصل بيني وبين المشركين بما يظهر به الحق.

ومعنى ﴿عَلَى مَا نَصِفُونَ﴾ أي: من كذبكم وباطلكم.

وقرأ ابنُ عامرٍ، والمفضل عن عاصمٍ: «يَصِفُونَ» بالياءِ^(٢).

فإن قيل: فهل يجوز على الله أن يحكم بغير الحق؟

فالجواب: أنَّ المعنى: احكم بحكمك الحق، كأنه استعجل النصرَ عليهم.

(١) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٦) عن أبي جعفر «أَحْكَمُ بِالْحَقِّ»، وانظر: التحصيل (٤/ ٤٠٨).

(٢) السبعة (ص: ٤٣٢).

سورة الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفُقُوا رَبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ۝ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝﴾ [الحج: ١-٤].

فصل في نزولها

روى أبو صالح، عن ابن عباس: أنها مكية كلها، غير آيتين نزلتا بالمدينة: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١٢، ١٣]، والتي تليها.

وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنها مدنية إلا أربع آيات نزلت بمكة، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ إلى آخر الأربعة^(١).

وقال عطاء بن يسار: نزلت بمكة إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ﴾ واللتان بعدها [الحج: ٢٠-٢٢]^(٢).

وقال أبو سليمان الدمشقي: أولها مدني إلى قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٧] وسائرهما مكِّي.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١١١)، ولجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢/ ١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٢/ ١).

وقال الثعلبي: هي مكّة غير ست آيات نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿بَنِيَّ فِي﴾ إلى قوله تعالى: ﴿الْحَمِيد﴾ [الحج: ٢٠، ٢٥] (١).

وقال هبة الله بن سلامة: هي من أعاجيب سور القرآن، لأنّ فيها مكّيّا، ومدنيّا، وحضريّا، وسفريّا، وحريّا، وسلميّا، وليليّا، ونهاريّا، وناسخا، ومنسوخا.

فأمّا المكيّ: فمن رأس الثلاثين منها إلى آخرها.

وأمّا المدنيّ: فمن رأس خمس وعشرين إلى رأس ثلاثين.

وأمّا الليليّ: فمن أولها إلى آخر خمس آيات.

وأمّا النهاريّ: فمن رأس خمس آيات إلى رأس تسع.

وأمّا السفريّ: فمن رأس تسع إلى اثنتي عشرة. [٥٦٠/ب]

وأمّا الحضريّ: فإلى رأس العشرين منها، نسب إلى المدينة، لقرب مدّته.

قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: احذروا عقابه ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ الزلزلة: الحركة على الحالة الهائلة.

وفي وقت هذه الزلزلة قولان:

أحدهما: أنّها يوم القيامة بعد النشور.

روى عمران بن حصين، عن رسول الله ﷺ أنّه قرأ: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ وقال: «أتدرون أيّ يوم ذاك؟ قال: ذاك يوم يُنادى

آدَمَ، فَيَنَادِيهِ رَبُّهُ فَيَقُولُ: يَا آدَمُ ابْعَثْ بَعْثًا إِلَى النَّارِ..» فذكر الحديث^(١).
 وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِآدَمَ: قُمْ فَأَبْعَثْ بَعْثَ النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ إِلَى النَّارِ، فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الْمَوْلُودُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا»، وقرأ الآية^(٢).

وقال ابنُ عباسٍ ﴿ زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ ﴾: قِيَامُهَا^(٣)، يعني: أنها تقارب قيام الساعة، وتكون معها.

وقال الحسن^(٤)، والسُّدِّيُّ: هذه الزلزلة تكون يوم القيامة.

والثاني: أنها تكون في الدنيا قبل القيامة، وهي من أشرار السَّاعة، قاله علقمة، والشَّعْبِيُّ، وابنُ جريج.

وروى أَبُو الْعَالِيَةِ، عن أَبِي بِنِ كَعْبٍ، قَالَ: سِتُّ آيَاتٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: بَيْنَا النَّاسُ فِي أَسْوَاقِهِمْ، إِذْ ذَهَبَ ضَوْءُ الشَّمْسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ تَنَاضَرَتِ النُّجُومُ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ وَقَعَتِ الْجِبَالُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَتَحَرَّكَتْ، وَاضْطَرَبَتْ، وَاحْتَرَقَتْ، وَفَزَعَتِ الْجَنُّ إِلَى الْإِنْسِ، وَالْإِنْسُ إِلَى الْجِنِّ، وَاخْتَلَطَتِ الدَّوَابُّ، وَالطَّيْرُ، وَالْوَحْشُ، وَمَاجُوا بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ،

(١) رواه الحميدي في مسنده (٨٣١)، وأحمد (٤/ ٤٣٢)، والترمذي (٣١٦٨)، والنسائي في الكبرى (١١٢٧٧).

(٢) رواه أحمد (٣/ ٣٢)، وعبد بن حميد (٩١٧)، والبخاري (٣٣٤٨)، ومسلم (٢٢٢).

(٣) أورده البغوي في تفسيره (٣/ ٣٢٢).

(٤) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٥٠) مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

فَقَالَتِ الْجِنَّ لِلْإِنْسِ: نَحْنُ نَأْتِيكُمْ بِالْخَيْرِ؛ قَالَ: فَانْطَلَقُوا إِلَى الْبَحَارِ، فَإِذَا هِيَ نَارٌ تَأْجَجُ؛ قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ تَصَدَّعَتِ الْأَرْضُ إِلَى الْأَرْضِ السَّابِغَةِ، وَالسَّمَاءُ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِغَةِ؛ قَالَ: فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرِّيحُ فَمَاتُوا^(١).

وقال مقاتل: هذه الزَّلْزَلَةُ قبل النَّفْخَةِ الأولى، وذلك أن منادياً ينادي من السماء: يا أيها الناس أتى أمر الله، فيفزعون فرعاً شديداً فيشيب الصَّغِيرُ، وتضع الحوامل^(٢).

قوله تعالى: ﴿شَقَّ عَظِيمٌ﴾ أي: لا يوصفُ لعظمه.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ يعني: الزَّلْزَلَةَ.

﴿نَذْهَلُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: تسلو عن ولدها، وتركه، قاله ابنُ قُتَيْبَةَ^(٣).

والثاني: تشغل عنه، قاله قطرب، ومنه قول ابن رَوَاحَةَ [من الرِّجْزِ]^(٤):

وَيَذْهَلُ الْخَلِيلُ عَنْ خَلِيلِهِ

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٢٨/٢٤)، وابن أبي حاتم (١٩١٤٣) في تفسيرهما.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (١١٣/٣).

(٣) غريب القرآن (ص: ٢٩٠).

(٤) في ديوانه (ص: ١٠٢)، وأساس البلاغة (٣٩/١)، والعقد الفريد (٢٠٥/٤).

وقرأ أبو عمران الجوني، وابن أبي عتبة: «تُذْهِل» برفع التاء وكسر الهاء، «كُلَّ» بنصب اللام^(١).

قال الأخفش: وإنما قال: ﴿مُرْضِعَةٌ﴾، لأنه أراد - والله أعلم - الفعل، ولو أراد الصفة فيما نرى، لقال: مُرْضِعٌ^(٢).

قال الحسن: تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام، وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام، وهذا يدل على أن الزلزلة تكون في الدنيا، لأن بعد البعث لا تكون حبل.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَى﴾

وقرأ عكرمة، والضحاك، وابن يعمر، «وترى» بضم التاء^(٣).

ومعنى سكارى: من شدة الخوف ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَرَى﴾ من الشراب، والمعنى: ترى الناس كأئهم سكارى من ذهول عقولهم، لشدة ما يمر بهم، يضطربون اضطراب السكران من الشراب.

[٥٦١/أ]

وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف: «سَكْرَى وَمَا هُمْ بِسَكْرَى»، وهي قراءة ابن مسعود^(٤).

(١) عن ابن أبي عتبة في المحرر (١٠٦/٤)، وزاد في البحر المحيط (٤٨٢/٧) الياني.

(٢) معاني القرآن (٤٥٠/٢).

(٣) عن أبي هريرة، وأبي زرعة في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٦)، وزاد في التحصيل (٤٣٧/٤) الربيع بن أنس، وغيرهم.

(٤) السبعة (ص: ٤٣٤)، والحجة (٢٦٦/٥)، والتيسير (ص: ١٥٦).

قال الفراء: وهو وجهٌ جيّد؛ لأنّه بمنزله الهلّكى والجرحى^(١).
 وقرأ عكرمة، والضحاك، وابن السّميع: «سَكَارَى وَمَاهِم
 بِسَكَارَى» بفتح السّين والرّاء وإثبات الألف^(٢).
 ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فيه دليلٌ على أنّ سكرهم من خوفٍ عذابه.
 قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ قال المفسّرون: نزلت في
 النّضر بن الحارث^(٣).

وفيما جادل فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّه كان كلّما نزل شيءٌ من القرآن كذّب به، قاله ابنُ عبّاسٍ.

والثاني: أنّه زعم أنّ الملائكة بناتُ الله، قاله مقاتل^(٤).

والثالث: أنّه قال: لا يقدر الله على إحياء الموتى، ذكره أبو سليمان الدّمشقيّ.

قوله: ﴿يَغْيِرُ عِلْمٍ﴾ أي: إنّما يقوله بإغواء الشّيطان، لا بعلمٍ ﴿وَيَتَّبِعُ﴾
 ما يسوّل له ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ وقد ذكرنا معنى المريد في سورة
 النّساء^(٥).

(١) معاني القرآن (٢/ ٢١٤).

(٢) عن أبي نهبك، وعيسى في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٦)، وفي التحصيل (٤/ ٤٣٧) عن
 أبي نهبك.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٥٩) من قول ابن جريج.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١١٦).

(٥) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (١١٧).

قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ﴾ ﴿كُتِبَ﴾ بمعنى: قضي، والهاء في ﴿عَلَيْهِ﴾ وفي ﴿تَوَلَّاهُ﴾ كناية عن الشيطان، ومعنى الآية: قُضي على الشيطان أَنَّهُ يُضِلُّ مَنْ اتَّبَعَهُ.

وقرأ أبو عمران الجوني: «كُتِبَ» بفتح الكاف «أَنَّهُ» بفتح الهمزة «فإنه» بكسر الهمزة.

وقرأ أبو مجلز، وأبو العالية، وابن أبي ليلى، والضحاك، وابنُ يعمر: «إِنَّهُ» «فإنه» بكسر الهمزة فيهما^(١).

وقد بينا معنى السعير في سورة النساء^(٢).

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْتُم مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَنَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ يَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾.

[الحج: ٥-٧].

(١) مختصر ابن خالويه (ص: ٩٦)، والتحصيل (٤/ ٤٣٨)، والمحزر (٤/ ١٠٧).

(٢) انظر: تفسير سورة النساء الآية رقم (١٠).

قوله: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ﴾ يعني: أهل مكة ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ﴾ أي: في شك من القيامة ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ يعني: خلق آدم ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ يعني: خلق ولده، والمعنى: إن شككتكم في بعثكم فتدبروا أمر خلقكم وابتدائكم، فإنكم لا تجدون في القدرة فرقاً بين الابتداء والإعادة. فأما النطفة، فهي المنى، والعلقة: دم عبيط جامد. وقيل: سميت علة لوطوبتها وتعلقها بما تمر به، فإذا جفت فليست علة.

والمضغة: لحمه صغيرة.

قال ابن قتيبة: وسميت بذلك، لأنها بقدر ما يُمَضَّغُ، كما قيل: غُرْفَةٌ، بقدر ما يُغْرَفُ^(١).

قوله: ﴿مُخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ﴾ فيه ستة^(٢) أقوال:

أحدها: أن المخلقة: ما خلق سويًا، وغير المخلقة: ما ألقته الأرحام من النطف، وهو دم قبل أن يكون خلقًا، قاله ابن مسعود.

والثاني: أن المخلقة: ما أكمل خلقه بنفخ الروح فيه، وهو الذي يولد حيًا لتمام، وغير المخلقة: ما سقط غير حيٍّ لم يكمل خلقه بنفخ الروح فيه، هذا معنى قول ابن عباس.

والثالث: أن المخلقة: المصورة، وغير المخلقة: غير مصورة، قاله الحسن.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٩٦).

(٢) هكذا في الأصل، وبقية النسخ، وقد أورد خمسة أقوال فقط.

والرابع: أَنَّ المَخْلَقَةَ وغير المَخْلَقَةَ: السَّقَط، تارة يسقط نطفة وعلقة، وتارة قد صَوَّر بعضه، وتارة قد صور كله، قاله السُّدِّيُّ.
 والخامس: أَنَّ المَخْلَقَةَ: التامة، وغير المَخْلَقَةَ: السَّقَط، قاله الفَرَّاءُ، وابنُ قُتَيْبَةَ^(١).

قوله تعالى: ﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ فيه أربعة أقوال:

أحدها: خلقناكم لنبين لكم ما تأتون وما تذكرون. [٥٦١/ب]

والثاني: لنبين لكم في القرآن بدو خلقكم، وتنقل أحوالكم.

والثالث: لنبين لكم كمال حكمتنا وقدرتنا في تقلاب أحوال خلقكم.

والرابع: لنبين لكم أَنَّ البعث حقٌّ.

وقرأ أبو عمران الجوني، وابنُ أبي عَبلَةَ: «لِيُبَيِّنَ لَكُمْ» بالياء^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ﴾.

وقرأ ابنُ مسعودٍ، وأبو رجاءٍ: «وَيُقَرَّر» بياءٍ مرفوعةٍ وفتح القافِ ورفع الرَّاءِ^(٣).

وقرأ أبو الجوزاء، وأبو إسحاق السَّبيعيُّ: «وَيُقَرَّر» بياءٍ مرفوعةٍ وبكسر القافِ ونصب الرَّاءِ^(٤).

(١) معاني القرآن (٢/ ٢١٥)، وغريب القرآن (ص: ٢٩٠).

(٢) البحر المحيط (٧/ ٤٨٥) عن ابن أبي عَبلَةَ.

(٣) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٦) عن المفضل، عن عاصم.

(٤) في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٦) عن أبي زيد النحوي، وفي البحر المحيط (٧/ ٤٨٥) =

والذي يُقر في الأرحام، هو الذي لا يكون سقطاً، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو أجل الولادة ﴿ثُمَّ تُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾.

قال أبو عبيدة: هو في موضع أطفال، والعرب قد تضع لفظ الواحد في معنى الجميع، قال الله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحریم: ٤] أي: ظهراء، وأنشد [من الوافر]^(١):

فَقُلْنَا أَسْلِمُوا إِنَّا أَخَوُكُمْ فَقَدْ بَرِئْتُ مِنَ الْإِحْنِ الصَّدُورِ
وَأَنشُدُ أَيضًا: [من الرجز]^(٢)

..... فِي خَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شَجِينَا

وقال غيره: إنما قال: طفلاً فوحد، لأن الميم في قوله تعالى: ﴿تُخْرِجُكُمْ﴾ قد دلت على الجميع، فلم يحتج إلى أن يقول: أطفالاً. قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَتَّبِعُوا﴾ فيه إضمار، تقديره: ثم نعمركم لتبلغوا أشدكم، وقد سبق معنى الأشد^(٣)، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُؤَفِّقُ﴾ من قبل بلوغ

= عن ابن أبي عبيدة.

(١) البيت لعباس بن مرداس السلمي في ديوانه (ص: ٥٢)، ومجاز القرآن (٢/ ٤٤)، ولسان العرب (١٤/ ٢١)، والمقتضب (٢/ ١٧٤)، وبلا نسبة في الزاهر (١/ ١٠٧)، وخزانة الأدب (٤/ ٤٧٨).

(٢) البيت للمسيب بن زيد بن مناة في المحتسب (٢/ ٨٧)، ومجاز القرآن (١/ ٧٩)، ومعاني القرآن (١/ ٢٤٩)، ولسان العرب (١٤/ ٤٢٣) وصدره: لَا تُنْكِرُوا الْقَتْلَ وَقَدْ سُيِّنَا.

(٣) انظر: تفسير سورة الأنعام الآية رقم (١٥٣).

الْأَشَدُّ ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْضِ الْعُمُرِ﴾ وقد شرحناه في النحل^(١)، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى دَلَّهم عَلَى إحيائه الموتى بإحيائه الأرض، فقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾.

قال ابن قُتَيْبَةَ: أي: مَيِّتَةً يَابِسَةً، ومثله: همدت النار: إذا طَفِئَتْ فذهبت^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾ يعني: المطر ﴿أَهْتَزَّتْ﴾ أي: تحرَّكت للنبات، وذلك أنَّها ترتفع عن النبات إذا ظهر، فهو معنى قوله تعالى: ﴿وَرَبَّتْ﴾ أي: ارتفعت وزادت.

وقال المبرد: أراد: اهتز نباتها وربا، فحذف المضاف^(٣).

قال القراء: وقرأ أبو جعفر المدني: «وَرَبَّاتٌ» بهمزة مفتوحة بعد الباء^(٤).

فإن كان ذهب إلى الريئة الذي يحرس القوم، أي: أنه يرتفع، وإلا، فهو غلط.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾.

قال ابن قُتَيْبَةَ: من كل جنسٍ حسنٍ يُبْهِجُ، أي يشرح، وهو فعيلٌ في معنى فاعل^(٥).

(١) انظر: تفسير سورة النحل الآية رقم (٧٠).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٩٠).

(٣) معاني القرآن (٢/٢١٦).

(٤) المصدر السابق.

(٥) غريب القرآن (ص: ٢٩٠).

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: الأمرُ ذلك كما وصف لكم، والأجود أن يكون موضع ذلك رفعا، ويجوز أن يكون نصباً على معنى: فعل الله ذلك بأنّه هو الحقُّ^(١).

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾ أي: ولتعلموا أَنَّ السَّاعَةَ ﴿ءَاتِيَةٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾^(٨) ثَانِي عَطْفِهِ، لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ، فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ، يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ^(٩) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ^(١٠) [الحج: ٨-١٠].

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ﴾ قد سبق بيانه، وهذا مما نزل في النضر أيضاً، والهدى: البيان والبرهان.

قوله تعالى: ﴿ثَانِي عَطْفِهِ﴾ العطف: الجانب. وعطفا الرجل: جانباه عن يمين وشمال، وهو الموضع الذي يعطفه الإنسان ويلويه عند إعراضه عن المشي.

قال الزَّجَّاجُ: ﴿ثَانِي﴾ منصوبٌ على الحال، ومعناه: التَّنْوِين، معناه: ثانياً عطفه^(٢).

وجاء في التَّفْسِيرِ: أن معناه: لا وياً عنقه، وهذا يوصفُ به المتكبر، والمعنى: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ بِغَيْرِ عِلْمٍ مُتَكَبِّراً.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤١٣).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤١٤).

قوله تعالى: ﴿لِيُضِلَّ﴾ أي: ليصير أمره إلى الضلال، فكأنه وإن لم يقدر أنه يضل، فإن أمره يصير إلى ذلك، ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ وهو ما [١/٥٦٢] أصابه يوم بدر، وذلك أنه قتل.

وما بعد هذا قد سبق تفسيره^(١) إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾.

وفي سبب نزول هذه الآية قولان:

أحدهما: أن ناساً من العرب كان يأتون رسول الله ﷺ فيقولون: نحن على دينك، فإن أصابوا معيشة، ونتجت خيلهم، وولدت نساؤهم الغلمان، اطمأنوا وقالوا: هذا دين حق، وإن لم يجر الأمر على ذلك قالوا: هذا دين سوء، فينقلبون عن دينهم، فنزلت هذه الآية، هذا معنى قول ابن عباس^(٢)، وبه قال الأكثرون.

والثاني: أن رجلاً من اليهود أسلم فذهب بصره وماله وولده، فتشام بالاسلام، فأتى رسول الله ﷺ فقال: أقلني، فقال: «إِنَّ الْإِسْلَامَ لَا يُقَالُ». فقال: لم أصب في ديني هذا خيراً ذهب بصري ومالي ومات ولدي، فقال: «يَا يَهُودِي الْإِسْلَامُ يَسْبِكُ الرَّجَالَ كَمَا تَسْبِكُ النَّارُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ»، فنزلت هذه الآية، رواه عطية^(٣)، عن أبي سعيد الخدري^(٣).

(١) انظر: تفسير سورة يونس الآية رقم (٧٠).

(٢) رواه ابن جرير الطبري (٤٧٢ / ١٦)، وابن أبي حاتم (١٣٧٩٧) في تفسيرهما، من طريق عطية العوفي، به، بنحوه.

(٣) رواه ابن مردويه في تفسيره كما في الدر المنثور (١٤ / ٦) وعطية العوفي ضعيف.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۝۱۱﴾
 يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نِفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ۝۱۲﴾
 يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ۝۱۳﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ۝۱۴﴾
 [الحج: ١١-١٤].

قوله تعالى: ﴿عَلَى حَرْفٍ﴾.

قال مجاهد، وقتادة: على شك.

قال أبو عبيدة: كل شاك في شيء فهو على حرف، لا يثبت ولا يدوم^(١).

وبيان هذا أن القائم على حرف الشيء غير متمكن منه، فشبّه به الشاك،
 لأنه قلق في دينه على غير ثبات، ويوضحه قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ أي:
 رخاء وعافية ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ على عبادة الله ﴿وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ﴾ اختبار بجذب
 وقلة مال ﴿أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي: رجع عن دينه إلى الكفر، والمعنى: انصرف
 إلى وجهه الذي توجه منه، وهو الكفر، ﴿خَيْرَ الدُّنْيَا﴾ حيث لم يظفر بما أراد
 منها، وخسر الآخرة بارتداده عن الدين.

وقرأ أبو رزین العقيلي، وأبو مجليز، ومجاهد، وطلحة بن مصرف،
 وابن أبي عبلة، وزيد عن يعقوب: «خاسر الدنيا» بألف قبل السين،

وينصب الرءاء، «والآخرة» بخفض التاء^(١).

﴿يَدْعُوا﴾ هذا المرتد، أي: يعبد ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ﴾ إن لم يعبده ﴿لَا يَنْفَعُهُ﴾ إن أطاعه ﴿ذَلِكَ﴾ الذي فعل ﴿هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ عن الحق ﴿يَدْعُوا لَمَنْ ضَرُّهُ﴾ قال بعضهم: اللام صلة، والمعنى: يدعو من ضره.

وحكى الزجاج عن البصريين والكوفيين أن اللام معناها التأخير، والمعنى: يدعو من لضره ﴿أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾، قال: وشرح هذا أن اللام لليمين والتوكيد، فحقها أن تكون أول الكلام، فقدّمت لتجعل في حقها^(٢).

قال السدّي: ضره في الآخرة بعبادته إياه أقرب من نفعه^(٣).

فإن قيل: فهل للنفع من عبادة الصنم وجه؟

فالجواب: أنه لا نفع من قبله أصلاً، غير أنه جاء على لغة العرب، وهم يقولون في الشيء الذي لا يكون: هذا بعيد.

قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى﴾.

قال ابن قتيبة: المولى: الولي، والعشير: الصاحب، والخليل^(٤).

(١) مختصر ابن خالويه (ص: ٩٧)، والتحصيل (٤/ ٤٣٨)، والمحزر (٤/ ١١٠) عن حميد بن قيس، ومجاهد.

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤١٥).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (٦/ ١٥).

(٤) غريب القرآن (ص: ٢٩١).

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾ (١٥) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (١٦) إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ وَالنَّصَرَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٧) ﴿[الحج: ١٥-١٧].

قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾

قال مقاتل: نزلت في نفرٍ من أسد، وغطفان، قالوا: إِنَّا نخاف أن لا [٥٦٢/ب] ينصر محمدٌ، فيقطع^(١) الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود^(٢)، وإلى نحو هذا ذهب أبو حمزة الثمالي، والسُّدِّي.

وحكى أبو سليمان الدمشقي أن الإشارة بهذه الآية إلى الذين انصرفوا عن الإسلام، لأن أرزاقهم ما اتسعت، وقد شرحنا القصة في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ (٣) [الحج: ١١].

وفي هاء ﴿يَنْصُرُهُ﴾ قولان:

أحدهما: أنها ترجع على من، والنصر: بمعنى الرزق، هذا معنى قول ابن عباسٍ في رواية عطاء، وبه قال مجاهدٌ.

قال أبو عبيدة: وقف علينا سائل من بني بكر، فقال: من ينصرني

(١) في (س): (فينقطع).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/١١٩).

(٣) انظر: تفسير سورة الحج الآية رقم (١١).

نصره الله، أي: من يعطيني أعطاه الله، ويقال: نصر المطر أرض كذا، أي: جادها، وأحياها.

قال الراعي [من الطويل] ^(١):

إِذَا أَدْبَرَ الشَّهْرَ الْحَرَامُ فَوَدَّعِي بِلَادَ تَمِيمٍ وَأَنْصُرِي أَرْضَ عَامِرٍ
والثاني: أنها ترجع إلى رسول الله ﷺ، فالمعنى: من كان يظن أن لن
ينصر الله محمدًا، رواه التميمي، عن ابن عباس، وبه قال عطاء، وقتادة.
قال ابن قُتيبة: وهذه كناية عن غير مذكور، وكان قومٌ من المسلمين
لشدة حنقهم على المشركين يستبطنون ما وعد الله رسوله من النصر،
وآخرون من المشركين، يريدون أتباعه، ويخشون أن لا يتم أمره، فقال
هذه الآية للفريقين ^(٢).

ثم في معنى هذا النصر قولان:

أحدهما: أنه الغلبة، قاله أبو صالح، عن ابن عباس، والجمهور.

والثاني: أنه الرزق، حكاه أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ﴾ في المراد بالسما قولان:

أحدهما: سقف بيته، والمعنى: فليشدد حبلاً في سقف بيته، فليختنق

به ﴿ثُمَّ لَيَقَطَّ﴾ الحبل ليموت مختنقاً، هذا قول الأكثرين.

(١) البيت للراعي في ديوانه (ص: ١٣٣)، ومجاز القرآن (٢/ ٤٦)، ولسان العرب (٥/ ٢١١)،

وتهذيب اللغة (١٢/ ١٦٠)، وتاج العروس (١٤/ ٢٣٤).

(٢) غريب القرآن (ص: ٢٩١).

ومعنى الآية: ليصور هذا الأمر في نفسه لا أنه يفعله، لأنه إذا اختلق لا يمكنه النظر والعلم.

والثاني: أنها السماء المعروفة، والمعنى: فليقطع الوحي عن رسول الله ﷺ إن قدر، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَيَقَطَّعَ﴾.

قرأ أبو عمرو، وابن عامر: «ثُمَّ لَيَقَطَّعَ» [الحج: ٢٩] بكسر اللام.

زاد ابن عامر «وليوفوا» [الحج: ٢٩] «وليطوافوا» [الحج: ٢٩] بكسر اللام أيضاً، وكسر ابن كثير لام «ثُمَّ لَيَقَضُوا» فحسب.

وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي: بسكون هذه اللامات، وكذلك في كل القرآن إذا كان قبلها واو أو فاء أو ثَمَّ^(١).

قال الفراء: من سَكَنَ فقد خَفَّفَ، وكل لام أمرٍ وصلت بواو أو فاء، فأكثر كلام العرب تسكينها، وقد كسرها بعضهم^(٢).

قال أبو علي: الأصل الكسر، لأنك إذا ابتدأت قلت: ليقم زيد^(٣).

قوله تعالى: ﴿هَلْ يَذْهَبَنَّ كَيْدُهُ﴾.

(١) السبعة (ص: ١٧٧)، والحجة (٥/ ٢٦٩)، والتيسير (ص: ١٥٦).

(٢) تأويل مشكل القرآن (١/ ٢١٣).

(٣) الحجة (٥/ ٢٦٩).

قال ابن قتيبة: المعنى: هل تذهبن حيلته غيظه، والمعنى: ليجهد جهده^(١).

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: ومثل ذلك الذي تقدّم من آيات القرآن و﴿أَنزَلْنَاهُ﴾ يعني: القرآن، وما بعد هذا ظاهرٌ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ أي: يقضي ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ بينهم بإدخال المؤمنين الجنة، والآخرين النار ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من أعمالهم ﴿شَهِيدٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي: ألم تعلم، وقد بيّنا في سورة النحل^(٢) معنى السجود في حقّ مَنْ يعقل، ومَنْ لا يعقل.

قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ يعني: المؤمنين الذين يسجدون [٥٦٣/أ]

لله.

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ قولان:

أحدهما: أنّهم الكفار، وهم يسجدون، وسجودهم سجود ظلمهم، قاله مقاتل^(٣).

(١) تأويل مشكل القرآن (١/٢١٣).

(٢) انظر: تفسير سورة النحل الآية رقم (٤٩).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/١١٨).

والثاني: أنهم لا يسجدون؛ والمعنى: وكثير من الناس أبى السجود، فحق عليه العذاب، لتركه السجود، هذا قول الفقهاء^(١).

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ﴾ أي: من يُشَقِّهِ الله فما له من مسعد، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ في خلقه من الكرامة والإهانة.

قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُّصَّبُ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾^(١٩) يَصْهَرُ بِهِ، مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ^(٢٠) وَلَهُمْ مَقْجِعٌ مِّنْ حَديدٍ^(٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ^(٢٢) ﴿[الحج: ١٩-٢٢].

قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ اختلفوا فيمن نزلت على أربعة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في النفر الذين تبارزوا للقتال يوم بدر، حمزة، وعلي، وعبيد بن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة، هذا قول أبي ذر^(٢).

والثاني: أنها نزلت في أهل الكتاب، قالوا للمؤمنين: نحن أولى بالله، وأقدم منكم كتاباً، ونبينا قبل نبيكم، وقال المؤمنون: نحن أحق بالله، آمناً بمحمد، وآمنًا بنبيكم وبما أنزل الله من كتاب، وأنتم تعرفون نبينا، ثم كفرتم به حسداً، فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس^(٣)، وقادة^(٤).

(١) معاني القرآن (٢/ ٢١٩).

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٩٩)، والبخاري (٣٩٦٦)، ومسلم (٣٠٣٣)، وابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٨٩).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٩١) من طريق العوفي، به.

(٤) رواه عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٦/ ٢٠).

والثالث: أنَّها في جميع المؤمنين، والكفار، وإلى هذا المعنى ذهب الحسن، وعطاء، ومجاهد^(١).

والرابع: أنَّها نزلت في اختصام الجنة والنار، فقالت النار: خلقتني الله لعقوبته، وقالت الجنة: خلقتني الله لرحمته، قاله عكرمة^(٢).

فأما قوله تعالى: ﴿هَٰذَا﴾.

وقرأ ابن عباس، وابن جبير، ومجاهد، وعكرمة، وابن كثير: «هاذان» بتشديد النون^(٣).

﴿خَصَمَانِ﴾، فمعناه: جمعان، وليسا برجلين، ولهذا قال تعالى: ﴿اٰخَصَمُوْا﴾ ولم يقل: اختصما؛ على أنه قرأ ابن مسعود، وابن أبي عبلة: «اختصما»^(٤).

وفي خصومتهم ثلاثة أقوال:

أحدها: في دين ربهم، وهذا على القولين الأولين.

والثاني: في البعث، قاله مجاهد.

والثالث: أنه اختصام مفاخرة، على قول عكرمة.

(١) رواه ابن جرير الطبري (١٦/ ٤٩٢).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٤٩٣).

(٣) السبعة (ص: ٤٣٥)، والحجة (٥/ ٢٧٤).

(٤) لم أقف عليها.

قوله تعالى: ﴿قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ﴾ أي: سُويت وجعلت لباسًا.

قال ابن عَبَّاسٍ: قُمُصٌ من نار.

وقال سعيد بن جبير: المراد بالنَّار هاهنا: النَّحاس.

فأما الحميمُ فهو الماءُ الحارُّ ﴿يُضْهِرُّ بِهِ﴾.

قال الفراءُ: يذاب به، يقال: صهرت الشَّحْمَ بالنَّارِ^(١).

قال المفسِّرون: يذابُ بالماءِ الحارِّ ﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ من شحمٍ أو مِعَى حتَّى يخرجُ من أدبارهم، وتنضجُ الجلودُ فتساقطُ^(٢) من حرِّه.

﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ﴾ قال الضَّحَّاكُ: هي المطارقُ^(٣).

وقال الحسنُ: إنَّ النَّارَ ترميهم بلهبها، حتَّى إذا كانوا في أعلاها، ضربوا بمقامع فهووا فيها سبعين خريفًا، فإذا انتهوا إلى أسفلها، ضربهم زفيرٌ لهبها، فلا يستقرُّون ساعة^(٤).

قال مقاتلٌ: إذا جاشت جهنَّم، ألقتهم في أعلاها، فيريدون الخروجَ، فتتلقاهم خزنةُ جهنَّم بالمقامع، فيضربونهم، فيهوي أحدهم من تلكِ الضَّربة إلى قعرها^(٥).

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٢٠).

(٢) في (س): (فيتساقط).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤١٦٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٣٨٢٨).

(٤) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٦٤).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٢٠).



وقال غيره: إذا دفعتمهم النار، ظنوا أنها ستقذفهم خارجاً منها، فتعيدهم الزبانية بمقامع الحديد.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدًى إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدًى إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحج: ٢٣-٢٤].

قوله تعالى: ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي: «وَلُؤْلُؤًا» بالخفض. [٥٦٣/ب]
وقرأ نافع، وأبو بكر عن عاصم: «وَلُؤْلُؤًا» بالنصب^(١).
قال أبو علي: من خَفَضَ، فالمعنى: يحلُّون أساور من ذهبٍ ومن لُؤْلُؤٍ؛ ومن نصب قال: ويحلُّون لُؤْلُؤًا^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَهُدًى﴾ أي: أرشدوا في الدنيا ﴿إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ وفيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه لا إله إلا الله والحمد لله، قاله ابن عباس.

وزاد ابن زيد: والله أكبر.

والثاني: القرآن، قاله السدي.

(١) السبعة (ص: ٤٣٥)، والحجة (٥/٢٦٧)، والتيسير (ص: ١٥٦).

(٢) الحجة (٥/٢٦٨).

والثالث: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، حكاها الماوردي^(١).

فأما ﴿صِرْطُ الْحَمِيدِ﴾ فقال ابن عباس: هو طريق الإسلام^(٢).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَافِ يُظْلَمِ نُذُوقُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

قوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: يمنعون الناس من الدخول في الإسلام.

قال الزجاج: ولفظ (يصدُّون) لفظ مستقبل عطف به على لفظ الماضي، لأنَّ معنى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: الذين هم كافرون، فكأنَّه قال: إِنَّ الكافرين والصَّادِّين؛ فأما خبر إنَّ فمحذوف، فيكون المعنى: إِنَّ الذين هذه صفتهم هلكوا^(٣).

وفي المسجد الحرام قولان:

أحدهما: جميع الحرم.

روى سعيد بن جبير، عن ابن عباس أَنَّهُ قال: كانوا يرون الحرم كله مسجداً^(٤).

(١) النكت والعيون (٤/ ١٥).

(٢) أورده في البحر المحيط (٧/ ٤٩٨) بلا نسبة.

(٣) معاني القرآن وإعراجه (٣/ ٤٢٠).

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٥/ ٦١).

والثاني: نفس المسجد، حكاه الماوردي^(١).

قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾ هذا وقف التمام.

وفي معناه قولان:

أحدهما: جعلناه للناس كلهم، لم نخص به بعضهم دون بعض، هذا على أنه جميع الحرم.

والثاني: جعلناه قبلةً لصلاتهم، ومنسكاً لحجهم، وهذا على أنه نفس المسجد.

وقرأ إبراهيم النخعي، وابن أبي عبيدة، وحفص عن عاصم: ﴿سَوَاءٌ﴾ بالنصب^(٢)، فيتوجه الوقف على سواء، وقد وقف بعض القراء كذلك.

قال أبو علي الفارسي: أبدال العاكف والبادي من الناس من حيث كانا كالشامل لهم، فصار المعنى: الذي جعلناه للعاكف والبادي سواء^(٣).

فأمّا العاكف: فهو المقيم، والبادي: الذي يأتيه من غير أهله، وهذا من قولهم: بدا القوم: إذا خرجوا من الحضر إلى الصحراء.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «البادي» بالياء، غير أن ابن كثير، وقف بياء، وأبو عمرو بغير ياء.

(١) النكت والعيون (٤/ ١٥).

(٢) السبعة (ص: ٤٣٥)، والحجة (٥/ ٢٧٠)، والتيسير (ص: ١٥٧).

(٣) الحجة (٥/ ٢٧١).

وقرأ عاصمٌ، وابنُ عامرٍ، وحمزةٌ، والكسائيُّ، والمسيبيُّ عن نافعٍ بغير ياءٍ في الحالتين^(١).

ثمَّ في معنى الكلام قولان:

أحدهما: أنَّ العاكفَ والباديَ يستويان في سكنى مكَّةَ والنُّزولَ بها، فليس أحدهما أحقَّ بالمنزل من الآخر، غير أنَّه لا يخرج أحدٌ من بيته، هذا قولُ ابنِ عَبَّاسٍ، وسعيدُ بنُ جبْرِ، وقتادةٌ؛ وإلى نحو هذا ذهب أبو حنيفةٌ، وأحمدُ؛ ومذهبُ هؤلاء أنَّ كراءَ دورِ مكَّةَ وبيعها حرام، هذا على أنَّ المسجدَ: الحرم كله.

والثاني: أنَّهما يستويان في تفضيله وحرمة وإقامة الناسك به، هذا قولُ الحسنِ، ومجاهدٍ، ومنهم من أجاز بيعَ دورِ مكَّةَ، وإليه يذهب الشافعي.

وعلى هذا يجوز أن يراد بالمسجدِ الحرام، ويجوز أن يراد نفس المسجد.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَايمِ﴾ الإلحاد في اللغة: العدول عن القصد، والباء زائدة، كقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ بِالذَّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] وأنشدوا [من الطَّويل]^(٢):

بِوَادٍ يَمَانٍ يُنْبِتُ السَّدْرَ صَدْرُهُ وَأَسْفَلُهُ بِالْمَرْخِ وَالشَّبَهَانِ

(١) السبعة (ص: ٤٣٦)، والحجة (٥/ ٢٧٥)، والتيسير (ص: ١٥٨).

(٢) البيت للأحول الشكري في لسان العرب (١٣/ ٥٠٦)، وبلا نسبة في لسان العرب

(٢/ ١٥٨)، وتهذيب اللغة (٦/ ٩٣)، وتاج العروس (٥/ ٢٧٥)، وجمهرة اللغة (ص: ٨٣)،

ومجمل اللغة (٣/ ١٩٦).

[٥٦٤/أ]

المعنى: وأسفله ينبت المرخ.

وقال آخر [من البسيط]^(١):

هِنَّ الْحَرَائِرُ لَا رَبَّاتٌ أَحْمِرَةٌ سُودُ الْمَحَاجِرِ لَا يَقْرَأَنَّ بِالسُّورِ

وقال آخر [من الرجز]^(٢):

نَحْنُ بُنُو جَعْدَةَ أَرْبَابُ الْفَلَجِ نَضْرِبُ بِالسَّيْفِ وَنَرْجُو بِالْفَرْجِ

هذا قول جمهور اللغويين.

وقال ابن قُتيبة: و«الباء» قد تزداد في الكلام، كهذه الآية، وكقوله

تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] ﴿وَهَزَى إِلَيْكَ مِجْذَجَ النَّخْلَةِ﴾ [مريم: ٢٤]

﴿بِأَيِّكُمْ أَلْفَتُونُ﴾ [القلم: ٦] ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ﴾ [المتحنة: ١] ﴿عَيْنًا

يَشْرَبُ بِهَا﴾ [الإنسان: ٦] أي: يشربها؛ وقد تزداد «مِنْ» كقوله تعالى: ﴿مَا

أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ [الذاريات: ٥٧]، وتزداد «اللام» كقوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ

هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، و«الكاف» كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ

كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، و«عن» كقوله تعالى: ﴿يَخَالِفُونَ عَنْ

أَمْرِهِ﴾ [النور: ٦٣]، و«إِنَّ» كقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨]،

و«إِنْ» الخفيفة كقوله تعالى: ﴿فِيمَا إِنْ مَكَّنَّكُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، و«مَا»،

(١) في معاني القرآن وإعرابه (٤٢١/٣)، ولسان العرب (١٢٨/١)، وتاج العروس

(٣٦٣/١)، وشرح الكتاب (٤٦١/١)، وخزانة الأدب (١٠٨/٩).

(٢) في تفسير الطبري (٣١/١٧)، والإنصاف (٢٣٠/١)، وخزانة الأدب (٥٢١/٩).

كقوله تعالى: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْحَنَنَّ لِلَّذِينَ نَدِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، و«الواو» كقوله تعالى: ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ (١٣) ﴿وَنَدَيْنَهُ﴾ [الصفات: ١٠٤-١٠٣] (١).

وفي المراد بهذا الإلحاد خمسة أقوال:

أحدها: أنه الظلم، رواه العوفي عن ابن عباس.

وقال مجاهد: هو عمل سيئة (٢)؛ فعلى هذا تدخل فيه جميع المعاصي.

وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: لا تحتكروا الطعام بمكة، فإن احتكار الطعام بمكة إلحادٌ بظلم (٣).

والثاني: أنه الشرك، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال الحسن، وقتادة.

والثالث: الشرك والقتل، قاله عطاء.

والرابع: أنه استحلال محظورات الإحرام، وهذا المعنى محكي عن عطاء أيضاً.

والخامس: استحلال الحرام تعمداً، قاله ابن جريج.

فإن قيل: هل يؤخذ الإنسان إن أراد الظلم بمكة، ولم يفعله؟

فالجواب من وجهين:

(١) تأويل مشكل القرآن (ص: ١٥٥ - ١٥٦).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٠٧/١٦) من طريق أبي نجيع، به.

(٣) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٢٥٥/٧)، والفاكهي في أخبار مكة (٣٢/٣).

أحدهما: أنه إذا همَّ بذلك في الحرم خاصّة، عُوقب، هذا مذهبُ ابن مسعودٍ، فإنَّه قال: لو أنَّ رجلاً همَّ بخطيئةٍ، لم تكتب عليه ما لم يعملها، ولو أنَّ رجلاً همَّ بقتل مؤمنٍ عند البيت، وهو بعدن أبين، أذاقه الله في الدُّنيا من عذابٍ أليم^(١).

وقال الضَّحَّاكُ: إنَّ الرَّجُلَ ليهَمُّ بالخطيئة بمكَّةَ وهو بأرضٍ أخرى، فتكتب عليه ولم يعملها^(٢).

وقال مجاهدٌ: تضاعف السيِّئات بمكَّةَ، كما تضاعف الحسنات^(٣).

وسئل الإمامُ أحمدُ رحمته الله: هل تكتب السيئة أكثر من [واحدة]^(٤)؟ قال: لا، إلَّا بمكةَ لتعظيم البلد^(٥).

وأحمدُ على هذا يرى فضيلةَ المجاورةِ بها؛ وقد جاور جابرُ بنُ عبدِ الله، وكان ابن عمرَ يقيم بها.

(١) روي مرفوعاً وموقوفاً، والموقف أصح، رواه أحمد في المسند (١٥٥/٧)، والبزار (٢٢٣٦) زوائد، وأبو يعلى (٥٣٨٤)، وابن جرير الطبري (٥٠٨/١٦) من طريق يزيد بن هارون، عن شعبة، عن السدي، عن مرة، عن عبد الله بن مسعود، موقوفاً. ورواه الحاكم في المستدرک (٤٢٠/٢) مرفوعاً.

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٠٨/١٦) من طريق محمد بن فضيل، عن أبيه، به.

(٣) رواه الثعلبي في تفسيره (١٧/٧) من طريق ليث بن أبي سليم، به.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٩/٦) لابن أبي شيبه، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٤) زيادة من (س).

(٥) انظر: مسائل إسحاق بن منصور المعروف بالكوسج (٣٢٥٣).

والثاني: أن معنى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾: من يعمل.

قال أبو سليمان الدمشقي: هذا قول سائر من حفظنا عنه.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ٢٧ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ٢٨ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ٢٩﴾ [الحج: ٢٦-٢٩].

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ﴾.

قال ابن عباس: جعلنا.

وقال مقاتل: دللناه عليه^(١).

وقال ثعلب: وإنما أدخل اللام، على أن ﴿بَوَّأْنَا﴾ في معنى: جعلنا، فيكون بمعنى: ﴿رَدِّفْ لَكُمْ﴾ [النمل: ٧٢] أي: ردفكم، وقد شرحنا كيفية بناء البيت في البقرة^(٢).

قوله تعالى: ﴿أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا﴾ المعنى: وأوحينا إليه ذلك.

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٢٢).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٢٩).

﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي﴾ حَرَّكَ هَذِهِ الْيَاءَ، نَافِعٌ وَحَفْصٌ عَنْ عَاصِمٍ، وَقَدْ
شَرَحْنَا الْآيَةَ فِي الْبَقَرَةِ^(١).

وَفِي الْمُرَادِ بِالْقَائِمِينَ قَوْلَانِ:

أَحَدُهُمَا: الْقَائِمُونَ فِي الصَّلَاةِ، قَالَهُ عَطَاءٌ، وَالْجُمْهُورُ.

وَالثَّانِي: الْمَقِيمُونَ بِمَكَّةَ، حَكِي عَنْ قَتَادَةَ. [٥٦٤/ب]

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: لَمَّا فَرَّغَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ
بِنَاءِ الْبَيْتِ، أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُؤْذِّنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ، وَمَا
يَبْلُغُ صَوْتِي؟ قَالَ: أَذِّنْ، وَعَلَيَّ الْبَلَاغُ، فَعَلَا عَلَى جَبَلٍ أَبِي قُبَيْسٍ، وَقَالَ: يَا أَيُّهَا
النَّاسُ: إِنَّ رَبَّكُمْ قَدْ بَنَى بَيْتًا، فَحُجُّوهُ فَاسْمَعِ مَنْ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ
النِّسَاءِ مِمَّنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنْ يَحُجَّ، فَأَجَابُوهُ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ^(٢).

وَالْأَذَانُ بِمَعْنَى النِّدَاءِ وَالْإِعْلَامِ، وَالْمَأْمُورُ بِهَذَا الْأَذَانِ، إِبْرَاهِيمُ فِي قَوْلِ
الْجُمْهُورِ، إِلَّا مَا رَوَى عَنْ الْحَسَنِ أَنَّهُ قَالَ: الْمَأْمُورُ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَالنَّاسُ
هَاهُنَا: اسْمُ يَعْزُبُ جَمِيعُ بَنِي آدَمَ عِنْدَ الْجُمْهُورِ، إِلَّا مَا رَوَى الْعَوْفِيُّ، عَنْ ابْنِ
عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: عَنَى بِالنَّاسِ أَهْلَ الْقَبْلَةِ^(٣).

وَأَعْلَمُ أَنَّ مَنْ أَتَى الْبَيْتَ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ، فَكَأَنَّهُ قَدْ أَتَى
إِبْرَاهِيمَ، لِأَنَّهُ أَجَابَ نِدَاءَهُ.

(١) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٢٥).

(٢) انظر: الكشف والبيان (١٨/٧).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥١٧/١٦) من طريق عطية العوفي، به.

وواحد الرّجال هاهنا: راجل، مثل صاحب، وصحاب، والمعنى:
يأتوك مشاة.

وقد روي أن إبراهيم وإسماعيل حجّا ماشيين، وحجّ الحسن بن عليّ
خمسًا وعشرين حجةً ماشيًا من المدينة إلى مكّة، والنجائب تُقاد معه.

وحجّ الإمام أحمد ماشيًا مرّتين أو ثلاثًا.

قوله تعالى: ﴿وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي: ركبنا على ضمير من طول السّفر.
قال الفرّاء: ويأتين فعل للنوق^(١).

وقال الزّجاج: يأتين على معنى الإبل^(٢).

وقرأ ابن مسعود، وابن أبي عبلّة، «يأتون» بالواو^(٣).

قوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ أي: طريق بعيد.

وقد ذكرنا تفسير «الفجّ» عند قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾^(٤)
[الأنبياء: ٣١].

قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا﴾ أي: ليحضروا ﴿مَنْفَعَ لَهُمْ﴾ وفيها ثلاثة

أقوال:

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٢٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٢).

(٣) عن ابن مسعود في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٧)، وعنه، وعن ابن عباس، وغيرهما في
التحصيل (٤/ ٤٤٠).

(٤) انظر: تفسير سورة الأنبياء الآية رقم (٣١).

أحدها: التَّجَارَةُ، قاله ابنُ عَبَّاسٍ، والسُّدِّيُّ.

والثاني: منافع الآخرة، قاله سعيدُ بنُ المسيب، والزَّجَّاجُ في آخرين^(١).

والثالث: منافع الدَّارين جميعًا، قاله مجاهدٌ، وهو أصحُّ، لأنَّه لا يكون القصدُ للتَّجارة خاصَّةً، وإنَّما الأصلُ قصد الحجِّ، والتَّجارة تبعٌ. وفي الأيام المعلومات ستَّة أقوال:

أحدها: أنَّها أيام العشر، رواه مجاهدٌ، عن ابنِ عمرَ، وسعيدُ بنُ جبيرٍ، عن ابنِ عَبَّاسٍ، وبه قال الحسنُ، وعطاءٌ، وعكرمةٌ، ومجاهدٌ، وقتادةٌ، والشَّافعيُّ.

والثاني: تسعةُ أيَّامٍ من العشر، قاله أبو موسى الأشعريُّ.

والثالث: يوم الأضحى وثلاثةُ أيَّامٍ بعده، رواه نافعٌ عن ابنِ عمرَ، ومقسمٌ عن ابنِ عَبَّاسٍ.

والرابع: أنَّها أيَّامُ التَّشْرِيقِ، رواه العوفيُّ، عن ابنِ عَبَّاسٍ، وبه قال عطاءُ الخراسانيُّ، والنَّخعيُّ، والضَّحَّاكُ.

والخامس: أنَّها خمسةُ أيَّامٍ أوَّلها يوم التَّرويةِ، رواه أبو صالحٍ، عن ابنِ عَبَّاسٍ.

والسادس: ثلاثةُ أيَّامٍ، أوَّلها يوم عرفة، قاله مالكُ بنُ أنسٍ.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤٢٣/٣).

وقيل: إنَّما قال معلومات، ليحرص على علمها بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها.

قال الزَّجَّاجُ: والذكر هاهنا يدلُّ على التَّسمية على ما ينحر، لقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾^(١).

[٥٦٥/أ] قال القاضي أبو يعلى: ويحتمل أن يكون الذكر المذكور هاهنا: هو الذكر على الهدايا الواجبة، كالدمِّ الواجب لأجل التَّمَتُّع والقران، ويحتمل أن يكون الذكر المفعول عند رمي الجمار وتكبير التَّشْرِيقِ، لأنَّ الآية عامَّةٌ في ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ يعني: الأنعام التي تنحر؛ وهذا أمرٌ بإباحة. وكان أهل الجاهليَّة لا يستحلُّون أكل ذبائحهم، فأعلم الله ﷻ أن ذلك جائزٌ، غير أن هذا إنَّما يكون في الهدي المتطوع به، فأما دمُّ التَّمَتُّع والقران، فعندنا أنَّه يجوز أن يأكل منه.

وقال الشَّافعيُّ: لا يجوزُ، وقد روى عطاءٌ عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّه قال: من كلَّ الهدي يؤكل، إلَّا ما كان من فداءٍ أو جزاءٍ أو نذرٍ.

فأمَّا «البائس»: فهو ذو البؤس، وهو شدَّةُ الفقرِ.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ فيه أربعة أقوال:

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤٢٣/٣).



أحدها: حلقُ الرَّأس، وأخذ الشَّارب، ونتف الإبط، وحلق العانة، وقصُّ الأظفار، والأخذ من العارضين، ورمي الجمار، والوقوف بعرفة، رواه عطاء، عن ابنِ عَبَّاسٍ.

والثاني: مناسك الحجِّ، رواه عكرمة، عن ابنِ عَبَّاسٍ، وهو قولُ ابنِ عمرَ.

والثالث: حلقُ الرَّأس، قاله مجاهدٌ.

والرابع: الشَّعْرُ، والظفرُ، قاله عكرمةُ.

والقولُ الأوَّلُ أصحُّ؛ لأنَّ التفث: الوسخ، والقذارة: من طولِ الشَّعْرِ والأظفار والشعث. وقضاؤه: نقضه، وإذهابه. والحاج مغبر شعث لم يدهن، ولم يستحد، فإذا قضى نسكه، وخرج من إحرامه بالحلق، والقَلَم، وقصُّ الأظفار، ولبسِ الثَّياب، ونحو ذلك، فهذا قضاءُ تفثه.

قال الزَّجاجُ: وأهل اللُّغة لا يعرفون التفث إلا من التَّفْسير، فكأنَّه الخروج من الإحرام إلى الإحلال^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾.

وروى أبو بكر، عن عاصمٍ: «ولْيُوفُوا» بتسكين اللَّام وتشديد الفاء^(٢).

قال ابنُ عَبَّاسٍ: هو نحر ما نذروا من البدن^(٣).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/٤٢٣).

(٢) السبعة (ص: ٤٣٦)، والحجة (٥/٢٧٥)، والتيسير (ص: ١٥٧).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/٥٢٨) من طريق علي بن أبي طلحة، به.

وقال غيره: ما نذروا من أعمال البرِّ في أيام الحج، فإنَّ الإنسان ربِّما نذر أن يتصدَّق إن رزقه الله رؤية الكعبة، وقد يكون عليه نذور مطلقة، فالأفضل أن يؤدِّيها بمكَّة.

قوله تعالى: ﴿وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ هذا هو الطَّوافُ الواجب، لأنَّه أمر به بعد الذَّبْح، والذَّبْح إنما يكون في يوم النَّحر، فدلَّ على أنَّه الطَّوافُ المفروض.

وفي تسمية البيت عتيقاً أربعة أقوال:

أحدها: لأنَّ الله تعالى أعتقه من الجبابة.

روى عبد الله بن الزُّبير، عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّمَا سَمَّى اللهُ الْبَيْتَ: الْعَتِيقَ؛ لِأَنَّ اللهَ أَعْتَقَهُ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، فَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ جَبَارٌ قَطُّ»^(١). وهذا قول مجاهد، وقتادة.

والثاني: أنَّ معنى العتيق: القديم، قاله الحسن، وابنُ زيد.

والثالث: لأنَّه لم يملك قط، قاله مجاهد في رواية، وسفيان بن عيينة.

والرَّابع: لأنَّه أعتق من الغرق زمان الطُّوفان، قاله ابنُ السَّائب.

وقد تكلمنا في هذه السُّورة في: ليقضوا، وليوفوا، وليطوفوا.

(١) روي مرفوعاً، وموقوفاً. أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٤٠٥)، وابن جرير الطبري (١٦/ ٥٢٩)، والطبراني في الكبير (٢٦٢) موقوفاً، ورواه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٢٠١)، والترمذي (٣١٧٠)، والبزار في مسنده (٢٢١٥)، والحاكم في المستدرک (٢/ ٤٢١) وصححه، والبيهقي في الشعب (٣٧٢١) مرفوعاً.

قال الترمذي: حديث حسن غريب، وقد روي هذا الحديث عن الزهري، مرسلاً.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ. وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ. وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾﴾ [الحج: ٣٠-٣٣].

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمرُ ذلك، يعني: ما ذكر من أعمالِ الحج ﴿وَمَنْ يُعْظِمَ حُرْمَتَ اللَّهِ﴾ فيجتنب ما حرّم الله عليه في الإحرامِ تعظيمًا لأمر الله.

قال اللَّيْثُ: الحرمة: ما لا يحلُّ انتهاكه.

وقال الزَّجَّاجُ: الحرمة: ما وجب القيامُ به، وحرَمَ التفريطُ فيه^(١).

قوله تعالى: ﴿فَهُوَ﴾ يعني: التَّعْظِيمُ ﴿خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ في الآخرة ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ﴾ وقد سبق بيانها^(٢) ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه، يعني به: ما ذكر في المائدة^(٣) من المنخقة وغيرها.

وقيل: وأُحِلَّتْ لكم الأنعام في حال إحرامكم، إلا ما يتلى عليكم في الصيد، فإنه حرامٌ.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٤).

(٢) انظر: تفسير سورة المائدة الآية رقم (١).

(٣) انظر: تفسير سورة المائدة الآية رقم (٣).

قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ﴾ أي: دعوه جانبًا.

قال الزَّجَّاجُ: و«من» هاهنا، لتخليص جنس من أجناس، المعنى: فاجتنبوا الرِّجْسَ الذي هو وثن^(١).

وقد شرحنا معنى الرِّجْسِ في المائدة^(٢).

وفي المراد بقول الزُّور أربعة أقوال:

أحدها: شهادة الزُّورِ، قاله ابنُ مسعودٍ.

والثاني: الكذب، قاله مجاهدٌ.

والثالث: الشُّركُ، قاله أبو مالكٍ.

والرَّابِع: أنَّه قولُ المشركين في الأنعام: هذا حلالٌ، وهذا حرامٌ، قاله الزَّجَّاجُ، قال: وقوله تعالى: ﴿حُفَاءَ لِلَّهِ﴾ منصوبٌ على الحالِ، وتأويله: مسلمين لا ينسبون إلى دينٍ غيرِ الإسلامِ. ثمَّ ضربَ الله مثلاً للمشركِ، فقال: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿سَجِئٌ﴾، والسَّجِئُ: البعيد^(٣).

واختلفوا في قراءة ﴿فَتَخَطَفُهُ﴾:

فقرأ الجمهورُ: ﴿فَتَخَطَفُهُ﴾ بسكون الحاءِ من غير تشديد الطَّاءِ.

وقرأ نافعٌ: بتشديد الطَّاءِ^(٤).

(١) المصدر السابق (٣/ ٤٢٥).

(٢) انظر: تفسير سورة المائدة الآية رقم (٩٠).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٥).

(٤) السبعة (ص: ١٤٨)، والحجة (١/ ٣٩٠)، والتيسير (ص: ١٥٧).

وقرأ أبو المتوكِّل، ومعاذُ القارِي: بفتح التَّاءِ والخاءِ وتشديد الطَّاءِ ونصبِ الفاءِ^(١).

وقرأ أبو رَزِين، وأبو الجوزاءِ، وأبو عمران الجُؤنيُّ: بكسرِ التَّاءِ والخاءِ وتشديد الطَّاءِ ورفعِ الفاءِ^(٢).

وقرأ الحسنُ والأعمشُ: بفتح التَّاءِ وكسرِ الخاءِ وتشديد الطَّاءِ ورفعِ الفاءِ^(٣)، وكلُّهم فتح الطَّاءِ.

وفي المراد بهذا المثل قولان:

أحدهما: أنَّه شبَّهَ المشرك بالله في بعده عن الهدى وهلاكه، بالذي يخرُّ من السَّماءِ، قاله قتادة.

والثاني: أنَّه شبَّهَ حالَ المشرك في أنَّه لا يملك لنفسه نفعاً ولا دفع ضرٍّ في يومِ القيامةِ، بحالِ الهاوي من السَّماءِ، حكاه الثعلبيُّ^(٤).

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمرِ ذلك الذي ذكرناه ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ﴾ قد شرحنا معنى الشَّعائر في البقرة^(٥).

(١) «فَتَحَطَّطَهُ» في الكامل (٦٠٤ / ١) عن ابن مقسم.

(٢) «فَتَحَطَّطَهُ» في المحرر (١٢٠ / ٤) عن الحسن.

(٣) «فَتَحَطَّطَهُ» عن الحسن، والأعمش، وأبي رجاء في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٧).

(٤) الكشف والبيان (٢١ / ٧).

(٥) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٥٨).

وفي المراد بها هاهنا قولان:

أحدهما: أنَّها البدنُ. وتعظيمها: استحسانها، واستسمانها.

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ قبل أن يسميها صاحبها هدياً، أو يشعرها ويوجهها، فإذا فعل ذلك، لم يكن له من منافعها شيء، روى هذا المعنى مقسماً، عن ابنِ عباسٍ، وبه قال مجاهدٌ، وقتادةٌ، والضَّحَّاكُ.

وقال عطاء بنُ أبي رباحٍ: لكم في هذه الهدايا منافعٌ بعد إيجابها وتسميتها هدايا إذا احتجتم إلى شيءٍ من ذلك أو اضطررتم إلى شربِ ألبانها ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو أن تنحر^(١).

والثاني: أنَّ الشعائرَ: المناسك ومشاهد مَكَّةَ؛ والمعنى: لكم فيها منافع بالتجارة إلى أجلٍ مسمًى، وهو الخروجُ من مَكَّةَ، رواه أبو رزين، عن ابنِ عباسٍ.

وقيل: لكم فيها منافعٌ من الأجرِ والثوابِ في قضاءِ المناسك إلى أجلٍ مسمًى، وهو انقضاء أيامِ الحجِّ.

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا﴾ يعني الأفعال المذكورة، من اجتنابِ الرِّجْسِ وقول الزُّورِ، وتعظيمِ الشعائرِ. [٥٦٦/أ]

وقال الفراءُ: فإنه يعني الفَعْلَةَ ﴿مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، وإنما أضافَ التَّقْوَى إلى القلوبِ، لأنَّ حقيقةَ التَّقْوَى تقوى القلوبِ^(٢).

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٥٤٤/١٦).

(٢) معاني القرآن (٢٢٥/٢).

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ مَحَلُهَا﴾ أي: حيث يحل نحرها ﴿إِلَى الْبَيْتِ﴾ يعني: عند البيت، والمراد به: الحرم كله، لأننا نعلم أنها لا تذبح عند البيت، ولا في المسجد، هذا على القول الأول؛ وعلى الثاني، يكون المعنى: ثم محل الناس من إحرامهم إلى البيت، وهو أن يطوفوا به بعد قضاء المناسك.

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ [الحج: ٣٤-٣٥].

قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾.
قرأ حمزة، والكسائي، وبعض أصحاب أبي عمرو بكسر السين.
وقرأ الباقون بفتحها^(١).

فمن فتح أراد المصدر من نسك ينسك، ومن كسر أراد مكان النسك كالجلس والمطلع.

ومعنى الآية: لكل جماعة مؤمنة من الأمم السالفة جعلنا ذبح القرابين ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾، وإنما خص بهيمة الأنعام، لأنها المشروعة في القرب.

والمراد من الآية: أن الذبائح ليست من خصائص هذه الأمة، وأن التسمية عليها كانت مشروعة قبل هذه الأمة.

(١) السبعة (ص: ٤٣٦)، والحجة (٥/ ٢٧٧)، والتيسير (ص: ١٥٧).

قوله تعالى: ﴿فَالْتَهُمُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ أي: لا ينبغي أن تذكروا على ذبائحكم سواه ﴿فَلَهُ اسْلِمُوا﴾ أي: انقادوا واخضعوا، وقد ذكرنا معنى الإخبات في هود^(١)، وكذلك ألفاظ الآية التي تلي هذه.

قوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعْتِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ إِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٣) لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشُكْرِكُمْ لِشُكْرِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج: ٣٦-٣٧].

قوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ﴾.

وقرأ الحسن، وابنُ يعمرَ برفع الدال^(٢).

قال الفراء: بُذْنٌ وَبُذْنٌ، والتخفيفُ أجودُ وأكثرُ، لأنَّ كلَّ جمع كان واحده على «فَعْلَةٍ» ثُمَّ ضُمَّ أَوَّلُ جَمْعِهِ، خُفِّفَ، مِثْلُ: أَكْمَةٍ وَأُنْجَمٍ، وَأَجَمَةٍ وَأُنْجَمٍ، وَخَشَبَةٍ وَخُشْبٍ^(٣).

وقال الزَّجَّاجُ: ﴿وَالْبُدْنَ﴾ منصوبة بفعلٍ مُضْمَرٍ يفسِّره الذي ظهر، والمعنى: وجعلنا البُذْنَ، وإن شئتَ رفعتها على الاستئناف، والنَّصْبُ أحسنُ ويقال: بُذْنٌ وَبُذْنٌ وَبَدَنَةٌ، مثل قولك: ثمرٌ وَثْمَرٌ وَثَمرةٌ، وإنَّما (١) انظر: تفسير سورة هود الآية رقم (٢٣).

(٢) «البُذْنُ» الحسن، وعيسى في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٧)، وفي التحصيل (٤/ ٤٦٠)، والمحرر (٤/ ١٢٢) عن ابن أبي إسحاق.

(٣) لغات القرآن (ص: ١٠٠).

سَمَّيْتُ بَدَنَةً، لِأَنَّهَا تَبْدُنُ، أَي: تَسْمَنُ^(١).

وللمفسرين في البدن قولان:

أحدهما: أَنَّهَا الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ، قَالَه عَطَاءٌ.

والثاني: الْإِبِلُ خَاصَّةً، حَكَاهُ الرَّجَّاجُ، وَقَالَ: الْأَوَّلُ قَوْلُ أَكْثَرِ فَهَاءِ

الْأَمْصَارِ^(٢).

قال القاضي أبو يعلى: البدنة: اسم يختص بالإبل في اللغة، والبقرة تقوم

مقامها في الحكم، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَعَلَ الْبَدَنَةَ عَنْ سَبْعَةٍ، وَالْبَقَرَةَ عَنْ سَبْعَةٍ.

قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعِيرٍ ۗ اللَّهُ﴾ أَي: جَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا

عِبَادَةَ اللَّهِ، مِنْ سَوْقِهَا إِلَى الْبَيْتِ، وَتَقْلِيدِهَا، وَإِشْعَارِهَا، وَنَحْرِهَا، وَالْإِطْعَامِ

مِنْهَا، ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ وَهُوَ النَّفْعُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ﴿فَاذْكُرُوا

أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ أَي: عَلَى نَحْرِهَا، ﴿صَوَافٍ﴾.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَقَتَادَةُ: «صَوَافٍ» بِالنُّونِ^(٣).

وَقَرَأَ الْحَسَنُ، وَأَبُو مَجْلِزٍ، وَأَبُو الْعَالِيَةِ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ يَعْمَرَ:

«صَوَافِي» بِالْيَاءِ^(٤).

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٨).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٤٢٩).

(٣) عن ابن مسعود في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٧)، وفي التحصيل (٤/ ٤٦٠) ابن مسعود، وغيره، وفي المحرر (٤/ ١٢٢) عن ابن عمر، وابن عباس، وأبي جعفر، محمد بن علي.

(٤) عن الحسن، وزيد بن أسلم في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٧)، وفي التحصيل (٤/ ٤٦٠) عن أبي موسى الأشعري، وغيره، وزاد في المحرر (٤/ ١٢٢) مجاهدًا، وشقيق بن سلمة، =

قال الزَّجَّاجُ: ﴿صَوَافٌ﴾ منصوبةٌ على الحال، ولكنها لا تنوَّن لأنها [٥٦٦/ب] لا تنصرف؛ أي: قد صفت قوائمها، والمعنى: اذكروا اسمَ الله عليها في حال نحرها، والبعيرُ ينحِرُ قائماً، وهذا الآية تدلُّ على ذلك. ومَن قرأ: «صوافن» فالصَّافن: التي تقوم على ثلاثٍ، والبعير إذا أرادوا نحره، تعقل إحدى يديه، فهو الصَّافن، والجمع: صوافن. هذا ومَن قرأ: «صوافي» بالياء وبالفتح بغير تنوين، فتفسيره: خوالص، أي: خالصة لله لا تشاركوا به في التَّسمية على نحرها أحداً^(١).

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ أي: إذا سقطت إلى الأرض، يقال: وجب الحائطُ وجبةً، إذا سقط. ووجب القلب وجيباً: إذا تحرك من فزع.

واعلم أنَّ نحرها قياماً سنة، والمرادُ بوقوعها على جنوبها: موتها، والأمرُ بالأكل منها أمر إباحة، وهذا في الأضاحي.

قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا أَلْفَانِ وَالْمُعْتَرَّ﴾.

وقرأ الحسنُ: «وَالْمُعْتَرِ» بكسر الرَّاءِ خفيفة^(٢).

وفيهما ستَّةُ أقوال:

=وسليمان التيمي، والأعرج.

(١) معاني القرآن وإعرابه (٤٢٨/٣).

(٢) عن عمرو بن عبيد، وإسماعيل في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٨)، وفي المحتسب (٨٢/٢)

عن عمرو بن عبيد، وأبي رجاء، وعن الحسن، وأبي رجاء في التحصيل (٤٦٠/٤).

أحدها: أَنَّ ﴿الْقَانِعَ﴾: الذي يسأل، ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾: الذي يتعرّض ولا يسأل، رواه بكر بن عبد الله عن ابن عباس، وبه قال سعيد بن جبير، واختاره الفراء^(١).

والثاني: أَنَّ ﴿الْقَانِعَ﴾: المتعفف، ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾: السائل، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وبه قال قتادة، والنخعي، وعن الحسن كالقولين.

والثالث: أَنَّ ﴿الْقَانِعَ﴾: المستغني بما أعطيته وهو في بيته، ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾: الذي يتعرّض لك ويلم بك ولا يسأل، رواه العوفي، عن ابن عباس. وقال مجاهد: ﴿الْقَانِعَ﴾: جارك الذي يقنع بما أعطيته، ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾: الذي يتعرّض ولا يسأل، وهذا مذهب القرظي^(٢).

فعلى هذا يكون معنى القانع: أن يقنع بما أعطي، ومن قال: هو المتعفف، قال: هو القانع بما عنده.

والرابع: ﴿الْقَانِعَ﴾: أهل مكّة، ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾: الذي يعترّ بهم من غير أهل مكّة، رواه خفيف، عن مجاهد.

والخامس: ﴿الْقَانِعَ﴾: الجار وإن كان غنيا، ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾: الذي يعتر بك، رواه ليث، عن مجاهد.

(١) معاني القرآن (٢/ ٢٢٦).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٦/ ٥٦٣) من طريق ليث بن أبي سليم.

والسادس: ﴿الْقَانِعَ﴾: المسكينُ السائلُ، ﴿وَالْمُعْتَزَّ﴾: الصديقُ الزائرُ، قاله زيد بن أسلم.

قال ابنُ قُتَيْبَةَ: يقال: قَنَعَ يَقْنَعُ قُنُوعًا: إذا سأل، قَنَعَ يَقْنَعُ قَنَاعَةً: إذا رضي، ويقال في المعتز: اعْتَزَّنِي واعْتَزَّانِي وَعَرَّنِي^(١).

وقال الزَّجَّاجُ: مذهبُ أهل اللغة أنَّ ﴿الْقَانِعَ﴾: السَّالِ، يقال: قَنَعَ يَقْنَعُ قُنُوعًا: إذا سأل، فهو قانعٌ.

قال الشماخ [من الوافر]^(٢):

لَمَّا لَ الْمَرْءُ يُضْلِحُهُ فَيَغْنِي مَفَاقِرَهُ أَعْفُ مِنَ الْقُنُوعِ
أي: من السُّؤال؛ ويقال: وقِنَعَ قَنَاعَةً: إذا رضي، فهو قَنِعٌ، ﴿وَالْمُعْتَزَّ﴾
والمعتري واحدٌ^(٣).

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ما وصفنا من نحرها قائمة ﴿سَخَرْتَهَا
لَكُمْ﴾ نعمةً منا عليكم لتمكَّنوا من نحرها على الوجه المسنون ﴿لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ﴾ أي: لكي تشكروا.

قوله تعالى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا﴾.

(١) غريب القرآن (ص: ٢٩٣).

(٢) في ديوانه (ص: ٢٢١)، ولسان العرب (٨/ ٢٣١)، وتهذيب اللغة (١/ ٢٥٩)، وجمهرة اللغة (ص: ٩٤٢)، ومقاييس اللغة (٥/ ٣٣).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٢٨).

وقرأ عاصمُ الجحدريُّ، وابنُ يعمرَ، وابنُ أبي عبلَةَ، ويعقوبُ: «لَنْ تَنَالَ اللَّهُ لَحْمُهَا» بالتَّاءِ، «ولكن تَنَالُهُ التَّقْوَى» بالتَّاءِ أيضًا^(١).

سببُ نزولها: أنَّ المشركينَ كانوا إذا ذبحوا استقبلوا الكعبةَ بالدماءِ ينضحون بها نحو الكعبةِ، فأراد المسلمونَ أن يفعلوا ذلك، فنزلت هذه الآيةُ، قاله أبو صالحٍ عن ابنِ عباسٍ^(٢).

قال المفسِّرون: ومعنى الآية: لن ينفع الله لحومها ولا دماؤها^(٣)، وإنَّما يُرفع إليه التَّقْوَى؛ وهو ما أريد به وجهه منكم.

[٥٦٧/أ]

فمن قرأ: «تَنَالُهُ التَّقْوَى» بالتَّاءِ، فإنَّه أنْتَهَ للفظِ التَّقْوَى، ومَنْ قرأ: ﴿يَنَالُهُ﴾ بالياءِ، فلأنَّ التَّقْوَى والتقى واحدٌ.

والإشارةُ بهذه الآيةِ إلى أنَّه لا يقبل اللُّحوم والدماء إذا لم تكن صادرةً عن تقوى الله، وإنَّما يتقبَّل ما يتَّقونه به، وهذا تنبيهٌ على امتناع قبول الأعمال إذا عريت عن نيَّةٍ صحيحةٍ.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ سَخَرَهَا﴾ قد سبق تفسيره^(٤)، ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْكُمْ﴾ أي: على ما بين لكم وأرشدكم إلى معالم دينه ومناسك حجِّه، وذلك أن يقول: الله أكبر على ما هدانا، ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾.

(١) عن يحيى بن يعمر، والجحدري في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٨)، وعن الزهري، وسلام، ويعقوب، في التحصيل (٤/ ٤٦٠).

(٢) رواه ابن المنذر، وابن مردويه في تفسيرهما كما في الدر المنثور (٦/ ٥٥).

(٣) في (س): (لن يُرفع إلى الله لحومها ولا دماؤها).

(٤) انظر: تفسير سورة الحج الآية رقم (٣٧).

قال ابن عباس: يعني: الموحدون^(١).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٣٨) أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصُّلُوحُ وَبِيعَ وَصَلَاتٌ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤١) [الحج: ٣٨-٤١].

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «يدفع» «ولولا دفع الله» بغير ألف، وهذا على مصدر دفع.

وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ﴾ بألف ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ﴾ بغير ألف^(٢)، وهذا على مصدر دافع، والمعنى: يدفع عن الذين آمنوا غائلة المشركين بمنعهم منهم ونصرهم عليهم. قال الزجاج: والمعنى: إذا فعلتم هذا وخالفتم الجاهلية فيما يفعلونه من نحرهم وإشراكهم، فإن الله يدفع عن حزب^(٣).

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٢).

(٢) السبعة (ص: ٤٣٧)، والحجة (٥/ ٢٧٨)، والبسوط (١/ ٣٠٧).

(٣) معاني القرآن وإعراجه (٣/ ٤٢٩).

و«الْخَوَّانُ» فَعَّالٌ مِنَ الْخِيَانَةِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ مَنْ ذَكَرَ غَيْرَ اسْمِ اللَّهِ، وَتَقَرَّبَ إِلَى الْأَصْنَامِ بِذَبِيحَتِهِ، فَهُوَ خَوَّانٌ.

قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾.

قرأ ابنُ كثير، وابنُ عامر، وحمزة، والكسائي: «أُذِنَ» بفتح الألفِ.

وقرأ نافع، وأبو عمرو، وأبو بكر، وحفص عن عاصم:

﴿أُذِنَ﴾ بضمِّها ^(١).

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ﴾.

قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصمٍ

بكسر التاءِ.

وقرأ نافع، وابنُ عامر، وحفص عن عاصم: بفتحها ^(٢).

قال ابنُ عباسٍ: كان مشركو أهل مَكَّةَ يؤذون أصحابَ رسولِ الله

ﷺ فيقول لهم: «اضربوا، فَإِنِّي لَمْ أَوْمَرْ بِالْقِتَالِ»، حَتَّى هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ

ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ، وَهِيَ أَوَّلُ آيَةٍ أَنْزَلَتْ فِي الْقِتَالِ ^(٣).

(١) السبعة (ص: ٤٣٧)، والمبسوط (١/ ٣٠٧).

(٢) السبعة (ص: ٤٣٧).

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٧٢).

وقال مجاهدٌ: هم ناسٌ خرجوا من مكة مهاجرين، فأدركتهم^(١) كفار قريش، فأذن لهم في قتالهم^(٢).

قال الزجاج: معنى الآية: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ﴾ أن يقاتلوا^(٣).

﴿يَأْتِيهِمْ ظُلُمًا﴾ أي: بسبب ما ظلموا، ثم وعدهم النصر بقوله: ﴿وَلِإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ولا يجوز أن يُقرأ بفتح «إِنَّ» هذه من غير خلاف بين أهل اللغة، لأنَّ «إِنَّ» إذا كانت معها اللام، لم تفتح أبدًا.

وقوله: ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ معناه: أخرجوا لتوحيدهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ﴾ قد فسرناه في البقرة^(٤).

قوله تعالى: ﴿لَهْدَمْتُ﴾

قرأ ابن كثير، ونافع: «لَهْدَمْتُ» خفيفة، والباقون بتشديد الدال^(٥).

فأما الصوامع، ففيها قولان:

أحدهما: أنها صوامع الرهبان، قاله ابن عباس، وأبو العالية، ومجاهد، وابن زيد.

(١) في (س): (فأدركتهم).

(٢) في تفسيره (١/ ٤٨٢)، وابن جرير الطبري (١٦/ ٥٧٥) من طريق ابن أبي نجيح، بنحوه.

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣٠).

(٤) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٥).

(٥) السبعة (ص: ٤٣٨)، والحجة (٥/ ٢٧٩)، والتيسير (ص: ١٥٧).

والثاني: أنَّها صوامع الصَّابِثِينَ، قاله قتادة، وابنُ قُتَيْبَةَ^(١).

فأَمَّا الْبَيْعُ، فهي جمع بَيْعَةٍ، وهي بَيْعُ النَّصَارَى.

[٥٦٧/ب]

وفي المرادِ بالصلوات قولان:

أحدهما: مواضع الصَّلواتِ.

ثمَّ فيها قولان:

أحدهما: أنَّها كنائسُ اليهودِ، قاله قتادة، والضَّحَّاكُ.

قال الشَّيْخُ: وقرأتُ على شيخنا أبي منصور اللُّغوي، قال: قوله

تعالى: ﴿وَصَلَّوْا﴾ هي كنائسُ اليهودِ، وهي بالعبرانية صَلَّوْا^(٢).

والثاني: مساجدُ الصَّابِثِينَ، قاله أبو العالية.

والقول الثاني: أنَّها الصَّلواتُ حقيقة، والمعنى: لولا دفعُ الله عن

المسلمين بالمجاهدين، لانقطعت الصَّلواتُ في المساجدِ، قاله ابنُ زيدٍ.

فأَمَّا المساجدُ، فقال ابنُ عَبَّاسٍ: هي مساجدُ المسلمين^(٣).

وقال الزَّجَّاجُ: معنى الآية: لولا دفعُ بعضِ النَّاسِ ببعضٍ لهدَّمت في زمن

موسى الكنائسُ، وفي زمن عيسى الصَّوامع والبيع، وفي زمنِ مُحَمَّدٍ المساجدُ^(٤).

(١) غريب القرآن (ص: ٢٩٣).

(٢) المغرب (ص: ٤١٩).

(٣) رواه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم في تفسيرهما كما في الدر المنثور (٥٩/٦) بلفظ:

«الصَّوامع الَّتِي تَكُونُ فِيهَا الرِّهْبَانُ، وَالْبَيْعُ مَسَاجِدُ الْيَهُودِ، وَصَلَّوَاتُ كِنَائِسِ النَّصَارَى، وَالْمَسَاجِدُ مَسَاجِدُ الْمُسْلِمِينَ».

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/٤٣١).

وفي قوله: ﴿يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ﴾ قولان:

أحدهما: أنَّ الكناية ترجع إلى جميع الأماكن المذكورات، قاله الضحاك.

والثاني: إلى المساجد خاصة، لأنَّ جميع المواضع المذكورة، الغالب فيها الشُّرك، قاله أبو سليمان الدمشقي.

قوله تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي: مَنْ ينصر دينه وشرعه.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾

قال الزَّجَّاجُ: هذه صفة ناصريه^(١).

قال المفسِّرون: التمكين في الأرض: نصرتهم على عدوِّهم، والمعروف: لا إله إلا الله، والمنكر: الشُّرك.

قال الأكثرون: وهؤلاء أصحابُ رسولِ الله ﷺ.

وقال القرطبي: هم الولاية^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ أي: إليه مرجعها، لأنَّ كلَّ ملكٍ يبطل سوى ملكه.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿١٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ

(١) المصدر السابق.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (٦/ ٦٠).

فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِىٰ مُعْطَلَةٌ وَقَصْرِ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ [الحج: ٤٢-٤٥].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ﴾ أي: بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

أثبت اليباء في «نكير» يعقوب في الحالين، ووافقه ورش في إثباتها في الوصل، والمعنى: كيف أنكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب بالإهلاك؟ والمعنى: أني أنكرت عليهم أبلغ إنكار، وهذا استفهام معناه التقرير.

قوله تعالى: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾.

قرأ أبو عمرو: «أهلكتها» بالتاء، والباقون: «أهلكنّاها» بالنون^(١).

قوله تعالى: ﴿وَيَبْرِىٰ مُعْطَلَةٌ﴾.

قرأ ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: ﴿وَيَبْرِىٰ﴾ مهموز.

وروى ورش عن نافع بغير همز^(٢)، والمعنى: وكم بئر معطلة، أي: متروكة.

﴿وَقَصْرِ مَشِيدٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: مجصص، قاله ابن عباس، وعكرمة.

قال الزجاج: أصل الشيد الجص والنورة، وكل ما بني بهما أو بأحدهما فهو مشيد^(٣).

(١) السبعة (ص: ٤٣٨)، والحجة (٥/ ٢٨١)، والمبسوط (١/ ٣٠٨).

(٢) السبعة (ص: ٤٣٨)، والحجة (٥/ ٢٨٢).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣٢).

والثاني: طويل، قاله الضَّحَّاكُ، ومقاتل^(١).

وفي الكلام إضمار، تقديره: وقصر مشيد معطل أيضا ليس فيه ساكن.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ
هَإِذَا نَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۖ ﴿٤٦﴾
وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا
تَعُدُّونَ ۖ ﴿٤٧﴾ وَكَأَنِّ مِّنْ قَرِيبٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ
﴿٤٨﴾﴾ [الحج: ٤٦-٤٨].

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ قال المفسرون: أفلم يسر قومك في أرض
اليمن والشام ﴿فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ إذا نظروا آثار من هلك ﴿أَوْ
هَإِذَا نَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أخبار الأمم المكذبة ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾.

قال الفراء: الهاء في قوله: ﴿فَإِنَّهَا﴾ عماد، والمعنى: أن أبصارهم لم
تعم، وإنما عميت قلوبهم^(٢).

فأما قوله: ﴿الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ فهو توكيد، لأن القلب لا يكون إلا في
الصدر، ومثله: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦] ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨]
﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧].

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ [٥٦٨/أ].

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٣١).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٢٨).

قال مقاتل: نزلت في النضر بن الحارث القرشي^(١).

وقال غيره: هو قولهم له: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ [الملك ٢٥] ونحوه من استعجالهم، ﴿وَلَنْ يَخْلَفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ في إنزال العذاب بهم في الدنيا، فأنزله بهم يوم بدر، ﴿وَلَا يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: من أيام الآخرة ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ من أيام الدنيا.

قرأ عاصم، وأبو عمرو، وابن عامر: ﴿تَعُدُّونَ﴾ بالتاء.

وقرأ ابن كثير، وحزرة، والكسائي: «يَعُدُّونَ» بالياء^(٢).

فإن قيل: كيف انصرف الكلام من ذكر العذاب إلى قوله: ﴿وَلَا يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾؟ فعنه جوابان:

أحدهما: أنهم استعجلوا العذاب في الدنيا، ف قيل لهم: لن يخلف الله وعده في إنزال العذاب بكم في الدنيا، وإنَّ يومًا من أيام عذابكم في الآخرة كألف سنة من سني الدنيا، فكيف تستعجلون بالعذاب؟ فقد تضمّنت الآية وعدهم بعذاب الدنيا والآخرة، هذا قول الفراء^(٣).

والثاني: وإنَّ يومًا عند الله وألف سنة سواء في قدرته على عذابهم، فلا فرق بين وقوع ما يستعجلونه وبين تأخيرهِ في القدرة، إلا أن الله تفضّل عليهم بالإمهال، هذا قول الزجاج^(٤).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٣١).

(٢) السبعة (ص: ٤٣٩)، والحجة (٥/ ٢٨٢)، والمبسوط (١/ ٣٠٩).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٢٩).

(٤) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣٣).

قوله تعالى: ﴿قَدْ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (٤٩) ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (٥٠) ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي مَآيَتِنَا مُعْجِرِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَعِيمِ﴾ (٥١) [الحج: ٤٩-٥١].

قوله تعالى: ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ يعني به الرزق الحسن في الجنة.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي مَآيَتِنَا﴾ أي: عملوا في إبطالها ﴿مُعْجِرِينَ﴾.

قرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي: «معجزين» بغير ألف.

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿مُعْجِرِينَ﴾ بألف^(١).

قال الزجاج: ﴿مُعْجِرِينَ﴾ أي: طائفتهم يعجزوننا، لأنهم ظنوا أنهم لا يعثون، وأنه لا جنة ولا نار، قال: وقيل في التفسير: معجزين: معاندين^(٢)، وليس هو بخارج عن القول الأول؛ ومعجزين تأويلها: أنهم كانوا يعجزون من أتبع النبي ﷺ ويشطونهم عنه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ

(١) هكذا في الأصل، وجميع النسخ، وهو سبق قلم من المؤلف رحمه الله، والعكس هو الصواب؛ فقد قرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي بألف، وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو وبغير ألف.

(٢) انظر: السبعة (ص: ٤٣٩)، والحجة (٥/ ٢٨٢-٢٨٣)، والتيسير (ص: ١٥٨).

(٣) معاني القرآن وإعراجه (٣/ ٤٣٣).

قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾ [الحج: ٥٢-٥٥].

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ﴾ الآية.

قال المفسرون: سبب نزولها: أن رسول الله ﷺ لما نزلت عليه سورة النجم قرأها حتى بلغ قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّتَّ وَالْعُزَّىٰ﴾ ﴿١١﴾ وَمَنُوءَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ [النجم ١٩، ٢٠] فألقى الشيطان: تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى؛ فلما سمعت قريش بذلك فرحوا، فأتاه جبريل، فقال: ماذا صنعت؟ تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله، فحزن رسول الله ﷺ حزناً شديداً^(١)، فنزلت هذه الآية تطيباً لقلبه، وإعلاماً له أن الأنبياء قد جرى لهم مثل هذا.

قال العلماء المحققون: وهذا لا يصح، لأن رسول الله ﷺ معصوم عن مثل هذا، ولو صح، كان المعنى أن بعض شياطين الإنس قال تلك الكلمات، فإنهم كانوا إذا تلا لغطوا، كما قال الله ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ﴾ [فصلت ٢٦].

(١) هذه القصة لا تصح، وقد جمع طرقها وبين ضعفها العلامة الألباني في نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق.

قال: وفي معنى «تمنى» قولان:

أحدهما: تلا، قاله الأكثرون، وأنشدوا [من الطويل] ^(١):

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ وَآخِرَهَا لَأَقَى حِمَامَ الْمَقَادِرِ

وقال آخر [من الطويل] ^(٢):

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ آخِرَ لَيْلَةٍ تَمَنَّى دَاوُدَ الزُّبُورَ عَلَى رِسْلِ

[٥٦٨/ب] والثاني: أنه من الأمنية، وذلك أن رسول الله ﷺ تمنى يوماً أن لا يأتيه من الله شيء ينفر عنه به قومه، فألقى الشيطان على لسانه لما كان قد تمنّاه، قاله محمد بن كعب القرظي ^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ أي: يبطله ويذهبه ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ أَمْرَهُ﴾.

قال مقاتل: يحكمها من الباطل ^(٤).

قوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ﴾ اللام متعلقة بقوله: ألقى الشيطان، والفتنة هاهنا بمعنى البلية والمحنة. والمرض: الشك والنفاق.

(١) لحسان بن ثابت في تفسير ابن حبان (٥٢٧/٧)، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في الزاهر (١٥٠/٢)، ولسان العرب (٢٩٤/١٥)، ومقاييس اللغة (٢٧٧/٥)، والعين (٣٩٠/٨).

(٢) بلا نسبة في الزاهر (١٥١/٢)، والمحكم والمحيط (٥١١/١٠)، ولسان العرب (٢٩٤/١٥).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٦٠٣/١٦).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان (١٣٣/٣).

﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني: الجافية عن الإيمان.

ثم أعلمه أنهم ظالمون وأنهم في شقاقٍ دائمٍ، والشقاقُ: غايةُ العدواةِ.
قوله تعالى: ﴿وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ وهو التَّوْحِيدُ والقرآنُ،
وهم المؤمنون.

وقال السُّدِّيُّ: التَّصْدِيقُ بنسخِ الله.

قوله تعالى: ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ إشارةٌ إلى نسخِ ما يلقي الشَّيْطَانُ؛ فالمعنى:
ليعلموا أنَّ نسخَ ذلك وإبطاله حقٌّ من الله ﴿فَيُؤْمِنُوا﴾ بالنسخِ ﴿فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: تخضع وتذلُّ، ثم بيَّن بباقي الآية أنَّ هذا الإيمان والإخبات
إنَّما هو بلفظِ الله وهدايته.

قوله تعالى: ﴿فِي مَرِيَقَتَيْنِ﴾ أي: في شكٍّ.

وفي هاء «منه» أربعة أقوال:

أحدها: أنَّها ترجعُ إلى قوله: تلك الغرائقُ العلى.

والثاني: أنَّها ترجعُ إلى سجوده في سورة النِّجم، والقولان عن سعيد بن
جبير، فيكون المعنى: إنَّهم يقولون: ما باله ذكر آلهتنا ثم رجع عن ذكرها؟

والثالث: أنَّها ترجعُ إلى القرآن، قاله ابنُ جريج.

والرابع: أنَّها ترجعُ إلى الدين، حكاه الثَّعلبيُّ^(١).

قوله تعالى: ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ وفيها قولان:

أحدهما: القيامة تأتي من تقوم عليه من المشركين، قاله الحسن.

والثاني: ساعة موتهم، ذكره الواحدي^(١).

قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه يوم بدر، روي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي.

والثاني: أنه يوم القيامة، قاله عكرمة، والضحاك.

وأصل العقم في الولادة، يقال: امرأة عقيم لا تلد، ورجل عقيم لا يولد له، وأنشدوا [من الكامل]^(٢):

عُقِمَ النِّسَاءُ فَمَا يَلِدْنَ شَيْئَهُ إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عُقْمُ

وسميت الرِّيحُ العقيم بهذا الاسم، لأنها لا تأتي بالسَّحابِ المطرِ،
فقليل لهذا اليوم: عقيم، لأنه لم يأت بخير، فعلى قول من قال: هو يومُ
بدر، في تسميته بالعقيم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه لم يكن فيه للكفار بركة ولا خير، قاله الضحاك.

والثاني: لأنهم لم يُنظروا فيه إلى الليل، بل قتلوا قبل المساء، قاله ابن جريج.

(١) الوسيط (٣/٢٧٧).

(٢) في لسان العرب (٤١٢/١٢) عن أبي دهب المخزومي، وقيل للحزبن الليثي، وفي عيون الأخبار (٣٩٢/١)، وديوان المعاني (١/١٣٩)، عن أبي دهب، وبلا نسبة في الدر الفريد (٧/٢٢١).

والثالث: لأنه لا مثل له في عظم أمره، لقتال الملائكة فيه، قاله يحيى بن سلام.

وعلى قول من قال: هو يوم القيامة، في تسميته بذلك قولان: أحدهما: لأنه لا ليلة له، قاله عكرمة.

والثاني: لأنه لا يأتي المشركين بخير ولا فرج، ذكره بعض المفسرين.

قوله تعالى: ﴿الْمَلَأْتُ يَوْمَئِذٍ لَّهُ بِحَكْمٍ بَيْنَهُمْ فَأَلَّيْتُكَ وَأَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ٥٧ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ٥٨ لِيُدْخِلَنَّهُمْ مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ. وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿[الحج: ٥٦-٥٩].

قوله تعالى: ﴿الْمَلَأْتُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة ﴿لَّهُ﴾ من غير منازع ولا مدع ﴿بِحَكْمٍ بَيْنَهُمْ﴾ أي: بين المسلمين والمشركين؛ وحكمه بينهم بما ذكره في تمام الآية وما بعدها.

[٥٦٩/أ]

ثم ذكر فضل المهاجرين فقال: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: من مكة إلى المدينة.

وفي الرزق الحسن قولان:

أحدهما: أنه الحلال، قاله ابن عباس.

والثاني: رزق الجنة، قاله السدي.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾.

قرأ ابنُ عامرٍ: «قُتِلُوا» بالتَّشْدِيدِ^(١).

قوله تعالى: ﴿لِيَدْخُلَنَّهُمْ مَدْخَلًا﴾.

وقرأ نافعٌ: بفتح الميم^(٢).

﴿يَرْضَوْنَهُ﴾ يعني: الجنة، والمدخل يجوز أن يكون مصدرًا، فيكون المعنى: ليدخلنهم إدخالًا يكرمون به فيرضونه؛ ويجوز أن يكون بمعنى المكان. و«مَدْخَلًا» بفتح الميم على تقدير: فيدخلون مَدْخَلًا.

﴿وَلِإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بنيتهم ﴿حَلِيمٌ﴾ عنهم.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ، ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ (٦٠) ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ يُولِجُ الْبَلَّ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الْبَلِّ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٦١) ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَكَ مِنْ دُونِهِ، هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ [الحج: ٦٠-٦٢].

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾.

قال الزَّجَّاجُ: المعنى: الأمر ذلك، أي: الأمر ما قصصنا عليكم^(٣).

(١) السبعة (ص: ٤٣٩)، والحجة (٥/ ٢٨٤)، والمبسوط (١/ ٣٠٨).

(٢) السبعة (ص: ٤٣٩)، والحجة (٥/ ٢٨٤)، والتيسير (ص: ٩٥).

(٣) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣٥).

﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ والعقوبة: الجزاء؛ والأول ليس بعقوبة، ولكنه سُمِّي عقوبة، لاستواء الفعلين في جنس المكروه، كقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى ٤٠] لما كانت المجازاة إساءة بالمفعول به سُميت سيئة، ومثله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥]، قاله الحسن.
ومعنى الآية: مَنْ قَاتَلَ الْمُشْرِكِينَ كَمَا قَاتَلُوهُ ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ أي: ظلم بإخراجه عن منزله.

وزعم مقاتلٌ أنَّ سَبَبَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ مُشْرِكِي مَكَّةَ لَقُوا الْمُسْلِمِينَ لِلَّيْلَةِ بَقِيَتْ مِنَ الْحَرَمِ، فَقَاتَلُوهُمْ، فَنَاشَدَهُمُ الْمُسْلِمُونَ أَنْ لَا يَقَاتِلُوهُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَأَبَوْا إِلَّا الْقِتَالَ، فَثَبَتَ الْمُسْلِمُونَ، وَنَصَرَهُمُ اللَّهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، وَوَقَعَ فِي نَفُوسِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا اللَّهُ لَعَنُوكُمْ﴾ عَنْهُمْ ﴿غَفُورٌ﴾ لِقَاتِلِهِمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ^(١).

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذَلِكَ النَّصْرُ ﴿يَا أَيُّهَا اللَّهُ﴾ القادرُ على ما يشاء. فمن قدرته أنه ﴿اللَّهُ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لدعاء المؤمنين ﴿بَصِيرٌ﴾ بهم حيث جعل فيهم الإيمان والتقوى، ﴿ذَلِكَ﴾ الذي فعل من نصر المؤمنين ﴿يَا أَيُّهَا اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي: هو الإله الحق ﴿وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ﴾.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٣٥).

قرأ ابنُ كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وحفصٌ عن عاصم: ﴿يَدْعُونَ﴾ بالياء.

وقرأ نافع، وابنُ عامر، وأبو بكرٍ عن عاصم: بالتاء^(١)، والمعنى: وأنَّ ما يعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٣) لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿[الحج: ٦٣-٦٤].

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ يعني: المطر ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ بالنبات.

وحكى الزَّجَّاجُ عن الخليلِ أَنَّهُ قال: معنى الكلام التَّنبيه، كَأَنَّهُ قال: أَسْمِعْ، أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَكَانَ كَذَا وَكَذَا^(٢).

وقال ثعلبٌ: معنى الآية عند الفَرَّاءِ خبر، كَأَنَّهُ قال: اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ، وَلَوْ كَانَ اسْتِفْهَامًا وَالْفَاءُ شَرْطًا لَنْصَبَهُ^(٣).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ أي: باستخراجِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ رِزْقًا لِعِبَادِهِ ﴿خَبِيرٌ﴾ بما في قلوبهم عند تأخيرِ المطرِ، وقد سبق معنى الغني والحميد في البقرة^(٤).

(١) السبعة (ص: ٤٤٠)، والحجة (٥/ ٢٨٥)، والمبسوط (١/ ٣٠٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣٦).

(٣) معاني القرآن (٢/ ٢٢٩).

(٤) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٦٧).



قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلُكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي أَخْيَاكُمْ ثُمَّ يُيمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ [الحج: ٦٥-٦٦].

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ يريد البهائم التي تتركب ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ﴾. قال الزجاج: كراهة أن تقع^(١). وقال غيره: لئلا تقع.

﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ فيما سخر لهم وفيما حبس عنهم من [٥٦٩/ب] وقوع السماء عليهم.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَخْيَاكُمْ﴾ بعد أن كتتم نطفاً ميتة ﴿ثُمَّ يُيمِيتُكُمْ﴾ عند آجالكم ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعث والحساب ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ يعني: المشرك ﴿لَكُفُورٌ﴾ لنعم الله إذ لم يوحد.

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَخْتَكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحج: ٦٧-٧٠].

(١) معاني القرآن وإعرابه (٣/ ٤٣٧).

قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ قد سبق بيأؤه في هذه السورة^(١) ﴿فَلَا يَنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ﴾ أي: في الذبائح، وذلك أن كفار قريش وخزاعة خاصموا رسول الله ﷺ في أمر الذبيحة، فقالوا: كيف تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله؟ يعنون: الميتة.

فإن قيل: إذا كانوا هم المنازعين له، فكيف قيل: فلا ينازعك؟

فقد أجاب عنه الزجاج، فقال: المراد: النهي له عن منازعتهم، فالمعنى: لا تنازعهم، كما تقول للرجل: لا يخاصمك فلان في هذا أبداً، وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون إلا من اثنين، لأن المجادلة والمخاصمة لا تتم إلا باثنين، فإذا قلت: لا يجادلنك فلان، فهو بمنزلة: لا تجادلنّه، ولا يجوز هذا في قولك: لا يضربنك فلان وأنت تريد: لا تضربنّه، ولكن لو قلت: لا يضاربنك فلان، لكان كقولك: لا تضاربن، ويدل على هذا الجواب قوله: ﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ﴾^(٢).

قوله تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ أي: إلى دينه والإيمان به.

و﴿جَدَلُوكَ﴾ بمعنى: خاصموك في أمر الذبائح، ﴿فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من التكذيب، فهو يجازيكم به.

﴿اللَّهُ يَخْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: يقضي بينكم ﴿فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من الدين، أي: تذهبون إلى خلاف ما ذهب إليه المؤمنون،

(١) انظر: تفسير سورة الحج الآية رقم (٣٤).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٤٣٧/٣).

وهذا أدبٌ حسنٌ علَّمه الله عباده ليردوا به من جادل على سبيل التعنت، ولا يجيئوه، ولا يناظروه.

فصل

قال أكثرُ المفسرين: هذا نزل قبل الأمر بالقتال، ثم نسخَ بآية السيف.

وقال بعضهم: هذا نزل في حق المنافقين، كانت تظهر من أقوالهم وأفعالهم فلتات تدل على شركهم، ثم يجادلون على ذلك، فوكل أمرهم إلى الله تعالى، فالآية على هذا محكمة.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا استفهام يراد به التقرير؛ والمعنى: قد علمت، ذلك ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ يعني: ما يجري في السموات والأرض ﴿فِي كِتَابٍ﴾ يعني: اللوح المحفوظ، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ أي: علم الله بجميع ذلك ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سهل لا يتعذر عليه العلم به. قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (٧١) وإذا نزلت عليهم آياتنا بينت تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر بكادوت يستطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنشئكم بشر من ذلك النار وعدّها الله الذين كفروا ونش المصير ﴿[الحج: ٧١-٧٢].

قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ يعني: كفار مكة ﴿مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ﴾ أي: حجة ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أنه إله، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ يعني: المشركين ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ أي: مانع من العذاب.

﴿وَإِذَا نَتَلَى عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا﴾ يعني: القرآن، والمنكر هاهنا بمعنى الإنكار، فالمعنى: أثار الإنكار من الكراهة، وتعبيس الوجوه، معروف عندهم.

﴿يَكَادُوتُ يَسْطُونُ﴾ أي: يبطشون ويوقعون بمن يتلو عليهم القرآن من شدة الغيظ، يقال: سطا عليه، وسطا به: إذا تناوله بالعنف والشدة. ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿أَفَأَنْتُمْ كُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ﴾ أي: بأشد [٥٧٠/أ] عليكم وأكره إليكم من سماع القرآن، ثم ذكر ذلك فقال: ﴿النَّارُ﴾ أي: هو النار.

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ [الحج: ٧٣-٧٤].

قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ﴾.

قال الأخفش: إن قيل: أين المثل؟ فالجواب: أنه ليس هاهنا مثل، وإنما المعنى: يا أيها الناس ضرب لي مثل، أي: شبهت بي الأوثان ﴿فَاسْتَمِعُوا﴾ لهذا المثل^(١).

وتأويل الآية: جعل المشركون الأصنام شركائي فعبدوها معي فاستمعوا حالها؛ ثم بين ذلك بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أي: تعبّدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

(١) معاني القرآن (٢/ ٤٥٢).

وقرأ ابنُ عَبَّاسٍ، وأبورزَيْن، وابنُ أَبِي عُبَلَةَ: «يَدْعُونَ» بالياءِ المفتوحة^(١).

وقرأ ابنُ السَّمِيعِ، وأبورجاءٍ، وعاصمُ الجَحْدَرِيُّ: «يُدْعُونَ» بضمِّ الياءِ وفتح العينِ^(٢)، يعني: الأصنام، ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ والذُّبَاب واحدٌ، والجمعُ القليل: أذْبَّة، والكثيرُ: الذَّبَّان، مثل: غُرَاب وأغْرِبة وغُرْبَان، وقيل: إنّما خَصَّ الذُّبَاب لمهاتته واستقداره وكثرته.

﴿وَلَوْ أَجْتَمَعُوا﴾ يعني الأصنام ﴿لَهُ﴾ أي: لخلقهِ، ﴿وَأِنْ يَسْلُبْهُمْ﴾ يعني: الأصنام.

قال ابنُ عَبَّاسٍ: كانوا يطلون أصنامهم بالزَّعفرانِ فيجفُّ، فيأتي الذُّبَابُ فيختلسه^(٣).

وقال ابنُ جُرَيْجٍ: كانوا إذا طَيَّبُوا أصنامهم عجنوا طيبهم بشيءٍ من الخلواءِ، كالعسلِ ونحوه، فيقعُ عليه الذُّبَابُ فيسلبها إيَّاه، فلا تستطيعُ الآلهةُ ولا من عبدها أن يمنعهُ ذلك.

وقال السُّدِّيُّ: كانوا يجعلون للآلهة طعامًا، فيقعُ الذُّبَابُ عليه فيأكل منه^(٤).

(١) في البحر المحيط (٧/ ٥٣٧) عن الحسن، ويعقوب، وهارون، والحفاف، ومحبوب، عن أبي عمرو.

(٢) عن اليماني، وموسى الأسوري في مختصر ابن خالويه (ص: ٩٩)، وزاد في التحصيل (٤/ ٤٧٠) عمرو بن فائد.

(٣) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٠).

(٤) انظر: المصدر السابق.

قال ثعلبٌ: وإِنَّمَا قَالَ: ﴿لَا يَسْتَفِذُوهُ مِنْهُ﴾ فجعل أفعال الآلهة كأفعال الآدميين، إذ كانوا يعظمونها ويذبحون لها وتخطب، كقوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّحْلُ أَذْخُلُوا مِنْكُمْ﴾ [النمل: ١٨] لما خاطبهم جعلهم كالآدميين، ومثله: ﴿رَأَيْتُهُمْ لِي سَاحِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] وقد بينا هذا المعنى في الأعراف^(١) عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُخْلُقْ﴾.

قوله تعالى: ﴿ضَعْفُ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أَنَّ الطَّالِبَ: الصَّنَم، والمطلوبُ: الذُّباب، رواه عطاء عن ابن عباسٍ.
والثاني: الطَّالِبُ: الذُّباب يطلب ما يسلبه من الطيب الذي على الصَّنَم، والمطلوبُ: الصَّنَم يطلب الذُّباب منه سلب ما عليه، روي عن ابن عباسٍ أيضًا.

والثالث: الطَّالِبُ: عابدُ الصَّنَم يطلب التَّقَرُّبَ بعبادته، والمطلوبُ: الصَّنَم، هذا معنى قول الضَّحَّاك، والسُّدِّي.

قوله تعالى: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي: ما عظموه حقَّ عظمتهم، إذ جعلوا هذه الأصنام شركاء له ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ لا يقهر ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يرام.

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٧٥) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٧٦) [الحج: ٧٥-٧٦].

(١) انظر: تفسير سورة الأعراف الآية رقم (١٩١).

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ كجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ الأنبياء المرسلين، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لمقالة العباد ﴿بَصِيرٌ﴾ بمن يتخذه رسولاً.

وزعم مقاتل أن هذه الآية نزلت حين قالوا: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا﴾ [ص: ٨٠] (١).

قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الإشارة إلى الذين اصطفاهم؛ وقد بينا معنى ذلك في آية الكرسي (٢).

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

قوله تعالى: ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ قال المفسرون: المراد: صلّوا، لأنّ الصّلاة لا تكون إلّا بالركوع والسّجود، ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: وحدوه [٥٧٠/ب] ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ يريد: أبواب المعروف ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: لكي تسعدوا وتبقوا في الجنّة.

(١) تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ١٤٠).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (٢٥٥).

فصل

لم يختلف أهل العلم في السجدة الأولى من الحج، واختلفوا في هذه السجدة الأخيرة؛ فروي عن عمر، وابن عمر، وعمار، وأبي الدرداء، وأبي موسى، وابن عباس: أنهم قالوا: في الحج سجدتان، وقالوا: فضلت هذه السورة على غيرها بسجدتين، وبهذا قال أصحابنا، وهو مذهب الشافعي رحمه الله.

وروي عن ابن عباس أنه قال: في الحج سجدة، وبهذا قال الحسن، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، وإبراهيم، وجابر بن زيد، وأبو حنيفة وأصحابه، ومالك.

ويدل على الأول ما روى عقبه بن عامر، قال: قلت: يا رسول الله أفي الحج سجدتان؟ قال: «نعم، ومن لم يسجد هما فلا يقرأهما»^(١).

فصل

اختلف العلماء في عدد سجود القرآن، فروي عن أحمد روايتان، إحداهما: أنها أربع عشرة سجدة، وبه قال الشافعي، والثانية: أنها خمس عشرة، فزاد سجدة ص، وقال أبو حنيفة: هي أربع عشرة، فأخرج التي في آخر الحج، وأبدل منها سجدة ص.

(١) رواه أحمد (٤/ ١٥١ - ١٥٥)، وأبو داود (١٤٠٢)، والترمذي (٥٧٨)، والطبراني في الكبير (٨٤٦)، والدارقطني في السنن (١٥٢١)، والحاكم في المستدرک (٣٤٣/١)، وفي إسناده عبد الله بن لهيعة أجمع أصحاب الحديث على ضعفه وترك الاحتجاج بما ينفرده.



فصل

وسجود التلاوة سنة، وقال أبو حنيفة: واجب، ولا يصح سجود التلاوة إلا بتكبير الإحرام والسلام، خلافاً لأصحاب أبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي.

ولا يجزئ الركوع عن سجود التلاوة، وقال أبو حنيفة: يجزئ.

ولا يسجد المستمع إذا لم يسجد التالي، نص عليه أحمد رحمه الله.

وتكره قراءة السجدة في صلاة الإخفات، خلافاً للشافعي.

قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ في هذا الجهاد ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه فعل جميع الطاعات، هذا قول الأكثرين.

والثاني: أنه جهاد الكفار، قاله الضحّاك.

والثالث: أنه جهاد النفس والهوى، قاله عبد الله بن المبارك.

فأمّا حق الجهاد، ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الجد في المجاهدة، واستيفاء الإمكان فيها.

والثاني: أنه إخلاص النية لله تعالى.

والثالث: أنه فعل ما فيه وفاء لحق الله تعالى.

فصل

وقد زعم قومٌ أنَّ هذه الآية منسوخةٌ، واختلفوا في ناسخها على قولين:

أحدهما: قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

والثاني: قوله: ﴿فَأَنْقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وقال آخرون: بل هي محكمةٌ، ويؤكدُها القولان الأولان في تفسير حقِّ الجهادِ، وهو الأصحُّ، لأنَّ الله تعالى لا يكلفُ نفسًا إِلَّا وُسْعَهَا.

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَجْتَبَكُمْ﴾ أي: اختاركم واصطفاكم لدينه.

والخرجُ: الضيقُ، فما من شيءٍ وقع الإنسانُ فيه إِلَّا وجد له في الشرع مخرجًا بتوبةٍ أو كفارةٍ أو انتقالٍ إلى رخصةٍ ونحو ذلك.

وروي عن ابن عباسٍ أنَّه قال: الخرج: ما كان على بني إسرائيل من الإصرِ والشدائدِ، وضعه الله عن هذه الأمة^(١).

قوله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ﴾.

قال الفراءُ: المعنى: وسَّع عليكم كملةَ أبيكم، فإذا ألقيت الكاف نصبت، ويجوز النَّصْبُ على معنى الأمرِ بها، لأنَّ أوَّلَ الكلامِ أمرٌ، وهو قوله: ﴿أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ والزموا ملةَ أبيكم^(٢).

فإن قيل: هذا الخطابُ للمسلمين، وليس إبراهيمُ أبًا لكلهم.

(١) أورده الواحدي في الوسيط (٣/ ٢٨٢).

(٢) معاني القرآن (٢/ ٢٣١).

فالجواب: أنه إن كان خطاباً عاماً للمسلمين، فهو كالأب لهم، لأنَّ حرمة وحقه عليهم كحقِّ الوالد، وإن كان خطاباً للعربِ خاصّة، فإبراهيمُ أبو العربِ قاطبة، هذا قولُ المفسرين.

قال الشيخ^(١): والذي يقع لي أن الخطاب لرسولِ الله ﷺ، لأنَّ إبراهيمَ أبوه، وأمةُ رسولِ الله ﷺ داخلَةٌ فيما خُوطِبَ به رسولُ الله.

قوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَنُكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ في المشارِ إليه قولان:

أحدهما: أنه الله ﷻ، قاله ابنُ عباسٍ، ومجاهدٌ، والجمهورُ؛ فعلى هذا في قوله: ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ قولان:

أحدهما: من قبل إنزالِ القرآنِ سَمَّاكم بهذا في الكتب التي أنزلها.

والثاني: من قبل أي: في أم الكتاب، وقوله: ﴿وَفِي هَذَا﴾ أي: في القرآن.

والثاني: أنه إبراهيمُ عليه السلام حين قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ﴾ [البقرة: ١٢٨] فالمعنى: من قبل هذا الوقت، وذلك في زمانِ إبراهيم عليه السلام، وفي هذا الوقت حين قال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ﴾، هذا قولُ ابنِ زيد.

قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ﴾ المعنى: اجتباكم وسَمَّاكم ليكون الرسول، يعني محمداً ﷺ ﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة أنه قد بلغكم؛ وقد شرحنا هذا المعنى في البقرة^(٢) إلى قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾.

(١) قوله: (قال الشيخ)، ليس في (س).

(٢) انظر: تفسير سورة البقرة الآية رقم (١٤٣).

قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللهِ﴾.

قال ابنُ عباسٍ: سلوه أن يعصمكم من كلِّ ما يسخط ويكره^(١).

وقال الحسنُ: تمسَّكوا بدينِ الله^(٢).

وما بعد هذا مشروحٌ في الأنفال^(٣).

(١) التفسير الوسيط (٣/ ٢٨٢).

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: تفسير سورة الأنفال الآية رقم (٤٠).

فهرس الآيات

الصفحة	رقم الآية
سورة الكهف	
٧	٦٠١
١١	٨٠٧
١٣	١٢٠٩
٢٥	١٧٠١٣
٢٩	١٨
٣٣	٢٠٠١٩
٣٧	٢١
٣٩	٢٤٠٢٢
٤٩	٢٦٠٢٥
٥١	٢٨٠٢٧
٥٥	٢٩
٥٩	٣١٠٣٠
٦٣	٣٦٠٣٢
٦٩	٤١٠٣٧
٧٥	٤٥٠٤٢
٧٩	٥١٠٤٦
٨٧	٥٣٠٥٢
٨٩	٥٥٠٥٤

٩٣	٥٩,٥٦
٩٥	٦٥,٦٠
١٠٥	٦٩,٦٦
١٠٧	٧٨,٧٠
١١٩	٧٩
١٢١	٨١,٨٠
١٢٣	٨٢
١٢٧	٨٣
١٢٩	٨٦,٨٤
١٣١	٨٨,٨٦
١٣٣	٩١,٨٩
١٣٥	٩٨,٩٢
١٤٥	١٠٢,٩٩
١٤٧	١٠٦,١٠٣
١٤٩	١٠٨,١٠٧
١٥١	١٠٩
١٥٣	١١٠

الصفحة	رقم الآية
سورة مريم	

١٥٥	٦,١
١٦٣	١١,٧
١٦٧	١٥,١٢
١٧١	٢١,١٦

١٧٥	٢٦،٢٢
١٨٧	٣٣،٢٧
١٩٣	٣٦،٣٤
١٩٥	٤٠،٣٧
١٩٩	٥٠،٤١
٢٠٣	٥٧،٥١
٢٠٩	٦٥،٥٨
٢١٩	٧٢،٦٦
٢٢٧	٧٤،٧٣
٢٢٩	٧٦،٧٥
٢٣١	٨٠،٧٧
٢٣٣	٨٤،٨١
٢٣٥	٨٧،٨٥
٢٣٧	٩٥،٨٨
٢٣٩	٩٨،٩٦

الصفحة	رقم الآية
سورة طه	

٢٤١	٨،١
٢٤٥	١٦،٩
٢٥٣	٢٣،١٧
٢٥٩	٣٥،٢٤
٢٦١	٤٢،٣٦
٢٦٧	٤٨،٤٣

٢٧١	٥٥،٤٩
٢٧٥	٦٤،٥٦
٢٨٥	٧٣،٦٥
٢٩١	٧٦،٧٤
٢٩٣	٨٢،٧٧
٢٩٧	٨٩،٨٣
٣٠٣	٩٤،٩٠
٣٠٥	٩٨،٩٥
٣٠٩	١٠٤،٩٩
٣١١	١١٤،١٠٥
٣١٧	١٢٧،١١٥
٣٢٥	١٣٠،١٢٨
٣٢٧	١٣٢،١٣١
٣٢٩	١٣٥،١٣٣

رقم الآية	الصفحة
سورة الأنبياء	

٣٣٣	١٠،١
٣٣٩	٢٤،١١
٣٤٥	٢٩،٢٥
٣٤٧	٣٣،٣٠
٣٥١	٣٦،٣٤
٣٥٣	٤١،٣٧
٣٥٥	٤٥،٤٢

٣٥٧	٤٧،٤٦
٣٥٩	٥٠،٤٨
٣٦١	٥٨،٥١
٣٦٥	٦٣،٥٩
٣٧٣	٦٧،٦٤
٣٧٥	٧٣،٦٨
٣٧٩	٧٥،٧٤
٣٨١	٨٢،٧٦
٣٨٧	٨٦،٨٣
٣٩٥	٨٨،٨٧
٤٠١	٩٢،٨٩
٤٠٥	١٠٠،٩٣
٤١٣	١١٢،١٠١

الصفحة	رقم الآية
سورة الحج	

٤٢٣	٤،١
٤٢٩	٧،٥
٤٣٥	١٠،٨
٤٣٧	١٤،١١
٤٣٩	١٧،١٥
٤٤١	١٨
٤٤٣	٢٢،١٩
٤٤٥	٢٤،٢٣

٤٤٧	٢٥
٤٥٣	٢٩,٢٦
٤٥٩	٣٣,٣٠
٤٦٣	٣٥,٣٤
٤٦٥	٣٧,٣٦
٤٧١	٤١,٣٨
٤٧٥	٤٥,٤٢
٤٧٧	٤٨,٤٦
٤٧٩	٥٥,٤٩
٤٨٣	٥٩,٥٦
٤٨٥	٦٢,٦٠
٤٨٧	٧٠,٦٣
٤٨٩	٧٢,٧١
٤٩١	٧٤,٧٣
٤٩٣	٧٧,٧٥
٤٩٥	٧٨